

الطبعة الأولى: ١٩٨٥

تاريخ سوريا الديني والسياسي

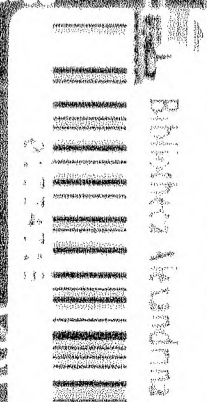
تاريخ شعوب سورية القدماء

يحتوي مقالة في العبرانيين

إشكاف
نظير عبثود

رابعه ودفقة
الدكتور مارون رعد

دار الفكر العربي



تاريخ سورية

المطران يوسف الدبس

تاريخ سورية

الجزء الثاني

تاريخ شعوب سورية القدماء

يحتوي مقالة في العبرانيين

إشراف

نظير عبود

رأجه ودققه

الدكتور مارون رعد

دار نظير عبود

فهرس

صفحة

عد

مقالة في العبرانيين ١٧

الفصل الأول

ابراهيم الخليل

١٨	نسب ابراهيم وعصره	١٥١
٢٢	منشأ ابراهيم اي في اور و حاران	١٥٢
٢٤	ارتحال ابراهيم إلى ارض الكنعانيين وما قيل في ولايته في دمشق ..	١٥٣
٢٦	انحدار ابراهيم إلى مصر	١٥٤
٣٠	محاربة ابراهيم لكدر لاعومر واحلافه	١٥٥
٣٧	ملك يصادق الذي التقى ابراهيم عند عوده من حرب الملوك ...	١٥٦
٣٨	تجديد الله مواعده لابراهيم وولادة اسماعيل	١٥٧
٣٩	أمر الله لابراهيم بالختان	١٥٨
٤١	ظهور الملائكة الثلاثة لابراهيم وسارة وانطلاقهم إلى سدوم وتدميرها	١٥٩
٤٤	ارتحال ابراهيم إلى جرار ومولد اسحق	١٦٠
٤٥	خروج اسمعيل من بيت ابيه ابراهيم وزواجه وولده	١٦١
٤٦	امتحان ابراهيم بذبح ابنه اسحق	١٦٢
٤٧	موت سارة ودفنها في المغارة المضاعفة	١٦٣
٤٩	زواج اسحق	١٦٤
٥٠	زواج ابراهيم بقطورة وولده منها وموته	١٦٥

الفصل الثاني

اسحق وابناه يعقوب وعيسو

٥٢ اسحق	١٦٦
٥٥ ارتحال يعقوب إلى حاران وزواجه فيها وولده	١٦٧
 مقتل شمعون ولاوي ابني يعقوب اهل شكيم وتثمة	١٦٨
٥٨ اخبار رحلة يعقوب	
٥٩ عيسو وولده	١٦٩

الفصل الثالث

يوسف

٦٠ محبة يعقوب ليوسف وحسد اخوته له وما كان منه	١٧٠
٦٢ بيع يوسف لقوطيفار ومراودة امرأته له وسجنه	١٧١
٦٧ تعبیر يوسف حلم فرعون واستيزار الملك له	١٧٢
٧١ تدبير يوسف شئون مصر والجماعة فيها	١٧٣
٧٤ ما يعزى إلى يوسف في مصر	١٧٤
٧٦ انذار اخوة يوسف إلى مصر وتعرفه بهم	١٧٥
٨١ انذار يعقوب إلى مصر بأسرته وفي محلهم فيها	١٧٦
٨٣ وفاة يعقوب ثم يوسف في مصر	١٧٧

الفصل الرابع

اخبار بني اسرائيل في مصر

 حالة بني اسرائيل في مصر واشتراكهم مع المصريين	١٧٨
٨٦ في بعض غزواتهم	
٨٨ بدء اضطهاد بني اسرائيل في مصر	١٧٩
٩١ مولد موسى ومنشأه في بيت فرعون وفراره من مصر	١٨٠
٩٢ إقامة موسى في بلاد مدين وزواجه فيها وعوده إلى مصر	١٨١

١٨٢	مخاطبة موسى وهرون فرعون ليطلق بني إسرائيل
٩٤	وما كان من قسوته
١٨٣	ضربات مصر وهي آيات الله فيها على يد موسى وهرون

الفصل الخامس

أخبار خروج بني إسرائيل من مصر إلى البرية

١٨٤	مدة إقامة بني إسرائيل في مصر
١٨٥	الحل الذي ارتحل منه بنو إسرائيل وفي طريق خروجهم
١٨٦	أقوال العلماء في طريق بني إسرائيل ومعبرهم في البحر الأحمر
١٨٧	نجاة بني إسرائيل وغرق جنود فرعون في البحر الأحمر

الفصل السادس

أخبار بني إسرائيل في برية سيناء

١٨٨	لمعة في شبه جزيرة سيناء
١٨٩	مراحل بني إسرائيل من جانب البحر الأحمر إلى برية سيناء ...
١٩٠	المرق
١٩١	السلوى
١٩٢	ارتحال بني إسرائيل من برية سيناء إلى رفيديم
١٩٣	آية اجراء الماء من الصخرة
١٩٤	حرب العمالقة
١٩٥	إتيان يترو حمي موسى إليه في البرية ومشورته عليه
١٩٦	في القضاء للشعب
١٩٧	ارتحال بني إسرائيل من رفيديم إلى برية سيناء ونزولهم من الجبل
١٩٨	وأي الجبال هو
١٩٩	تنزيل الله السنة
١٣٠	إبطاء موسى في الجبل وعبادة بني إسرائيل عجل الذهب
١٣١	خباء المحضر ورد لإزعام من جحدوا صحة كلام الكتاب
١٣٢	١٣٣
١٣٤	١٣٥
١٣٦	١٣٧
١٣٨	١٣٩

الفصل السابع

ما بقي من مراحل بني إسرائيل إلى صحراء موآب

- ٢٠٠ ارتحال بني إسرائيل من جبل سيناء إلى قبور الشهوة ١٤٢
 ٢٠١ ارتحال بني إسرائيل من قبور الشهوة إلى حصيروت وغيرها حتى
 قادش وتذمر مريم وهرون على موسى بسبب إمرأته ١٤٤
 ٢٠٢ ما كان لبني إسرائيل في قادش أعني وفاة مريم أخت موسى
 وإجراء الماء من الصخرة ثانية وإرسال الجواسيس إلى ارض الموعد .. ١٤٦
 ٢٠٣ ارتحال بنو إسرائيل من قادش في جانب جبل أدوم إلى جبل
 هور وموت هارون هناك ١٤٩
 ٢٠٤ حربهم مع ملك عراد ومراحلهم من جبل هور إلى صحراء موآب . ١٥٠

الفصل الثامن

تملك بني إسرائيل البلاد التي في شرقي الأردن

- ٢٠٥ نهى الرب بني إسرائيل عن محاربة الأدوميين والموابيين والعمونيين
 وفي من سكن بلادهم قبلهم ١٥٣
 ٢٠٦ تملك بني إسرائيل بلاد سيحون ملك الأموريين وعوج ملك باشان . ١٥٥
 ٢٠٧ دعوة بالاق ملك الموابيين لبلعام ليلعن بني إسرائيل ١٥٦
 ٢٠٨ اغواء بنات موآب ومدن لبني إسرائيل والإنتقام من المدينيين ... ١٥٩
 ٢٠٩ تمليك موسى سبطي راويين وجاد ونصف سبط منسا الأرض التي
 في شرقي الأردن ١٦١
 ٢١٠ إحصاء موسى بني إسرائيل وتسليمه قيادتهم إلى يشوع
 بن نون وموته ١٦٣
 ٢١١ الأسفار التي كتبها موسى ١٦٥

الفصل التاسع

يشوع بن نون وأخبار بني إسرائيل في أيامه

- ٢١٢ يشوع بن نون والسفر المنسوب إليه ومجمل أعماله ١٧٠

٢١٣	عبور يشوع الاردن بيني اسرائيل واختتانهم	١٧٢
٢١٤	سقوط اسوار أريحا وإبسال بني اسرائيل جميع ما كان فيها ..	١٧٤
٢١٥	محاربة بني اسرائيل أهل العي	١٧٥
٢١٦	مسألة بني اسرائيل لسكان جيعون	١٧٧
٢١٧	تألب ملوك الجنوب على يشوع وبني اسرائيل	١٧٨
٢١٨	إيقاف يشوع الشمس والقمر عن مسيرهما	١٨٠
٢١٩	افتتاح يشوع مدناً أخرى في جنوبي فلسطين	١٨٢
٢٢٠	اعتصاب ملوك شمال فلسطين على بني اسرائيل	
٢٢١	وتشتيت يشوع شملهم	١٨٣
٢٢٢	محاربة يشوع بني عناق وتدويخه بلادهم	١٨٥
٢٢٣	قسمة أرض فلسطين على بني اسرائيل	١٨٦
٢٢٤	نصب خباء المحضر في شيلو	١٨٩
	وفاة يشوع بن نون ومدفنه	١٩٠

الفصل العاشر

قضاة بني اسرائيل بعد يشوع

٢٢٥	سفر القضاة	١٩٤
٢٢٦	مدة قضاة بني اسرائيل	١٩٥
٢٢٧	محاربة بني يهوذا وشمعون وبني يوسف بعض الكنعانيين	١٩٨
٢٢٨	تسلط كوشان رشعنائيم ملك ارام على بني اسرائيل وتخليص عتثيل لهم	٢٠٠
٢٢٩	تعبد بني اسرائيل لعجلون ملك مواب وتنجية اهود لهم	٢٠١
٢٣٠	دابورة وباراق وتخليصهما بني اسرائيل من يد ملك حاصور ..	٢٠٣
٢٣١	جدعون وتخليص بني اسرائيل من المدينيين	٢٠٥
٢٣٢	ايملك وتولع ويائير	٢١٠
٢٣٣	يفتاح	٢١٢
٢٣٤	شمشون والفلسطينيون	٢١٥
٢٣٥	مولد شمشون وزواجه	٢١٧

٢٣٦	إحراق شمشون زروع الفلسطينيين وقتله كثيرين منهم بلحى الحمار	٢١٩
٢٣٧	اقتلاع شمشون باب غزة وحمله وقبض الفلسطينيين عليه وموته	٢٢٢
٢٣٨	احداث داخلية في مدة القضاة	٢٢٥

الفصل الحادي عشر

راعوت وعالي الخبر وصموئيل النبي

٢٣٩	راعوت الموابية	٢٢٦
٢٤٠	عالي الخبر	٢٢٩
٢٤١	ضربات الله الفلسطينيين لامساكهم تابوت العهد واضطراهم إلى رده	٢٣٠
٢٤٢	مولد صموئيل وخدمته في هيكل الرب في شيلو	٢٣٣
٢٤٣	الاسفار المنسوبة إلى صموئيل	٢٣٥
٢٤٤	محاربة بني اسرائيل للفلسطينيين وظفرهم بهم بارشاد صموئيل .	٢٣٦
٢٤٥	الحاح بني اسرائيل على صموئيل ان يقيم لهم ملكاً	٢٣٨

الفصل الثاني عشر

شاوول وتمة اخبار صموئيل

٢٤٦	تولية صموئيل شاوول ملكاً على اسرائيل	٢٣٩
٢٤٧	محاربة شاوول لناحاش ملك العمونيين	٢٤١
٢٤٨	محاربة شاوول للفلسطينيين	٢٤٢
٢٤٩	محاربة شاوول للعمالقة	٢٤٥
٢٥٠	مسح صموئيل داود ليكون ملكاً موضع شاوول	٢٤٧
٢٥١	قتل داود جليات الجبار	٢٥٠
٢٥٢	حصول النفرة بين شاوول وداود	٢٥٢
٢٥٣	هرب داود من وجه شاوول واتيانه إلى احيملك الكاهن	٢٥٣
٢٥٤	هرب داود إلى جت ومواب وقتل شاوول كهنة نوب	٢٥٥
٢٥٥	مطاردة شاوول لداود وعفو داود عن قتله	٢٥٦
٢٥٦	وفاة صموئيل	٢٥٨

٢٥٧	تتمة اخبار داود في مفره وعفوه ثانية عن قتل شاول	٢٥٩
٢٥٨	محادبة الفلسطينيين لشاول وقتله	٢٦١
٢٥٩	محادبة داود العمالقة ومناحته على شاول وبنيه	٢٦٤

الفصل الثالث عشر

اخبار داود في مدة ملكه

٢٦٠	اقامة بني يهوذا داود ملكاً وسائر بني اسرائيل اشبوشث بن شاول .	٢٦٥
٢٦١	استقلال داود في ملك اسرائيل وفتح قلعة صهيون ومخالفته لحيرام	٢٦٧
٢٦٢	حرب وادي الجبارة بين داود والفلسطينيين	٢٦٩
٢٦٣	نقل داود تابوت عهد الرب إلى اورشليم واهتمامه ببناء بيت الله ..	٢٧٠
٢٦٤	اخضاع داود الفلسطينيين والموآبين وملك صوبة ورامي دمشق ..	٢٧٢
٢٦٥	حرب داود مع العمونيين والاراميين	٢٧٥
٢٦٦	اثما داود وتوبته	٢٧٨
٢٦٧	خروج ابشالوم على داود ابيه	٢٧٩
٢٦٨	مدفن ابشالوم	٢٨٢
٢٦٩	عودة داود إلى اورشليم وما كان حينئذ	٢٨٢
٢٧٠	المجاعة في أيام داود وقتل ابناء شاول	٢٨٥
٢٧١	وقائع اخرى لداود مع الفلسطينيين	٢٨٦
٢٧٢	احصاء داود بني اسرائيل وغضب الرب لذلك	٢٨٧
٢٧٣	شيخوخة داود وتمليك سليمان قبل وفاته	٢٨٨
٢٧٤	ما اعدّه داود لبناء الهيكل والخدمة فيه	٢٩٠
٢٧٥	وصايا داود لرؤساء الشعب وسليمان ووفاته	٢٩٢

الفصل الرابع عشر

سليمان

٢٧٦	بواكير اعمال سليمان	٢٩٥
٢٧٧	زواج سليمان بابنة فرعون	٢٩٧
٢٧٨	حكمة سليمان وقضاؤه بين المرأتين البغيتين	٢٩٨

٢٧٩	هيئة حكومة سليمان وموارد دخله ونفقاته	٣٠٠
٢٨٠	محالفة سليمان لحيرام ملك صور واخشاب الارز	٣٠١
٢٨١	هيكل سليمان وأولاً سنة بنائه	٣٠٤
٢٨٢	محل الهيكل وهيئته	٣٠٨
٢٨٣	تدشين سليمان للهيكل	٣١١
٢٨٤	باقي أبنية سليمان في اورشليم	٣١٢
٢٨٥	أبنية سليمان في غير اورشليم	٣١٦
٢٨٦	بعلة التي بناها سليمان وبعليك	٣١٨
٢٨٧	تجارة سليمان	٣٢١
٢٨٨	اوفر محل تجارة سليمان وبلغ تجارتها	٣٢٣
٢٨٩	سليمان وملكة سبا	٣٢٥
٢٩٠	آثام سليمان وإثارة الفاتنين عليه	٣٢٨
٢٩١	وفاة سليمان وما كتبه	٣٣١

الفصل الخامس عشر

انشقاق مملكة بني اسرائيل وملوك يهوذا واسرائيل إلى آحاب

٢٩٢	ملك رحبعام بن سليمان وياربعام بن نباط	٣٣٣
٢٩٣	حملة شيشاق ملك مصر على رحبعام ملك يهوذا	٣٣٧
٢٩٤	وفاة رحبعام وملك ابنه ايبا وحربه مع ياربعام	٣٣٩
٢٩٥	آسا ملك يهوذا وناداب وبعشا ملكي اسرائيل	٣٤٢
٢٩٦	خروج زارح الكوشي على آسا ملك يهوذا	٣٤٣
٢٩٧	خروج بعشا ملك اسرائيل على يهوذا وخروج ملك ارام على بعشا	٣٤٥
٢٩٨	ملك ايله وزمري وعمرى ملوك اسرائيل وتتمة اخبار آسا ملك يهوذا	٣٤٨
٢٩٩	يوشافاط ملك يهوذا	٣٤٩

الفصل السادس عشر

اخبار احاب ملك اسرائيل وخلفاؤه حتى ياهو واحزيا ملكي يهوذا

٣٠٠	احاب وايزابل وايليا النبي	٣٥٢
-----	---------------------------	-----

٣٥٣	آية انحباس المطر بكلمة ايليا وقتله أنبياء البعل	٣٠١
٣٥٣	فرار ايليا من وجه ايزابل وامر الرب له أن يمسح حزائيل	٣٠٢
٣٥٦	وياهو واليشاع	٣٠٣
٣٥٧	خروج ابن هدد على احاب	٣٠٤
٣٥٩	احاب والآشوريون	٣٠٥
٣٦١	اختلاس احاب كرم نابوت	٣٠٦
٣٦٢	حرب احاب وملك دمشق وقتل احاب	٣٠٧
٣٦٤	احزيا بن احاب وارتفاع ايليا نحو السماء	٣٠٨
٣٦٧	يورام بن احاب	٣٠٩
٣٦٨	صفحة ميشاع	٣١٠
٣٧٢	الحرب بين ملك ارام وملك اسرائيل والمجاعة في السامرة	٣١١
٣٧٤	يورام ملك يهوذا	٣١٢
٣٧٦	احزيا ملك يهوذا وياهو ملك اسرائيل	

الفصل السابع عشر

باقي ملوك يهوذا واسرائيل إلى خراب السامرة

٣٨٠	قتل عتليا ابناء النسل الملكي ونجاة يواش	٣١٣
٣٨١	يواش ملك يهوذا	٣١٤
٣٨٢	يواحاز بن ياهو ملك اسرائيل ويواش ابنه	٣١٥
٣٨٤	امصيا ملك يهوذا	٣١٦
٣٨٥	ياربعام الثاني ملك اسرائيل ويونان النبي	٣١٧
٣٨٩	عزريا بن امصيا ملك يهوذا	٣١٨
٣٩٠	زكريا بن ياربعام وشلوم ومنحيم ملوك اسرائيل	٣١٩
٣٩٣	فقحيا وفاقح ملكي اسرائيل ويوتام وإحاز ملكي يهوذا	٣٢٠
٣٩٧	هوشع ملك اسرائيل	٣٢١
٣٩٩	من افتتح السامرة وجلاء بني اسرائيل	٣٢٢
٤٠٠	محال إقامة بني اسرائيل في آشور	٣٢٣
٤٠١	أصل من جلاهم سرغون إلى السامرة	٣٢٤

٣٢٥	معبودات سكان السامرة الجلوين إليها	٤٠٣
٣٢٦	تتمتع أخبار سرغون في غزواته لسورية	٤٠٦
٣٢٧	سنو ملوك يهوذا وملوك إسرائيل	٤٠٩

الفصل الثامن عشر

سائر ملوك يهوذا إلى الجلاء البابلي

٣٢٨	حزقيا ملك يهوذا	٤١٢
٣٢٩	حملة سنحاريب على حزقيا ملك يهوذا	٤١٦
٣٣٠	اجراء حزقيا الماء إلى اورشليم ووفاته	٤٢٦
٣٣١	منسا بن حزقيا ملك يهوذا	٤٢٨
٣٣٢	حملات اسرحدون وآشور بانيبال على سورية ومصر	
	في عهد منسا ملك يهوذا	٤٣١
٣٣٣	قتل يهوديت اليفانا في أيام منسى الملك	٤٣٥
٣٣٤	ما جاء من الآثار الآشورية مؤيداً أخبار سفر يهوديت	٤٤٠
٣٣٥	وفاة منسا وخلافة آمون إبنه له	٤٤٣
٣٣٦	يوشيا بن آمون ملك يهوذا	٤٤٤
٣٣٧	يوحاز والياقيم إبننا يوشيا ويوخانيا ملوك يهوذا	٤٤٨
٣٣٨	صدقيا ملك يهوذا	٤٥١
٣٣٩	من ارتحلوا من بني إسرائيل إلى مصر وحملات بختنصر عليها	٤٥٣
٣٤٠	سنو ملوك يهوذا من خراب السامرة إلى الجلاء البابلي	٤٥٦

الفصل التاسع عشر

أخبار بني إسرائيل في بلاد الكلدان

٣٤١	حال بني إسرائيل في بابل وإنذار الأنبياء لهم	٤٥٨
٣٤٢	طوبيا البار	٤٦٠
٣٤٣	دانيال النبي	٤٦٥
٣٤٤	دانيال وسوستة	٤٦٦

٤٦٨ حلم بختنصر وتعبير دانيال له	٣٤٥
٤٧١ تمثال بختنصر وطرح حننيا وميشائيل وعزريا في الاتون	٣٤٦
٤٧٥ الحلم الثاني لبختنصر وجنونه وتعبير دانيال لحلمه	٣٤٧
٤٧٨ بلشصر ملك بابل وتعبير دانيال رؤياه	٣٤٨
٤٨٠ باقي ملوك بابل إلى انقراض دولتهم	٣٤٩
٤٨٢ طرح دانيال في جب الأسد	٣٥٠
٤٨٤ كشف دانيال خديعة كهنة بال	٣٥١
٤٨٦ قتل دانيال التين	٣٥٢
٤٨٧ رؤى دانيال	٣٥٣
٤٨٩ وفاة دانيال وصحة تنزيل سفره	٣٥٤
٤٩١ رؤى حزقيال وموته ومدفنه	٣٥٥

الفصل العشرون

أخبار بني إسرائيل عند عودهم من الجلاء وبعده

إلى ملك اسكندر الكبير

٤٩٦ أمر كورش بعود بني إسرائيل إلى فلسطين	٣٥٦
٤٩٨ آثار كورش المؤيدة قول الكتاب	٣٥٧
٥٠٠ تجديد بناء هيكل اورشليم	٣٥٨
٥٠١ ملوك فارس إلى داريوس	٣٥٩
٥٠٤ استئناف بناء الهيكل وإتمامه	٣٦٠
٥٠٥ تمة أخبار دارا	٣٦١
٥٠٧ عزرا الكاهن	٣٦٢
٥٠٨ حظر عزرا على بني إسرائيل الزواج بالأجنبيات	٣٦٣
٥٠٩ تمة أخبار عزرا ووفاته وأسفاره	٣٦٤
٥١١ نحميا وبناء أسوار اورشليم	٣٦٥
٥١٣ تمة أخبار نحميا	٣٦٦
٥١٣ سفر استير ومن كانت هي زوجة له	٣٦٧
٥١٥ ملخص خبر أستير عن سفرها	٣٦٨

٣٦٩	أخبار ارتخششتا وخلفاؤه إلى أيام اسكندر الكبير	٥١٩
٣٧٠	حالة اليهود بعد أيام نحميا إلى أيام اسكندر الكبير	٥٢١

الفصل الواحد والعشرون

النبوة والانبياء الكبار

٣٧١	تعريف النبي والنبوة وامكانها ونوعها	٥٢٢
٣٧٢	الانبياء اجمالاً	٥٢٥
٣٧٣	اشعيا	٥٢٧
٣٧٤	ارميا	٥٣٠
٣٧٥	حزقيال	٥٣٦
٣٧٦	دانيال	٥٣٧

الفصل الثاني والعشرون

الأنبياء الصغار

٣٧٧	هوشع	٥٣٨
٣٧٨	يوئيل	٥٣٩
٣٧٩	عاموس	٥٤١
٣٨٠	عويديا	٥٤٢
٣٨١	يونان	٥٤٤
٣٨٢	ميخا	٥٤٦
٣٨٣	نحوم	٥٤٧
٣٨٤	حبقوق	٥٤٧
٣٨٥	صفنيا	٥٤٨
٣٨٦	حجاي	٥٤٩
٣٨٧	زكريا	٥٥٠
٣٨٨	ملخيا	٥٥٢

مقالة

في العبرانيين

قد تكلمنا في مقالتنا الافتتاحية على خلق العالم والإنسان الأول وعلى الآباء الأولين حتى نوح وأبنائه الثلاثة سام وحام ويافت وعلى أعقابهم ، والمواطن التي حلّوا فيها بعد تفرق القبائل في الآفاق . متبعين في ذلك مساق كلام الكتاب في الفصول العشرة الأول . وبعض آي الفصل الحادي عشر من سفر التكوين حتى مولد ابراهيم الخليل . ثم أعقبنا ذلك بمقالتين في الحثيين والفينيقيين أشهر القبائل التي توطنت في شمالي سورية ووسطها . فبقي علينا أن نتكلم في أشهر القبائل التي توطنت في جنوبيها . وهي قبيلة العبرانيين اي بني إسرائيل مستضيئين بنبراس أصبح تاريخ وأقدسه وأقدمه وأكمله وهو أسفار العهد القديم المقدسة . فإنّ جلّ الغرض من كلامها من الفصل الحادي عشر من سفر التكوين فصاعداً بيان تاريخ بني إسرائيل . وما افترضه الله عليهم وأرشدهم إليه بمناجاته ولسان أنبيائه . ونستعين لإدراك شأونا بما اكتشف من الآثار القديمة وما استودع في حطام قدماء المؤرخين . وما جاء في كتب ثقات من العلماء والمفسرين . ولما كان ابراهيم الخليل أصل هذه القبيلة وقد ظعن بأسرته من بلاد الكلدان إلى سورية تعين علينا أن نستهل كلامنا بذكره .

الفصل الأول

ابراهيم الخليل

عد ١٥١

نسب ابراهيم وعصره

قد مرّ بك في عد ٣٨ أن ساماً ولد ارفكشاد، وارفكشاد ولد شالح، وشالح ولد عابر، فعبر الفرات وإليه ينسب العبرانيون. «وهو ولد فالج (أو فالغ) ويقطبان جد العرب الذي ذكرنا ولده في العدد المشار إليه آنفاً» وأما فالج فولد أرعو، وأرعو ولد سروج، وسروج ولد ناحور، وناحور ولد تارح، وتارح ولد أبرام (الذي سمّاه الله ابراهيم). وناحور باسم جدّه وهاران الذي ولد لوطاً وتوفاه الله قبل أبيه تارح في أرض مولده في أور الكلدانيين (تك ف ١١ من عد ١١ فصاعداً).

ويرجح أن ابراهيم كان أصغر إخوته وقدمه الكتاب بالذكر تعظيماً له لأنه أبو المؤمنين (فيكوررو في معجم الكتاب في كلمة ابراهيم)، وقد ذكر الكتاب سني موالد هؤلاء الآباء فيظهر منه ما مرّ من السنين من بعد الطوفان إلى مولد ابراهيم على أن بين النص العبراني والترجمة اليونانية السبعينية اختلافاً في حساب هذه السنين. فزادت السبعينية مئة سنة على سني ولادة أكثر الآباء الآنف ذكرهم، واتبعت النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية. وأكثر نسخ الكتاب النص العبراني. وإليك جدولاً يتبين منه هذا الاختلاف:

سنو مولد الآباء بعد الطوفان، بحسب النص العبراني، سنوهم بحسب الترجمة السبعينية.

٢	٢	سام ولد أرفكشاد بعد الطوفان
١٣٥	٣٥	أرفكشاد ولد شالح وله من العمر
١٣٠	٣٠	شالح ولد عابر وله من العمر
١٣٤	٣٤	عابر ولد فالغ وله من العمر
١٣٠	٣٠	فالغ ولد أروعو وله من العمر
١٣٢	٣٢	أروعو ولد سروج وله من العمر
١٣٠	٣٠	سروج ولد ناحور وله من العمر
٧٩	٢٩	ناحور ولد تارح وله من العمر
٧٠	٧٠	تارح ولد ابراهيم وله من العمر
٩٤٢	٢٩٢	

وقد زادت السبعينية أباً آخر على هؤلاء وهو قينان.

وذكرت أن أرفكشاد ولده وعمره
١٣٥
١٠٧٧

وان قينان ولد شالح وهلمَّ جزاً إلى ابراهيم كما مر وعليه فيكون ما بين الطوفان ومولد ابراهيم مئتان وإثنان وتسعون عاماً بحسب النص العبراني، وألف وسبعة وسبعون عاماً بحسب الترجمة السبعينية. وذكرت الترجمة السريانية قينان بن أرفكشاد كالسبعينية في الفصل الثالث من بشارة لوقا. وقد اتبع ابن خلدون في تاريخه حساب الأصل العبراني في موالد هؤلاء الآباء، ولكن «أبو الفدا» اعتمد فيه حساب الترجمة السبعينية وجعل المدة من الطوفان إلى مولد ابراهيم ألفاً وإحدى وثمانين سنة.

وإذا أضفنا إلى ٢٩٢ عاماً من الطوفان إلى مولد ابراهيم ١٦٥٦ سنة من خلق آدم إلى الطوفان بحسب الأصل العبراني كما في الجدول الذي وضعناه في عد ٢٣، وألحقنا به ٧٥ سنة عمر ابراهيم عند ارتحاله من حاران ليمضي إلى أرض كنعان - كما في سفر التكوين (فصل ١٢ عد ٤ و ٥) - كان مجموع الأعوام

التي مَرَّت من آدم إلى بلوغ ابراهيم سورية ٢٠٢٣ سنة . وأما بحسب السبعينية فالجُمُوع ٣٣٩٤ سنة مؤلفة من ٢٢٤٢ سنة قبل الطوفان . ومن ١٠٧٧ سنة من الطوفان إلى مولد ابراهيم ، ومن ٧٥ سنة من مولد ابراهيم إلى أن ارتحل إلى سورية وكان الفرق بين الحسايين ١٣٧١ عاماً ، وأما في أية سنة قبل مولد المخلص شخص ابراهيم إلى سورية فذلك يختلف فيه اختلاف المذاهب في تعيين سنة المولد من سنيّ الخليقة . فعلى مذهب من قال إن مولد المخلص كان في سنة ٤٠٠٠ لخلق الإنسان يكون بلوغ ابراهيم إلى فلسطين سنة ١٩٧٧ . وعلى مذهب من قال إن المولد كان في سنة ٤٠٥١ يكون بلوغ ابراهيم سنة ٢٠٢٨ . قال الأب فيكورو : جعل اوساريوس مولد ابراهيم لسنة ١٩٩٢ ق.م ، وجعل كليبتون وفاته سنة ١٩٥٥ ق.م ، وإقامته في أرض كنعان من سنة ٢٠٥٥ إلى سنة ١٩٥٥ ق.م وقال بلمر Palmer : إنّه بلغ أرض كنعان سنة ٢٠٨٤ وتوفاه الله سنة ١٩٨٤ ق.م . والحاصل أن المسألة يختلف فيها حتى الآن . وعلى كل الأقوال إنه بلغ بلاد الكنعانيين لنحو من ألفي سنة قبل الميلاد ، ولعلّه يكتشف أثر يزيل الخلاف مثل أن توجد قطعة آجر أو أثر آخر في بلاد الكلدان تنبئ بشيء من تاريخ كدرايعوم الذي حاربه ابراهيم . فينجلي تاريخ ابراهيم بالحصص أو بالتقريب (فيكورو في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٣٦٦) .

وقد طالعنا في هذه الأيام في المجلة الموسومة بالعلم الكاثوليكي ، مجلة المباحث الدينية ، فصلين علقهما فيها الأب مور الشهير في عديها الصادرين في ١٥ آب وفي ١٥ أيلول سنة ١٨٩٣ أثبت فيهما أن ابراهيم شَخَص إلى فلسطين سنة ٢١٤٥ ق.م . ففي الفصل الأول منهما أجهد نفسه ليثبت أن خروج بني إسرائيل من مصر كان لسنة ١٥٠٠ ق.م متمسكاً بآثار آشورية يظهر فيها أن سرغون دمر السامرة ، وقرض مملكة إسرائيل سنة ٧٢١ ق.م . ووضع جدولاً لملوك إسرائيل ويهوذا يتبين منه أن سليمان أخذ ببناء الهيكل سنة ١٠٢٠ ق.م ، واستشهد بقول «الكتاب» (ملوك ٣ فصل ٦) ، بأن هذا البناء كان بعد ٤٨٠ سنة من خروج بني إسرائيل من مصر . فكان الحاصل على قوله أن الخروج كان سنة ١٥٠٠ ق.م ثم أضاف سني العبودية ٤٣٠ سنة إلى ذلك العدد ، فكان المجموع ١٩٣٠ سنة . وضَمَّ إلى ذلك ٢١٥ سنة حصلت من أن يعقوب نزل إلى مصر وله من العمر ١٣٠ سنة ، وأن اسحق ولده عمره ٦٠ سنة ، وأن ابراهيم ولد اسحق بعد ٢٥

سنة من إتيانه فلسطين (وكل هذا يبين في سفر التكوين). ونتج أن ابراهيم شخص إلى فلسطين سنة ٢١٤٥ ق.م، ثم أيد قوله في الفصل الثاني بوجه آخر مستنداً إلى أثر لآشور بانيبال ملك آشور قال فيه :

«إنّ كودر ناهوندا ملك عيلام سطا على هياكل أگد (بابل)، وأخذ تمثال الآلهة نانا، فاستمر هذا التمثال في بلاد عيلام سنة ١٦٣٥ (وفي نسخة ١٥٣٥). وأن آشور بانيبال ظفر بملك عيلام، وأرجع هذا التمثال إلى محله». ومن البين أن هذا الملك الآشوري انتصر على ملك عيلام سنة ٦٦٠ ق.م. فإن أضفنا هذه السنين إلى ما قبلها كان المجموع ٢٢٩٥ سنة. وقد رأى الأب مور أن غزوة العيلاميين لبابل كانت الداعي لمهاجرة الحثيين من سورية إلى مصر، ولمهاجرة تارح أبي ابراهيم من أور الكلدانيين إلى حاران. وإنّ كدريلاومر الذي حاربه ابراهيم فيما بعد هو من دولة العيلاميين هذه، وإن دولة أخرى حليفة لها تعرف بالسيككو، كان منها ملك يسمى كركال. وإن هذا ليس هو إلّا تدعال ملك الأمم حليف كدريلاومر، وباقي الملوك الذين حاربهم ابراهيم (تك ف ١٤). وبناءً على ما مرّ، وضع مور جدولاً يبين منه أن تارح ولد سنة ٢٣٥٠، وعاش ٢٠٥ سنين، وأنه هاجر بلاد الكلدان. ولما مرّ كان عمر ابراهيم ٣٥ سنة، وعاش ابراهيم مع أبيه هناك ٤٠ سنة. فإن أسقطنا ٢٠٥ سنين من ٢٣٥٠ كان الباقي ٢١٤٥؛ هي سنة شخوص ابراهيم إلى فلسطين انتهى ملخصاً والله أعلم.

قد أنبأنا الكتاب (تك ف ١١ عد ٢٩): ان قد «اتخذ أبرام وناحور لهما امرأتين؛ اسم امرأة أبرام ساراي، واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران أبي ملكة وأبي يسكة». قال يوسفوس (ك ١ في تاريخ اليهود ف ٦): إنّ ناحور «توفي في أور الكلدانيين ويشاهد هناك مدفنه إلى اليوم، وخلف ابناً يسمى لوطاً، وابنتين تسمى إحداهما سارة والأخرى ملكة. فتزوج ابراهيم بسارة وناحور بملكة». فسارة إذاً بنت أخي ابراهيم على هذا القول. وسيجيء فيه كلام في عد ١٥٤، وهي المسماة يسكة أيضاً، وأخوهما لوط ارتحل مع ابراهيم إلى أرض الكنعانيين. ومن عوائدهم أن لا يتزوج الأخ البكر بابنة أخيه الذي هو أصغر منه، ويباح للأخ الأصغر أن يتزوج بابنة أخيه البكر. وهذا يرجع ما مرّ من أن ابراهيم لم يكن بكر تارح، بل كان أصغر أبناءه، وهذا أعون على حل الإشكال الحاصل من قول «الكتاب» (في أعمال الرسل ف ٧ عد ٤): إنّ ابراهيم لم يرتحل إلى أرض

الكنعانيين إلا بعد وفاة أبيه، وإن أباه عاش مئتين وخمسة سنين، وولد إبراهيم وعمره سبعون سنة، وإن إبراهيم ارتحل إلى أرض كنعان وله من العمر خمس وسبعون سنة (كما في سفر التكوين ف ١١ و ١٢). فيحصل من ذلك أن عمر تارح لم يتجاوز حين ارتحال إبراهيم المائة والخمسة والأربعين سنة، ويلزم منه أن يكون قد عاش ستين سنة بعد ارتحال ابنه. فإذا قلنا إن هاران إنما هو الذي ولده وعمره سبعون سنة انفسح لنا القول إنه ولد إبراهيم بعد ستين سنة لأنه أصغر ولده، فيزول الأشكال. ورأى بعضهم أن عدد المئتين والخمسة سنين من غلط النساخ لا من حقائق «الكتاب» (ملخص عن الموجز الكتابي لفيكورو عد ٣٤٢). ولذلك قال كلمت (في معجم الكتاب في كلمة تارح) إن تارح ولد إبراهيم وعمره مئة وثلاثون سنة.

عد ١٥٢

منشأ إبراهيم أي في أور وحاران

ولد إبراهيم ونشأ في أور الكلدان، ولكن أين موقع أور هذه؟ فقد توفرت فيه الأقوال وتضاربت، وسماها «الكتاب» في النص العبراني أور كسديم. ولم يُنَبَّأ بموقعها، ولذلك جعله بعضهم في بلاد الكلدان، وبعضهم في الجزيرة، وبعضهم في سورية. ومن التقليدات المستمرة حتى الآن في المشرق - وقد أخذ بذلك القديس أفرام السرياني، وتابعه كثير من مفسري الكتاب - أن مولد إبراهيم كان في أرفه وهي الرها، ومن أدلتهم على ذلك تسميتها في السريانية **ܐܘܪܝܢܐ** (أورهي). وأن أهلها متشبثون حتى الآن بهذا التقليد، وقد دافع ستانلاي عن صحة هذا القول واعتمده. وقال بوخرت إن موقع أور بين نصيبين ودجلة، ووافقه على قوله كثير من مشاهير العلماء على أن العالم أوير وُقِيَ إلى تعيين موقعها وأورد بينات إثباته في ٢٢ نيسان سنة ١٨٦٩م لتلامذته وللجَمِّ الغفير في مدرسة إفرنسة، حيث كان يدرس التاريخ. وهو في المحل المعروف الآن بالمقائر، وسماه بعض الجغرافيين «أم قير» وهو في وسط الطريق بين بابل ومصب نهر الفرات في خليج العجم، حيث تشاهد أكمة عليها أخربة عديدة. وسُمِّي هذا المحل المقائر لكثرة ما يوجد فيه من كسر الآجر مطلية بالقار. وقد اكتشف هناك قطع عديدة من الآجر يتبين منها أسماء هذه المدينة وبعض ملوكها.

وظهر من آثار عديدة أنَّها كانت مدينة علوم وصنائع ، وكثر فيها عداد العلماء والفلكيين الذين يرصدون الكواكب ، والشعراء والكتبة . وقد بقي لنا بعض ما كتبه على الحجر في مكتبة نينوى السالف ذكرها ، وكان ملوكها يسمون أنفسهم ملوك أور ، كما كان يُسمَّى ملوك بابل وملوك شومير وملوك أكد . فهي من أقدم مدن بلاد الكلدان ؛ فإن بعض الآثار التي وجدت فيها تعسر قراءتها وفهمها لتناهي قدمها ، ومنها فلذة آجر كتب عليها : « إن ليك باغاس ملك أور بنى هذا الهيكل تجلَّةً للإله سين » . وكتب على فلذة أخرى « أقام ليك باغاس ملك أور هيكلًا تكرمه لسيد الإله سين وبنى أسوار مدينة أور » . وليك باغاس هذا كان قبل مولد ابراهيم . والاله سين هو القمر الذي كان أعظم معبودات أور . فهذه المدينة ولد فيها ابراهيم ، ولا يبعد أن كان أبوه تارح يعبد الإله سين كغيره من أهلها في الهيكل الذي بناه ليك باغاس .

وجاء في سفر التكوين (ف ١١ عد ٣١) : « وأخذ تارح أبرام ابنه ولوط ابن هاران ابن ابنه وساري كتنه امرأة أبرام ، فخرج بهم من أور الكلدانيين ليذهبوا إلى أرض كنعان فجاءوا إلى حاران وأقاموا هناك » . وحاران هي المعروفة الآن بحران وموقعها في الجنوب من أرفه على بعد ثمان ساعات ، وهي الآن خربة وفيها معبد ينسبونه إلى ابراهيم ، وسمّاها اليونان واللاتينيون حارّه ، وهي مشهورة في التاريخ العالمي بانتصار البرتيين فيها على كراسوس الروماني . وفي التاريخ المقدس يسكن ابراهيم فيها ، ويظهر أنها كانت من أعمال مملكة أبحر ملك الرها المشهور برسائله للمخلص وجوابه له عليها . وورد اسمها مكرراً في الآثار الآشورية محسوبة في عداد المدن الآرامية ، وجاء ذكرها مع بعلبك في الخطوط القديمة التي وُجدت في قصر خرشباد ، ونقش اسمها على مسلة سلمناصر في عداد المدن التي فتحها في شمالي ما بين النهرين . وكان أهلها يعبدون القمر كسكان أور . وترى فيها إلى الآن البئر التي التقى بعد ذلك اليعازر رسول ابراهيم برفقا عندها ، فخطبها لاسحق كما سيجيء . وحكى بعض الجواله أن رعاة الماشية يجتمعون حتى اليوم حول هذه البئر ليسقوا ماشيتهم . والنساء يكرن بالورود إليها لاستقاء الماء ، ولا بد أن يكون ابراهيم قد ورد هذه البئر مراراً كما صنع بعده حفيده يعقوب ، إذ كان يرعى غنم حميه لابان . قال بعضهم : إنَّ ابراهيم أقام في حاران خمس عشرة سنة وجعل غيرهم مدة إقامته

فيها ست سنين أو خمساً (ملخص عن الكتاب والإكتشافات الحديثة لفيكتورو مجلد ١ في الكلام على ابراهيم).

عد ١٥٣

ارتحال ابراهيم إلى أرض الكنعانيين، وما قيل في ولايته
في دمشق

اتفقت تقليدات اليهود والعرب على أن ابراهيم اضطر إلى مغادرة بلاد الكلدان فراراً من الخطر الملم به من قبل قومه، إذ فشت بينهم عبادة الأوثان. وكان يكتهم عليها، ويناصبهم في انتشارها، فثاروا عليه يتطلبون قتله، فأمره الله بالخروج من بينهم، والارتحال إلى أرض كنعان. ولهذه التقليدات مسند في «الكتاب» أيضاً. فإننا نرى يشوع بن نون يقول لجميع الشعب: «هكذا قال الرب إله إسرائيل، في عبر النهر سكن أبائكم منذ الدهر، تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور، وعبدا آلهة أخرى. فأخذت أبائكم ابراهيم من عبر النهر، وسيرته في جميع أرض كنعان» (يشوع فصل ٢٤ عد ٢). بل روى بعض المؤرخين العرب، ومنهم أبو الفدا (في مجلد ١ من تاريخه): «إن تارح أبا ابراهيم كان يصنع الأصنام، ويعطيها ابراهيم ليبيعها. وكان ابراهيم يقول: من يشتري ما يضره ولا ينفعه؟» وقد تأول علماء التلمود كلمة أور من قوله أور الكلدانيين بمعنى نار، ولذلك كان من تقليداتهم أن الكلدانيين ألقوا ابراهيم في أتون نار متقدة، لأنه أبى السجود لآلهتهم، فأجابه الله منه بمعجزة. على أن القديس إيرونيموس ترجم آية سفر نحemia (فصل ٩ عد ٧)، وهي: «أنت الرب الإله الذي اصطفيت أبرام وأخرجته من أور الكلدانيين». فكتب بدلاً من أور الكلدانيين من نار الكلدانيين - كما في النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية - لكنه قال: إن تقليد علماء التلمود في هذا الشأن إنما هو حكاية لا يعتد بصحتها. وعن ابن العبري في تاريخ الدول: «إن ابراهيم أحرق هيكل الأصنام بقرية الكلدانيين، ودخل هاران أخوه ليطفئ النار فاحترق، ولذلك فر ابراهيم» ولكن هذا مما لا يمكن إثباته.

ولما أمر الله ابراهيم أن انطلق من أرضك أي حاران إلى الأرض التي أريك، أي أرض الكنعانيين، نهض بامرأته سارة وابن أخيه لوط وحاشيته وخدمه ومواشيته،

وخلف أخاه ناحور في حاران . وكان أبوه قد توفي فعبر الفرات . وروى يوسيفوس (ك ١ فصل ٧ من تاريخ اليهود) نقلاً عن نيقولاوس الدمشقي الذي كان في القرن الأول قبل الميلاد أنَّ ابراهيم بلغ دمشق أولاً وولي أمرها . وإليك كلام الدمشقي الذي رواه يوسيفوس :

« خرج ابراهيم بجحفل كبير من بلاد الكلدان ... فملك في دمشق ، ثم زایلها بعد مدة مع شعبه كله ، وأقام في أرض كنعان التي تسمى الآن اليهودية . فكثرت ذريته كثرة لا تقدر . وسأجيء على ذكر ذلك في محل آخر . وما برح اسم ابراهيم إلى الآن موقراً ومشتهراً جداً في بلاد دمشق ، وهناك قرية تسمى باسمه ويقال إنها كانت مسكنه » . وعَدَّ يوستينوس ملوك دمشق ، فقال : « ومن بعد دمشقوس ملك حزال ، ثم ادوراس ، ثم ابراهيم وإسرائيل » . ورأى كثير من العلماء أن هذه التقليدات لا تخالف الصواب ولا أقل من أن تكون دليلاً على إقامة ابراهيم مدة في دمشق بمنزلة أمير ثري ، والبعازر قيم بيته . كان من دمشق (تك ف ١٥ عد ٢) وقد جاء ذكر هذا التقليد في كتب علماء مسيحيين ومسلمين .

وأول محطة احتلها ابراهيم في اليهودية هي شكيم المسماة في الإنجيل سوخار والمعروفة الآن بنابلس . وتجلّى الرب هناك لابراهيم ، ووعدته بأن تكون تلك الأرض لنسله . فأقام فيما بعد مذبحاً تكرمه للرب الذي تجلّى له ، ثم ظعن من هناك وضرب خيامه في الجبل بين بيت إيل غرباً والعاي شرقاً (تك ف ١٢ عد ٨) . فهذا الجبل يلزم أن يكون الأكمة التي عليها المحل المسمى خربة البرج ، وبيت إيل هي المسماة الآن بيت أين في شمالي البيري ، واورشليم . وأما العاي فكانت في محل الكديرة الآن في جانب دير ديوان بين رمان في الشمال ومخماس في الجنوب . وكل ذلك في الشمال الشرقي من اورشليم (كاران مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٤ و ٥٩) . وكانت بيت إيل تسمى قديماً لوزا ، وفيها تجلّى الرب ليعقوب عند فراره من وجه أخيه عيسو ، وأراه سلماً يتصل رأسها بالسما ، وملائكة الله تصعد وتنزل عليها ، فنصب هناك مذبحاً . وقال عن الموضع : إله بيت الله ، وسماه «بيت إيل» (تك ف ٢٨ عد ١٢ وما يليه) . والعاي تسمى عاي (دون أل) ، وغاي هي المدينة التي بعث إليها يشوع بن نون بعد افتتاحه أريحا ثلاثة آلاف رجل ، فهزمهم أهل المدينة . ثم انتصر عليهم يشوع ، وأحرق مدينتهم ، وصلب ملوكها ، ورجمه . (يشوع فصل ٧ و ٨) كما سيجيء في محله . ولم

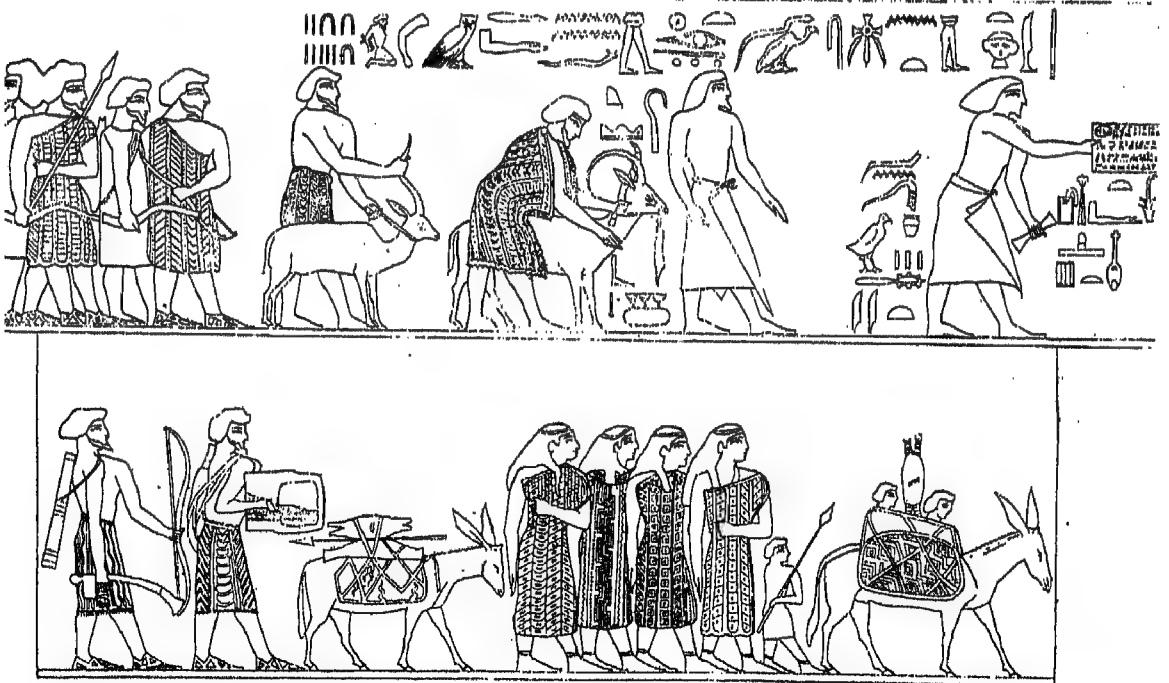
يستمر ابراهيم هناك بل أمعن في أرض الكنعانيين نحو الجنوب مرتحلاً إرتحالاً متوالياً.

عد ١٥٤

الحدار ابراهيم إلى مصر

نبأنا الكتاب (تك ف ١٢) أن حصلت مجاعة في أرض كنعان دعت ابراهيم أن ينحدر إلى مصر مع سارة امرأته. ولما كانت بديعة الجمال، وهو يعلم فساد المصريين، لقنها أن تقول إنها أخته، لئلا يقتله المصريون ويأخذوها، فقالت كما علمها. وأخبر فرعون عظماءه بجمالها فهم بهاء، وأدخلت بيته، فضرب الرب فرعون وأهله ضربات عظيمة بسببها، فاستدعى ابراهيم وردّ عليه امرأته معتذراً بأنه حسبها اخته فأخذها لتكون له امرأة. وأحسن إلى ابراهيم بسببها، فصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وجمال، واتن. وأمر فرعون قوماً يشيعونه هو وامرأته وكل ماله.

زعم بعض النقاد أن ما أجراه فرعون إلى ابراهيم من الإكرام والإحسان يخالف



صورة مهاجرين من سورية إلى مصر نكلاً عن مدافن بني حسن في مصر

الصواب ولا يصدق، خاصة إن صبح أن فرعون هذا كان مصرياً أصلاً. والصحيح أن زعمهم هذا يخالف الصواب، لأن إكرام فرعون لإبراهيم وأخذه سارة ينطبقان كل الانطباق على عادات المصريين وأطوارهم. وقد وجدت آثار عديدة تثبت ذلك؛ منها صورة نقشت على أحد المدافن في تربة بني حسن على ضفة النيل الشرقية على عهد أزوررتسان الثاني أحد ملوك الدولة الثانية عشرة، تمثل رئيس عشيرة من الرحل أتى مصحوباً بأسرته وخدمه يحيي حاكم البلاد أحد أقارب الملك، ويلتمس منه الحماية، ويسمي الأثر هؤلاء الغرباء عمو.

وقد مرّ أن المصريين يعثرون بهذا الاسم عن الرعاة الرحل الذين يأتون من بلاد العرب وفلسطين. ويصف رئيس هذه الأسرة بهاك أي أمير أو رئيس العشيرة، ويسميه أبشاه أي أبي الرمل. وتأويل هذا الاسم قريب من معنى إبراهيم الذي هو أبو الكثيرين. ولهذا الأمير وأسرته وحاشيته كل السمات المميّزة الساميين من حيث الهيئة الطبيعية والملابس. ويظهر من الصورة أن حاكم البلاد يتلطف بمقابلتهم كأناس ذوي حسب ونسب، فيقدمهم أحد الكتاب ووراء الحاكم يافع يحمل حذاءه ولم تكن العادة بخلعه إلا في المقابلات الرسمية. ومن جملة ما يقوله الكاتب عند تقديمهم إنّ المجاعة حملتهم على الإتيان إلى مصر، ويعدد احسانات الحاكم ومكرماته. فإن لم تكن هذه الصورة صورة إبراهيم ولوط واسرتهما فلا اقل من أن تبين بطلان زعم النقادين.

وهم بوهلن Bohlen الألماني أنه وجد بيّنة على التأكيد بصحة آيات «الكتاب» بتسمية الحيوانات التي اعطاها موسى في مصر. ولم يكن منها في وادي النيل ذلك العصر أو كانت نادرة. فإن الغنم كان نادراً كالجمال، والحمير كانت مكروهة بسبب لونها، ولم يذكر موسى الخيل على كثرتها في وادي النيل. فردّ الأب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٤٣٩) زعم بوهلن هذا، وأثبت بالآثار والخطوط والصور القديمة وفرة الغنم والبقر والحمير في مصر منذ أيام الدولة الثانية عشرة. وأما في الجمال فقال: وإن ندرت صورها في الآثار فلم يندر وجودها. ويظهر أنه كان لهم قواعد تحظر عليهم تصوير بعض الحيوانات كالذجاج والهر والجمال. ولا يمكن أن تكون الجمال منقطعة الوجود في مصر مع كثرتها عند جيرانهم العرب من أقدم الأيام ونقلها إليهم كثيراً من حاصلات العرب وغيرها. وفي بعض الخطوط المصرية انهم كانوا يعلمون الجمال الرقص. وقد جاء

في سفر الخروج (فصل ٩ عد ٣) ذكر هذه الحيوانات كلها في مصر، إذ قال موسى لفرعون: «ها يد الرب على مواشيك التي في الصحراء؛ الخيل والحُمير والجمال والبقر والغنم بوباءٍ شديد».

وأما إهمال ذكر الخيل في عداد ما أعطيه موسى فهو بيئة على صحة الكتاب، لأن أول من أدخل الخيل إلى مصر إنما هم الملوك الرعاة، وإبراهيم كان قبلهم، أو في أوائل ولايتهم على مصر كما سيجيء. وكانت أرض مصر في أيام موسى موعبة بالخيل، فلم يذكرها موسى بين الهدايا لإبراهيم مع ذكره لها مراراً في آيات أخرى. فكان ذلك دليلاً وضاحاً على أنه تلقى ما كتبه عن تقليد صحيح ثابت. وكان المصريون يسمون الخيل ساس، وفي العبرانية سوس، وفي السريانية **ܣܘܣܐ** (سوسيو). وكانوا يستعملون الخيل لجزّ مركبات الحرب في أيام الدولة الثامنة عشرة. ويسمون المركبة مركابوتا وهي في اللغات السامية مركبة، **ܡܪܟܒܬܐ** (مركبتو). فكل ذلك يصرح بأن المصريين أخذوا الخيل والمركبات عن سكان آسيا الذين يتكلمون باللغات السامية.

وأما من كان فرعون الذي أتحف إبراهيم بهذه الهدايا، فقال فيكورو (في كتابه السالف ذكره صفحة ٤٤٩)، إنه كان أحد ملوك الدولة الثانية عشرة قبل ولاية الملوك الرعاة في مصر، سنداً إلى أنه لم يهد إبراهيم خيلاً، لأنها لم تكن في مصر قبل أن يليها الملوك الرعاة. على أن ما رويناه في عد ٩٣ نقلاً عن الأب دي كارا وغيره، يظهر منه أن فرعون هذا كان من الملوك الرعاة في دولتهم الأولى، ويستلمح ذلك من إعزاز فرعون لإبراهيم لأنه من أبناء وطنه القديم.

وأما كيف استباح إبراهيم الكذب بتلقيه سارة أن تقول إنه أخوها وهو زوجها، فقد أجمع الآباء والعلماء أن سارة أخت إبراهيم حقيقة على أن لهم في أثبات هذه الأخوة بينهما قولين؛ فأثبتهما بعضهم بأن العبرانيين كانوا يسمون الأقارب الأدين كأولاد الإخوة والأعمام أخوة، وقالوا: إن سارة بنت هاران أخي إبراهيم. فصدق بتسميتها أخته جرياً على عادتهم. ومن قالوا بهذا يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١ ف ٦) والقديس إيرونيموس (في المباحث العبرانية في التكوين ف ٢٠) وأبو الفدا في تاريخه. وأسندوا قولهم إلى آية التكوين (ف ١١ عد ٢٩) وهي: «اتخذ أبرام وناحور لهما امرأتين اسم امرأة أبرام ساري»

واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران أبي ملكة وأبي يسكة». وما يسكة عندهم إلا اسم آخر لساراي كما مرّ في عد ١٥١. ورجح كلمت في معجم الكتاب هذا القول، واعتمده كرنيلوس الحجري (في تفسيره سفر التكوين) مستمسكاً بنهي سثة الطبيعة عن الزواج بين الإخوة والأخوات وإن لأمين على أن غير هؤلاء من الآباء والعلماء، ذهبوا إلى أن سارة أخت ابراهيم لأبيه لا لأمه، وقالوا إن تارح تزوج بامرأتين: اسم الأولى يونا وهي أم ابراهيم، واسم الثانية ثاريلاً وهي أم سارة. فتزوج ابراهيم بأخته لأبيه وإنّ هذا لم يكن محظوراً في أيامهم، وأسندوا قولهم هذا، إلى آية صريحة في سفر التكوين (ف ٢٠ عد ١٢) حيث قال ابراهيم نفسه: لأيملك ملك جرار عن سارة. «وعلى الحقيقة هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أُمي»، وقد رجّح فيكورو (في معجم الكتاب في كلمة ابراهيم) هذا القول لصراحة الآية به، والاحتياج إلى التأويل في الآية الأخرى، وعلى كلا القولين فسارة أخت ابراهيم وهي زوجته، فهاتان حقيقتان لقن إبراهيم سارة أن تكشف عن إحداهما وتسكت عن الأخرى وليس من إلزام على أحد أن يقول كل ما يعلم.

ولكن كيف عرض ابراهيم زوجه لخطر الائم الذي حف بها فعلاً؟ لقد برأ القديس اغوستينوس ابراهيم من الكذب - كما مرّ - ومن تعريضه امرأته للإثم فقال: إنّ ابراهيم كان معرضاً لشرّين: قتله، واختطاف امرأته، ولا مفرّ له من كليهما إن قال إنّ سارة امرأته، وينجو من القتل إن قال أخته، فاختار من الشرّين أصغرهما موكلاً إلى عناية الله حفظ طهارة سارة مع يقينه بعفافها، فلا حرج عليه لاسيّما أنه لو قال هي امرأته لم تنج من هذا التعرّض أيضاً، وكان موقناً فساد آداب المصريين، وعناية الله به وبامرأته، وبرّ العمل يقينه إذ خطفت سارة بفساد المصريين، وأنجاه الله من شرّهم، وحصن سارة من الائم.

روى يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ١ ف ٨): «إنّ فرعون دفع إلى ابراهيم مقداراً من الفضة عدا هداياه السالف ذكرها، وسمح له أن يباحث حكماء مملكته، فكتشفت هذه المباحثة عن فضيلته وحكمته وأكسبته أسمى اعتبار. وكان حكماء المصريين متشعبي الآراء وأدّى بهم هذا الخلاف إلى انقسام كبير، فجاءهم ابراهيم بجلي البرهان على أن الفريقين عن الحق بمراحل، فدهش الفريقان بذكائه

وسمّو مداركه : وعلمهم فنّ الحساب، وعلم الفلك، وكانوا لهما جاهلين . فهو الذي ، أوصل هذه العلوم من بلاد الكلدان إلى المصريين، وعن هؤلاء أخذها اليونان . وهذا رواه كثير من القدماء، منهم نيقولاوس الدمشقي، وأبو لام وارتبان وغيرهم ، ذكرهم أوسابيوس (في كتابه الموسوم بالاستعداد الإنجيلي ك ٩ ف ١٩) .

وبعد أن أقام ابراهيم في مصر نحو سنة على الأظهر، عاد منها ومعه لوط ابن أخيه وقومه، غنيّاً بالماشية والذهب والفضة، وقد أحرزهما بهدايا فرعون، ونتاج قطعانه . فحلّ في منزله الأول بين بيت إيل والعاي أشبه بقبائل الرحل في هذه الأيام : وتوفرت قطعان لوط أيضاً فوق نزع بين رعاته ورعاة ابراهيم عمه، أفضى إلى أن يخير ابراهيم لوطاً في الجهة التي يريد الانطلاق إليها بقطعانه ورعاته، فاختر لوط السهول التي على ضفاف الأردن والبحر الميت التي كانت تسقى قبل أن ينزل الله رزاه بسدوم وعمورة . فتوطّن سدوم قصبه المدن الخمس المتعاهدة، وهي : سدوم، وعمورة، وأدّمة، وصبواثم، وصوعر . وبعد أن انتزع لوط عن ابراهيم تجلّى الله له مجدداً ووعدته بأن تكون له ذرية تشدّ عن العدّ، وتملك هذه البلاد . وارتحل ابراهيم من محله وضرب خيامه في وطاً ممرا حذاء حبرون، وابتنى هناك مذبحاً للرب على عادته حيثما حلّ . وحبرون هي المعروفة الآن بالخليل، أي مدينة ابراهيم الخليل، وهي على مسافة نحو سبع ساعات في الجنوب من أورشليم . وجاء في سفر العدد (ف ١٣ عد ٢٣) : « وكانت حبرون قد بنيت قبل صوعن مصر بسبع سنين » . وصوعن هي تانيس المعروفة الآن بسان بجهة مصر الشرقية . وقيل في سفر يشوع بن نون (ف ١٤ عد ١٥) : « وكان اسم حبرون قبلاً قرية اربع وهو اعظم رجل في العناقين » . ومنه يظهر أن اربع أحد جبابرة بني عناق هو أوّل من اختط اسس الخليل، وسماها قرية اربع أي مدينته نسبة إليه .

عد ١٥٥

محاربة ابراهيم لكدرلاعومر وأحلافه

إنّ ملخص ما جاء في الفصل الرابع عشر من سفر التكوين هو أن كدرلاعومر ملك عيلام كان أخضع لسلطته سكان وادي الأردن، فاستمروا على الطاعة له

اثنتي عشرة سنة وفي الثالثة عشرة عصبوه . فجيش عليهم في السنة الرابعة عشرة ، وغشا بلادهم يصحبه أمرافل ملك شنعار ، واريوك ملك الاسار وتدعال ملك الأمم . وكان هؤلاء الملوك الثلاثة أحلافاً أو أقبالاً لكدرلاعومر . فضرب هؤلاء الملوك في مسيرتهم قبيلة الرافائين في عشتروت قرنين ، وعشيرة الزوزين في هام ، والاييين في شوى قريثائيم . ثم الحورين في جبلهم سعيم إلى سهل فاران الذي عند البرية . ثم جاءوا إلى عين مشفاط وهي قادس فضربوا كل أرض العمالقة والآمورين المقيمين في حصاصون تamar . فخرج إليهم ملوك المدن الخمس السالف ذكرها ؛ وهم : بارع ملك سدوم ، وبرشاع ملك عمورة ، وشناب ملك أدمة ، وشميعير ملك صبوئيم ، وملك بالع وهي صوعر . فصافوهم للحرب في غور السديم ، فانهزم ملكا سدوم وعمورة فسقطا في آبار حُمر هناك . والمراد أنهما دُحرا ، وسقط بعض جنودهما في هذه الآبار ، لأنه قيل في عد ١٧ إن ملك سدوم التقى ابراهيم بعد عوده ، وفرّ الباقيون إلى الجبل . فغنمت عساكر كدرلاعومر جميع أموال سدوم وأخذوا بين أسراهم لوطاً ابن أخي ابراهيم وما له . وأفلت من اخبر ابراهيم بالنازلة ، فجرد حشمه المولودين في بيته ثلاثمائة وثمانية عشر ، وصحبه عاثر ، واشكول ، وممرأ ، حلفاؤه الآموريون ، وجدّ في أثر الغزاة إلى وان ، وتفرق عليهم ليلاً هو وعبيده فكسرهم . واتبعهم إلى صوبة التي عن يسار دمشق ، فاسترجع جميع المال ولوطاً ابن أخيه (وسمّاه «الكتاب» هنا أخاه على حد تسميته سارة أخته) والنساء وسائر القوم .

فهذه خلاصة ما جاء في الكتاب وكلفاً بتوفر الفائدة وزيادة البيان نقول : لا يخفى أن عيلام هو ابن سام بن نوح وأبو قبيلة العيلاميين التي استحوذت نحو سنة ٢٣٠٠ ق.م على الممالك التي نشأت من تقسيم مملكة نمرود ، ولا جرم أن كدرلاعومر ملك عيلام هو أحد ملوكها . فإن الجزء الأول من اسم كدرلاعومر وهو كدر ، قد أبانت الاكتشافات الحديثة أنه سُمي به كثير من ملوك العيلاميين ، منهم كدرننكودي ، وكدرمابوق . وهذا عمل العالم أوبر على أن يُسمي ملوك دولة العيلاميين هذه بالكدرين . والجزء الثاني من هذا الاسم لاعومر هو اسم أحد الآلهة عند العيلاميين فجاء في إحدى صفائح آشور بانيبال ذكر صنم لاعومر بين الأصنام التي أخذها هذا الملك من سوس بعد أن فتحها ؛ ومعنى كدر خادم ؛ أو عبد ، ومعنى لاعومر الباقي أو القيوم فيكون تأويل اسم هذا الملك خادم الإله القيوم أو

الباقى . وجعل سميث كدرلاعومر وكدرمابوق ملك الكلدان واحداً سنداً إلى وجدان قطعة من الآجر في أور الكلدانيين (ام قير) خط عليها : « لاله أور من ملكها كدرمابوق المستحوذ على أرض المغرب » ، ويراد بأرض المغرب على رأيه أرض الكنعانيين . وإذا لم يثبت رأي سميث هذا ، فلا أقل من أن يثبت بهذا الأثر ان أحد ملوك الكديرين تسلط على بلاد كنعان ، ووُجد أثر آخر كتب عليه أن « كدرمابوق أقام هيكلًا للإله سين أي القمر إله أور » ، ويُسمى نفسه في بعض آثاره سيد سورية . ويمتد بعل أي بلاد عيلام . وكل هذا ناطق بأن ملوك هذه الدولة غزوا أرض كنعان كما فعل كدرلاعومر سواء كان هو كدرمابوق أم غيره . (فيكورو في الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٤٥٩) .

والظاهر من الآثار أن الملوك الثلاثة الباقين كانوا أحلافاً أو أقبالاً خاضعين لكدرلاعومر ، وأن صفائح آشور بانيبال تثبت أن دولة الكديرين العيلاميين تولت بلاد بابل مدة طويلة ، لأنه كُتب أنه افتتح مدينة سوس عاصمة العيلاميين ، واستردّ تمثال الإلهة نانا الذي كان قد أخذه كدرننكوندر أو كودرناهوشتا (كما مرّ عد ١٥١) ملك عيلام منذ ألف وستمئة وخمس وثلاثين سنة ، وبقي عند العيلاميين . وعليه فهذا الملك العيلامي كان يلي بلاد الكلدان نحو سنة ٢٢٨٠ ق.م . وقد مرّ أن كدرمابوق أحد ملوك هذه الدولة سمى نفسه ملك أور الكلدانيين ، وبنى فيها هيكلًا ، ووجد في ضواحي بغداد تمثال من نحاس لإحدى الآلهات عليه اسم كدرمابوق ، وهو الآن في متحف اللوفر في باريس .

وعلى رأي بعضهم أن ولاية العيلاميين في ما بين النهرين استمرت ٢٢٤ سنة ، بدؤها سنة ٢٢٨٧ ق.م ؛ وكلّ هذا يبيّن لنا بياناً علمياً أيضاً صحة رواية سفر التكوين ، أن ملك عيلام كان إذ ذاك يلي بلاد الكلدان حتى كان بمعيته في غزوته أمرافل ملك شنعار التي هي بابل . وقال الأب فيكورو (في المحل المذكور) : إن اسم امرافل بابلي برمته مؤلف من كلمة أمير ومعناه السيد أو الأمير كما في العربية ، ومن كلمة فل أو بال أو هابال ومعناها الابن ؛ فتحرير معنى الكلمة ابن الأمير أو الابن هو أمير .

وأما أريوك ملك الاسار فكان للعلماء ومفسري الكتاب فيه أقوال متعددة متضاربة ، بل لم يكن لأحد أن يقطع بمن هو ، وأين كان مالكا ، إلى أن جاءت

الإكتشافات الحديثة مصرحة بمن هو وابن من هو وأين كانت مملكته، وناطقة بصحة رواية الكتاب، ومخجلة بعض البرهانيين الذين زعموا أن هذه الحرب وانتصار ابراهيم فيها حكاية أو رواية وهمية. فقال لانرمان (في كتابه في اللغة الأولى في بلاد الكلدان صفحة ٣٧٤): «إنّ أريوك هو من تُعبر عنه الخطوط المسمارية بأريكو، وإنّ تأويل اسمه خادم الإله القمر، وإنّه كان ملك لارسا، وأقامه أبوه كدرمابوق ملكاً فيها. فقد وجد أثر في أم قير (أور الكلدانيين) كتب عليه « كدرمابوق وابنه أريكو... حاكم بلاد أور وملك لارسا وسومير واكد ». فقال سكردر (Schrder في تاريخ العهد القديم الصفحة ١٣٥): « لا أشكّ البتّة في أن أريوك ملك الاسار هو أريكو ملك لارسا نفسه، وكان ابن كدرمابوق. ملك أور وملك سومير ». وأكّد كما يدلّ على ذلك اسم أبيه كدمابوق واسم جده سمّتي سلهك، وكان من ملوك الدولة العيلامية البابلية حليفة كدرلاعومر ». وأما الاسار مدينته فلا ذكر لها في الأسفار المقدسة في غير هذه الآيّة وأكثر الباحثين في الآثار الآشورية على أنها لارسا مدينة بابل في شرقي أرك في الشمال الغربي من أور الكلدانيين، وتعرف الآن بسنقرة واقعة في وسط الطريق بين الفرات ودجلة، وكان فيها هيكل الإله شمس (الشمس)، فجعلها شهيرة بهذه العبادة من أقدم الأيام (فيكورو في المجلد المذكور صفحة ٤٦٣).

وأما الملك الأخير من حلفاء كدرلاعومر فيُسمّى في النص العبراني تدعال - كما روينا - لكنه يسمّى في الترجمة السبعينية ترغال، وكذا سمّاه يوسيفوس. وفسر رولينسون (في معجم الكتاب لسميث) ولانرمان (في كتابه في اللغة الأولى في بلاد الكلدان صفحة ٣٧٧) هذه الكلمة بمعنى الرئيس الأعظم، والشعب، الذي كان يلي أمره يسمى بالعبرانية كويم. ولما كان معنى الكلمة في العبرانية الامم، فجاءت في الترجمات مفسرة بها، فوصفوه بملك الأمم. وأكثر مفسري الكتاب على أنه يراد بهم العشائر الرحل التي لا مقر لها. وقال كلمت (في معجم الكتاب): إن المراد ملك جليل الأمم في عبر الأردن. وقال الاب فيكورو (في المحل السالف ذكره) يحق لنا أن نظن أن كويم اسم للبلاد التي نجد ذكرها مكرراً في الخطوط المسمارية، مسماة كوتي، ويراد بها على رأي رولينسون الصحراء الكائنة بين الفرات وسوريا حيث تقيم عشائر الرحل. وأما سميث فقال أولاً إنه يُراد بهذه، البلاد العربية، ثم قال يراد بها بلاد اشور.

وبقي أن ننظر في القبائل التي ضربها كدراوعوم وحلفاؤه، فقال أولاً: إنهم ضربوا قبيلة الرافائيين في عشتروت قرنائيم، فالمراد بالرافائيين أو الرافائيم الجبابرة، القدماء الذين كانت مساكنهم في ما وراء الأردن. وظن بعضهم أنهم من ذرية رجل يُسمى رافا فَنُسبوا إليه. وقال غيرهم إن معنى كلمة رافائيم الجبابرة بلغة هؤلاء القوم القدماء، وبقي من هذه القبيلة بقايا في عهد موسى. إذ جاء في سفر يشوع بن نون (فصل ١٣ عد ١٢): كل مملكة عوج في باشان الذي كان مالكا في عشتروت، وادري وهو من بقية الجبابرة الذين ضربهم موسى وطردهم.

ولعل جليات الجبار الذي صرعه داود (ملوك ١ فصل ١٧) وغيره من الجبابرة كانوا من هؤلاء الرافائيين. وقد أطلنا الكلام في الجبابرة في عد ٢٤ فطالعه. وأما عشتروت قرنائيم مدينة هؤلاء فموقعها في عبر الأردن. قال كلمت (في معجم الكتاب في كلمة عشتروت قرنائيم): هي مدينة واقعة في أرض باشان أو البثنية (كما سماها ابو الفدا) في نصيب نصف سبط منسا تبعد ستة أميال عن أذرع التي يسميها العرب اذرعات. وقال بعضهم إنها بصرى، وسميت بهذا الاسم تكرامة لعشتروت معبودة الكنعانيين والرافائيين. وكانوا يصورونها وعلى رأسها قرنان أو نصف هلال. فمعنى قرنائيم القرون.

ثانياً: قد ضرب كدراوعوم وحلفاؤه عشيرة الزوزيين أو الزوزيم في هام، وهذه أيضاً من عشائر الجبابرة الذين كانت مواطنهم في عبر الأردن، حيث سكن بعدهم العمونيون، ويظن أنهم الزمزيون الذين جاء ذكرهم في سفر تثنية الإشتراع (فصل ٢ عد ٢٠) حيث قيل: «فإذا دانيت جهة بني عمون فلا تعادهم ولا تناصبهم فإني لست معطيك من أرض بني عمون لأنني لبني لوط وهبتها ميراثاً». وهي أيضاً تحسب من أرض الجبابرة، لأن الجبابرة أقاموا بها قبلاً، والعمونيون يسمونهم زمزميين وهم شعب عظيم كثير طويل القامات كالعناقيين». وأما هام فهي مدينة في بلاد العمونيين جنوبي البلقاء لم يتحقق إلى اليوم موقعها. وفي الترجمتين السبعينية واللاتينية العامية أن كدراوعوم ضرب الزوزيين مع الرافائيين في عشتروت.

ثالثاً: ضرب الغزاة عشيرة الأيميين في شوى قرينائيم وهؤلاء عشيرة قديمة كانت مساكنها في عبر الأردن في جنوبي بلاد العشيرة السالف ذكرها، وشرقي البحر الميت وتخلف لهم بسكنائها الموآبيون، قال موسى في سفر التثنية

(فصل ٢ عد ٩ إلى ١١) قال لي الرب: «لا تعادِ الموابيين ولا تناصبهم حرباً فإنني لست معطيكم من ارضهم ميراثاً اذ لبني لوط وهبت عاد ميراثاً. وكان الأيميون قد أقاموا بها قبلاً وهم شعب كثير، طويل القامات كالعناقين... والموابيون يسمونهم «أيميين». وأما مدينتهم قريثايم، فكان موقعها في عبر الأردن على عشرة أميال عن ميدبا نحو الغرب على ما روى أوسابيوس وشوى بمعنى وادٍ أو سهل. وقد ورد ذكر قريثايم في سفر العدد (فصل ٣٢ ع ٣٧)، وفي سفر يشوع بن نون (ف ١٣ ع ١٩) بين المدن الواقعة في نصيب سبط روبين وقد استرذها الموابيون منهم بعد مدة.

رابعاً: ضرب هؤلاء الملوك الحوريين أو الحوريم في جبل سعيم، وقد سُمي الجبل وهذه القبيلة التي كانت تسكنه باسم سعيم الجوري الذي ذكره وذريته الكتاب في سفر التكوين (ف ٣٦ ع ٢٠ وما يليه). وهذا الجبل يمتد إلى الشرق والجنوب من البحر الميت وقد ظعن إليه عيسو بعد أن افترق عن أخيه يعقوب، إذ لم تسعهما أرض غربتهما لكثرة مواشيهما - كما في الفصل السالف ذكره من سفر التكوين - وأقام ثمة الحوريون والأدوميون ولد ادوم الذي هو عيسو. وقال بعضهم: إنه سُمي أدوم نسبة إلى احتلاله هذه البلاد التي كانت تُسمى ادوم قبله على ما يظهر من بعض الآثار المصرية. وقد ذكر موسى جبل سعيم والأدوميين في سفر تثنية الإشتراع (ف ٢ ع ١) حيث قال: درنا حول جبل سعيم أياماً كثيرة، ثم كلمني الرب قائلاً: حسبكم أن تدوروا حول هذا الجبل فخذوا إلى الشمال، ومر الشعب وقل لهم إنكم جائزون في تخوم اخوتكم بني عيسو المقيمين في سعيم، فسيخافونكم، فتحرزوا جداً، لا تناصبوهم فإنني لست معطيكم من ارضهم شيئاً ولو موطئ قدم، لأن جبل سعيم قد وهبته لعيسو ميراثاً.

خامساً: ضربوا العمالقة والآموريين بعد أن رجعوا إلى عين مشفط وهي قادس، وكانت مدينة الآموريين حصاصون تمار. أما العمالقة فذهب بعضهم إلى أنهم من ذرية عماليق بن اليفاز من ذرية تمانع (تك ف ٣٦ ع ١٢)، واليفاز هو ابن عيسو، ولما كان عماليق هذا لم يولد إلا مدة مديدة بعد ابراهيم، فتأول هؤلاء آية الكتاب بمعنى أن كدراوعمر ضرب سكان البلاد التي سُميت بعد ذلك بلد العمالقة نسبة إلى عماليق بن أليفاز بن عيسو. على أن الحقيقين صححوا ما رواه علماء العرب، فقال بعض هؤلاء إن عماليق هو ابن حام بن نوح، وانه ولد عاداً،

وعاد ولد شدّاداً وشديداً. وقال ابن خلدون: «قال ابن اسحق وكان للاوذ (وهو لود بن سام) أربعة من الولد وهم: طسم وعمليق وجرجان وفارس». وقال أبو الفدا: وولد لسام عدة أولاد منهم لاوذ بن سام، وولد للاوذ فارس وجرجان وطسم وعمليق الذي هو أبو العماليق، ومنهم كان الجبارة بالشام والفراعنة (أي الملوك الرعاة) في مصر». وقد نقل أبو الفدا قوله هذا برمته عن ابن الأثير في الكامل. وعليه فالأظهر والأقرب لنص الكتاب أن العمالقة الذين ضربهم كدرلاعومر ينتسبون إلى عماليق آخر غير ابن اليفاز، لا يتحقق أمن ولد حام هو، أم من ولد سام، لأن الكتاب لم يذكر ولداً للود بن سام، ولم يذكر لحام ابناً يسميه عماليق، فقد يكون من أحفادهم. وقال لانرمان إنه يظهر من أقدم التقليدات العربية أن أصل العمالقة من ذرية آرام ولوديم (أو لود) بن مصرائيم فهم من أصلين حامي وسامي. ومهما يكن فهم أقدم من عماليق حفيد عيسو. ويقوي هذا ما جاء في سفر العدد (ف ٢٤ ع ٢٠) حيث قيل في بلعام: لما استدعاه بالق ملك الموآبيين لبلعن شعب إسرائيل أنه «رأى عماليق ف ضرب مثله، وقال: أول الشعوب عماليق وعاقبته إلى الهلاك». فوصفه عماليق بأنه أول الشعوب لا يصدق على العمالقة لو كانوا من ولد اليفاز بن عيسو، إذ لا يكون تعاقب عليهم حينئذ إلا ثلاثة أو أربعة قرون. وأيضاً لو كان هؤلاء العمالقة من ذرية عيسو لوبهم موسى على تنكيلهم بأخوتهم بني إسرائيل، ولا أثر لهذا التوبيخ في أسفار موسى.

وأما عين مشفط أي قادش فالأظهر أن موقعها على تخوم بلد ادوم، واطراف بلاد الكنعانيين، وأنه هناك كان خصام بني إسرائيل لموسى لقلّة الماء. وأخرج موسى الماء لهم من الصخرة الذي شمي ماء الخصوبة (سفر العدد ف ٢٠). واسم مشفط مشعر بشيء من ذلك لأن معناه الخصومة أو القضاء ويؤيده ما ورد في الفصل المذكور (عد ١٤)، وهو أن موسى بعد معجزة إخراج الماء من الصخرة أنفذ رسلاً من قادش إلى ملك أدوم. فإذا قادش هذه كانت في جوار بلاد الأدوميين. وقال هيرودت (ك ٣ ف ٥): «إن بلاد السوريين الذين يُسمون فلسطينيين تمتد من فينيقية إلى جبال قادش، وما قادش، على ما أرى أقل اعتباراً من سرد» مدينة اليونان.

وأما الآموريون فهم ولد الأموري الرابع من أبناء كنعان، وكانت مساكنهم

الجلال الواقعة في غربي البحر الميت ، وكانت لهم مواطن في شرقيه ايضاً . وقد أخذ موسى هذه البلاد من ملكهم سيحون ملك الآموريين وعوج ملك باشان كما سيجيء . وأما مدينتهم حصاصون تamar فيظن أنها عين جدي المعروفة الآن بهذا الاسم في غربي البحر الميت غير بعيدة عن أريحا . وتأويل حصاصون تamar مدينة النخيل لكثرة أشجاره فيها (كلمت في معجم الكتاب) .

وأما دان التي وثب فيها ابراهيم وغلمانه على جيش الملوك الأربعة فشئت شملهم واسترد لوطاً وما غنموا من سدوم ، فموقعها في سفح لبنان الغربي ، وليست في محل بانياس بل على مقربة منه في محل تل القاضي . وصوبها التي استمر ابراهيم يطارد اعداءه إليها موقعها في محل قرية المزنة على مقربة من دمشق على ما رأى بوجولا (في مراسلات المشرق) الذي تجول في هذه المحال ، وتروى في البحث عنها . وغور السديم الذي تصافت فيه عساكر المتحاربين كان قريباً من سدوم وعمورة .

عد ١٥٦

ملكیصادق الذي التقى ابراهيم عند عوده من حرب الملوك

جاء في سفر التكوين (ف ١٤ ع ١٨) أن ملكیصادق ملك شليم خرج للقاء ابراهيم عند عوده من حرب الملوك ، وقدم خبزاً وخمراً لأنه كان كاهناً لله العلي وبارك ابراهيم ودعا له ، ورفع ابراهيم إليه العشر من كل ما كان معه من المال . وقد توفرت الأقوال في أصل ملكیصادق هذا ، فروى القديس ايرونيموس أنّ اليهود يزعمون أن ملكیصادق إنما هو سام بن نوح ، والقديس ابيفانيوس أنّ السامريين ايضاً يزعمون كذلك . وقال أبو الفرج ابن العبري في تاريخ الدول : إن ملكیصادق هو ابن عابر أو أحد أحفاد سام . وزعم بعضهم انه من ذرية حام . وقال غيرهم إنه ابن صيدون بن كنعان . والأظهر والأشبه بالصواب ان ملكیصادق من ذرية سام ، وأنّ عشيرته كانت من العشائر القليلة التي استمرت على الاعتقاد بوحدانية الله على ما رواه لانرمان (في مجلد ٦ صفحة ١٤٥) . ولما كان الرسول قال في ملكیصادق (عبرانية فصل ٧ عد ٣) إنه لم يذكر له أب ولا أم ولا بدء أيامه ، ولا منتهى حياته ، فتوهم بعض القدماء أنه ملك أو خليفة سموية مع أنه ليس المراد من

كلام الرسول إلا أن سفر التكوين أتى بذكره بغتة، ولم يمهّد له بذكر أبيه أو نسبه، ولم ينبئ بمولده ولا بمماته. وقد شبه الرسول المسيح به من حيث الخبرة وفضله عليه، بأن حبريته تدوم إلى الأبد (عبرانية فصل ٧). وذكر المرتل ملكيصادق متنبئاً على المسيح بقوله: «أقسم الرب ولم يندم أنك انت كاهن إلى الابد على رتبة ملكيصادق» (مزمور ١٠٩ عد ٤). وقال بعض الابهاء منهم اكليمنطوس الاسكندري وكيريانوس: إن الخبز والخمر لم يقدمهما ملكيصادق لابراهيم، بل قدمهما محرقة لله شكراً له على نصره ابراهيم، فكانت ذبيحته خبزاً وخمراً كذبيحة المخلص غير الدموية. وتأويل ملكيصادق ملك البر، ويسمى ملك شليم أي ملك السلام. كما فسر الرسول (عبرانية فصل ٧). والاكترون على ان شليم يراد بها اورشليم، وأن ملكيصادق كان ملكاً على هذه المدينة وحبراً لله فيها. ولكن ظن القديس ايرونيμος أن مدينة ملكيصادق هي مدينة سالم، وكان موقعها بجانب نابلس. وقال بعضهم إنها سالم التي ورد ذكرها في بشارة يوحنا (فصل ٣ عد ٢٣) حيث قيل: «وكان يوحنا يعمد في عين نون بقرب سالم لكثرة الماء هناك». والمعتمد عليه القول الاول بأنها أورشليم.

عد ١٥٧

تجديد الله مواعده لابراهيم وولادة اسماعيل

شكر ابراهيم لله لنصره على الملوك وسائر آلائه فتجلى له الرب في الرؤيا مشجعاً ابراهيم له ومجدداً وعوده، فناجاه ابراهيم قائلاً: ربي ما تعطيني وأنا منصرف عقيماً وقيم بيتي البعازر الدمشقي هو يرثني. فقال له الرب: لا يرثك هذا بل يخرج من صلبك من يرثك وتكون ذريتك كعدد نجوم السماء. فصنع ابراهيم إذ ذاك بامر الله الحفلة الرمزية الدالة على توطيد العهد بين الله وبينه. فذبح بعض الحيوانات وشطرها أنصافاً، فرأى الرب مجتازاً بين ذبائحه بهيئة غمام ولهيب نار، ليدل على تقبله ذبائحه وإبرامه العهد معه. وكان من عوائدهم في تلك الأيام أنهم إذا شاءوا إبرام عهد ذبحوا ذبائح وشطروها، ومر المتعاقدون بينها كأنهم يقولون بلسان حالهم: فليشطرنّا الله كهذه الذبائح إذا لم نقم بوعدنا ونبرّ إيماننا. وروى القديس أفرام السرياني (في تفسيره سفر التكوين): إن هذه العادة استمرت

عند الكلدان حتى أيامه . ثم أنذر الله ابراهيم « بأن نسله سيكونون غرباء في أرض ليست لهم (أي في أرض مصر) ، ويستعبدون لهم ويعذبونهم أربع مئة سنة » .
ولأنه سوف يعاقب معذبيهم ويخرجهم بمال جزيل من بلاد مضطهديهم بعد القرن الرابع ويردهم إلى أرض موعدهم .

وبعد أن أقام ابراهيم عشر سنين في أرض كنعان ، ويمست سارة من أن تلد له ولداً سألته أن يتزوج بهاجر المصرية أمتها التي يظن أنها من جملة هدايا فرعون لابراهيم رغباً في أن يكون له منها وارث . ففعل ابراهيم ، وعلقت هاجر منه ، فهانت مولاتها في عينيها . وشكت سارة أمرها إلى ابراهيم فقال لها : هي أمتك ، اصنعي بها ما يحسن لك . فأذلتها سارة فهربت من وجهها . وظهر لها ملاك الرب وقال لها : إرجعي إلى مولاتك واتضعي لها ، ونبأها بأن الابن الذي يولد لها تسمية اسمعيل ، ويكثر نسله ، وتكون يده على الكل ، ويد الكل عليه . فعادت إلى مولاتها وولدت اسمعيل ، وكان عمر ابراهيم إذ ذاك ستاً وثمانين سنة وتأويل اسمعيل سمع الله واستجاب .

ولما صار ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة ، وكان عمر اسمعيل ثلاث عشرة سنة ، تجلى الله أيضاً لابراهيم ووعد به تكثير نسله وأثبت عهده معه ؛ وغير اسمه أبرام الذي تأويله أب سام وجعله ابراهيم بدلالة على الجمع . فيؤول بابي الجماعة أو الأب العام ، وغير اسم ساراي ، الذي تأويله سيدتي أو أميرتي بالإضافة إلى ضمير المتكلم ، وجعله سارة أو سيدة أو أميرة . وصرح لابراهيم بأنه يعطيه منها ابناً فضحك وقال في نفسه : ألا بن مئة سنة يولد ؟ أم سارة وهي ابنة تسعين سنة تلد ؟ وسأل الله أن يحيي له اسمعيل . فحقق الله له أن سارة تلد له ابناً يسميه اسحق ، وأنه يبارك اسمعيل ، وينميه ويلد اثني عشر رئيساً ، ولكنه يقيم عهده مع اسحق لا مع اسمعيل (تك ف ١٥ و ١٦ و ١٧) .

عد ١٥٨

أمر الله لابراهيم بالختان

جاء في سفر التكوين (فصل ١٧) أن الله أمر ابراهيم أن يختن كل ذكر منهم في اليوم الثامن بعد مولده علامة لعهد بينه وبينهم ، فاختنن ابراهيم وهو ابن

تسع وتسعين سنة، وختن ابنه اسمعيل وجميع مواليد بيته، وسائر المشتريين بفضته كل ذكر من أهل منزله. قال بعضهم: كان الختان عند المصريين وغيرهم من الشرقيين قبل ابراهيم، وليس من يقيم نكيراً على اعتياد المصريين الختان قبل عهده، وقد عرفه مدة إقامته بين أظهرهم. وروى هيرودت (ك ٢ ف ١٠٤): إن الكلشديين (الذين يعتبر هيرودوت أصلهم من مصر)، والمصريين والأحباش هم أقدم الناس في استعمال الختان، وإن الفينيقيين وسريان فلسطين يقرّون بأنهم أخذوا هذه العادة عن المصريين، على أن قوله في اعتياد الفينيقيين الختان غير صحيح، إذ جاء في نبوة أشعيا (فصل ٣٢ عد ٣٠): «هناك امراء الشمال كلهم وجميع الصيدونيين الذين هبطوا مع القتلى... وهم غلف» أي غير مختونين. وأما قوله في المصريين فثبت بالانقول والآثار. قال شباس (في مجلة الآثار القديمة مجلد ٣ صفحة ٢٩٨): إنه اكتشف في الكرنك صورة تمثل أولاداً يجري عليهم الختان وعمرهم من ست سنين إلى عشر. وحقق فيلكنسون (Wilkinson) أن هذه الصورة من عهد الدولة الرابعة في مصر أي نحو سنة ٢٤٠٠ قبل الميلاد. ويُرجّح أن المصريين استعملوا للختان موسى من حجر، كما استعملت في عهد موسى ويشوع بن نون (خروج ف ٤ عد ٢٥) ويشوع (ف ٥ عد ٢) ولا موجب حينئذ لوضع الحجر موضع آلة الحديد أو الفولاذ إلا تقليد القدماء. وهذا يحملنا على القول بأن الختان كان منذ عصر الحجر أي قبل استعمال آلات القطع من نحاس أو حديد أو فولاذ.

إن الله لم يقتصر في وحيه إلى الآباء على ما كانوا يجهلون، بل أرشدهم أحياناً أن يتخذوا طرائق يعرفونها من قبل، ويبارك تلك الطريقة ويجعلها مقدسة. فالذبايح مثلاً كانت معروفة من أقدم الأيام قبل أن يوحى إلى موسى كيفية تقديمها، وطريقة التعميد كانت معروفة قبل أن يرفعها الخلد إلى مقام السر ويؤيده تعميدهم يوحنا، فكذا أمر الله ابراهيم بالختان، وكان عرفه في مدة إقامته في مصر، إلا أنه كان عند المصريين وغيرهم أمراً صحيحاً تقصد به النظافة، فجعله الله علامة لميثاقه مع ابراهيم وذريته، وعليه فكان عند اليهود مأموراً ولازماً وكان عند المصريين وغيرهم اختياراً ومستحباً. وكان المصريون يختنون أولادهم في السادسة إلى الرابعة عشرة من عمرهم ذكوراً وإناثاً، وأما اليهود فيختنون بحسب أمر الله ابنائهم الذكور فقط في اليوم الثامن بعد مولدهم. وكانت أكثر قبائل العرب قبل الإسلام

أيضاً تستعمل الختان متصلاً إليها من اسمعيل . وكان لوط اوصل استعماله إلى العمونيين والمآبيين . وعيسو إلى الادوميين وقد حفظ الأحباش والقبط المسيحيون عادة الختان بمنزلة تقليد لا علاقة له بالدين .

عد ١٥٩

ظهر الملائكة الثلاثة لابراهيم وسارة وانطلقهم إلى سدوم وتدميرها

انبأنا الكتاب في الفصلين الثامن عشر والتاسع عشر من سفر التكوين ، أنه بينما كان ابراهيم جالساً بباب خبائه عند بلوط ممرا ، نظر ثلاثة رجال وقوفاً أمامه ، فبادر للقائهم وسجد لهم ، وألحَّ عليهم أن يضيفوه في خبائه ، فأولم لهم وظهر انهم من ملائكة الله ، وقالوا : إنهم سيعودون في السنة المقبلة لسارة ابن ، فسمعت سارة وهي في الخباء فضحكت ، فلامها الملائكة لامراتها في أن الله على كل شيء قدير . وقام الملائكة من هناك واستقبلوا جهة سدوم ، ومضى ابراهيم معهم ليشييعهم ، فدخل اثنان منهم سدوم ، وبقي ابراهيم مع ثالثهم ، فأعلمه ما يحل بسدوم لتناهي أهلها في الفواحش ، فطفق ابراهيم يتوسل إليه ألا يهلك البار مع الأثيم .

ولما لم يوجد خمسون باراً ولا خمسة وأربعون ولا أربعون ولا ثلاثون ولا عشرون ولا عشرة ، وكان الملاكات الآخرون شهداء فحش أهل سدوم عياناً ، ولم ينجوا منهم إلا بضربهما لهم بالعمى . فأخرجوا لوطاً وبنتيه وامراته من سدوم وأمطر الرب عليها وعلى ما جاورها من المدن كبريتاً وناراً ، فدمرها وأباد سكانها ، ونجا لوط وبنتاه بفرارهما إلى مدينة صغيرة ، وسأل الملاكين العفو عن تدميرها لأنها صغيرة فسميت صوعر أو زوعر (أي الصغير أو الصغيرة) وكان اسمها قبلاً بالبح . والتفتت امرأة لوط إلى ما وراءها خلافاً لأمر الملاكين فصارت نصب ملح ، وصعد لوط من صوعر فأقام في مغارة في الجبل . وتوهمت بنتاه ان العالم باد كله بطوفان نار ، ولم يبق فيه رجل إلا أبوهما ، وأنه يحلّ لهما مضاجعة أيهما حفظاً للنوع وجرياً على ما كان بين ولد آدم . ففعلت الكبرى بعدما أسكرت أباهما ، وضارعتها اختها في فعلتها . فحملتا وولدت الكبرى ابناً سمته مواب ، ومعناه من أبي وهو أبو الموابيين ، وولدت الصغرى ابناً سمته عمون ، ومعناه ابن شعبي وهو أبو العمونيين .

ذهب بعضهم أن مطر الكبريت والنار كونه الله في الجو بمعجزة، وأنزله على هذه المدن فأحرقها، وذهب غيرهم وهو الأظهر أن ذلك كان انفجاراً بركانياً عجل الله فيه حركة الفواعل الطبيعية، وقوّاه، فكان هذا الانفجار الذي هو معجزة حقّة، عاقب الله به أهل هذه المدن الأربع؛ وهي سدوم وعمورة، وأدّمة، وصبوئيم لتناهيهم في الفواحش. فأهلكهم ودمّر مدّنتهم. وترى ثمة آثار هذا الإنتقام إلى الآن. ويرجح هذا المذهب ما قاله «الكتاب» (ف ١٩ عد ٢٧) وهو: «فبكر إبراهيم في الغد إلى الموضع الذي وقف فيه أمام الرب فطلّع إلى جهة سدوم وعموره وسائر أرض البقعة ونظر، فإذا دخان الأرض صاعد كدخان الأتون.

وقد أثبت كثير من العلماء القدماء إحراق سدوم وما جاورها؛ منهم استرابون (في ك ١٦ من الجغرافية) وتاشيتوس (في ك ٥ من تاريخه). وقد ضارح كاتب السفر المنزل بوصفه سهل سدوم بالخصب وكثرة السكان وتدمير مدنها بنار من السماء، ومنهم أيضاً سولين بوليستر (في ف ٣٨ في اليهودية) وبلينيوس (في ك ٣ من التاريخ الطبيعي)، ويوسيفوس (في ك ١ ف ١١ من تاريخ اليهود وك ٤ ف ٢٧ من تاريخ حريهم) وغيرهم. وأخذ شعراء اليونان عن هذا التاريخ عدة روايات منها الرواية الشهيرة الموسومة برواية أرفا وأوريديس. وقد أثبتها كثير من القدماء منهم ديودورس الصقلي (ك ٤ من مكتبته)، وأوفيد (ك ١٠ و ١١)، وفرجيل (في آخر ك ٤ من أشعاره) وغيرهم. ثم رواية الشاعر سيمونيد ورواية فيلامون وبوشيس التي أثبتها أوفيد وملخصها: أن المشتري وعطارد تنكرا فبلغا محلاً في جانب بحيرة كانت قبلاً أرضاً مأهولة، فقرعا ابواباً فلم يؤوهما احد. إلى أن لقيا شيخاً اسمه فيلامون وامرأته، واسمها بوشيس أكرما مثواهما وأصلحا لهما مأكلاً وغسلاً أرجلهما، وأعدّا لهما مرقداً. وبعد أن تعشى الضيفان كشفا للشيخ وزوجه حقيقة حالهما، وأنها سيدّمران المدينة وما جاورها لفحش سكانها، وينجيان مضيفهما وامرأته فقط، وأن يخرجها من البيت عاجلاً، ويتبعاهما إلى الجبل. فبلغا سفحه فإذا البلاد تغرقت، وأصبحت بحيرة إلا بيتيهما الصغير، فتولاهما الغم لهلاك قومهما والمسرة لنجاتهما، ولا أشكال ولا مزية أن هذا الكلام منتحل عن «الكتاب» مغيراً فيه اسم الملاكين باسمي المشتري وعطارد واسمي لوط وامرأته باسمي فيلامون وبوشيس (انتهى ملخصاً عن كلمت في معجم الكتاب في كلمة لوط).

قال بعضهم: إنّ سدوم وما جاورها من المدن لم تدمرها النار فقط بل غطى أيضاً أرضها الماء الذي تكونت منه بحيرة لوط، وعليه فكان موقعها محل البحيرة الآن. حتى عيّّن بعضهم موقع سدوم تحت مياه الجانب الغربي من البحيرة. وأسند هذا القول ذروه إلى ما جاء في نبوة إرميا (ف ٤٩ عد ١٨ وف ٥٠ عد ٣٨) وهو: كما قلب الله سدوم وعمورة وما جاورهما... فلا يسكن هناك انسان ولا يتغرب فيها ابن البشر. وفي نبوة عاموس (ف ٤ عد ١١): «فقلبتكم كما قلب الله سدوم وعمورة، فكنتم كشعلة منتشلة من الحريق». وفي نبوة صفنيا (ف ٢ عد ٦): «ليكوننّ مواب كسدوم، وبنو عمون كعمورة، ملكاً للقواص، وحفرة للملح، وخراباً إلى الأبد».

وقال آخرون: إن موقع هذه المدن كان على شاطئ البحيرة. وإنه جدد في ما بعد بناؤها، ومن جملة ما استشهدوا به لقولهم توقيع ساويروس أسقف سدوم بين تواقع الأساقفة على الجمع النيقوي الأول الذي عقد سنة ٣٢٥ للميلاد. ولا يُبعد أن بنيت هناك مدينة حديثة، وسميت باسم القديمة. وقد تكشف لنا اكتشافات هذا العصر العديدة عن وجه الحقيقة. فقد روت بعض الجرائد أن لجنة علمية إنكليزية تُعنى بهذا الكشف. وقال الأب فيكورو (في الموجز الكتابي عد ٣٥١ في الحاشية): «يظهر من الإكتشافات الحديثة أن بلاد سدوم كانت ممتدة من طرف بحر الميت الجنوبي إلى شاطئ الأردن الغربي... والأظهر أن موقع سدوم كان في جانب جبل أسدوم في الجنوب الغربي من البحر الميت. ولم تفرق بالماء كما ظن كثيرون، فكانت حيث يرى الآن كثير من قطع الملح المتبلور. وقد اهتمدى لينش الأمريكي في هذا المحل إلى عمود ملح منفرد، فلعله تمثال امرأة لوط الذي ذكره يوسيفوس (كما سيأتي)، وباقي المدن كان في سفح الجبل في الغور. وصوّر كانت في مصب وادي الصافية أو وادي الذراع».

وأما قول الكتاب بأن امرأة لوط صارت نصب ملح، فذهب بعضهم إلى أن مفهومه على ظاهره. فقال يوسيفوس (في تاريخ اليهود في ك ١ ف ١١): إن هذا النصب أو العمود كان يشاهد هناك إلى أيامه، وقال كلمت (في تاريخ العهد القديم): حقق بعض القدماء أن امرأة لوط صارت عمود ملح حقيقة لا تؤثر به التغيرات الجوية، فاستمر يمثل امرأة، وإن في كتب بعض الجلالة أن سكان تلك البلاد دلّوهم على هذا التمثال عن بعد. ولكن ظهر لدى تفحص أقوالهم أنها لا

تخلو من مناقضات وحكايات . وقال بعضهم إن موسى لم يشأ أن يقول إلا امرأة لوط لإبطائها في سيرها ، وتتالي التفاتاتها إلى ما ورائها خلافاً لأمر الملاكين ، فأدركها مطر الكبريت والنار فصارت كموميا مصر موعبة من القار والكبريت . وزعم بعضهم أن المراد أنه أقيم نصب من حجر ملحي على قبرها ، وزعم آخرون ان قول الكتاب رمزي يراد به أن امرأة لوط صارت نصب ملح رمزي يصلح فساد الناس عند تبصرهم بما حلّ بها لمخالفتها .

عد ١٦٠

ارتحال ابراهيم إلى جرار ومولد اسحق

غادر ابراهيم ممرا في جانب الخليل ، وانتجع جرار في جنوبي غزة وشرقي خان يونس وهي المعروفة الآن باسم أم الجرار . وكان ملكها حينئذ يسمى أييملك ، ولقن ابراهيم سارة أن تقول إنها اخته كما فعل عند انحدارهما إلى مصر ، وهام أييملك بها فأخذت إلى داره ، لكن الله ابتلاه بمرض منعه الدنو منها . وقيل له في الحلم إنك هالك بسبب المرأة التي أخذتها فإنها ذات بعل . فاعتذر بجهله أنها امرأة ، واستدعى ابراهيم فلامه على قوله إنها اخته . فقال ابراهيم : « على الحقيقة هي أختي ابنة أبي غير أنها ليست ابنة أُمي » . وقد مرّ الكلام بهذا الشأن في عد ١٥٤ ، فأعطى أييملك ابراهيم غنماً وبقراً وعبداً وإماءً ، وردّ عليه سارة امرأته ، وقال لسارة : أعطيت أهلك ألفاً من الفضة تكون لك حجاب عين حيشما ذهبتي ، واذكري أنك أخذت . فكأنه يقول : لتشتري حجاباً تغطي به وجهك حيشما ذهبتي لئلا تؤخذ مرة أخرى . وغضب عبيد أييملك بثر ماء كان احتفرها رعاة ابراهيم ، فكان لذلك نزاع أذى إلى معاهدة بين أييملك و ابراهيم . وأقام ابراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها وقال لأييملك : هذه سبع نعاج تأخذها من يدي لتكون شهادة لي بأني حفرت هذه البئر ، ولذلك سمي ذلك المكان بئر سبع ، وما برج هذا اسمه إلى الآن . فهناك حلف ابراهيم وأييملك وفيكول رئيس جيشه إبراماً للعهد بينهم (تك ف ٢٠ و ٢١) .

وولدت هناك سارة لابراهيم ابناً سمته اسحق وهو لفظ عبراني معناه ضحك ، يشار به إلى ضحك سارة عندما بُشّرت بأنها تلد ابناً في شيخوختها .

وكان ابراهيم ابن مئة سنة وسارة بنت تسعين سنة حين ولد لهما اسحق ونختن اسحق في اليوم الثامن من مولده بحسب أمر الرب لأبيه . قال يوسفوس (ك ١ ف ١١ من تاريخ اليهود): « ما برحت عادة الختان في اليوم الثامن يجري عليها اليهود ، على ان العرب لا يختنون ابناءهم إلا في الثالثة عشرة من عمرهم تمسكاً بأن اسمعيل جدهم لم يُختن إلا في هذا العمر» . وصنع ابراهيم مأدبة عظيمة في يوم فطام اسحق . وقال كلمت في تاريخ العهد القديم : قال بعض اليهود القدماء لم يكن الأطفال يفظمون في ذلك العصر إلا للسنة الثانية عشرة بعد مولدهم . وقال آخرون : بل كانوا يفظمون في الخامسة من عمرهم . والذي أراه أنهم لم يكونوا يرضعونهم إلا سنتين أو ثلاثاً . فإننا نرى أم المكابيين تقول لأحد أبنائها (مكابيين ٢ ف ٧ عد ٢٧) : « قد أرضعتك ثلاث سنين» . وأفتى فقهاء اليهود بأنه يلزم الام أن ترضع ولدها سنتين . ولا يتيسر لإرضاع ولدين أو ثلاثة معاً إذا ولدت الأم أولاداً في خمس سنين أو أكثر .

عد ١٦١

خروج اسمعيل من بيت أبيه ابراهيم وزواجه وولده

كانت سارة تحب اسمعيل قبل أن تلد اسحق ، ولكن بعد أن ولدته خشيت أن يزاحم أخاه في ميراث أبيهما ، ورأته ذات يوم ساخراً فقالت لابراهيم : اطرده هذه الأمة وابنها من بيتك ، فسأها ابراهيم ونكده ، فقال الله له : كل ما تقوله لك سارة فاسمع لقولها ، ولا يسوءك أمر اسمعيل وأمتك ، فإنه سيكون من اسمعيل أمة لأنه نسلك . فدفع ابراهيم في الغداة خبزاً وقربة ماء إلى هاجر فمضت مع ابنتها تائهة في برية بئر سبع ، ونفذ الماء من القربة وكادا يموتان عطشاً ، فهدى ملاك الله هاجر إلى بئر ماء فملأت القربة وسقته . فشب اسمعيل في برية فاران وكان رامياً بالقوس ، واتخذت له أمه امرأة من أرض مصر ، لأن هاجر مصرية وقد وهبها فرعون لسارة عند انحدارها مع ابراهيم إلى مصر كما مر .

وعن ابن خلدون في تاريخه : « إن اسمعيل شب بين قبيلة جرهم ، وتعلم اللغة العربية منهم ، وأعجبهم ، وزوجوه امرأة منهم . وماتت أمه هاجر فدفعها في الحجر» . ولعل امرأته الجرهمية غير المصرية التي أزوجته بها أمه كما قال الكتاب .

وروى ابن الأثير في الكامل، وأبو الفدا وغيرهما زواج اسمعيل بامرأة من بني جرهم وقالوا: إن الماء الذي اهدت إليه هاجر إنما هو بئر زمزم نبتت من دحض اسمعيل الأرض بقدميه. وقال ابن خلدون عن السدي: إن جبرائيل هو الذي همز له الماء بعقبه. ومما قالوه: إن ابراهيم كان يزور اسمعيل، وإنه وجد له امرأة فظة غليظة فأوصاها لاسمعيل بأن يحول عتبة بابه، وأراد به أن يطلقها فظللها، وتزوج أخرى. ولما زاره أبوه في غيبته أحسنت تحيته ومثواه، فأوصاها أن تقول لاسمعيل: بأنه رضي عتبة بابه، ففهم منه أنه يريد إمساكها فأمسكها (ابن خلدون في تاريخه). وأن الله أمره ببناء الكعبة وهي البيت الحرام، وأن يعينه اسمعيل عليه، وأن هذا البيت استمر على ما بناه ابراهيم إلى أن هدمته قريش بعيد ظهور الإسلام (ملخص عن أبي الفدا في التاريخ).

وذكر الكتاب أسماء بني اسمعيل (تك ف ٢٥ عد ١٣) فقال: «نبايوت بكر اسمعيل وقيدار وادبيل ومبسام ومشماخ، ودومة ومسا وحدار ويطما ونافيش وقدمة... إنا عشر زعيماً لقبائلهم» وولد له بنت اسمها بسمة تزوجها عيسو بن عمها اسحق (تك ف ٣٦ عد ٣). والذي ذكره ابن الأثير في الكامل: إن السيدة بنت مضاض الجرهمي «ولدت لاسمعيل اثني عشر رجلاً: نابت وقيدار وازيل وميشا ومسمع ودما وماش وآزر وقطورا وقاقس وطميا وقيدمان.. ومن نابت وقيدار ابني اسمعيل نشر الله العرب» أي العرب المستعربة، وأكثرهم على أن اسمعيل هو جد هذه الطبقة من العرب. قال أبو الفدا (في تاريخه): «وقيل لهم العرب المستعربة لأن اسمعيل لم تكن لغته عريية بل عبرانية. ثم دخل في العربية، فلذلك سمي ولده العرب المستعربة». واختلط هؤلاء بالعرب العاربة الذين هم من ذرية يقطان أو قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشاد بن سام بن نوح.

عد ١٦٢

امتحان ابراهيم بذبح ابنه اسحق

لم ينبئنا الكتاب شيئاً عن ابراهيم بعد مولد اسحق إلى امتحان الله له بذبحه. وكان عمر اسحق إذاك خمساً وعشرين سنة على ما روى يوسفوس (في تاريخ

اليهود ك ١ ف ١٣). وقال بعضهم: كان عمره أكثر من ذلك، وقد مكث ابراهيم في كل هذه المدة في جرار وبرة بئر سبع خلافاً لمن زعموا أنّ ابراهيم كان قد عاد إلى حبرون عند امتحانه بذبح ابنه تمسكاً بآية الكتاب (تك ف ١ عد ٣٤): «ونزل ابراهيم أرض فلسطين أياماً كثيرة». مع أن بئر سبع وما جاورها من أرض فلسطين أيضاً ومضيه لذبح ابنه من جرار لا من حبرون ظاهر من قول الكتاب إنّه لم يبلغ جبل مورية الذي هو في اورشليم إلا في اليوم الثالث بعد سفره، ولو كان مضى من حبرون التي هي الخليل لبلغ في يوم واحد ولا أكثر من يومين، ويظهر ذلك أيضاً من قول الكتاب (تك ف ٢٢ ع ١٩):

«ثم رجع ابراهيم إلى غلاميه (من جبل مورية) فقاموا ومضوا معاً إلى بئر سبع وأقام ابراهيم ببئر سبع» فإذا من بئر سبع بكر ابراهيم وأكفّ حمارة وأخذ معه غلامين واسحق ومضى إلى الموضع الذي أشار له الله إليه وهو أرض مورية. وفي اليوم الثالث رفع ابراهيم طرفه فأبصر الموضع من بعيد؛ وترك الخادمين مع الحمار في سفح الجبل، وأخذ اسحق وجعل حطب المحرقة عليه. فقال له اسحق: هذه النار والحطب فأين الحمل للمحرقة؟ فقال له: الله يرى له الحمل لها. ولما افضيا إلى الموضع المعين بنى ابراهيم المذبح، ونضد الحطب، وأوثق اسحق وألقاه على المذبح، وأخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب أن لا تمد يدك إلى الغلام. ورفع رأسه فإذا بكبش وراءه معتقل بقرنه، فأخذه واصبعده محرقة بدل ابنه. ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية قائلاً: بنفسي أقسمت يقول الرب بما أنك لم تذخر ابنك وحيدك لأباركتك واكثرن نسلك كنجوم السماء، وكالرمال الذي على شاطئ البحر، ويتبارك بنسلك جميع أمم الأرض، ورجع ابراهيم إلى بئر سبع كما مر. وأما جبل مورية فقال بعضهم هو المحل الذي بُني فيه بعد هيكلي سليمان، وقال آخرون هو جبل الجلجلة، وزعم السامريون أنه جبل غريزيم حيث بُني بعد هيكليهم.

عد ١٦٣

موت سارة ودفنها في المغارة المضاعفة

عاد ابراهيم من بلاد جرار فأقام في حبرون (الخليل) حيث كان أولاً..

وأدركت المنية سارة وعمرها مئة وسبع وعشرون سنة قبل زواج اسحق ابنها . فأقبل ابراهيم يكيها ، وسأل بني حث ، وهم فصيلة من الحثيين - كما مرّ - أن يملكوه أرض قبر ليدفنها . ويتبين منه أنه استمر إلى يومئذٍ من الرجل لا يملك أرضاً فأجابوه : إنما أنت زعيم الله في ما بيننا في خيار قبورنا ادفن ميتك . فقال : إسألوا لي عفرون بن صوحر أن يعطيني مغارة المكفيلة (المضاعفة من كفل أو كبل العبرانية بمعنى ضاعف) التي له في طرف حقله بثمن كامل . وكان عفرون جالساً بين القوم فقال لابراهيم : الحقل قد وهبته لك ، والمغارة التي فيه أيضاً هبة لك مني على مشهد بني قومي . فتبصر ما أقدم هذه المجاملات في بلادنا وما برحت تجري فيه . فإن عفرون ذكر بعداً أن أرضه تساوي أربع مئة مثقال فضة . فوزن له ابراهيم الفضة التي ذكرها مما هو رائج بين التجار ، فصار هذا الحقل ملكاً لابراهيم دفن فيه امرأته سارة في المغارة المضاعفة ، ودُفن بعدها هناك ابراهيم . واسحق وولية ويعقوب بعد نقل جثته من مصر . وأما راحيل فدفنت على مقربة من بيت لحم . ورفقة لم يذكر الكتاب مدفنها ، ولكن روى يوسفوس (ك ١ ف ١٩) أنها أيضاً دُفنت في هذه المغارة .

روى الأب فيكورو (في كتابه الموسوم بالكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ١ صفحة ٤٨٦) : إن موقع المغارة المضاعفة معروف بعينه ، فهي في جامع الخليل المعروف بجامع ابراهيم ، ويحده سور رفيع من أبداع آثار فلسطين ، وقد حمل على العجب جميع الجوالاة الاوربيين من سائح برودو الذي طاف هذه البلاد سنة ٣٣٣ للميلاد إلى العالم دي فوكوا الذي تعهدا منذ بضع سنين . وقد سمح الباب العالي للأمر دي غال وليّ عهد إنكلترا سنة ١٨٦١م أن يزور هذا المقام ، لكنه رأى مدخل المغارة ولم يدخلها .

ثم أجاز ذلك للمركز دي بوت الإنكليزي سنة ١٨٦٦م . ولوليّ عهد المانيا فريدريك الثاني سنة ١٨٦٩م . فلم يتمكنوا من أن يطرفانا بنأ مهم عن داخل المغارة . على أن يياروتيّ المهندس الإيطالي أحد مستخدمي الدولة العلية ، وفق لأن يدخل جامع لإبراهيم ثلاث مرات في ٨ ت ٢ سنة ١٨٥٦م ثم في ٧ ك ٢ و ٢٥ آب سنة ١٨٥٩م . على أن ما أتحفنا به قليل الأهمية ، منه اكتشافه ان المغارة مضاعفة حقيقة لانقسامها إلى طبقتين عليا وسفلى . ومنه رؤيته بعض المدافن عن بعد . بيد أنه قد تلي في جمعية الكتابات القديمة في ٢٦ ك ٢ سنة ١٨٨٣م

خطاب حوى فقرة تاريخية من كتاب مجهول مؤلفه. وقد خط في القرن الثاني عشر إذ كان الصليبيون في فلسطين. وملخص تلك الفقرة: ان راهباً اسمه أرنول كان يسكن دير حبرون اهتمدى في سنة ١٢٠م إلى عظام الآباء في المغارة المضاعفة، إذ أمره رئيسه أن يبحث في أرضها، فبحث فوجد أولاً عظام يعقوب ثم وجد في القرب من موضع رأسه مغارة أخرى لقي فيها بقايا ابراهيم واسحق. ولدن كشفه هذا الكنز أسرع يبشر الرئيس وإخوانه به فشملمهم السرور، وأقاموا الصلوة والشكر لله، وأقفل الرئيس باب المغارة كيلا يدخلها احد دون اذنه. وبعد أن أتم الأب فيكورو رواية هذه الفقرة قال: ولو بينت لنا هذه الشهادة، بتم عرف الراهب أرنول أن العظام التي وجدها هي بقايا أولئك الآباء لحسبناها قاطعة، فترك هذا البيان يجعل الشهادة قاصرة مشكوكاً فيها، ولا سيما ان الكتاب أثبت ان جثة يعقوب حنطت تحيط المصريين موتاهم فلم يجد أرنول إلا عظامه، وبتم عرفها؟ وهل يراد بالأربع مئة مثقال من الفضة التي دفعها ابراهيم فضة مسكوكة او وزن منها ففي ذلك نظر، فعادة وزن الفضة جرى عليها الكلدان والكنعانيون. وكلمة شقال العبرانية المستعملة في هذه الآية معناها الوزن. ويراد بها أحياناً نوع من المسكوكات ولا نجد اسم المثقال في التوراة قبل هذه الآية، وقد عبر الكتاب عما دفعه ابيمالك إلى سارة بألف من الفضة دون ذكر المثقال. ومهما يك من الأمر فلا نجد في الكتاب ذكراً للنقود المسكوكة إلا بعد السبي البابلي. واول من بدأ بسك الدراهم عند اليهود إنما هو سمعان المكابي. وكان عند المصريين في عهد ابراهيم خواتم من ذهب وفضة ترى صورها على آثارهم، وكانت متساوية وزناً فيتعاملون بها تعاملنا بالنقود، ولا يعلم ما كانت قيمة الفضة حينئذ في فلسطين. فلا يعلم قدر ما دفعه ابراهيم إلى عفرون. ولكن إذا غُذِل أن المثقال كان يساوي فرنكين وأربعة وثمانين سنتيماً كما كان في أيام الخلفاء. كان الثمن الذي دفعه ابراهيم ألف ومائة وستة وثلاثين فرنكاً (ملخص عن كتاب فيكورو في المحل الآنف الذكر).

عد ١٦٤

زواج اسحق

لما طعن ابراهيم في سنه استدعى اليعازر الدمشقي قيم بيته وقال له: أن ضع

يدك تحت فخذني وهذه إشارة لليمين استعملها ابراهيم ويعقوب حفيده، مراداً بالفخذ فيها على ما فسر الحجري الولادة والحياة، فكأن الخالف يقول: أعدمني الله الحياة إن لم أبرّ في يميني. واستحلف ابراهيم اليعازر أن لا يزوج ابنه اسحق بنت من الكنعانيين، بل يذهب إلى ما بين النهرين، ويختار له زوجة من عشيرته. وحذّره من أن يرّد ابنه إلى هناك. فأخذ اليعازر عشرة جمال من جمال مولاه وحلياً وهدايا، وبلغ حاران مساءً، وأناخ الجمال عند بئر الماء وصلى إلى الله أن يجعل الفتاة التي يسألها أن تسقيه، وتقول له: «اشرب وأنا أسقي جمالك أيضاً». تكون من أعدها الله زوجة لعبده اسحق. وقبل فراغه من صلاته وفدت رفقة بنت بتوئيل بن ناحور أخي ابراهيم، فسألها أن تسقيه فأسرعت وأنزلت جرتها على يدها، وسقته وقالت: استقي لجمالك أيضاً. فتيقن انها من أعدّها الرب امرأة لابن مولاه، وأخذ خرساً من ذهب وزنه نصف مثقال، وسوارين ليديها وزنهما عشرة مثاقيل ذهب، فدفع ذلك إليها. ويستدل من هذا على قدم عادة التحلي بالخرص والسوار، وهل كان الخرص يعلق بالأنف أو الأذنين؟ فالظاهر انه كان حلية للأنف وتلك عادة قديمة حفظها العرب وغيرهم من الشرقيين إلى الآن. ودليله صغر الخرص، وكونه فرداً. ولو كان للأذنين لكان زوجاً ووزنه أكثر من نصف مثقال. ويؤكد قول «الكتاب» بعد ذلك: «جعلت الخرص في انفها» (تك ف ٢٤ ع ٤٧). وأسرعت رفقة فأخبرت أخاها لابان، وأتى إلى البئر يدعو اليعازر للضيافة فأتى، ولم يشأ أن يذوق طعاماً قبل أن يصرّح بمقصده، فقضوا سؤاله، وارتضت رفقة أن تمضي معه في اليوم التالي. فسار بها تصحبها جواريتها. وكان اسحق يوم وصلوا خرج إلى الصحراء، فرأى الجمال مقبلة، ورفعت رفقة طرفها، وإذا عرفت أنه اسحق نزلت عن الجمل، وأخذت النقاب فاستترت به. وهذا دليل على قدم العادة في استتار النساء في المشرق، ولا سيما عند اللقاء بمن يخطبهن. فأدخلها اسحق خباء سارة أمه، وصارت له زوجة. فاحبها وتعزّى بها عن أمه (تك ف ٢٤).

عد ١٦٥

زواج ابراهيم بقطورة وولده منها وموته

قال الكتاب (تك ف ٢٥ ع ١): «عاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة

فولدت له زمران ويقشان ومذان ومدين ويشباق وشوحا». قال علماء اليهود : ليست قطورة إلا هاجر نفسها استردها ابراهيم بعد وفاة سارة . وظن بعضهم أن قطورة كنعانية أصلاً . وقال ابن خلدون : إنها بنت يقطان من الكنعانيين . وروى عن السهيلي أنه كان لابراهيم أولاد آخرون ، خمسة من امرأة اسمها حجین أو حجون بنت أهيب . وإن الطبري سمي هذه المرأة الأخرى رعوة . وفي قولهم هذا نظر ولا أراء يضاد الكتاب بل في الكتاب إشارة إليه بقوله (عد ٥) : « وأعطى ابراهيم جميع ماله لاسحق ، ولبنى السراي التي لابراهيم وهب ابراهيم هبات وصرفهم عن اسحق ابنه في حياته شرقاً إلى ارض المشرق . ومن الغريب ان يتزوج ابراهيم بقطورة وعمره مائة واربعون سنة ، وأن يولد له ستة اولاد . فقال بعضهم ، منهم القديس اغوستينوس (في ك ٣ رداً على يوليانيوس) : إن الله حفظ فيه قوته على كبر سنه تكتيماً لنسله . وقال آخرون : إنه تزوج بقطورة قبل وفاة سارة ، فكانت سرية جعلها امرأة بيته بعد موت سارة . وفي الآية الآنف ذكرها إشارة إلى هذا . وقال : كلمت ان الأصل العبراني يحتمل أن يترجم : « وكان ابراهيم أخذ زوجة اسمها قطورة » إلى آخر الآية .

وكان أبناء ابراهيم أصولاً لبطون وفصائل من العرب . ومن مدان ومدين المدينيون الذين كانت مواطنهم في شرقي البحر الميت وجنوبي بلاد مواب . وكانت عاصمة بلادهم تسمى مدين أيضاً وهم الذين ضربهم موسى وأثنى في ارضهم ، وقتل فئحاس بأمره ملوكهم الخمسة ، وسبى نساءهم وأطفالهم عقاباً لإغراء بناتهم بني إسرائيل بالفحشاء . وعادة بلع فغور كما في سفر العدد (ف ٢٢ و ٢٥ و ٣١) . وهم الذين كسرهم هدد بن ملك ادوم كما جاء في سفر التكوين (ف ٣٦ عد ٣٥) . وقد ضايقوا بني اسرائيل في عهد القضاة فكسرهم جدعون وبدد شملهم (قضاة ف ٦ و ٧) . وكان مدينيون آخرون يسكنون في الجانب الشرقي على البحر الأحمر وإلى بلادهم فر موسى من وجه فرعون ، وتزوج منهم بصفورة بنت يثرو كاهن مدين الذي يسميه المؤرخون العرب شعيباً ولأهل العلم في أصل هؤلاء قولان : فمن قائل إن أصل كل المدينيين واحد وهو مدين بن ابراهيم من قطورة ، وبه قال كثير من المؤرخين العرب منهم ابن الأثير في الكامل ، حيث روى عند ذكر أولاد ابراهيم : إن « أهل مدين قوم شعيب من ولد مدين » . وهو الظاهر من كلام العلامة لانرمان (في كلامه على بني إسرائيل) إذ جعل المدينيين قبيلة واحدة مواطنها بين البحر الميت وخليج البحر الأحمر .

ومن قائل : إن أصل المدينيين سكان شواطئ البحر الأحمر من ولد كوش بن حام . وقد استدل بأن الكتاب وصف (سفر العدد ف ١٢ ع ١) صفورة امرأة موسى المدينية بكوشية أو حبشية . ويظهر من قول حبقوق النبي (ف ٣ ع ٧) : « رأيت اخبية كوش تحت البلاء وشقق أرض مدين رجفت » . ان اسمي كوش ومدين مترادفان ولا أقل من أن بلاد أحدهما تتاخم بلاد الآخر . وقد ذكر المؤرخون العرب هذا الخلاف منهم أبو الفدا حيث قال في تاريخه : « وقد اختلف في نسب شعيب (حمي موسى المديني) فقليل إنه من ولد ابراهيم الخليل . وقيل من ولد بعض الذين آمنوا بابراهيم » . وكذا في الكامل لابن الأثير عند ذكره شعيب . وقد توفي الله ابراهيم وله من العمر مئة وخمس سبعون سنة ، ودفنه ابنه اسحق واسماعيل في المغارة المضاعفة للسنة الخامسة أو السادسة بعد أن ولد اسحق عيسو ويعقوب . (تك ف ٢٥ ع ٧) .

الفصل الثاني

اسحق وابناه يعقوب وعيسو

عد ١٦٦

اسحق

ذكرنا في تاريخ اسحق خبر مولده وزواجه ، وجل ما بقي من أخباره أنه تزوج وعمره أربعون سنة . واستمر تسع عشرة سنة لم يرزق ولداً ، فصلى واستجاب الرب سؤاله ، فحملت رفقة امرأته فولدت توأمين . فخرج الأول أكلف اللون كله كفروة شعر فسموه عيسو ، ثم خرج أخوه ويده قابضة على عقب عيسو ، فدعي يعقوب اي المعقب (وهو من يجيء بعقب الآخر) . وأحب اسحق عيسو ، وأحب رفقة يعقوب . وكان عيسو صياداً ويعقوب رجلاً سليماً مقيماً بالخيام . فطبخ يعقوب عدساً وأتى عيسو من الصحراء وهو قد أعيا ، فرغب إلى أخيه أن يطعمه

من طبخه، فأبى إلا أن يبيعه بكريته. فحلف له على يبعه إياها منه، فأكل واستخفّ بالبكرية. وحدث جوع غير الذي كان في أيام ابراهيم فمضى اسحق إلى جرار، وكان ملكها اسمه ايمملك، والأظهر أنه غير ايمملك الذي كان في أيام أبيه على ما في معجم الكتاب ليفكورو (في كلمة ايمملك). وسأله أهل الموضع عن رفقة فقال: هي اختي خشية أن يقتلوه شغفاً بجمالها، كما قال أبوه عن سارة أمه. وبالمعنى نفسه أي أنها من أدنى أقربائه إليه. واطلع ايمملك على أنها امرأته فعتبه على مواراته الحقيقة. وزرع اسحق في تلك الأرض فأصاب في تلك السنة مئة ضعف، وهذه أول آية في الكتاب أنبأتنا بأن أبناء ابراهيم باثروا الزراعة. وعظم شأن اسحق، وتوفرت ثروته فحسده أهل جرار، وأخذوا يردمون الآبار التي حُفرت في أيام أبيه أو حفرها رعاة ماشيته: فقال ايمملك لاسحق: اخرج من عندنا لأنك أصبحت أقوى منا جداً، فمضى وأقام في وادٍ في أطراف جرار، ثم شخص إلى بئر سبع فتجلى له الرب مجدداً، ووعد به تكثير نسله فذهب إليه ايمملك وبعض حاشيته راغباً في محالفته، فأولم لهم اسحق، وحلف كل منهما لصاحبه. وأخبره عبيده أنهم وجدوا ماء «فدعاها الشبع». ولذلك اسم المدينة بئر سبع إلى اليوم». وقد مرّ (في عد ١٦٠ اعتماداً على ما في التكوين ف ٢١ ع ٣١) أن هذا المكان دُعي بئر سبع نسبة إلى النعاج السبع التي أقامها ابراهيم توثيقاً لعهدده مع ايمملك، فلا خلاف بين الآيتين. فيظهر أن أهل جرار كانوا قد ردموا بئر سبع كما ردموا غيرها من الآبار، فحفرها عبيد اسحق ثانية وسماها الشبع. فللكلمة سبع أو شبع في لغتهم معنيان السبعة اسم العدد والشبع. فسميت البئر في أيام ابراهيم بئر سبع نسبة إلى النعاج السبع. وسميت في أيام اسحق بئر شبع، أي بئر الشبع من الماء حيث بنيت مدينة سميت بهذا الاسم كما قال موسى (تلك ف ٢٦ ع ٣٣).

ولما شاخ اسحق وكلّت عيناه عن النظر، رغب إلى ابنه عيسو أن يأتيه بشيء من صيده، ويصلحه له طعاماً ليأكل منه ويباركه. فعرفت رفقة، فأصلحت له ما يحب من ألوان المأكّل، وقدمته له مع يعقوب بعد أن كست يديه وملاسه عنقه بجلد المعز. وقال لأبيه: إنه ابنه عيسو فحُدع اسحق بملسه، فنال يعقوب بالمرءة بركة أبيه. ولما أتى عيسو احتدم غيظاً على أخيه لخادعته أباه؛ وسبق يعقوب له إلى بركته. قد توفرت أقوال الآباء ومفسري الكتاب في ما إذا كان إثم عيسو يبيع

بكرته، ولثم يعقوب بمشتراتها، ويقول له لاييه انه عيسو بكره إلى سائر ما صنعته لينال البركة التي كان اسحق وعد عيسو بها. واطهر الاقوال في هذه المباحث ان عيسو أثم بشراته واستخفافه بيكرته، ولم يأثم يعقوب بمشتراتها لأنهما توأمان، فلهما الحق سوياً لاسيما لأنه لا بد أن أعلمته رفقة أمه بما قال لها ملاك الرب وهي حبلى: «ان في جوفك أمتين، ومن أحشائك يتفرع شعبان: شعب يقوى على شعب وكبير يستعبد لصغير». (تك ف ٢٥ ع ٢٣). ومفاده ان حق التقدم والبكرية له بأمر الله، فلا حرج عليه إن توسل إلى حقه بطريقة ظاهرة وهي الشراء. وأما قوله لأبيه إنه عيسو بكره فلا يبرأ من الكذب، لكنه عرضي لعدم مضرتة بأخيه، فهو الأولى ببركة أبيه بحسب تدبير الله. ويظهر أن اسحق كان موقناً بذلك فلم يباركه بعد انجلاء الحقيقة له بركة يعقوب مع حاجته في التماسها، بل أثبت البركة ليعقوب. وبهذا المعنى قال الرسول (رومة ف ٩ ع ١١): «فإنه قبل أن يولد الولدان ويعملا خيراً أو شراً... قيل لها (لرفقة) إن الكبير يستعبد للصغير كما كتب: إني أحببت يعقوب وأبغضت عيسو» (ملخص عن معجم اللاهوت لبرجيا وعن تفسير الحجري لسفر التكوين). فحق عيسو على يعقوب، وأضر في نفسه قتله. وعرفت رفقة بما كنهه فاستدعت يعقوب، وأوعزت إليه أن يهرب إلى لابان أخيها خاله في حاران. وزينته إلى اسحق بأن قالت له «قد سئمت حياتي من أجل ابنتي حث (اللتين تزوج بهما عيسو)، فإن تزوج يعقوب بامرأة من بنات حث مثل هاتين، او من بنات سائر هذه الأرض فما لي والحياة». فاستدعى اسحق يعقوب وباركه وأوصاه ان لا يأخذ امرأة من بنات كنعان، بل أن يمضي إلى حاران، ويتزوج بامرأة من بنات خاله لابان. فمضى يعقوب إلى حاران هرباً من وجه أخيه، ورغباً في ان يتزوج بامرأة من بنات خاله، وأما عيسو فلما رأى ان زواجه بامراتين حثيتين ينكد والديه مضى إلى اسمعيل عمه في بلاد العرب، فتزوج بنته محله (كذا في التكوين ف ٢٨ ع ٩ لكنها سميت بسمه في ف ٣٦ ع ٣ ولعله كان لها اسمان). وأما اسحق فاستمر حياً إلى أن عاد يعقوب من حاران بعد أن أقام ثمة عشرين سنة، وتوفاه الله وله من العمر مائة وثمانون سنة، ودفنه عيسو ويعقوب ابناه في مدفن أبيه ابراهيم في المغارة المضاعفة.

ارتحال يعقوب إلى حاران وزواجه فيها وولده

قد قص الكتاب أخبار رحلة يعقوب إلى حاران في الفصل الثامن والعشرين من سفر التكوين إلى الفصل السادس والثلاثين منه، فكان ملخصها: خرج يعقوب من بئر سبع وبات في موضع قفر. فرأى حلمًا كأن سلمًا منتصبًا على الأرض، ورأسها إلى السماء، وملائكة الله تصعد وتنزل عليها، والرب في أعلاها يعده بكثرة النسل، وبتمليكه وذريته تلك الأرض. وبرده إليها غائمًا موفقًا. فاستيقظ يعقوب مرتعشًا وقال: ما هذا إلا بيت الله وأخذ الحجر الذي كان وضعه تحت رأسه وأقامه نصبًا. وسمى ذلك الموضع بيت إيل أي بيت الله. وهو الحبل المعروف الآن ببيت اين شمالي البيري (طالع عد ١٥٣) قريبًا من رام الله. وسار يعقوب إلى ان بلغ البئر التي منها تستقي ماشية حاران. فسأل الرعاة هل يعرفون لابان، أو سالم هو؟ فقالوا: هو سالم وهذه راحيل ابنته آتية مع غنم أبيها. وكان على فم البئر حجر عظيم يجتمع الرعاة لدحرجته، فلما أقبلت راحيل دحرج يعقوب الحجر وسقى غنم خاله، وأخبر راحيل أنه ابن عمتها رفقة.

فأسرعت وأخبرت أباه، فأتى للقاءه وعانقه، ومضى به إلى منزله، وأحب يعقوب راحيل، وخدم أباه سبع سنين يرعى ماشيته إلى أن زفَّ إليه لية أختها الكبرى خدعة، بحجة أن العادة في بلادهم أن لا تزوج الصغرى قبل الكبرى، ووهب لابان زلعة أمتة للية ابنته، ثم خدمه سبع سنين أخرى براحيل فأزوجه لإياها، ووهبها بلهة أمتة أمة لها. ثم خدمه ست سنين ليستوفي أجرته، واتفقا أن يعزل من الضان والمعز كل أرقط وأبلق وأدهس ويسلم إلى بني لابان مفروزًا، وأن تستمر بقية الغنم والمعز يرعاها يعقوب، وما كان من نتاجها أرقط أو أبلق أو أدهس كان أجره له. وما كان من النتاج أبيض أو أسود فهو للابان. فأخذ يعقوب عصي لُبْنَى رطبة ولوز ودلب، وقشر فيها خطوطًا بيضاء، وجعلها تجاه الغنم في مساقى الماء، فكانت توحم الضان والمعز على العصي المقشرة، فتلد بهامًا مخططة ورقطاء وبلقاء. وكان يضع ذلك في الربيع ويتركه في الخريف، ليكون قسم من النتاج له، وقسم لخاله. وقد حقق الآباء اللاتينيون وكثير من العلماء أن الوسيلة التي استعملها يعقوب لا شيء من المعجزة فيها، بل هي أمر طبيعي، أثبتته العلماء بذكر اختبارات

عديدة، فإن أنثى كل نوع من الحيوان إذا تأثرت بشيء عند الوحام ظهر له غالباً أثر في صفاتها. ولا حرج على يعقوب بهذه الحيلة لاستيفاء أجرته بالعدل، ولا سيما لأنه يظهر أن الله ألهمه هذه الوسيلة.

ولدت لية ليعقوب راؤيين وقالت: نظر الرب إلى مذلتني انه الآن يحبني بعلي، فتأويل الكلمة العبرانية رأى البنين مركبة من رأ بمعنى رأى، ومن بن بمعنى ابن ثم ولدت له شمعون. وقالت سمع الرب دعائي، فشمعون بمعنى سمعني. ثم ولدت لاوي وقالت هذه المرة ينعطف إليّ زوجي لأنني ولدت له ثلاثة بنين. فتأويل الكلمة المتعطف أو الملتوي، ثم ولدت يهوذا وقالت: هذه المرة أحمد الرب. فالكلمة معناها أحمد الله مركبة من يه بمعنى الله ويذا أو جدا بمعنى مدح أو حمد. وولدت له بلهة أمة راحيل داناً، وقالت راحيل: قد حكم الله لي وسمع صوتي. فدان بمعنى الديان أو الحاكم. ثم ولدت بلهة نفتالي، وقالت راحيل: قد صارت أختي وغلبت، فالكلمة بمعنى المصارع أو المحارب. وولدت له زلفة أمة لية جاداً وقالت لية بجدي فتأويل الكلمة الجد أو الجودة والحظ. وولدت زلفة أيضاً أشير، وقالت لية: تغبطني النساء، فتأويل الكلمة السعيد أو المغبوط. وولدت لية ابناً خامساً ليعقوب سمته يساكر وقالت: أعطاني الله أجري لأنني أعطيت أمتي لرجلي، فالكلمة بمعنى الأجر. وولدت له أيضاً ابناً سادساً وسمته زبولون، وقالت: أمهرني الله مهراً حسناً فالآن يساكنتني بعلي إذ ولدت له ستة بنين. فزبد بالعبرانية بمعنى وهب وأمهر، وزبل بمعنى سكن. وولدت لية ابنة سمته دينة، وذكر الله راحيل وفتح رحمها، فولدت ابناً سمته يوسف، وقالت: يزيدي الرب ابناً آخر فأوسف وأوسف العبرانية كالسريانية بمعنى زاد فسمته به تفاولاً ليزيدها الرب ابناً آخر كما قالت. وولدت عند موتها ابناً آخر ليعقوب سمته ابن المي لأنها ماتت بعيد ولادته، وسماه أبوه بنيامين أي ابن يميني كناية عن المحبة له. فأبناء يعقوب اثنا عشر: راؤيين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، ويساكر، وزبولون، ولدتهم له لية. ويوسف، وبنيامين، ولدتهما راحيل، ودان، ونفتالي ولدتهما بلهة أمة راحيل. وجاد وأشير ولدتهما زلفة أمة لية (أخذنا تفسير الكلمات عن ذيل معجم الكتاب لكلمت).

وقد أيسر يعقوب جداً، وصارت له غنم كثيرة وأماء وعبيد وجمال وحمير، وداخل الحسد بني لابان وقالوا: إنه أنشأ ثروته من مالهم. ورأى يعقوب تغير وجه

خاله عليه . فقام بقومه وماشيته وعبر نهر الفرات ، واستقبل جبل جلعاد (جبل السلط) . ولم يعلم لابان مزاييلته أرض حاران إلا في اليوم الثالث ، فمضى باخوته يتعقبه سبعة أيام حتى أدركه في جبل جلعاد . فعتبه لهربه خفية ، ومخاتلته له بأن لا يدعه يودّع بنتيه ، ولسرقة آلهته . وكانت راحيل قد سرقت أصنام أبيها ، إما لاعتقادها بها قوة ما ، وإما لتستغني بها عن مهرها . إذ يظهر أن هذه الأصنام كانت من ذهب ، ونرى لية وراحيل تقولان ليعقوب : « هل بقي لنا نصيب وميراث في بيت أبينا » ؟ . ولم يكن يعقوب يعلم سرقة راحيل فاعتذر لخاله بأنه خشي أن يغتصب بنتيه منه ، ويمنع العود إلى أبيه وأنكر السرقة . وسأله أن يبحث عن هذه الأصنام في أحببتهم ، ومن وجدت معه فلا يحيا ، ففتش في كل أحببتهم فلم يجدها لأن راحيل كانت أخذتها وجعلتها في رحل الجمل . وجلست فوقها ، فوثّبه يعقوب على اتهامه له ولبنتيه بالسرقة . ويظهر من ذلك أن أبناء تارح وأحفاده استمروا يعبدون الأوثان أو يجمعون بين عبادة الله والأوثان . ثم تسالما وقطعا عهداً بينهما وجمعا مع ذويهما حجارة وجعلوها كومة ، وأكلوا فوقها طعاماً ، وسماها لابان يجو سهدوتا أي كومة الشهادة . وسماها يعقوب جلعاد والمعنى واحد وانصرف لابان عائداً إلى مكانه وسار يعقوب في طريقه .

وأوفد يعقوب رسلاً إلى أخيه عيسو في جبل سعيير ، وأفرز له هدية مثني عشرين تيساً ، ومعتي نعجة ، وعشرين كبشاً ، وثلاثين ناقة مرضعاً مع أولادها . وأربعين بقرة وعشرة ثيران وعشرين أتاناً وعشرة جحاش . ودفعها إلى عبيده ليتقدموه بها إلى أخيه آملاً أن يسترضيه عن نفسه وآله . وعرف عيسو قدوم أخيه ، فهبّ للقاءه ومعه أربعمئة رجل ، ولما رآه يعقوب خاف ، وتقدم نساءه وأولاده وسجد إلى الأرض سبع مرات حتى دنا من أخيه . فتلقاها عيسو وعانقه وبكىا وتقدمت أسرة يعقوب فسجدت لعيسو فعمت المسرة جميعهم . وأبى عيسو قبول هدية أخيه تلطفاً ، فألحّ يعقوب عليه فقبلها ورجع عيسو في طريقه إلى سعيير . وأتى يعقوب بعد ذلك إلى شليم مدينة أهل شكيم (نابلس) ، وابتنع قطعة حقول بمئة نعجة فحضر ثمه خبائه . وكان قبل لقاء عيسو أن ظهر ملاك الرب ليعقوب فأمسكه وصارعه ليباركه ، فمس حق وركه فصار يطلع منه وسماه الملاك لذلك إسرائيل ، فالكلمة مركبة من إسر بمعنى ضبط أو ربط ومن إيل وهو لفظ الجلالة ، فالمعنى من أمسك أو صارع ملاك الله . وقال الكتاب (تك . فصل ٣٢ عد

٢٣٢) «؛ ولذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي مع حق الورك إلى هذا اليوم لأنه لمس حق ورك يعقوب على عرق النسا» .

عد ١٦٨

مقتل شمعون ولاوي ابني يعقوب أهل شكيم وتمة أخبار رحلة يعقوب

خرجت دينة بنت يعقوب لتتظر بنات شكيم فرآها شكيم، بن حمور الحوي رئيس البلد، فأخذها وأذلها، وتعلقت نفسه بها، وسأل أباه أن يأخذها له زوجة، فخرج حمور إلى يعقوب يقول: ابني علقت نفسه بابتنكم، فصاهرونا وأعطينا بناتكم، وخدوا بناتنا. وهذه الأرض بين أيديكم أقيموا بها، واتجروا، وتلكوا وما تقترحوه عليّ أؤيده لكم، أكثروا عليّ المهر فأعطيتكم كما ترسمون لي، وأعطيني الفتاة زوجة لابني. فقال بنو يعقوب: لا نستطيع أن نعطي أختنا لرجل اغلف، فنوافقكم بأن يختن كل ذكر منكم، فنعطيتكم بناتنا ونأخذ بناتكم. فحسن كلامهم عند حمور وشكيم ابنه وسمع لهما أهل المدينة. واختتن كل ذكر منهم وبينما هم متألمون في اليوم الثالث، أخذ شمعون ولاوي كل منهما سيفه ولا بد أن يكون صاحبهما بعض خدماهما، ودخلا المدينة آمينين، فقتلا حمور وشكيم ابنه وكل ذكر في المدينة. ثم دخل بنو يعقوب على القتلى، وغنموا كل ما في المدينة من أجل تدنيس أختهم، فساء ذلك يعقوب، وقال لشمعون ولاوي: قد أشقيتmani وأحببتهما ريحي عند أهل هذه الأرض. وأنا في نفر معدود فيجتمعون علينا ويقتلوننا. فقالا: أكرانية يتخذ أختنا؟ وأكثر الآباء والمفسرين على أن بني يعقوب اقترفوا بذلك إثماً كبيراً. وزعم بعض علماء اليهود أن دينة تزوجت بأيوب بعد ذلك، ولا مستمسك لهم بهذا ولا دليل عليه، فلا يعتد به.

فقام يعقوب من شكيم، وأقام في بيت إيل (بيت إين) وهو المحل الذي بات فيه عند مضيه إلى حاران، حيث رأى السلم، فبنى ثمة مذبحاً، ثم ارتحلوا من بيت إيل. وبينما هم على نحو ميل من افراتا (بيت لحم)، وقد دنا وقت ولاد راحيل ففسر ولادها حتى ماتت بعيد أن ولدت بنيامين. فدفنت في طريق بيت لحم، ونصب يعقوب نصباً على قبرها. وقال الكتاب: «هو نصب قبر راحيل إلى اليوم» .

قال العالم كاران (ك ١ في اليهودية صفحة ٢٢٥): أجمعت تقليدات اليهود والمسلمين والنصارى على أن مدفن راحيل هو المحل المعروف الآن بقبر راحيل على الطريق بين أورشليم وبيت لحم، وأثبت ذلك بشهادة كثير من المؤلفين من القرن الرابع بعد الميلاد إلى هذه الأعصر، وإن كان البناء القائم الآن هناك حديثاً. وقدم يعقوب من هناك على اسحق أبيه في ممرا بجانب حبرون وهي الخليل، فسر به اسحق وبأبنائه وباركهم، واستمر معهم حياً مدةً بعد عود يعقوب إليه. وأما رفقة فروى يوسفوس (ك ١ ف ١٩ من تاريخ اليهود) أنها ماتت قبل أن عاد يعقوب إلى فلسطين، ولم يذكر سفر التكوين موتها. وقد ذكر المؤرخون الوثنيون تاريخ يعقوب، كما روى تاريخ ابراهيم وغيره من مشاهير العهد القديم، ومنهم ديمتريوس على ما روى أوسايبوس (في كتابه الموسوم بالاستعداد الإنجيلي ك ٩ ف ٢١). ورأى كثير من علماء هذا العصر أن رواية لاميدون التي أنشأها أوميروس في أشعاره منتحلة عن قصة يعقوب ولابان. وقال بعضهم: ان اسمي لابان ولاميدون بمعنى واحد وهو اللبن أو مادة البناء، وان اسمي هيزيون بنت لاميدون وراحيل بنت لابان بمعنى واحد وهو النعجة.

عد ١٦٩

عيسو وولده

قد مرّ أن عيسو تزوج بثلاث نساء يهوديت أو عادة بنت ايلون الحثي، واهليامه بنت عانة بنت صبعون الحوي (الحثي)، وبسمه أو محله بنت عمه اسمعيل. واختلاف الرواية في أسماء بعض هؤلاء النساء وبعض آبائهن يخرج إلى أنه من غلط النساخ، أو انه كان لكل من هؤلاء اسمان، فولدت عادة لاسمعيل إليفاز، وبسمة رعوائيل، واهليامه يعوش ويعلام وقورح. وكان عيسو أقام أولاً في جبل سعيير وبعد عود يعقوب أخيه ارتحل منه إلى فلسطين مجاوراً لأخيه. ولكن لما أصبحت مواشيهما أكثر من أن يقيما معاً عاد عيسو إلى جبل سعيير وهو في الجنوب الشرقي من البحر الميت ممتداً نحو البحر الأحمر. وسمي هذا الجبل بهذا الاسم نسبة إلى سعيير الحوري الذي كان يسكنه قبل عيسو. وتسمى هذه البلاد ادوم، وظن أكثر القدماء انها إنما سميت بذلك نسبة إلى ادوم وهو عيسو. ولكن

أثبت بعض علماء هذا العصر ومنهم لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه الشرقي ك ٩ في العرب ف ٣): ان اسم أدوم وأدومين اقدم من عهد عيسو، وأن عيسو نفسه سمي أدوم لسكنائه في أدوم بين الأدوميين. واستمسك بأن بعض البايبرات المصرية منذ عصر الدولة الثانية عشرة ورد فيها ذكر بلاد ادوم قبل عيسو بقرون.

ومهما يكن من هذا فقد توطن عيسو وذريته هذه البلاد، وتقووا على الحوريين سكانها قبلهم. وكان منهم ملوك فيها كما كان قبلهم ملوك متعددون من الحوريين. قال فيهم «الكتاب» (تك ف ٢٦ عد ٣١): «وهؤلاء الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبل أن يملك ملك في بني اسرائيل». فتدّرّع الجاحدون بهذه الآية ليندبوا بالكتاب قائلين: كيف أمكن موسى أن يكتب هذه الآية؟ ولم يكن ملك في إسرائيل إلا بعد قرون؟. وقد فند العلماء والمفسرون الكاثوليكيون زعمهم بطريقتين. فقال بعضهم ومنهم الحجري في تفسير هذه الآية: إن هذه الكلمات أدخلها كاتب متأخر العهد على كلام موسى، فلا يعاب كتاب بدخول كلمة شرح عليه. وقال آخرون منهم الأب فيكورو (في الموجز الكتابي ع ٢٥٩): لا يستغرب أن يكتب موسى الكلمات الآتفة الذكر فهو كتب في الفصل السابق من التكوين (ف ٣٥ ع ١١): إن الله قال ليعقوب: «أنا الله القدير اثم وأكثر أمة وجماعة أم تكون منك وملوك من صلبك يخرجون». فأى الغرابة أن يقول موسى بعد ذلك إنه كان في ادوم ملوك قبل أن يملك ملك في اسرائيل كما وعد الله يعقوب بأن يكون ملوك من صلبه.

لم يذكر الكتاب وفاة عيسو، ولكن جاء في كتاب قديم جداً موسوم بوصية الآباء الإثني عشر أن عيسو أتى لمحاربة أخيه يعقوب، فقتل في الحرب ودفن في جبل سكير. وقد ذكر «الكتاب» (تك ف ٣٦) أسماء الملوك أو الولاة الذين تولوا بلاد أدوم من الحوريين وبني عيسو. فقال جاحدو الوحي إن عدد هؤلاء الملوك وافر يتصل إلى أيام سليمان، فلا يمكن أن يكون موسى كتبه. والصحيح الظاهر ان زمان هؤلاء الملوك لا يتجاوز زمان الخروج، ولا تزيد مدتهم على المدة التي من أيام يعقوب إلى أن كتب موسى، وهي نحو من خمسة قرون. وذكر اسم هدد بن بدد بينهم مع أنه كان ملك يسمى بهذا الاسم في أيام سليمان لا يثبت شيئاً. فما أكثر أسماء الملوك المترادفة في كل عصر وعند كل القبائل (فيكورو في الوجيز الكتابي ع ٢٥٩).

الفصل الثالث

يوسف

عد ١٧٠

محبة يعقوب ليوسف وحسد اخوته له وما كان منه

قد أحبَّ يعقوب يوسف على إخوته لحسن منظره وسجاياه ، ولتذكره به راحيل أمه التي قضت في غَضِّ صباها ، وألبسه قميصاً موشى ملوناً . وكان الساميون يلبسون أولادهم خاصة أثواباً ملونة ، ويرى على مدافن بني حسن في مصر صور أناس تردوا بأردية تنوعت ألوانها ، فأوغر ذلك صدور اخوته وزادهم ايغاراً رؤيته أحلاماً منبئة بسؤدده عليهم . وقصه لها على أبيه واخوته كحلمه كأنه وإخوته يشدون حزاماً فانتصبت حزمته ، وسجدت لها حزمهم وكأن الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدة له . فزجره أبوه قائلاً : أترانا نجيء أنا وأهلك وإخوتك فنسجد لك ؟ وأضمر ليوسف اخوته السوء ، وأرسله أبوه يفتقدهم ، وهم يرعون ماشيتهم في ناحية شكيم (نابلس) . وكانوا ارتحلوا إلى دوتائين فصادفه رجل هداه إلى منتجعهم ، فلما رأوه مقبلاً أثمروا على إهلاكه فعارضهم برأوين أكبرهم . وصرف أفكارهم إلى طرحه في بئر لا ماء فيها لكي يخلصه من أيديهم ، ويرده إلى أبيه . ونزعوا عنه قميصه الموشى وألقوه في بئر جافة في دوتائين . وكان يظن قبلاً أن دوتائين في جنوبي صفد وفي شمالي بحيرة طبرية حيث خان يسمى خان جب يوسف . على أن روبينسون كشف عن موقع دوتائين وهو في المحل المعروف الآن بتل دوتان في الطريق المؤدية من دمشق إلى مصر في الجنوب الغربي من جنين ، وفي شمالي السامرة على بعد إثني عشر ميلاً على ما حقق كاران (مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٢٠) . وفيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٨) ودوتائين معناه البثران أو الآبار وهناك آبار عديدة .

وبينما كان يوسف يتوقع الهلاك جوعاً إذا بقافلة من الإسماعيليين مقبلة نازلة إلى مصر، فحمل يهوذا اخوته أن يبيعوا يوسف لهؤلاء التجار الذين سماهم «الكتاب» (تك ف ٣٧) تارة إسماعيليين، وطوراً مدينيين فقال بعضهم إن القافلة كانت من الشعبين، وقال غيرهم إن الإسماعيليين كانوا يسكنون بلاد مدين، فسماهم «الكتاب» مدينيين نسبة إلى البلاد، واسمعييليين نسبة إلى الأصل. فأصعد يوسف إخوته من البحر وباعوه بثمن بخس بعشرين من الفضة. وأخذوا قميصه وغمسوه في دم تيس، وبعثوا به إلى أبيه قائلين أقميص ابنك هو أم لا؟ فأثبتته وقال: وحش ضار افترس يوسف، وظل يبكيه، وقد أبى أن يتعزى.

فأخذ التجار يوسف إلى مصر إذ لم يكونوا يتجرون بالبلسان واللاذن فقط بل بالرقيق أيضاً. والآثار الدالة على هذه التجارة في مصر من أقدم الأيام كثيرة فيشاهد على أبنيتهم كثير من صور الأرقاء بيضاً وسوداً. وجاء ذكرهم مكرراً في الخطوط القديمة، وخاصة في عهدة الصلح بين رعمسيس والحثيين حيث نص انه إذا أبقي رقيق من مصر إلى سورية لزم رده على مولاه (طالع عد ٦٦). وقد أطل واداد الأب فيكورو (في الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٣ وما يليها)، في بيان احتياج المصريين إلى النكعة، وهي نوع من الطيب يؤخذ من زهر نبات يسمى نكعة، والبلسان واللاذن وغيرها من الطيوب، واستجلابهم لها من بلاد العرب في طريق سورية، مثبتاً ذلك بكثير من آثارهم وخطوطهم. وروى صديقنا الأب روار الاراسي معلم اللغة العبرانية في كلية ليل (في مقالته مصر في عهد يوسف): إن العالم ابار اكتشف في أدفو أثراً يظهر منه دخول النكعة والبلسان في تركيب نوع من البخور سماه المصريون كوفني.

عد ١٧١

بيع يوسف لفوطيفار ومراودة امرأته له وسجنه

قال «الكتاب» (تك ف ٣٧ ع ٣٦): ان يوسف «باعه المدينيون في مصر لفوطيفار خصمي فرعون رئيس الشرط». وكثيراً ما ورد اسم فوطيفار في الآثار المصرية فقد سمي به كثيرون، وقد كتب في العلامات الهيروكليفية باطيفرا، وتأويله المكرس للشمس او المختص بالشمس معبودهم. وسماه المؤرخون العرب

العزیز، وثبت وصف «الكتاب» له بخصي فرعون كثرة ذكر الخصيان في الآثار المصرية، وتشاهد صورهم على مدافن مقبرة بني حسن مدلولاً عليهم بخلو أذقانهم من الشعر، واتساع صدورهم، وبلون بشرتهم الترابي. وقد أثبت كثير من آثار الكلدان أيضاً وجود الخصيان في قصور ملوكهم. على أن لفظة الخصي لم تبقى دالة على ما وضعت له حقيقة، فإن فوطيفار كان متزوجاً بل صارت وصفاً لمن كانت له مرتبة رفيعة عند الملوك، وقد اعتاد الملوك في كل عصر وبلاد أن يمنحوا رجالاً ألقاب شرف لا يعملون شيئاً مما تشير إليه كاسطبل عامرة. على أن بعض الجلالة في المشرق أثبتوا أن بعض الخصيان في هذه الأيام يتخذون نساء.

وروى مثل ذلك بعض المؤرخين القدماء عن الخصيان في أيامهم، ولنا بينة على ذلك في رواية الأخوين الآتي ذكرها التي وجدت مكتوبة في باير منذ عهد موسى. فإن بيتو أحد الأخوين كان خصياً، ووهبه الإله نوم امرأة. كل هذا يفند مزاعم جاحدي صحة الوحي الذين قالوا: إن كان فوطيفار خصياً فكيف كانت له امرأة؟ ووصف فوطيفار برئيس الشرط، وقد بينت آثار مصر كثرة ألقاب عمال ملوكها والمقرين إليهم، ومنها ما جاء في «الكتاب» عن رئيس السقاة ورئيس الخبازين اللذين وصفا بخصيين أيضاً (تك ف ٤٠ عد ٢). وتشاهد صور ملوكهم محفوفة بالحرس وكبراء العمال.

ونال يوسف حظوة في عيني مولاه، وأقامه على بيته وجميع ما كان له جعله في يده، ولم يكن يعرف معه شيئاً إلا الخبز الذي كان يأكله (تك ف ٣٩ ع ٤ و ٦)، ولنا في الآثار المصرية صور تمثل من كان كيوسف قتيماً بيت مولاه ويده عصا أو صفيحة، يكتب عليها وعلى أذنه قلم. ومن ذلك الصور التي على مدفن في المحل المعروف بكوم الأحمر، وفي مقبرة بني حسن. وذكر الكتاب قتيماً لبيت يوسف بعد أن استوزره فرعون. وتسمى هذه الآثار بعض هؤلاء ميراً أي رئيس البيت، فكذلك كان يوسف في بيت مولاه. وكان حسن الهيئة جميل المنظر، فطمحت عين مولاته إليه، وراودته عن نفسها، فأبى اتقاء لله وتحصناً من الخيانة لمولاه. واتفق أن دخل البيت، ولم يكن فيه أحد من أهله، فأمسكت بثوبه، فترك رداه بيدها، وفرّ هارباً إلى الخارج. فاتهمته بأنه راودها عن نفسها، وشكته إلى مولاه، فاستشاط غضباً، وأودعه السجن.

زعم بعض الجاحدين لصحة الوحي أن قصة يوسف هذه ليست إلا رواية وهمية سنداً إلى أن النساء المصريات كنَّ متحجّبات محصنات لا يخالطن من الرجال إلا الخصيان ، فجاءت الإكتشافات الحديثة مبطلّة دعواهم مبيّنة غرورهم، إذ لم تكن نساء مصر في تلك الأيام محجّبات كنساء المسلمين في أيامنا، بل كنَّ يخرجنّ سافرات الوجوه ، ويشهدن الملاعب والملاهي قائمات بين الرجال ، ويستقبلنهم في بيوتهم ، بل كانت المرأة سيّدة المنزل حتى كان لهنّ من الحرية أكثر مما لنساء الإفرنج في هذا العصر . وقد شهدت لذلك آثار تشدُّ عن العدّ، فإنّك ترى صورهنّ على كثير من الآثار سافرات الوجوه، شاهدات المحافل والإجتماعات، ومزدانات بالحلى والمطارف الثمينة .

وقد روى هيرودت (ك ٢ فصل ٣٥) ان المصريات كنَّ يقمنّ في الحوانيت متعاطيات التجارة والكسب ، ويطلّ رجالهنّ في البيوت يحيكون الأنسجة . ونرى بعض الصور تمثّل النساء أيضاً حايكات، وبعضها يمثلهنّ صارفات حيناً متطاولاً في زينتهنّ . وقد شهدت النصوص والآثار، والصور والتقليد بما كان من الخلاعة والتهتك في مصر . ومثلت بعض الصور نساء بعض أشرف القوم في حالة السكر، وعلى جدار مدينة أبو ما يأنف القلم أن يخطّ الإشارة إليه .

وقد اكتُشف في صدر هذا القرن باير حُطّت عليه رواية موسومة برواية الأخوين ، كتبها كاتب يسمّى إنانا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد على عهد منفتح فرعون الخروج ابن رعمسيس الثاني لتكون فكاهة لوليّ العهد . وهذا الباير هو الذي كان يطالعه هذا الأمير نفسه ، وقد اشترته أولاً السيدة دي اوريني من إيطاليا، وبعد وفاتها اشترته سنة ١٨٥٧ م إدارة المتحف البريطاني . ونشرت مثلاً له سنة ١٨٦٨ م . وكان العالم دي روجه أول من عني بترجمته، فكان ما حواه أشبه بما كان ليوسف مع امرأة فوطيفار، بل يظهر أن هذه الرواية منتحلة عن تاريخ يوسف . وقد أثبتّها الأب فيكورو (في كتابه الموسوم بالكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٤٣ وما يليها) . وأثبت ملخصها الأب روار صديقنا الآنف الذكر في مقالته (مصر في عهد يوسف) وعنه نلخص فحواها : « كان أخوان يسمّى أكبرهما أنابو وأصغرهما باتو عائشين بأعظم ائتلاف في بيت واحد . وكان أنابو متزوجاً ، وباتو لا امرأة له ويعاون أخاه في الحراثة وشغل الحقل . فأثى باتو ذات يوم إلى البيت يلتمس بذراً ليزرعه ، فانتهرت امرأة أخيه فرصة غياب زوجها،

فراودته عن نفسه دون حياء فوثبها، وفرّ من بين يديها وعاد إلى أخيه في الحقل . ولم يفه بينت شفة عن قحة امرأة أخيه . أما هي فلما عاد زوجها من الحقل تمارضت وتظاهرت بالغضب، وشكت باتو بأنه راودها عن نفسها . فحنق أخوه واستل سيفاً وأزمع أن يفتك بباتو، فعنى الإله الشمس بنجاة البري، وأنطق بقرة فنبهته للفرار من أخيه . وفصل بين الأخوين بنهر موعب بالتماسيح وما بقي من الرواية مبين ما كان من حسن المجازاة لباتو البري، حتى جعله الملك ولياً لعهد، وعهد إليه تدبير المملكة وملك مصر عشرين سنة وبعد وفاته خلفه أخوه الأكبر . وجاء في «الكتاب» (تك فصل ٣٩ ع ٤٠) : ان يوسف « رزق حظوة في عيني رئيس الحصن » . فيظهر أن السجن كان في حصن، وأنه كان في هذا الحصن محل إقامة فوطيفار، إذ جاء في الكتاب (فصل ٤٠ ع ٣) عن رئيس السقاة ورئيس الخبازين أن فرعون « جعلهما في حبس بيت رئيس الشرط في الحصن حيث كان يوسف مسجوناً » . وقد وصف فوطيفار قبلاً برئيس الشرط « فجعل رئيس الحصن في يد يوسف جميع السجناء » . وكان أن رئيس السقاة ورئيس الخبازين أجروا إلى فرعون، فسخط عليهما، وألقاهما في السجن وكان يوسف يهتم بهما . فأيا كلاهما حلماً في ليلة واحدة، وقلقا إذ لم يكن من يعبر لكل حلمه، فسألهما يوسف أن يقصا عليه حلميهما فقال رئيس السقاة : رأيت كأن جفنة كرم بين يدي فيها ثلاثة قضبان، أفرعت ونضجت عناقيدها، فأخذت العنب، وعصرته في كأس فرعون وناولته، فقال له يوسف : هذا تعبيرة القضبان الثلاثة هي ثلاثة أيام فبعدها يردك فرعون إلى منزلتك، وتناول الكأس كالعادة . فاذكرني عند فرعون . وقال رئيس الخبازين : رأيت كأن ثلاث سلال حواري (دقيق أبيض) على رأسي، وفي العليا منها جميع طعام فرعون مما يصنعه الخباز، والطير تأكله من السلة . فقال يوسف هذا تعبيرة حلمك : الثلاث سلال هي ثلاثة أيام بعدها ينزع الفرعون رأسك فتأكل الطير لحمانك . وكان اليوم الثالث يوم مولد فرعون، فردّ رئيس السقاة إلى سقايته، وأمات رئيس الخبازين على حسب تعبيرة يوسف (تك فصل ٤٠) .

وقد جاءت الآثار المصرية معاونة على بيان صحة كلام الكتاب بياناً علمياً . فقد كثر فيها ذكر الحصون التي كانت مقاماً لرؤساء الجند ومخفراً للسجناء . وقرأ إبار الكلمة المصرية الدالة على الحصن بيتاسوچار، أي بيت الحصن، وهي في النص

العبراني بت حص سحر فتأمل بهذه المقاربة . ثم ليس من يجهل اعتبار الأحلام عند المصريين وإجلال معبريها .

وقد جعلت العناية الربانية أحلام رئيس السقاة ورئيس الخبازين ثم فرعون نبوية لتكون ذريعة لرفعة يوسف ونجاة مصر وأهله من المجاعة . ومما جاء في الآثار المصرية عن الأحلام ما حُطَّ على جدار الكرنك ، وهو أن تمثال الإله فتاح ظهر في الحلم لمنفتاح وانتصب أمامه يمنعه . أن يتقدم بعساكره إلى ما كان أمامه فامتنع . وإن فرعون نوات ما يامون رأى حلماً سنة ارتقائه إلى عرش مصر والحبشة معاً . كأن حيتين قامت إحداهما عن يمينه والأخرى عن يساره . وعبر الكهنة له حلمه بأنه يملك على مصر والحبشة ، وقد حُطَّ هذا الحلم وتعبيره على الصفيحة المعروفة بصفيحة الحلم التي ذكرها مسيرو . وقد جاء في كثير من الباييرات ذكر الأحلام وتعبيرها ، وبما يتذرع للحصول عليها ولتعبيرها ، ومن شاء زيادة بيان فعلية بمراجعة ما كتبه الأب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٥٨ وما يليها .

زعم بعض الملحدين تنديداً بالكتاب انه لم يكن في مصر جفن الكرم ، واستسلموا بأحد أقوال هيرودت (ك ٢ فصل ٧٧) : « إنه لم يكن كرم في مصر » ويقول بلو ترخوس إن المصريين كانوا يأنفون من شرب الخمر . وقالوا : إن جفن الكرم لم تغرس في مصر إلا في عهد الدولة السادسة والعشرين فيها . والصحيح ان جفن الكرم كانت عديدة في مصر منذ اقدم أعصارها ، وصورها على مدافن الأهرام ، ومقبرة بني حسن بتكذيب الملحدين . وقد روى ويكلنسون (في كتابه في قدماء مصر) نقلاً عن الآثار المصرية طريقة غرس الكرم واستثماره وعصر العنب في المعاصر وتصفية العصير في الآنية بعد اختماره .

وقال الأب روار في مقالته (مصر في عهد يوسف) : « قد ساعدني الحظ في سفري عن قرب إلى مصر أن أكون من أول الداخلين إلى المدفن الذي كشف عنه من امد قريب في دير البحاري ، وهو بلا مراء أقدم من عهد الدولة السادسة عشرة (التي كان فيها يوسف) . وكنت أظنني في وسط كرم حقيقة فجدران المدفن وسقفه مغطاة بجفن الكرم مزدانة بورقها وثمارها » . وقال الاب فيكورو (في المحل السالف ذكره) : إنما الصحيح أن المصريين لم يشربوا الخمر في كل عصر فقط بل

كانوا ايضاً يقدمونه لآلهتهم . فقد جاء في البايير المعروف بهاريس ذكر كثير من تقادم الخمر لهياكل الآلهة، وان رعمسيس الثالث (أحد ملوك الدولة العشرين) : «قدم ألف وثلاث مئة وسبعة وسبعين اناءً من الخمر ... وانه وهب هيكل طيبة (تاب) خبة خمر» أي كرماً، ولم يكن المصريون يكتفون بخمر مصر بل كانوا يستجلبون أنواعاً، من سورية وغيرها . وكان مشتهراً عندهم خمر عون وهي بلدة في غربي حلب.

وفي متاحف أوروبا كثير من الآنية التي كان خمر مصر يوضع فيها، ويزيد هذا اثباتاً للصورة الممثلة كوباً من الخمر مقدمة للآلهة او سكارى . وهذه الصور عديدة، ومنها صورة وجدت في طيبة ترى فيها صور رجال متماسكين بحبل ربط في شجرة، يدوسون العنب في المعصرة بأقدامهم وهم حفاة مترنمون . وأما قول هيرودت الذي استمسكوا به فلا عبرة له لا سيما لانه مخالف لكثير من اقوال هيرودت نفسه، حيث نص ان المصريين كانوا يشربون الخمر في بعض الاعياد والحفلات اكثر مما يشربونه في سائر الايام . وأن ابن البثا الذي سرق بيت مال الملك اسكر الحراس بالخمر . وأنه كان لكل من جنود الحرس الملكي اربعة اقداح خمر في كل يوم . وكل ذلك ظاهر في كتبه، ومثله في كلام بلوترخوس . وقد صرح ديودر الصقلي واسترابون وبلين بما يخالف قول هيرودت الأول فقد صدق الكتاب وكذب الملحدون .

عد ١٧٢

تعبير يوسف حلم فرعون واستيزار الملك له

قال «الكتاب» (تك فصل ٤١) : «وكان بعد مضي سنتين من الزمان» الذي عبّر فيه يوسف حلمي السجينين معه ان رأى فرعون حلماً كأنه واقف على شاطئ النهر اي النيل . فإذا بسبع بقرات صاعدة منه وهي حسان وسمان، وارتعت في المرج . وكان سبع بقرات أخر صاعدة وراءها من النهر وهي قباج وعجاف.. فأكلت البقرات القباج السبع البقرات الحسان السمان . وقد كان عدد البقرات السبع عند المصريين من الرموز الدينية، فانهم كانوا يعتقدون ان للثور المتأله

المعروف عندهم باوسيريس سبع بقرات بمنزلة سبع زوجات له . واستيقظ فرعون ثم نام، فحلم كأن سبع سنابل قد نبتت في ساق واحدة وهي سمان جياد . وكأن سبع سنابل دقاق قد لفحتها الريح الشرقية نبتت وراءها، فابتلعت السنابل الدقاق السبع السنابل الممتلئة، وما برحت الريح الشرقية تثور في مصر إلى الآن، وهي المعروفة عندهم بالخمسين، فتلغح الزروع وأزعج الحلمان فرعون، فاستدعى جميع سحرة مصر وجميع حكمائها . قال الاب فيكورو (في المحل الأنف ذكره صفحة ١١٤) : يحق لنا ان نقول ان آية الكتاب هذه مترجمة من المصرية إلى العبرانية. فقد ورد مثلها في صفيحة رعسيس الثاني حيث. كُتب أن أمير بقطان بعد أن رأى حلماً « انزعجت نفسه واستدعى جميع السحرة » ولم يكن بين سحرة فرعون من يعبر له حلمه .

فتذكر رئيس السقاة يوسف، وقص على فرعون ما جرى له، وتعبير يوسف حلمه وحلم رئيس الخبازين . فدعا فرعون يوسف فاحتلق وأبدل ثيابه . روى هيرودت (ك ٢ فصل ٣٦) إن من عادات المصريين المخصوصة بهم ان يحلقوا شعورهم إلا مدة الحداد. وقد أثبت آثار مصر مقال ابي التاريخ : فترى اكثر الصور فيها محتلفة الذن والرأس بعكس ما كان يصنع العبرانيون من اطلاق لحاهم، حتى كان الجلع نفسه عاراً عندهم كما يظهر من تعبير صبيان بيت ايل لاليشاع . إذ قالوا له اصعد يا اجلع اصعد يا اجلع (ملوك ٤ ع ٢٣) . ولما دخل يوسف على فرعون قص عليه حلمه فقال له يوسف : إن الله مكاشف فرعون بما هو صانعه. السبع البقرات الجياد هي سبع سنين، والسبع السنابل الحسان هي سبع سنين فالحلم واحد، ومثلها السبع البقرات الدقاق والسبع السنابل الفارغة . ستأتيكم سبع سنين فيها شبع عظيم في جميع ارض مصر، وتأتيكم بعدها سبع سنين جوع ينسى الشعب الذي كان، فلينظر فرعون رجلاً فهِمًا حكيمًا يقيمه على أرض مصر يخبزن الخمس من برّ سني الخصب ذخيرة لسبع سني الجوع .

فحسن كلام يوسف عند فرعون وقال له : بعدما عرفك الله هذا كله فليس فهِم حكيم مثلك، أنت تكون على بيتي ، وإلى كلمتك ينقاد كل شعبي ولا أكون اعظم منك إلا بالعرش . انظر قد أقمتك على جميع أرض مصر . إن الآثار المصرية مفعمة بمثل هذه العبارات الدالة على ترقية الفراعنة من راموا إعزازه إلى المناصب الرفيعة وعلى مواهبهم له . ومن هذه الآثار ما نقش على مدفن احمس بن

ابانا أمير البحارة ، وقد مرّ لنا ذكره في (ع ٩٨) وقد اكتشفت صفيحة هي الآن في متحف تورين في إيطاليا ، وللرجل الحكيم عنه فيها مناقب وصفات اشبه بما كان عليه يوسف ، فيسمى باكا ، وتأويله الرقيق أو المسيحي . ويقال فيها : إنه أحسن إتمام فروضه لأهله ولم يذكرهم لأنهم كانوا غرباء في مصر وإن فرعون أعزه وغمره بآلائه . وأهمّل الكاتب ذكر اسم الملك لأنه من الملوك الرعاة الذين يبغضهم المصريون . وإن فرعون جعله قتيماً على مخازن البر العامة او المختصة بالحكومة ولم يؤثّر في الصحيفة بذكر احد معبودات مصر خلافاً لما جاء في غيرها من الآثار وقد تليت ترجمة هذه الصفيحة في مجلس عقده جمعية الآثار القديمة الكتابية في لندرة سنة ١٨٧٧ م . وقيل حينئذٍ ما أخرى هذه الصفيحة أن تكون وضعت على مدفن يوسف ثم ان الآية « وإلى كلمتك ينقاد كل شعبي » إذا ترجمت بحرفها كانت : كل شعبي يقبل فمك » . قال العالم شباس (في كتاب مباحثه في الدولة التاسعة عشرة) : إن هذه العبارة مصرية محضة فمن أسمى المراتب عند المصريين مرتبة الفم الاعلى . وقد أعلمنا بها أثر للدولة الثامنة عشرة أذاعه العالم بروغش مع غيره من الآثار تبين منه أن تانونا احد كبار عمال مصر عهد إليه فرعون بتدبير المملكة . فلقب « الفم الأعلى في البلاد كلها » فكان المراد الى الأمر الأعلى وكذا لما أراد فرعون آخر ان يشرك في ملكه رعمسيس الثالث . رقا هذه المرتبة الفم الأعلى في البلاد كلها .

ثم قال الكتاب : ونزع فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف » . واعلمتنا الآثار المصرية ان كل مصري وجيه كان له خاتم يختم به . وقد اكتشف كثير من هذه الخواتم في المدافن وترى منها في متحف اللوفر في بريس عدداً عديداً وألبس فرعون يوسف ثياب بزّ وهي الكتان وفي آثارهم وفي كتب بعض القدماء منهم هيروودت (ك ٢ فصل ٨١) : إن كهنة المصريين كان متحتماً عليهم ان تكون ملابسهم من الكتان النقي دلالة على نقاوتهم . وترى الموميا عندهم ملتفة بنسيج من كتان ، وأمر موسى ان لا يستعمل في خباء المحضر إلا الكتان وأتبع الكنيسة هذا التقليد وأمرت ألا يستعمل على المذابح سواه . ثم جعل فرعون في عنق يوسف قلادة أو طوق . وقد وجد كثير من هذه العقود في المدافن المصرية . وأركب فرعون يوسف مركبته الثانية ، للدلالة على انه الثاني بعد الملك ، ونادوا أمامه

إركعوا. في العبرانية: ابرك. وقال الحجري (في تفسير هذه الآية): إن هذه الكلمة مصرية لا عبرانية فإن المنادي مصري ينادي المصريين بلغتهم قائلاً أبرك أي أجتو. وقال فيكورو (في المحل السالف ذكره): إن كلمة ابرك التي حفظت في سفر التكوين مصرية، وقد ترجمت لفو في كثير من الترجمات القديمة، بمعنى أحنوا ركبكم، أي اركعوا. وصحيح ترجمتها الحرفية أحنوا رؤوسكم كما قال كثيرون وقال آخرون: إن ابرك تأويلها رئيس الحكماء.

وسمى فرعون يوسف مخلص العالم، وفي العبرانية سغنت بعنه وقال القديس ايرونيموس إن الكلمة مصرية، لا عبرانية. إذ لا وجه للملك المصري أن يلقب يوسف بلقب عبراني لا مصري، وتأويله مخلص العالم. وقال أهل العلم في الآثار المصرية: إن الكلمة تأويلها مقيت العالم أو مخلص الحياة. وزوج فرعون يوسف اسنات بنت فوطيفار كاهن أون. وتأويل اسنات في المصرية مقر الآلهة نات. وفوطيفار أبوها غير فوطيفار مولى يوسف، لأن هذا كان رئيس كهنة، وذلك رئيس شرط. ومدينة أون هي التي سميت بعد ذلك هليوبوليس أي مدينة الشمس، وتعرف الآن بالمطرية. ولا يخفى ما كان لكهنة مصر من نفوذ الكلمة والسطوة في بلادهم، وعليه فكان تزويج يوسف بابنة رئيس كهنة من جملة الآلاء التي عظم بها فرعون قدر يوسف. ومن المطابقة بين كلام موسى في يوسف، والآثار المصرية التي اكتفينا اختصاراً بإيراد بعضها يتبين بطلان مزاعم الجاحدين بأن تاريخ يوسف رواية وهمية، أو أنه كتب بعد موسى أو في غير مصر.

قال شمبوليون فاتح الكنوز الهيروكليفية: إن أعلم علماء اليونان مجمعون على أن فرعون الذي استوزر يوسف، إنما هو ابوفيس أو ابابي أحد الملوك الرعاة. وإن ذلك كان للسنة السابعة عشرة من ملكه، وقد اطلنا الكلام في هذا الشأن في ع ٩٤ من مقالة الحثيين. وأفردنا الفصل الثامن من هذه المقالة للكلام في الملوك الرعاة. قال العالم مسيرو (في كتابه تاريخ المشرق): كثر المهاجرون من سورية إلى مصر في عهد الملوك الرعاة لأنهم سوريون أصلاً، فكان المهاجرون يجدون في مصر قوماً من طينتهم لم ينسوا ذكر أصلهم ولغتهم. وكثيراً ما فتحت قصور مصر في تلك الأعصر لعمال سوريين. وكانت كل حرب أو مجاعة في سورية تحمل أفراداً بل جاليات، وعشائر برمتها على الهجرة إلى مصر. فيتلقاهم الملوك الرعاة وحواشيهم بالمعزة والترحاب. ولا يخلو

استيزار ابابي ليوسف من ان يشف عن شيء من هذا القليل ، فلما كان فرعون هذا أجنبياً لم يكن ليأنف من سيادة أجنبي في مصر كما لو كان مصرياً اصلاً .

عد ١٧٣

تدبير يوسف شؤون مصر والمجاعة فيها

قال «الكتاب» (تك ف ٤١ ع ٤٦ وما يليه) وكان يوسف ابن ثلاثين سنة حين مثل بين يدي فرعون ، وخرج وجال في جميع أرض مصر وجاءت سنو الشبع فكان يجمع في كل مدينة غلال ما حولها من الحقول مدة السنين السبع : فخن كثير جداً من البر في مخازن مصر وكان من مهامه نظارة المخازن الملكية . وكشفت لنا الآثار المصرية عن أسماء كثيرين من عمال مصر يلقبون بنظار المخازن . ففي متحف ميرانار قصر مكسيمليان عاهل المكسيك على مقربة من تريستي تمثال صغير كتب عليه اسم شمنشت ناظر المخازن الملكية . وفي المتحف البريطاني صفيحة كتب عليها اسم متوهبت ناظر مخازن الحكومة ، إلى غير ذلك مما كتب على بعض المدافن في مصر . وقد بينت لنا هذه الآثار كل ما يتعلق بالغلال من زرعها إلى حصادها ، وجمعها أكداً أكداً كما قال الكتاب ، وإلى وضعها في المخازن التي هي أهراء واسعة مبنية على هيئة مخروطية الشكل ، في أعلاها فتحة لإنزال الغلال ، وفي أسفلها نافذة لإخراجها . ولقلة الرطوبة في هذا القطر تصان الغلال فيه سنين عديدة من التعفن والفساد . ففي متحف اللوفر في باريس غلال وجدت في مدافن حفظت فيها منذ من أربعين قرناً ، وحسبك هذا رداً لمزاعم من قال لا يمكن صيانة غلال يوسف سبع سنين من الفساد .

كذب بعض الجاحدين بحصول مجاعة في مصر مدة سبع سنين متتالية ، وتمحلوا لتكذيبهم وجهين : أولهما أن فيضان النيل سبع سنين ونقصه سبع سنين متتالية مخالف لسنن الطبيعة . وتوفر الغلة في مصر أو قلتها . متوقفان على زيادة امواه النيل وانتقاصها . والثاني أن هذه المجاعة لم يرد ذكرها في أحد كتب القدماء ، ولا ترى لها أثراً في الآثار المصرية ، ولذلك جنح بعض المؤرخين في هذا العصر أن عدد السبع السنين هنا لا يراد به حصر السنين . بسبع بل يراد به مدة متطاولة . على أنه لا حاجة إلى هذا التكلف والتأويل إذ جاء في كتب القدماء

والحدثاء ذكر مجاعات كالتي كانت في عصر يوسف ، وأنبأنا الآثار بحصول مجاعات ويرجح كثيراً أن إحداهما المجاعة التي استدرك يوسف مضارها وهاك البيان .

فقد ذكر أوفيد (في الكتاب الأول من اشعاره في صناعة الحب) ، وهو شاعر لاتيني كان في عهد اغوستوس قيصر « أنه حصلت مجاعة في مصر دامت تسع سنين » وقال بلينيوس (في كتابه التاريخ الطبيعي) قوله المشهور : « إذا لم يبلغ ارتفاع أمواه النيل حين فيضانه اثني عشر ذراعاً كانت في مصر مجاعة . وإذا بلغ ثلاثة عشر ذراعاً فالجوع أيضاً . وكانت المسرة إذا بلغت أربعة عشر ، والطمأنينة إذا بلغ خمسة عشر ، والرغد إذا بلغ ستة عشر ذراعاً » . وقد كتب عالم يسمى عبد اللطيف (كان في عصر الخلفاء العباسيين في مصر) مقالة في مصر ، ترجمها العالم دي سناسي إلى الإفرنسية ، ومما قاله فيها : « إذا نقص فيضان النيل عن ستة عشر ذراعاً كان في مصر عوز إلى القوت كثيراً أو قليلاً بحسب انتقاص المياه » . وذكر كثيراً من المجاعات بسبب انتقاص أمواه النيل ، وإحداها استمرت كمجاعة يوسف سبع سنين من سنة ١٠٦٤ م إلى سنة ١٠٧١ م على عهد المستنصر بالله ، وأنه في سنة ٥٩٦ للهجرة (الموافقة لسنة ١١٩٩ للميلاد) . لم يرتفع النيل إلا اثني عشر ذراعاً وواحد وعشرين قيراطاً ، وهو أمر نادر لم يكن له مثيل منذ تاريخ الهجرة إلا في سنة ٣٥٦ هـ . وأطال الكلام في مضار المجاعة التي كانت في سنة ٥٦٧ للهجرة حتى أكل الناس الكلاب ، وسائر الدواب والحشرات وجثث الموتى ، بل اتصلوا إلى أن يأكل بعضهم بعضاً ، وألجئت الحكومة أن تحرق في القاهرة في بضعة أيام ثلاثين امرأة أقرت كل منهنّ بأكلها لحم صغارها وغيرهم .

ثم أنبأنا الآثار المصرية القديمة حصول مجاعات عديدة في مصر . فقد كتب في مقبرة بني حسن على مدفن وإل اسمه أماني ، توفي في السنة الـ ٤٣ للملك اوزرتسن الأول احد ملوك الدولة الثانية عشرة قبل يوسف بقرون ما نصه : « لم تكن مجاعة في أيامي ولم يهلك الجوع أحداً في عهد ولايتي ، إذ حصلت سنو المجاعة لأنني جعلت الناس يحرقون كل الحقول الواقعة في عمل ساه (اسم موضع) جنوباً ، وشمالاً ، وأقّت السكّان على آخرهم موزعاً عليهم حاصلات تلك الحقول حتى لم يمت أحد جوعاً » . وذكر مسبرو (في كتاب تاريخه القديم لشعوب المشرق) وصية ، يقال : أن أمنامهت الأول عهد بها إلى اوزرتسن الأول الآنف

ذكره ، ومما حوته هذه الوصية قوله : « جعلت القوم يحرقون أرض البلاد حتى ابر (في جنوب مصر) ، فشملت المسرة جميعهم حتى أدهو (مصر السفلى) ، فكنت موجدأ ثلاثة أصناف من الغلال ، وأنا صديق نبرات (إله الغلة) ، وجاد النيل علينا بفيضانه على كل الحقول فلم تكن مجاعة في مدة ملكي .

واكتشف العلامة بروغش أثراً مصرياً منبأً بحصول مجاعة ، ورأى أنها المجاعة التي حاقت بمصر على عهد يوسف ، وهذا الأثر هو خطوط هيروكليفية وجدت منقوشة على مدفن رجل يسمى بابا في قرية الكاب ، ويتبين منها أنه حصلت مجاعة في مصر دامت سنين عديدة ، وتهياً لهذا الرجل أن يُقيت أسرته العديدة وسائر سكان المدينة التي كان فيها . وهاك ترجمة هذا الأثر كما رواها بروغش (في كتابه في تاريخ مصر مجلد ١ صفحة ١٧٦ طبعة ٢) ، وكما عربها أحمد أفندي كمال مترجم الأنثيقه خان المصرية ، وناظر مدرستها في كتابه الموسوم بالعقد الثمين في محاسن أخبار وبدائع آثار الأقدمين من المصريين قال : « كنت ذا قلب رؤوف لا آلف الغضب ، ولذا أكرمتني المعبودات بالخير الجزيل في دار الدنيا . وكان أهل بلدي وهي الكاب يتمنون لي الصحة وطول العمر ، وكنت أقص من المسيئين ، ورزقت من الأولاد مدة حياتي اثنين وخمسين ولدأ صغيراً وكبيراً . وكان لكل منهم سرير وكرسي ومائدة ، وكانوا يأكلون كل يوم مئة وعشرين مدأ من القمح والحبوب . وكان لهم ثلاث بقرات حلويات واثنان وخمسون ماعزة ، وثمانية حمير ، وكانوا يحرقون من البخور ما ينيف على الهين (مكيال لقدماء المصريين) ، ويصرفون من الزيت ملء زجاجتين ... وكنت هيأث كل ذلك في بيتي ، وكنت أعطي اللبن الرائب في قدر والسمن في قدر طويلة ضيقة الرأس تعرف بالذلق بمقدار يزيد على الهين . وجمعت قمحاً كثيراً محبة للمعبود الصالح (وفسره أحمد أفندي بمعنى الملك) . وكنت حريصاً على الزراعة في سني الخصب ، ولما حصلت المجاعة مدة كثيرة من السنين كنت أعطي القمح لأهل المدينة في كل مجاعة » .

ولم يُذكر تاريخ لهذه الخطوط وقدّر بروغش سندأ إلى نقش المدفن ، ونوع الكتابة عليه ، وإلى مجاورته لمدفن العامل المصري المسمى أحمس (الذي رويما ما كتب على مدفنه في ع ٩٨) : إن هذه المجاعة هي التي ذكرها الكتاب في عصر يوسف ، وقد روت المجلة المسماة التمدن الكاثوليكي هذا الإكتشاف في ع ٩٣٨

في تاريخ ٢٠ تموز سنة ١٨٨٩ م . وأثبتت ما نحن مثبتون، وأنه لا يحفل بالفرق بين ما كتب في الأثر، وهو مدة كثير من السنين (أو سنين عديدة) ، وما كتب في الكتاب وهو سبع سنين . فالمعنى متقارب وكأنه مرادف . وجاء في الجريدة الإفريقية الاونيفر (المسكونة) في أحد أعدادها في شهر آب سنة ١٨٩٠ م ان العالم بروغش اكتشف أيضاً في محل قريب من القصر صفيحة تبين منها أنه انتقص فيضان النيل، فنجم عن ذلك حصول مجاعة دامت سبع سنين . وان بروغش جد في التنقيب عن تاريخها، فأداه جدّه إلى أنها كانت لنحو سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد، أي في نحو الزمان الذي كان فيه يوسف وزيراً لفرعون على أننا نظن أن كلام الاونيفر إنما هو في الأثر الذي وجد في مدفن بابا السالف ذكره لا في أثر آخر .

عد ١٧٤

ما يعزى إلى يوسف في مصر

قال «الكتاب» (تك ف ٤٧ ع ١٤ وما يليه) : «وجمع يوسف جميع الفضة التي في أرض مصر، وفي أرض كنعان بالميرة التي كانوا يبتاعونها، وأدخلها بيت فرعون» . لم يكتفِ يوسف بأن يتلافى مضار المجاعة بل عني كرجل خبير بالسياسة أن يقوّي سلطة مولاة ، ويزيد غنى دولته بإدخال فضة الأهلين خزائن فرعون . ثم بتملكه ماشيتهم إذ قال يوسف للمصريين طالبي الطعام : «إذا كانت فضتكم قد نفدت فهاتوا ماشيتكم أبعكم بها ، فجاءوا يوسف بماشيتهم ، فأعطاهم طعاماً بالخيل وبالماشية من الغنم والبقر والحمير» . وهذه أول مرة أتى بها بذكر الخيل في مصر، فيرجح أن الملوك الرعاة أدخلوها فيها . قال شباس : كان عامة الناس في مصر يربون الخيل ، ويستخدمونها فلا سبيل إلى نقض شهادة الكتاب المصرحة بأن المصريين أتوا يوسف حين مجاعتهم بخيلهم ، وغنمهم، وبقرهم يستبدلونها بغلّة . وجاء في البايير المعروف بساليار الأول، وفي البايير انسطاسي الثالث أنه كان لصغار العمال خيل لاستحضار المون اللازمة لبيوتهم من القرى، وكان كبارهم ووجهائهم يركبون الخيل، وعَمَلَتهم يستخدمونها لجر العجال كما في آثار عديدة . قال «الكتاب» إن المصريين عادوا في السنة التالية إلى يوسف يشكون إليه سوء

مصريهم، لأنه لم يبق بين يديه إلا أبدانهم وأراضيهم، ويسألونه أن يشتريهم وأراضيهم لفرعون. فاشترى يوسف جميع أراضي المصريين لفرعون لأنهم باعوا كل واحد حقله، فصارت الأرض لفرعون إلا أن أرض كهنتهم لم يشتريها لأنها كانت للكهنة وظائف أي أرزاق من قبل فرعون، يأكلونها ولذلك لم يبيعوا أراضيهم، وقال لهم يوسف: خذوا لكم بذراً تزرعونه في الأرض، فإذا خرجت الغلال تعطون منها الخمس لفرعون، والأربعة الأخماس تكون بذراً للحقول وميرة لكم. وجعل يوسف تأدية الخمس للملك رسماً على أرض مصر إلى اليوم فقال له المصريون قد أحييتنا، ودعوا له (تك ف ٤٧ ع ١٨ وما يليه)، قال الأب فيكورو في (الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٨٠) ما ملخصه: إن الآثار المصرية مثبتة انتقال ملك الأرض في مصر إلى الفراعنة، وإن لم تصرح باسم من صنع ذلك، فإننا نرى أرض مصر في أيام ملوكها الأقدمين، والمتوسطين يملكها بعض سادة مصر وكبرائها، ويسلمونها إلى مزارعين، وتنقل إلى غيرهم بطريق البيع أو الإرث أو الزواج. وأما في أيام ملوكها بعد الرعاة فلا نجد أثراً مُشعراً بملك أحد أرضاً إلا الملك. فيوسف نقل ملك أرض البلاد كلها إلى فرعون، ولا يستثنى من ذلك إلا أرض الكهنة. وقد جاء في البابير المعروف بهاريس أن رعمسيس الثالث كان مالِكاً أرض مصر كلها إذ قال: «أنا غرست في البلاد بأسرها أشجاراً كبيرة وصغيرة، وسمحت للناس أن تستظل بفيئها... أنا كفيت البلاد كلها رزقاً... أنا مونت البلاد بعد أن نفدت مؤنها، فامتألت البلاد، شعباً في عهد ملكي... فاشتغلوا له (أي لابنه رعمسيس الرابع)، كأن لكم يداً واحدة بكل نوع من العمل... فتجزون بقوته لكم كل يوم».

وهذا الكلام ينطق صراحة بأن أرض مصر كانت ملك فرعون وهو يؤن حارثها وسائر شعبه، ولا يمكن اعزاء ذلك إلا إلى تملك يوسف فرعون أرض مصر إذ كان قبله مالكون. ولا نجد بعده مالِكاً إلا الملك والكهنة الذين ترك يوسف لهم أراضيهم. وقال هيرودت (ك ٢ ف ١٠٩): «رووا أن الملك سيروستريس (رعمسيس الثاني) قسم أرض مصر على جميع المصريين، فأعطى كلاً منهم نصيباً سوياً، وفرض على كل منهم جزية سنوية على نصيبه من الأرض». وهذا تصرف مالِك بلا مراء. ورعمسيس كان بعد يوسف في عهد موسى. وأثبت هيرودت (في ك ٢ ف ٣٧): أن أرض الكهنة كانت معفاة من

الضرائب ، والجزية طبق ما جاء في التكوين كما رأيت . على أن يوسف لم ينتزع الأرضين من يد حارثيها بل أبقاها في يدهم ووضع نظاماً حديثاً للمال الأميري . ويعزى إلى يوسف إنشاء بعض مجاري للنيل في أرض مصر . وقال فيكتور (صفحة ١٨٣ من المجلد الآنف الذكر) : إنّ هذا التقليد غير بعيد عن الصحة . ويعزى إليه إنشاء بعض أهراء لغالل الحكومة في مصر القديمة ، وتسميها العامة خزان أو مخازن يوسف . ولكن قال بعض الجواله إنّ تلك الأهراء محال فسيحة يحيطها سور ارتفاعه عشرون قدماً ، ولا سقف لها ، وهي منقسمة أقساماً عديدة ، تجمع الحكومة فيها الغلال التي تجيئها من مصر العليا . وهيئة بنائها تقضي بأنها ليست قديمة . وروى كثيرون أن يوسف علّم المصريين مساحة الأرض ، ووضع المكاييل وأقام عموداً في مياه النيل لمعرفة درجات فيضانه . وقال المرتل فيه (مزمور ١٠٤ : عد ٢١ و ٢٢) : « أقامه (فرعون) سيداً على بيته وسلطاناً على جميع مقتناه حتى أنه جعل عظماءه تحت حكمه فهو علّم شيونخه الحكمة » .

عد ١٧٥

انحدار إخوة يوسف إلى مصر وتعرفه إليهم

قد عمت المجاعة أرض فلسطين ، فانحدر بنو يعقوب إلى مصر ليمتاروا لهم طعاماً . فعرفهم يوسف أخوهم وتنكر لهم . وقلق لأنه لم ير بينهم شقيقه بنيامين . فاستدعاهم ، وتظاهر بأنه يحسبهم جواسيس ليستطلعهم أخبار أخيه وأبيه ، فأجابوه بسذاجة ، ولم يكتموه إلا سرّ يبيعهم له ، وصرحوا بأن صغيبرهم باقى عند أبيهم فسكن قلقه من جرائه . لكنه واصل تعنيفهم لهم بأنهم جواسيس خالفوا بحياة فرعون . قال شباس : يظهر من الآثار أن هذا الحلف كان متوتراً عند المصريين ، وأنهم كانوا يخشون حقيقة هجوم بعض القبائل على بلادهم لاسيما بسبب المجاعة . وانه يظهر من الباير المحفوظ في برلين أنهم بنوا أسواراً تمتد من خليج السويس إلى بحيرة المنزلة تحصناً من مثل هذه المهاجمات ، وأن رعمسيس الثاني لم يبن هذا السور بل رمه على ما روى ديودورس الصقلي (ك ١ فصل ٥٧) . ولم يؤذن يوسف بانصراف إخوته إلى بلادهم إلا بشرط أن يعودوا إليه وأخوهم الصغير معهم ، وأن يبقى شمعون أحدهم رهينة عنده على ذلك . وأمر أن تملأ أوعيتهم برأ ،

وترد فضة كل واحد في جوالقه، وأن يعطوا زاداً للطريق . فصنع لهم ذلك وبينما هم يفرغون أوعيتهم إذا بصرة فضة كل منهم في جوالقه . فخافوا واعتّم أبوهم لما قصوا عليه ما نالهم ، وكيف استبقى المتسلط على مصر شمعون رهينة عنده إلى أن يأتوه بنيامين، تصديقاً لقولهم إنهم ليسوا هم جواسيس . وحاول أن لا ينحدر



صورة أخذت عن جدران تاب إلى المتحف البريطاني قتل روثانو اي سورين
يقدمون هداياهم لمتسلط في مصر

بنيامين لكنهم فرغوا من أكل الميرة التي أتوا بها ، واشتد الجوع فألجئ يعقوب أن يسمح لهم بالعودة إلى مصر وبنيامين معهم وقال : إصطحبوا هدية إلى الرجل « شيئاً من البلسان وشيئاً من الدبس ونكعة ولاذناً وفستقاً ولوزاً » ، فالبلسان والنكعة واللاذن هي من أصناف التجارة التي كانت قافلة الإسماعيليين تقلها إلى مصر عند مشتراهم يوسف ، والدبس لا يراد به غسل النحل كما وهم بعضهم بل الدبس حقيقة المصطنع من عصير العنب، وهو في الأصل العبراني « دباش » .

ولما بلغ بنو يعقوب مصر أمر يوسف قَيم بيته ، أن يدخلهم داره ، ويعدّ لهم مأدبة ، فوهموا أنه يريد إلقاءهم في السجن بسبب الفضة التي وجدت في جوالقهم . وباحوا إلى القَيم بسرّ وهمهم ، فأثّنتهم واطمأنوا . « ولما قدم يوسف إلى البيت ادخلوا له الهدية التي في أيديهم وسجدوا له إلى الأرض » . فكان بذلك إتمام ما رآه في أحلام صباه . وفي المتحف البريطاني صورة أخذت من طيبة (تاب) ، ويظهر أن هذه الصورة نقشت في عصر الدولة الثامنة عشرة ، وهي تمثل رجالاً من الروثانو ، (وهم سكان سورية أو الساميون) يقدمون هدايا لفرعون أو أحد كبراء دولته وبعضهم ساجد له بوجهه إلى الأرض ، «وبعضهم رافع يديه يدعو له ويتوسل إليه ، وبينهم صبيّ ، ويلقون تقادهم عند رجلي الملك أو أحد كبار عماله ، وكل منهم إلا الصبي - مرتد بثوب طويل أبيض معلم ، وسمات وجوههم وعيونهم أشبه بسمات اليهود أو العرب ، ولحاهم مطلقة نظيرهم حتى يخال الناظر أن الصورة رسم لما جاء في الكتاب عن تقدمة اخوة يوسف هدايا له ، وسجودهم أمامه ولا اختلاف إلّا في الأسماء وعدد الأشخاص .

وسألهم يوسف عن سلامة أبيهم ، فقالوا : انه في سلام ولا يزال حياً وخرّوا وسجدوا ونظر إلى بنيامين فقال : أهذا هو أخوكم الصغير الذي ذكرتموه لي ؟ وقال : يرأف الرب بك يا بنيّ وتحرك فؤاده إليه ، فدخل الخدع وبكى ، ثم غسل وجهه ، وتجلّد ، وقال : قدموا الطعام وقدموا له وحده ، ولهم وحدهم ، وللمصريين الآكلين عنده . ولهم وحدهم ، لأن المصريين لم يكونوا يأكلون مع العبرانيين لأنه رجس عندهم . وفي المتحف البريطاني صور أخذت من مصر تمثل لنا هيئة الموائد عند المصريين ، فترى كلّاً من المدعوين جالساً بجانب مائدة مخصصة متشجّحاً بأفخر ملابسه ، والأرقاء يقدمون لهم المشرب ، وبجانبيهم راقصات يرقصن ، وأربعة أرقاء يضربون بآلات الطرب . وكان لحم الخنزير محظوراً أكله على المصريين ، فيأكلون لحوم البقر والماعز والغنم مطبوخة ومشوية . قال هيرودت (ك ٢ ف ٤١) : إنّ المصريين كانوا يفضلون البقرات (إجلالاً لأيسيس) على جميع الحيوانات ، ولا يستعملون سكيناً أو إناء استعمله يوناني ، ولا يذوقون لحم البقر نفسه ولو نقياً إذا مسه سكين يوناني . وكانوا يعتبرون الأجانب أرجاساً فلا يؤاكلونهم ، وأكل يوسف وحده رعاية لمقامه ، لكنه رفع حصصاً من بين يديه إلى إخوته ، فكانت حصّة بنيامين أكثر من حصّة خمسة منهم .

وشاء يوسف أن يمتحن إخوته ليرى ما يكتنون من جهة أخيه بنيامين . فأمر قَيم بيته أن يملأ جوالقهم طعاماً ، ويجعل فضة كل منهم في قم جوالقه ، ويضع جام الفضة التي يشرب يوسف به في قم جوالق بنيامين مع فضة ميرته . فصنع القَيم كما أمر يوسف ، وانصرف إخوته صباحاً ، فقال للقيم : قم فاسع في أثر القوم فإذا أدركتهم فقل لهم لِمَ كافأتم الخير بالشر؟ أليس هذا هو (الجام) الذي يشرب به مولاي ويتفأل به ؟ فلحقهم وقال لهم ذلك الكلام فاستغربوه واستاءوا منه . وأوردوا لتبرئتهم ما صنعوه بردهم الفضة التي وجدت أولاً في جوالقهم وقالوا : من وجد الجام معه يقتل ، ويكون الباكون عبيداً لسيده ، فخطوا الجوالق ففتشها ، فإذا الجام في جوالق بنيامين . فمزقوا ثيابهم وحمل كل منهم حماره وعادوا إلى المدينة ، ووقعوا بين يدي يوسف ، فقال لهم : ما هذا الصنيع؟ أما علمتم أن رجلاً مثلي يتفأل ؟ فقال يهوذا : بماذا نتكلم ؟ وبماذا نتبرأ ؟ ها نحن ومن وجد الجام في يده عبيد لسيدي . فقال يوسف : حاش لي أن أصنع هذا بل الرجل الذي وجد الجام في يده هو يكون لي عبداً ، وأنتم تصعدون بسلام . فبسط إليه يهوذا ما كان لهم معه أولاً ، وكم شق على أبيه أن يسمح لبنيامين أن ينحدر معهم إلى مصر لتعلق نفسه به ، وما يتولاه من الكتابة إن لم يعد معهم ، فيموت وتنحدر شيبته بحسرة إلى الجحيم (تك ف ٤٤) .

وقد أنبأنا الآثار المصرية أن قصور المصريين كانت ملأى بالآثاث والآنية النفيسة . وكانت الجامات والكؤوس لاسيما التي يستعملها رب البيت ثمينة المادة بديعة الصناعة . فقد وجد في المدافن كثير من هذه الاجوؤم . وازدهت متاحف أوروبا بكثير منها وبعضها من ذهب وبعضها من فضة أو نحاس أو زجاج . ففي متحف باريس جام من ذهب نقش عليه اسم تحوتمس الثالث أحد فراعنة الدولة الثامنة عشرة ، وهو بديع الصناعة . وهناك أيضاً جام آخر من فضة كان لأحد كبار عمال مصر ، فلا بدع إن كان ليوسف جام من فضة . وقد ندد جاحدو الوحي بالكتاب قائلين : لم نجد أثراً ولا ذكراً للتفاؤل بالجامات في مصر أو غيرها من الأصقاع ، وكيف اعتقد يوسف الفال أو تفأل ؟ على أنه قد حقق كثير من الجوالاة أن المصريين كانوا يستعملون التفاؤل بالأجوام وما برح بعضهم يستعمله إلى الآن . وفي كتاب صيني كتب سنة ١٧٩٢م أن من جملة أنواع التفاؤل التي يستعملها أهل هذه البلدان انهم يصبون ماء في إناء ويصرون ما يظهر لهم في الماء . وكان

الجام عند الفرس آلة للتفاؤل، وقد لهج شعراؤهم بجام توصل من بلادهم إلى سليمان واسكندر. فكان سبباً لنجاحهما ومجدهما. وذكر أحد هؤلاء الشعراء يوسف في عداد توصل هذا الجام إليهم. وقال القديس أفرام السرياني (في كتبه المطبوعة في رومة بالسريانية واللاتينية مجلد ١ صفحة ١٠٠): انه كان البعض يتفاءلون بالجام فينقرونه ويصغون لصوت رنته، فيستدلون به على ما يستقبل من الأمور. وأما كيف اعتقد يوسف الفأل أو تفاعل؟ فقال القديس توما (في الخلاصة اللاهوتية مجلد ٢ مبحث ١٩٥): «ان قول يوسف أما علمتم أن رجل مثلي يتفاءل؟ قاله هزلاً لا جدّاً على ما رأى أغسطينوس، ولعله أشار بذلك إلى ما تعتقده العامة به بعد تعبيره الأحلام (أي إنه ساحر ككهنتهم) وكذا قل في كلام قديم بيته».

قال «الكتاب» (تك ف ٤٥) لم يستطع يوسف أن يضبط نفسه فنأدى: أخرجوا كل أحد من بين يدي فخرجوا. وتعرف يوسف إلى إخوته قائلاً: أنا يوسف أخوكم أحي أي بعد؟ فارتاع إخوته فقال لهم: تقدموا إلي فتقدموا وأطلق صوته بالبكاء، وألقى نفسه على عنق بنيامين أخيه. فبكى وبكى بنيامين على عنقه، وقبّل سائر إخوته وبكى معهم، وقال: لا تأسفوا، ولا يشقّ عليكم أنكم بعموني إلى هنا، فإن الله قد بعثني أمامكم لاحتبيكم، وصيرني أباً لفرعون وسيداً لجميع أهله، ومتسلطاً على أرض مصر كلّها. وقد مضت سنتا جوع في الأرض، وبقي خمس سنين ليس فيها حرث ولا جصاد. فبادروا وأشخصوا إلى أبي، وقولوا له كذا قال ابنك يوسف، فهلّم إلي ولا تقف فتكون قريباً مني أنت، وبنوك وبنو بنيك وكل ما هو لك لئلا تغنى أنت وأهلك. ونما الخبر إلى بيت فرعون أن قد جاء إخوة يوسف، فقال له فرعون: قل لإخوتك: حملوا دوابكم وانطلقوا وخذوا أباكم وبيوتكم، وتعالوا إلي فأعطيكم خير أرض مصر. وخذوا لكم عجلات لأطفالكم، ونسائكم، ولا تحزن نفوسكم على أثاثكم إن خير مصر هو لكم. وأعطاهم يوسف عجلات بأمر فرعون، وزاداً للطريق، وأعطى كلّاً منهم حلل ثياب، وبنيامين ثلاثمائة من الفضة وخمس حلل ثياب. وبعث إلى أبيه بمثل ذلك، وبعشرة حمير محملة من خير مصر، وعشر اتن محملة برأ وخبزاً، وزاداً لأبيه للطريق وصرّفهم وأوصاهم أن لا يتخاصموا في الطريق.

عد ١٧٦

انحدر يعقوب إلى مصر بأسرته وفي محلهم فيها

ارتحل إسرائيل بجميع ماله حتى جاء بئر سبع . فقدّم لله ذبائح . فظهر الله له في الحلم قائلاً : لا تخف أن تهبط إلى مصر ، فإنني سأجعلك ثمة أمة عظيمة ، فقام يعقوب من بئر سبع ، وحمل أبنائه أباهم وأطفالهم ونساءهم على العجلات التي أرسلها فرعون . وأخذوا ماشيتهم وسرحهم ، فكان جملة الداخلين إلى مصر مع ابني يوسف منسا وافرثيم سبعون نفساً . وشدّ يوسف على مركبته وصعد ليلقي أباه في جاثان ، فلما ظهر له ألقى بنفسه على عنقه وبكى طويلاً وقال له : دعني أموت الآن بعد أن رأيت وجهك ، وقال يوسف لأبيه وإخوته : أنا صاعد إلى فرعون لأخبره بقدمكم . فإذا استدعاكم وقال لكم : ما حرفتكم قولوا : كنا نحن وآباؤنا إلى الآن ذوي ماشية لكي تقيموا بأرض جاثان ، لأن كل راعي غنم هو عند المصريين رجس (تكوين فصل ٤٦) .

إنما قصد يوسف بهذا أن يستمر أهله على حالة رعاية الماشية ، وأن ينكبهم كثرة المخالطة مع المصريين ، وأن يحلهم في أجود الأرض . وقد تعددت أقوال المفسرين في اعتبار المصريين كل راعي غنم رجساً ، فقال الحجري في تفسير هذه الآية : إنما ذلك لأن الرعاة يذبحون ويأكلون لحوم غنمهم ، وبقرهم التي كان المصريون يعبدونها ، واستشهد لرأيه بقول الكتاب في سفر الخروج (ف ٨ عد ٢٦) : أن موسى قال لفرعون : « ليس من الصواب أن تصنع (أي أن نذبح في أرض مصر) لأننا إنما نذبح للرب إلهنا ما هو رجس عند المصريين . فهل نذبح بحضرتهم ما هو رجس عندهم ولا يرجموننا ؟ » وقال الأب فيكورو (في الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٦٤) ما ملخصه : قال بعضهم : « ان المصريين كانوا يعدّون الرعاة أرجاساً لتوقف نجاح بلادهم على الزراعة ، ولأن اسم الرعاة يشير إلى الخساسة والوغادة والهمجية . وقالوا : إن الآثار تمثل الرعاة بهيئة ضعفاء شنيعي المنظر . وأن هيرودت أشار (في ك ٢ فصل ١٦٤) إلى أن المصريين كانوا يمتنون جميع الرعاة ، لأن رعاة الخنازير منهم ، ولا تستقيم النتيجة لأن مقت المصريين رعاة الخنازير إنما كان لرجاسة هذا الحيوان عندهم . فلا يتعدى إلى سائر الرعاة ، وبعض الآثار المصرية يمثل الرعاة بهيئة الأرقاء ، وبعضها يمثلهم

بشيء من التعظيم لكثرة ماشيتهم، أو ما كان الأولى لحل هذه المشاكل ان نقول : إن المصريين كانوا يمتنون الرعاة لأن الملوك الرعاة أذلّوهم واستحوذوا على بلادهم . وأبائي أحدهم أحسن قبول العبرانيين لأنهم من أهل وطنه القديم . وقرظ الأب فيكورو كلمت لأنه اهتمدى (في تفسيره سفر التكوين) إلى هذا الوجه لتفسير هذه الآية قبل أن ينجلي تاريخ الملوك الرعاة كما انجلي الآن ، فلم يكن الرعاة الوطنيون أرجاساً بل كانوا يعتبرون الرعاة الأجانب أرجاساً من جرى الملوك الرعاة .

وأخذ يوسف أولاً خمسة من إخوته فمثلهم بين يدي فرعون ، فتلطف بهم وقال نيسف : إن كنت تعلم أن فيهم ذوي حذقي فأقمهم على ماشيتي . ثم أدخل يوسف يعقوب أباه ومثله بين يدي فرعون ، فرحب به وسأله عن عمره فقال : سنو غربتي مئة وثلاثون سنة، ولم تبلغ سني حياة آبائي . وعاش يعقوب بعد ذلك في مصر سبع عشرة سنة ، وأحلّ يوسف أخوته في أجود موضع من مصر، وهو أرض جاسان التي سماها الكتاب أرض رعسيس أيضاً . وأقام بعض اخوته وكلاء على ماشية فرعون . وكان للفراغة ماشية كثيرة ، ويكفي لاثبات ذلك ما ذكره من تقادمهم للهاكل . فجاء في البايير المعروف بهاريس : أن رعسيس الثالث قدم لهيكل طيبة (تاب) قطيع ماشية وعدده ستة وثمانون ألف رأس، ولهيكل هيلوبوليس (المطرية الآن أو تل الحصن) قطعاً عدده خمسة وأربعون ألفاً وخمس مئة وأربعة وأربعون رأساً .

قد كان للعلماء ومفسري الكتاب قبل الإكتشافات الحديثة أقوال عديدة متضاربة في موقع أرض جاسان التي احتلها بنو إسرائيل . فإنّ الجهل بجغرافية مصر أوقع امهرهم في أغلاط يبتة من ذلك، جعل العلامة كرنيلوس الحجري موقع مدينة رعسيس وأرض جاسان في الصعيد في جنوبي مصر حيث توفر عدد السائحين في صدر النصرانية . ولم يسعد الحظ كلمت الشهير أن يحترز من التهور في مثل هذا الغلط على أن احتفار قناة السويس، وابحات العالم أدوار نافيل في هذه الأرض سنة ١٨٨٥ م على نفقة الجمعية الإنكليزية المعروفة بلجنة البحث في مصر ، كشفت لنا عن حقيقة موقع جاسان وأرض رعسيس، فهي في الجهة الشمالية الشرقية من مصر حيث الآن المديرية المعروفة بالشرقية . فقد وجد نافيل هناك تمثال رعسيس الثاني نفسه مكتوباً عليه اسمه ست مرات . واكتُشف في المحل المعروف الآن هناك بسفط اللجنة على أثر يتبين منه أن هذا المحل كان يسمى كاسام . وكان هذا الاسم يطلق على

العمل كله ، وليس كاسام إلا جاسان مبدلاً فيه حرفان بما يقاربهما، كما جرى في كثير من هذه الأسماء ، وهو في الجنوب الشرقي من الزقازيق، وفي الشرق من تل المسقوطة . وهناك سفسط وتل الكبير. وقد جاء في سفر الخروج (ف ١ ع ١١) : أن بني إسرائيل « بنوا لفرعون مدينتي خزن وهما فيتوم ورعمسيس .

وحققت أبحاث نافيل أن أخربة تل المسقوطة إنما هي فيتوم القديمة حقيقة . ففيتوم أو بيتوم كلمة مركبة من بي ومعناه بيت كما في السريانية ، ومن توم اسم أحد معبودات مصر ، فكانت هذه المدينة مفردة لهذا الاله وتحت حمايته . وجميع الآثار التي وجدت هناك تجدد عليها اسم الاله توم ، وهناك وجد تمثال رعمسيس الذي سميت المدينة الثانية باسمه . ومن جملة هذه الآثار تمثال صغير من حجر أحمر كتب عليه اسم الإله توم ثلاث مرات ، ووجدت صورة هذا الإله أيضاً وكثير من اللبن مصنوع من أوحال النيل يخالطها التبن وذلك من بقايا سور المدينة . وهذا اللبن هو الذي كان الفراعنة يسخرون بني إسرائيل بصنعه . فقد كان إذاً تل المسقوطة جزءاً من أرض جاسان أو أرض رعمسيس . ولا يخالف ذلك أن هذه الأرض لا ترى الآن خصبة جيدة التربة لأن أرمال البرية الحارة غطتها بعد أن كانت في أيام بني إسرائيل تسقى بمياه النيل . وتشهد لذلك آثار القناة الباقية إلى الآن ولم يشهد الكتاب وحده بجودة أرض جاسان بل شهدت لها الآثار أيضاً ، فقد جاء في البابير المحفوظ الآن في لوندرة ، وقد خط في مدة إقامة بني إسرائيل في مصر ان أرض رعمسيس كانت على غاية من العمران من حيث كثرة السكان ، وغزارة ماء سقائها، وكثرة غلاتها . قال الأب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٢٢٤) : « إن أرض جاسان يعود إليها خصبها إذا أحيها ماء النيل . وقد دلنا أحد سكان تل المسقوط عند زيارتنا لها في شهر آذار سنة ١٨٨٨ م على أرض فسيحة تبلغ ثماني مئة فدان (كما يقولون) اشتراها سنة ١٨٨٥ م . وسقاها بقناة صغيرة من ماء الإسماعيلية فأصبحت نضرة خصبة متوفرة الغلة » فهناك إذاً أقام يعقوب وهناك نما نسله كما سترى .

عد ١٧٧

وفاة يعقوب ثم يوسف في مصر

لما دنا أجل يعقوب دعا يوسف واستحلفه أن لا يدفنه في مصر ، بل في مدفن

آبائه في حيرون . وأتاه يوسف بابنيه منسا وأفرائيم ، فباركهما مقدماً أصغرهما أفرائيم على أكبرهما منسا ثم جمع بنيه وباركهم . وتنبا على ما يكون للذرية كل منهم ، وخصّ يهوذا يارث المواعد الالهية وبان المخلص يولد من نسله ، وقدمه على إخوته : رأوين وشمعون ولاوي مع أنهم أكبر منه سنأ لجعلهم أنفسهم غير أهل للتقدم لما اقترفوا من الجرائم ، ولاسيما إيثخانهم في أرض شكيم عند افتضاض اختهم دينا . ولما فرغ من وصيته لبنيه ضم رجله على السرير ، فيظهر أنه كان يوصي جالساً ورجلاه ممتدتان ، ولما فرغ ضم رجله وفاضت روحه فما أنها موت الأبرار . فبكاه يوسف وأمر الأطباء أن يحنطوا جثته فحنطوها .

وقد اعتاد المصريون تحنيط جثث الموتى من أقدم الأيام . ذلك دليل على تيقنهم حياة أخرى وقيامة الموتى . وكان لهم من التحنيط أساليب متنوعة يجرون منها على ما شاءه أهل الميت من النفقة . وأقل أنواعه نفقة إخراج الأحشاء والدماغ ووضعها في قار مغلي ، وحفظها في آنية من خزف أو غيره ، وتحفيف سائر الجسم بوضعه في التترون مدة متطاولة نحواً من أربعين أو سبعين يوماً . ثم لف الجسم بعصائب من كتان نقي ، وكثيراً ما توجد مكتوباً عليها أسماء الآلهة وآيات من السفر المعروف عندهم بسفر الموتى . وكانوا يضمون أيدي النساء على صدورهن وأيدي الرجال على جانبي جثتهم ، أو يضعون اليد اليسرى على كتف اليمنى . وكانت الخنافس رمزاً عندهم إلى عدم الموت ، فكانوا يضعون مثالها موضع القلب ويعتبرون القلب مقر الضمير ، فيكتبون على لفافته فقرة من الفصل الثلاثين من كتاب طريقة دفن الموتى هي : يا قلب يا قلب قد اتخذتك من أُمِّي وكنت قلبي ما حييت على الأرض ، فلا تكن شاهداً عليّ ولا تشكوني إلى رئيسي الإلهي ، ولا تثقل عليّ أمام الإله الأعظم » (رواه مسبرو في تاريخ شعوب المشرق صفحة ٤١) ذلك دليلاً على اعتقادهم الديونة .

وبعد إتمام التحنيط صعد يوسف ليدفن أباه ، وصحبه آله إلّا أطفالهم ، وجثم غفير من عبيد فرعون ، وشيوخ أرض مصر ومراكب وفرسان . فكان الموكب عظيماً جداً فأفوضوا إلى بيدر اطاو في عبر الأردن . وقال القديس إيرونيموس : إن موقع هذا البيدر في عبر الأردن الشرقي . ثم قال : إنه في عبره الغربي يبعد ثلاثة أميال عن أريحا وميلين عن الأردن نحو الغرب . ولعل القول الأول حرّفه النساخ ، أو ذكره هذا العلامة تبعاً لنص الكتاب . انه في عبر الاردن للقدام من مصر، إذ يكون قدومه من شرقي الاردن . وعبره في مغربه ولاسيما لأنه جعل موقع بيدر

أطاد في محل عين حجلة الآن (كاران مجلد ١ في السامرة صفحة ٥٣). وهو تجاه مخاضة حجلة في شمالي الخليل، فهناك أقام يوسف مع صحبه مناحة لأبيه، ولذلك سمي هذا المحل وقتئذ مناحة المصريين. ثم رفعوا جثة يعقوب إلى حبرون (الخليل)، ودفنوه في المغارة المضاعفة مع ابراهيم وسارة واسحق ورفقا ولية (راجع عد ١٦٣).

وخاف لإخوة يوسف أن يتذكر أخوهم بعد وفاة أبيهم مساءتهم إليه فيجزئهم عليها شراً. فأرسلوا يقولون له، إن أباه أوصى أن يغفر لاختوته، فبكى يوسف حين قيل له هذا الكلام. فجاء لإخوته ووقعوا بين يديه فقال: لا تخافوا هذه مشيئة الله ولاطفهم، وعاش يوسف بعد وفاة أبيه نحواً من أربع وخمسين سنة، لأن فرعون استوزره وعمره ثلاثون سنة، ومرت سبع سني الشبع، وستتان من المجاعة إلى انحدار يعقوب إلى مصر. وعاش يعقوب في مصر سبع عشرة سنة فمجموع هذه السنين ست وخمسين سنة. وأنبأنا الكتاب أن يوسف مات وله من العمر مئة وعشر سنين فيكون الباقي منها أربع وخمسون سنة. وقبل موته استحلف آلَه أن ينقلوا عظامه إلى أرض الموعد متى افتقدهم الله وأخرجهم من مصر. فحنطت جثته على عادة المصريين، ووضعت في تابوت حملوه معهم عند ارتحالهم من مصر إلى أرض كنعان. وجاء في سفر يشوع بن نون (ف ٢٤ ع ٣٢): إِنَّ «عظام يوسف التي أصعدها بنو إسرائيل من مصر، دفنوها في شكيم (نابلس) في قطعة الحقل الذي اشتراه يعقوب من بني حموير أبي شكيم بمئة نعجة (تك ف ٣٣ ع ١٩) وصار لبني يوسف ملكاً». وقال القديس إيرونيموس (في المباحث العبرانية في التكوين): إِنَّ مدفن يوسف كان يشاهد إلى أيامه في فلسطين. وقال العالم رونلدرسن إنه زار في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٨٦٨ م مدفن يوسف في نابلس أجمع السامريون واليهود والمسلمون والنصارى على أنه مدفن يوسف، وتلا هذا الجلالة الإنكليزية خطبة في هذا الشأن بحضرة أعضاء جمعية الآثار الكتابية في لوندرة في ٧ ك ٢ سنة ١٨٧٣ م، روى ذلك الأب فيكورو (الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ١٩٦) وقال: «يحتمل أن يكون يوسف دفن في هذا المحل ولكن في حجرة والأثر الذي يشاهد الآن حديث وقد زرتة في ٢٨ آذار سنة ١٨٨٨ م وعليه كتابة إنكليزية ناطقة بأن العالم روجه عني بمرمته».

لقد كانت المدة التي انقضت من إتيان ابراهيم إلى أرض كنعان إلى انحدار

يعقوب إلى مصر مئتين وخمس عشرة سنة ، لأن ابراهيم شخص إلى أرض كنعان وله من العمر خمس وسبعون سنة ، وولد اسحق وعمره مئة سنة أي لسنة ٢٥ من إتيانه إلى فلسطين . واسحق ولد يعقوب وعمره ستون سنة . ويعقوب انحدر إلى مصر وعمره مئة وثلاثون سنة كما رأيت ؛ فيكون المجموع ٢١٥ سنة .

الفصل الرابع

أخبار بني اسرائيل في مصر

عد ١٧٨

حالة بني اسرائيل أولاً في مصر واشتراكهم مع المصريين
في بعض غزواتهم

نما بنو إسرائيل كثيراً في أرض جاسان الخصبة. ولم يبرحوا متميزين عن المصريين في دينهم وأدبهم ولغتهم. ولم يكن المصريون يهرون التقرب إليهم لأنهم رعاة ورُحَّل. وقد رأيت أن الرعاة كانوا يحسبون في مصر أرجاساً، وتلك عناية صمدانية ندرك من غايتها محافظة بني إسرائيل على اعتقادهم وحدانية الله. وعلى التقليدات التي تلقوها من ابراهيم واسحق ويعقوب ويوسف، ووقايتهم من سريان عدوى عقائد المصريين إليهم. على انه وإن كان للفراعنة الولاية العليا عليهم فكان لهم شيوخ يلون امرهم، فكان كل سبط يقسم إلى أسر، ولكل أسرة شيخ ولشيوخ كل سبط رئيس يسميه المصريون هاك (والياً أو رئيساً). ويرأس هؤلاء عمال يسميهم المصريون سكوتريم (كتبة). تختارهم الحكومة من بني إسرائيل وهم المواخذون أمام الحكومة بتنفيذ أوامرها، وأداء التكاليف المفروضة على بني إسرائيل. فكان لإقامة بني إسرائيل في مصر وجهان نافع وضار. فالنافع قربهم من شعب

فاقهم حضارة، وتمدناً، فاقبسوا منه بعض الصنائع، وأخذوا عنه عيشة الحضارة بدلاً من البدو. والضر تشوش بعض تقليداتهم وآدابهم وبعض الخلل في عبادة الآله الحق، ولذلك شاء الله إخراجهم من مصر.

قد حصلت ثورات عديدة في مدة إقامة بني إسرائيل في مصر منها طرد الملوك الرعاة، وعود البلاد إلى إستقلالها ومجدها كما رأيت في تاريخ الحثيين. ويظهر أن الملوك الوطنيين بعد الرعاة رفقوا ببني إسرائيل ولم يعتنوهم. وإن رجال هولاء كانوا من جنود الفراعنة في حملاتهم على آسيا، وحاولوا منذ ذلك العصر الإقامة في أرض موعدهم فلم تيسر لهم. وجاء في سفر أخبار الأيام الأول (ف ٧ ع ٢٠) أن أبناء ابراهيم بن يوسف نزلوا إلى جت (مدينة الفلسطينيين) ذكرين الآن ليأخذوا ماشيتهم فقتلهم رجال جت. وذكروا أن ابنة من ذرية أفرايم بنت مدناً في بلاد كنعان، وأن بعض بني سبلا بن يهوذا استحوذوا على بعض مدن الموابين؛ هذا ملخص ما رواه لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه الشرقي صفحة ١٩٥). وقد طالعت في هذه الأيام مقالة أثبتها الأب دي مور L'Abbé de Moor في المجلة الكتابية Revue Biblique في عددها الثالث الصادر في تموز سنة ١٨٩٢م معنونة: «العبرانيون في فلسطين قبل الخروج» وموضوعها الكلام في صفائح مسمارية كشف عنها سنة ١٨٨٧م في تل الامرنا بما بين النهرين، ذكرت فيها أسماء أورشليم واليهود بين أسماء الشعوب سكان فلسطين الذين انتصر عليهم أمانوفيس الرابع أحد فراعنة الدولة الثامنة عشرة بعد طرد الرعاة من مصر، وقبل خروج بني إسرائيل منها بزهاء مئة وخمسين سنة. فارتبك العلماء في مغزى هذه الصفائح، وفي التوفيق بين ما كتب وآيات الكتاب وآثار أخرى. فبذل الأب دي مور قصارى جهده ليثبت أن هولاء اليهود الذين أبان الأثر الجديد إقامتهم في فلسطين قبل الخروج قد رافقوا الملوك الرعاة عندما طردهم المصريون، فأقاموا في فلسطين وأورشليم خاصة وملكوا فيها. وأيد قوله هذا بحجج؛ منها قول مانيتون أبي التاريخ المصري إن الرعاة بنوا أورشليم أي رفقاء الرعاة ومنها أقوال أخرى لمانيتون أيضاً سمي بها الرعاة أورشليميين أو أراد العبرانيين الأورشليميين. ومنها أنه وجد في جريدة أسماء الشعوب الذين قهرهم تحوتمس الثالث أسماء يعقوبال ويوسفال أي بني يعقوب وبني يوسف، وهذه الجريدة منقوشة على جدار الكرنك يحدد بها تحوتمس الشعوب الذين قهرهم بعد موقعة مجدو (راجع عد ٦٢). ومن حججه أيضاً ما كتب على

صفائح تل الامرنا المبحوث فيها، وأقوى حججه آية سفر أخبار الأيام الأول (ف ٧ ع ٢٠ وما يليه):

« وبنو أفرائيم شوتالح... وعاز والعاد فقتلهم رجال جث المولدون في الأرض لأنهم نزلوا ليأخذوا ماشيتهم، ففاح أفرائيم أبوهم أياماً كثيرة وأقبل لإخوته ليعزوه». ولا مرية أن افرائيم هو ابن يوسف، وجث هي مدينة فلسطين المشهورة. وخروج بني اسرائيل من مصر كان لسنين متطاولة بعد وفاة أفرائيم بن يوسف فلا مخرج لهذه الآية التي أعياء العلماء تفسيرها إلا بأن يقال إن بعض العبرانيين حاربوا مع الرعاة لقربهم منهم موطناً في سورية وفلسطين. وخرجوا معهم عند خروجهم من مصر فأقاموا في اليهودية؛ هذا خلاصة ما جاء به الأب دي مور في مقالته.

عد ١٧٩

بدء اضطهاد بني إسرائيل في مصر

قال الكتاب (في الفصل الأول من سفر الخروج عد ٦ وما يليه): «ومات يوسف وجميع إخوته وسائر ذلك الجيل ونما بنو إسرائيل وتوالدوا، وكثروا وعظموا جداً جداً وامتألت الأرض منهم. وقام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف، فقال لشعبه ان شعب بني إسرائيل أكثر وأعظم منا تعالوا نحتال عليهم كي لا يكثروا، فيكون أنهم إذا وقعت حرب ينضمون إلى أعدائنا ويحاربونا. ويخرجون من الأرض. فأقاموا عليهم وكلاء تسخير لكي يعنتوهم بأثقالهم. فبنوا لفرعون مدينتي خزن وهما فيثوم ورعمسيس، غير أنهم كانوا كلما أذلّوهم يبنون ويمتدون حتى تخوفوا من قبل بني إسرائيل، فاستخدم المصريون بني إسرائيل بقسوة ونغصوا حياتهم بخدمة شاقة بالطين واللبن وسائر أعمال الأرض».

وقد جاءت الآثار المصرية مصداقاً لأي الكتاب هذه فقد وجدت على مدافن مصرية صور عديدة تمثل أسرى ساميين يعملون بالطين واللبن. وبينون الأسوار تحت امرة عمال مصريين بيد كل منهم سوط أو عصا طويلة، حتى أن الناظر إلى تلك الصور يقضي لأول وهلة أن ما تلك الصور إلا بمثابة لما رواه الكتاب من استعباد المصريين لبني إسرائيل، وسنذكر إحدى هذه الصور في العدد ١٨٢. أجمع أهل العلم بالآثار المصرية أن خروج بني إسرائيل من مصر كان في عهد



صورة عن مدافن بني حسن في مصر تمثل هيئة الضرب بالعصا

الدولة التاسعة عشرة. وقال بعضهم ومنهم مسيرو (في تاريخ شعوب المشرق):
لأنهم خرجوا في عهد ساتي الثاني أحد فراعنة هذه الدولة. وقال ليسيوس ودي
روجه وشباس ولازمان وسائس وبروغش وإبار، وتابعهم في قولهم أكثر أهل
العلم بهذا الفن في إفرنسة وإنكلترا وألمانيا: ان خروج بني إسرائيل كان في عهد
منفتح الأول ابن رعمسيس الثاني، وعليه فرعمسيس هذا هو الذي شرع
يضطهد بني إسرائيل، وأثقلهم ببناء المدينتين اللتين سميت إحداهما رعمسيس
باسمه. كما سميت الاسكندرية باسم اسكندر وقسطنطينية باسم قسطنطين.

وأنبأتنا الخطوط الهيروغليفية أن رعمسيس الثاني إنما هو باني هذه المدينة،
وقد حققته خاصة اكتشافات أدوار نافيل في فيتوم مدينة رعمسيس الأخرى،
حيث كشف عن آثار عديدة لا تدع محلاً للامتراء في أن المدينتين بنيتا بأمر

رعمسيس، لأن اسم رعمسيس على كثير من هذه الآثار، ومن جعلتها تمثال رعمسيس نفسه مكتوباً عليه اسمه ست مرات وهو الآن في جنة الإسماعيلية. ثم أنك تجد على مقربة من تل المسقوفة (حيث كان موقع فيتوم) صخراً كبيراً من الحجر المحجب (غرائيت) رسمت عليه صورة ملك جالس بين إلهين فهذا الملك هو رعمسيس الثاني. وقد نقش اسمه مكرراً على هذا الصخر والالهان بجانبه هما توم ورع. وقد مرّ (في عد ١٧٦) إن فيتوم أو بيتوم تأويلها بيت الاله توم أو معبده مركبة من نبي أو في بيت وتوم اسم الإله. ويراد به عندهم الشمس عند غروبها، ورع أو أمون رع يريدون به الشمس وقت خفائها. وحول هذا الصخر أخربة كثيرة وكبيرة وهي بقايا لبن مصنوع من وحول النيل يخالطها التبن. وكانت أسوار مدينة بيتوم مبنية بها حتى يمكن أن يثبت أن بعض بقايا هذا اللبن هي من عمل بني اسرائيل (طالع العدد ١٨٢).

قد وجد في منف باير حُطّ في عهد رعمسيس الثاني وهو الآن في متحف لايد (في هولندا) ترجمه العالم شباس، فإذا به بينتان قاطعتان لصحة ما جاء في الكتاب من أعنات بني إسرائيل وتسخيرهم بأبنية رعمسيس. وإليك البينة الأولى فمن مآل هذا الباير أن الكاتب كويسر يجيب رئيسه الكاتب (كان العمال يسمون كتبة) بكفتاح عن شيء أمره به فيقول «إسترضاء لسيدي أتممت أمره الذي أنفذه إليّ قائلاً أعط الجنود قوتهم، وأعط أيضاً العبريو (العبرانيين) الذين ينقلون الحجارة لبناء البكهان (المخازن أو الحصون العسكرية) الكبيرة للملك رعمسيس مريمان خليل العدل (العبرانيين) الذين وكل أمرهم إلى رئيس المدجاو (رجال الشحنة والضابطة) عميمان. فأنا أجريت عليهم رزقهم في كل شهر بمقتضى الأوامر السامية التي أنفدها سيدي إليّ». والبينة الثانية هي رسالة أخرى كتبها الكاتب كنيامن إلى رئيسه كجاناهوي من المقربين إلى رعمسيس الثاني فقال: «أطعت ما أمرني به سيدي قائلاً: أعط الجنود أرزاقهم والعبريو أيضاً الذين ينقلون الحجارة لشمس الشمس (أي هيكل الشمس) الذي انصرفت إليه عناية رعمسيس مريمان في جنوب منف». فالبينتان قاطعتان خاصة إذا راعينا أن بني إسرائيل كانوا يعرفون في مصر باسم عبرانيين. ونرى فرعون نفسه يسميهم بهذا الاسم لأنه قال للقابلتين: «إذا استولدتما العبرانيات». وموسى نفسه قال: «وكلم ملك مصر قابلتي العبرانيات» (خروج ف ١ ع ١٥ و ١٦).

ولما رأى رعمسيس أن أعنات العبرانيين وأثقالهم بالأشغال الشاقة لا ينوله مآربه من انقاص عددهم. عمد إلى ذريعة أخرى بأن أمر قابليتي العبرانيات أن تقتلا كل ذكر يولد لهن. فاتقت القابلتان الله ولم تفعلوا، واحتجنا بأن العبرانيات قويات يلدن قبل أن تدخل القابلة عليهن، فبارك الله القابلتين وعمر بيوتهما. فاستشاط رعمسيس غضباً فأمر جميع شعبه أمراً فظيماً أن يطرحوا في النهر كل ذكر يولد للعبرانيين. ولم يكن الفراعنة يقدرون حياة الإنسان حق قدرها، تبنينا بذلك ألوف الرجال الذين كانوا يهلكونهم في بناء آثارهم وغيرها. على أن أمر فرعون هذا لم ينفذ إلا في مدة وجيزة. لأننا نرى عدد بني إسرائيل بعده بثمانين سنة قد اتصل إلى ستمائة ألف مقاتل عند خروجهم من مصر. وقد مرّ في كلامنا على الحثيين أن رعمسيس هذا غشى سورية بعساكره مرتين لمحاربة الحثيين والكنعانيين ونقش صورته ظافراً على صخر في جانب نهر الكلب.

عد ١٨٠

مولد موسى ومنشأه في بيت فرعون وفراره من مصر

وكان أن رجلاً من سبط لاوي يسمى عمران أو عيرام تزوج بابنة من قرائبه اللاويات اسمها يوكابد، وسماها يوسفوس (في تاريخ اليهود) يوكايل وابن الأثير يوحانز. فولدت له أولاً بنتاً سمّتها مريم. ثم ابناً سمّته هرون. ثم (ابناً آخر رآته حسناً وخافت عليه نفوذ أمر فرعون به فاحتفظته ثلاثة أشهر. ولما لم تستطع أن تخفيه بعدما أخذت له سغطاً من بردي. وطلته بالحر والزفت وجعلت الولد فيه، ووضعت بين الخيزران على حافة النهر. ووقفت أخته من بعيد لتنظر ما يقع له فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل. وكانت جواربها سائرات على شاطئ النهر فرأت السفط بين الخيزران فأرسلت امتها فأخذته. ولما فتحت رأت فيه صبياً يبكي فرقت له وقالت هذا من أولاد العبرانيين. وروى يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ٢ ف ٥) أن ابنة فرعون هذه كان اسمها ترموتيس. وذكرت الآثار المصرية لرعمسيس امرأة سمّتها ترموت أو ترموت وتأويل هذا الاسم « محبوبة الآله موت ». وروى يوسفوس ثمة أيضاً أن ابنة فرعون استدعت كثيراً من الممرضات فلم يأخذ الطفل ثدي إحداهن. فقالت حينئذ مريم أخته لابنة فرعون لا يأخذ الطفل ثدي ظفر من

غير امه فان أمرت أتيتك بمرضع عبرانية فقالت إليّ بها . فأسرعت الفتاة فدعت أم الصبي فقالت لها إبنة فرعون خذي هذا الصبي وارضعيه، وأنا أعطيك أجرتك. فأخذته وأرضعته مع الحليب حب الإله الحق، والغيرة على بني قبيلته، وحفظ التقليدات العبرانية . ولما كبر جاءت به إبنة فرعون فاتخذته ابناً لها، وسمته موسى وقالت: لأنني انتشلته من الماء فمعنى الكلمة النشيل لأن لفظة مو في المصرية معناها الماء وإيزاس أو ساس معناها نشل.

لم يثبتنا الكتاب شيئاً مما كان لموسى في بيت فرعون. على أن التقليدات اليهودية التي رواها يوسفوس (في الفصل الآنف ذكره) تؤذن بأن ابنة فرعون أقامت عليه أساتذة من الكهنة يفقهونه علوم المصريين. وعنت بأن تنكبه حسد الكهنة والمنجمين الذين كانوا يتوسمون فيه ذكاء سامياً، ويخشون ما يكون في مقبل أمره ويجعلون الملك واجساً منه. ومن أقاصيصهم أن موسى سلمت إليه قيادة الجيوش في حملة على الحبشة ولهم في ظفره فيها وفي تزوجه بترييس بنت ملك الحبشة حكايات لا تصدّق فنضرب عنها.

إن رفاه عيش موسى وعزازه في بيت فرعون لم ينسيه الضيق الملم بشعبه. فكان يكثر التردد بين أظهرهم معزياً ومشجعاً لهم. وخرج يوماً إلى إخوته فإذا بمصري يضرب عبرانياً فلم يتمالك موسى عن أن يثب على المصري ويقتله ويطمره في الرمل. وخرج في اليوم التالي، فإذا بعبرانيين يتضاربان فقال للمعتدي لِمَ تضرب قريبك؟ فقال: من أقامك رئيساً وحاكماً علينا؟ أتريد أن تقتلني كما قتلت المصري؟ فخاف موسى وعلم أن الخبر قد ذاع، وأن فرعون يريد قتله مدفوعاً إلى ذلك بحسد المصريين له، فهرب موسى من وجه فرعون.

عد ١٨١

إقامة موسى في بلاد مدين وزواجه فيها وعوده إلى مصر

قد فرّ موسى إلى أرض مدين وهي من بلاد العرب في شرقي البحر الأحمر. وقد مر بك عند كلامنا في ولد ابراهيم من قطورة أن هؤلاء المدينين الذين لجأ موسى إليهم هم كوشيون أصلاً. وغير المدينين ولد مدين ابن ابراهيم من قطورة الذين كانت مساكنهم في شرقي البحر الميت. وإن بعض العلماء يرى أن للشعبيين

أصلاً واحداً. وأنبأنا الكتاب (خروج ف ٢) أن موسى قعد عند بئر في أرض مدين فجاءت بنات رعوثيل كاهن مدين الذي يسميه الكتاب يثرو أو يثرون أيضاً ويسميه العلماء العرب شعيب. فاستقين وملأن المساقى ليسقين غنم أبيهن فطردهن الرعاة فانتصر لهن موسى، وسقى غنم أبيهن، فأخبرن أباهن بما فعله الرجل ليهن فاستدعاه وشكر له وأكرم مثواه. ورغب إليه أن يقيم عنده فارتضى موسى، ووكل إليه يثرون العناية بماشيته، وزوجه صفورة ابنته فولدت لموسى ابناً سماه جرشوم : وقال: كنت نزيراً في أرض غريبة فتأويله الغريب أو النزير. ثم ولدت له ابناً ثانياً سماه اليعازر وقال: إن اله ابي ناصري أنقذني من يد فرعون. فتأويله عون الرب أو إنجاده.

إن موسى أقام في أرض مدين أربعين سنة وكان عمره إذ هرب إليها أربعين سنة، وقام على قيادة بني إسرائيل أربعين سنة فجملة سني عمره مئة وعشرون سنة، كما جاء في الفصل الأخير من سفر التثنية، وعليه فما جاء في الفصل الثالث من سفر الخروج من تعلي ملاك الرب له في جبل حوريب بلهيب نار في وسط العليقة كان في السنة الثمانين من عمره والأخيرة من سني إقامته في أرض مدين، لأن موسى هم بالعود إلى مصر بعد هذه الرؤيا التي افتتح الله بها رسالته إلى فرعون ليطلق الشعب إذ جاء في الكتاب: إن موسى مال لينظر ما بال العليقة تتوقد بالنار ولا تحترق. فناده ملاك الرب من وسط العليقة قائلاً:

«إخلع نعليك من رجليك فإن الموضع الذي أنت قائم فيه أرض مقدسة». وكان خلع النعلين في المشرق خاصة دليلاً على الإحترام والتهيب. وناجاه الرب قائلاً: أنا إله أبائك ابراهيم واسحق ويعقوب، وقد نظرت إلى مذلة شعبي في مصر، فالآن تعال أبعثك إلى فرعون، وأخرج شعبي من مصر فقال له موسى: من أنا حتى أمضي إلى فرعون وأخرج بني إسرائيل من مصر. فقال له الرب: أنا أكون معك. فقال له موسى: ها أنا سائر إليهم وقائل لهم إن إله آبائكم بعثني إليكم؛ فإن قالوا لي ما اسمه؟ فماذا أقول لهم؟ فقال له الرب: أنا هو الذي هو أنا الكائن أي أنا القيوم أنا هو الأزلي والأبدي، أنا هو الذي لا يتغير بل هو دائماً هو. فقال موسى: لا يفهم هذا بل يقولون لي لم يتجل لك الرب؟ وكأنه يطلب من الرب آية فقال له الرب: ما تلك التي بيدك؟ قال: عصا. قال: ألقيها على الأرض فألقاها، فصارت حية فهرب موسى من وجهها، فقال له الرب: أمدد يدك وأمسك بذنبها

ففعل، فعادت عصا في يده. ثم قال له أدخل يدك في جيبك فادخلها وأخرجها فإذا يده برصاء كالثلج. فقال له: ارددها إلى جيبك. فردّها وأخرجها فعادت كسائر بدنه فصدق موسى قوة الله، واستمر متردداً بقوة نفسه فقال: رحماك يا رب إني بطيء النطق وثقيل اللسان. فقال له الرب: من الذي خلق للإنسان فماً، ومن الذي خلق الأخرس والأصم، والبصير والأعمى أليس إياي أنا الرب؟. والآن فامضْ فإنني أكون مع فيك وأعلمك ما تتكلم به. فقال: رحماك يا رب إبعث من أنت باعته فاتقد غضب الرب على موسى واسمعه أن أخاه هرون يكون معه. وهو يخاطب الشعب عنه وأمره أن يأخذ بيده العصا التي صارت حية فمضى موسى ورجع إلى يثرو حبيه، وأعلمه بانطلاقه إلى إخوته، فشيعه بالسلام. فأخذ موسى امرأته وولديه، وأركبهم الحمير كعادة المصريين إلى اليوم. ولما كان في الطريق في المبيت التقاه ملاك الرب وأراد قتله. فأخذت صفورة صوانة فقطعت قلعة ابنها ومست رجله وقالت: أنت لي عروس دم فكف عنه عندما قالت عروس دم من أجل الختان. لا تخلو آيات الكتاب هذه من غموض، وكثرت الأقوال في تفسيرها. وأظهرها أن الملاك أراد قتل موسى لخالفته السئة بترك ختان ابنه اليعازر لأن ابنه الأكبر جرشوم كان اختتن. وعرفت صفورة امرأة موسى علة لإرادة الملاك إهلاكه. فأخذت الصوانة وختنت ابنها والضمير في رجله من قوله: مست رجله عائد إلى موسى على الأظهر لا إلى ابنها فمست رجله موسى وقالت: أنت لي عروس دم. كأنها تقول: إن الملاك كان يريد قتلك فاستحييتك بختان ابنك فكأنك لي عروس جديد بالدم الذي وفيتك به الهلكة. وكف الملك عنه بعد الختان، فظهر أن ترك الختان كان علة لطلب اغتياله. والتقى هرون موسى في البرية فقصّ موسى عليه جميع كلام الرب الذي بعثه به. وأخبره بالآيات التي أمره بها. ومضيا إلى مصر فجمعاً شيوخ بني إسرائيل كلّهم. وخاطبهم هرون بما كلم الرب به موسى، وصنع الآيات على عيون الشعب فخروا وسجدوا شاكرين لأن الرب افتقدهم.

عد ١٨٢

مخاطبة موسى وهرون فرعون ليطلق بني إسرائيل وما كان من قسوته
قد مرّ بك أن فرعون الذي كان يلي مصر لدن عود موسى من مدين إثما هو
منفتح ثالث عشر أبناء رعمسيس. فقد كتب على جدار هيكل صيوا أنه كان

لرعمسيس مئة وأحد عشر ولداً، فمات في أيامه الإثنا عشر الأولون، وخلفه منفتاح. والبايرت الكاتنة الآن في متاحف لندرة وبولنية وتورينو، وقد خطت في عهد منفتاح هذا أنبأنا أنه كان يقيم في مصر السفلى أي في منف وهليبولي (المعروفة اليوم بالمطرية). ورعمسيس مدينة أبيه (تل المسقوطة) وتانيس (صان في قرب الزقازيق). وهذه المدن مجاورة أرض جاسان أو واقعة فيها. وفي الأخيرة منها أي في تانيس كان يحاول مقاومة إرادة الله بإطلاق شعبه. وما في هذه البايرت يطابق ما رواه موسى مكاناً وزماناً. ويتبين منها أن منفتاح كان قاسياً فظاً يعتمد على السحرة كما جاء في سفر الخروج. وكان الليبيون وثبوا على تخوم مصر الغربية في عهد رعمسيس الثاني فانتصر عليهم، وبدد شملهم فتألبوا بعد موته مع سكان جزر البحر المتوسط وبعض آسيا الصغرى. ويظهر أن بعض السوريين شايعهم، فوثبوا على شمالي مصر بحرراً وبراً فروعوا المصريين ولكن استظهر عليهم منفتاح وأخذ منهم ٩٣٧٦ أسيراً.

وفصلت ذلك خطوط نقشت على جدار مدينة أبو هيكل الكرنك. ونهت هذه الأحداث منفتاح إلى زيادة الحذر من الأجانب، ولا سيما من توطنوا في شمالي مصر الشرقي أي العبرانيين خشية أن ينشعوا شعباً في مملكته أو يضافروا من غزاها. وقد كتب هذا الملك على هيكل الكرنك ما يشير إلى ذلك وهو: «إن هذه الأماكن أو أحدها لم تكن تحترق بل تركت مرعى للماشية من جرى البرابرة (الأثر محطم فلم تكن وسيلة لتعيين المحل). وقد تواتر السطو في هذا المكان منذ عهد السلف لما كان ملوك مصر العليا رقاداً في ظلال آثارهم. وكان ملوك مصر السفلى ينعمون في مدنهاهم تحديق بهم مواطن العثو والفساد، ولم يكن لجنودهم من منجد لكبت أولئك». روى ذلك شباس (في كتابه الموسوم بدرس القدم التاريخي صفحة ٢٠٤) وقال: إن هذا الكلام مؤذن بارتباك منفتاح من جرى ترايد عدد العبرانيين في عمل من بلاده كثر فيه من أقدم الأيام السطو، والعثو حتى لم تكن أرضه تحترق لعدم الأمن على استغلالها من مهاجمات العرب وغيرهم، فكيف أن عظم فيه عداد أجنيين واشتد ساعدتهم فلا منجاة منهم ألا يذلالهم وتقليل عديدهم ما أمكن. فرأف الله بشعبه وبعث موسى وهرون إلى هذا الملك ليطلباً إطلاق بني إسرائيل.

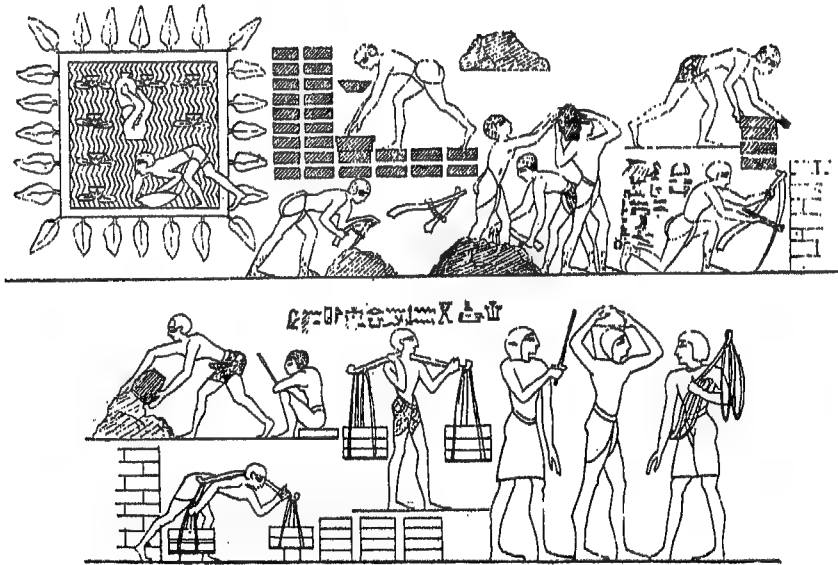
قال الكتاب (خروج ف ٥ ع ١ وما يليه): «دخل موسى وهارون وقالوا

لفرعون: كذا قال الرب إله إسرائيل أطلق شعبي لكي يعيدوا لي في البرية. فقال فرعون: من هو الرب فأسمع لقوله وأطلق إسرائيل... وأمر فرعون في ذلك اليوم مسخري الشعب ومدبريهم قائلاً: لا تعطوا الشعب تبناً بعد ليصنعوا اللبن مثل أمس، فما قبل، بل ليذهبوا هم، وجمعوا لهم تبناً ومقدار اللبن الذي كانوا يصنعونه أمس، فما قبل فرفضوه عليهم ولا تنقصوا منه شيئاً... ليثقل العمل على الشعب فيشتغلوا به ولا يلتفتوا إلى كلام الكذب. فخرج مسخرو الشعب ومدبروهم وخاطبوا الشعب قائلين كما قال فرعون:، فتفرق الشعب في جميع أرض مصر ليجمعوا جذامة عوض التبن. والمسخرون يلحون عليهم قائلين أكملوا أعمالكم فريضة كل يوم في يومها كما كان وقت إعطاء التبن، وضرب مدبرو بني إسرائيل الذين ولّاهم عليهم مسخرو فرعون: إن الجذامة من الزرع هي ما بقي بعد الحصاد كما في كتب اللغة والكلمة في العبرانية قش، وفي النسخة السريانية **معاً واحداً** وقد ارتبك العلماء في تفسيرها فقد ترجمها بعضهم بالجذامة، كما روينا عن نسخة الآباء اليسوعيين المطبوعة في بيروت. ويظهر أنه اعتاص على القديس ابرونيموس لدى ترجمته سفر الخروج من العبرانية فهم المقصود بكلمة قش فلم يترجم الآية كلمة فكلمة بل اقتصر على قوله: «تفرق الشعب في أرض مصر كلّها يجمع التبن». والتوى على كلمت أيضاً تفسير الآية فقال: «تفرق الشعب لجمع العصيفة أي التبن الدقيق المهمل في الحقل بدلاً من التبن الذي كانوا يعطونه قبلاً». وقرائن كلام الكتاب تقضي بأن يكون ما جمعه بنو إسرائيل غير التبن المعتاد، على أن الإكتشافات المصرية أبانت لنا أن كلمة قش التي ذكرها موسى في هذه الآية إنما هي مصرية، يراد بها نبات يكثر وجوده على شواطئ النيل والأقنية المتفرعة عنه، ويترجح أنه البرديّ الذي تعمل منه الحصر أو ما تسميه عامتنا السعد. فقد وجد العالم نافيل صاحب إكتشافات تل المسقوطة في أرض جاسان ما لا يقدر من هذا اللبن وحلل كثيراً منه، فوجد بعضه يخالطه عصيفة من البرديّ، وبعضه مخلوطاً بالتبن مصنوعاً من وحول النيل ليس إلّا. وإليك قوله في خطبته التي قدمها سنة ١٨٨٣م. في المجتمع الأول العام في شأن الإكتشافات المصرية.

«إن قسماً من هذا اللبن يخالطه التبن أو أفلاذ من البرديّ (أو القصب المراد به كل نبات أصله أنابيب)، وآثارها بيّنة وقسماً آخر منه مصطنع من وحول النيل وحدها لا يرى أثراً للتبن فيه». وقد لاحظ الدكتور لبيسوس أن اللبن الذي وجد في

تل المسقوطة وقد كان مبنياً فيه سور مدينة رعمسيس القديمة يخالطه تبن مجذوم. ونقل بعضه إلى متحف برلين، وقاسه فكان طول كل لبنة منه ٤٤ وعرضها ٢٤ سنتيمتراً وثخانتها ١٢ سنتيمتراً. وقد اكتشفت شركة قناة السويس هناك طبقة من التراب المعدّ لاصطناع اللبن واصطنعت منها آجرًا جديدًا كما ذكر فرديناند دي لاسبس في خطبته في نانت التي طبعت في باريس سنة ١٨٦٧م حيث قال: «إنَّ يعقوب أقام في الوادي حيث كشفنا عن القناة القديمة المتفرعة من النيل، وهناك وجدت أخربة رعمسيس (المسقوطة) المدينة التي ذكرها الكتاب. وحيث كان العبرانيون يصنعون اللبن الشهير فشركة القناة البحرية وجدت عند حفرها في رعمسيس طبقات من التراب الذي كان العبرانيون يعملون منه لبنهم فصنعت منه الشركة لبنًا بنت به الإسماعيلية».

وقد وجدت صورة في القرنة بجانب تاب (طيبة) على مدفن رجل يسمى



صورة عن مدفن رخمارا أحد عمال تحوتس الثالث في القرنة بجانب تاب
تمثل أسرى في مصر يصنعون اللبن

رخماراً أحد عمال تحوتمس الثالث، تمثل أكمل تمثيل ما جاء في سفر الخروج عن التسخير بصنع اللبن. فتزى في هذه الصورة هيئة رجال غير مصريين يميزهم لونهم عن الوطنيين، والتقليد موضح بأنهم أسرى أخذهم الملك لبناء هيكل أبيه عمون. وترى من هؤلاء الأجانب من يحفر التراب بالمعاول ومن يدلي الماء، وغيرهم يعجن الطين، وغيرهم ينقله قبل اصطناعه، وبعضهم يضغظه بملمز من حشب، وبعض الأسرى يحملون اللبن على عواتقهم، وبعضهم ينقلونه إلى محل بناء الهيكل. ويبد بعض المصريين عصي وهم يعتنون العملة بقسوة لإتمام ما فرض عليهم. وقد رأى كثير من أهل العلم بالآثار المصرية منهم روزاليني (في كتابه في آثار مصر والنوبة مجلد ٢ صفحة ٢٥٤): أن هذه الصورة تمثل بني إسرائيل مسخرين بعمل اللبن. وإليك مثلاً من هذه الصورة.

عد ١٨٣

ضربات مصر^(١) وهي آيات الله فيها على يد موسى وهرون

قد أمر الله موسى وهرون أن يعودا إلى فرعون، فعادا ومعهما العصا التي صارت ثعباناً في حوريب. فدخلوا على فرعون فلم يعجب لحمل هرون عصا إذ كانت عادة الكهنة والأعيان في مصر أن يحملوا في أيديهم عصا. وكثيراً ما ترى صوراً لكهنة وأعيان ويدهم عصي. وقد توفّر في متاحف أوروبا عدد هذه العصي القديمة من أخشاب متنوعة وأكثرها من الأكاسيا. فطلب فرعون منهما آية يثبتان بها قوّة الإله الذي أرسلهما. «فألقي هرون عصاه بين يدي فرعون وعبيده فصارت ثعباناً، فدعا فرعون أيضاً الحكماء والعزّافين، فصنع سحرة مصر كذلك بسحرهم. ألقي كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين. فابتلعت عصا هرون عصيهم» (خروج ف ٧) بياناً لعظمة إله إسرائيل. وقد حفظ التقليد إسمي ساحرين من سحرة فرعون. هؤلاء ذكرهما بولس الرسول (في رسالته ٢ إلى تيموتاوس ف ٣ ع ٨): وهما «ياناس ويمبراس». وعسى الإكتشافات تأتيها يوماً باسمهما. وقد اشتهرت مصر في كلّ عصر بسحرتها وعزّافيهها. وكان من عادة الفراعنة

(١) أسماها ابن خلدون الجوائح جمع جائحة وهي الشدة والنازلة العظيمة.

أن يستدعوهم إليهم. في كل أمر خطير كما نرى فرعون في عصر يوسف استقدمهم لتعبير أحلامه. وقد رأى أكثر القدماء من مفسري الكتاب أن صيرورة عصي سحرة فرعون ثعابين كانت تخيلاً لا حقيقة. ونسبوا ذلك إلى قوة إبليس إذ جعل أعين الناظرين ترى عصي السحرة بهيئة حيات. وأما الآن فأكثر المفسرين على إعزاء ذلك إلى صناعة الرقية التي كانت معروفة من أقدم الأيام في مصر. ولا نحتاج في بلادنا إلى شرحها إذ قل بيننا من لم يتفق له أن يرى أحداً من هؤلاء الراقين يحملون الحيات على أعناقهم وأيديهم. ويلعبون بها كيف شاءوا ويستخرجونها من خباياها بالصفير والتلفظ ببعض كلمات. وقد جاء ذكر الرقية مكرراً في الكتاب منه (في مزمور ٥٧ ع ٥): «لهم سم كسم الحية الأفعى الصماء التي تسد أذنها فلا تسمع صوت الحواة ولا رقي راقٍ ماهر». ومنه (في نبوة إرميا ف ٨ ع ١٧): «هأنذا أبعث فيكم حيات أراقم لا تُرقى فتلدغكم يقول الرب». وذكر الرقية من القدماء استرابون (ف ١٧) وبلين (في التاريخ الطبيعي ف ٧) وغيرهما. فعلى رأي القدماء أنه خيل إلى الناظرين بفعل إبليس أن عصيهم تسعى. وجاء في القرآن: «إذا حبالهم وعصيهم يخيل إليهم من سحرهم أنها تسعى». وعلى رأي المتأخرين أن السحرة كانوا أعدوا حيات وأرسلوها بدل عصيهم في مجلس فرعون فسعت لكن ابتلعتها عصا هرون بياناً لعظمة إله إسرائيل ومع ذلك تقسى قلب فرعون ولم يسمع لموسى وهرون.

فأمر الله موسى أن يمضي بالغداة إلى فرعون على شاطئ النهر ويده العصا التي انقلبت حية وأن يضرب بها ماء النهر فينقلب دماً. فصنع كذلك موسى وهرون «رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر على مشهد فرعون وجميع عبيده، فانقلب جميع الماء الذي في النهر دماً والسماك الذي في النهر مات وأتت النهر، ولم يستطع المصريون أن يشربوا من ماء النهر وصار الدم في جميع أرض مصر... وحفر جميع المصريين حوالي النهر ليشربوا ماء» (خروج ف ٧ ع ٢٠ وما يليه). وهذه الضربة الأولى من الضربات العشر الآتي ذكرها وما نلاحظه فيها أنها إذا اعتبرت بنفسها مجردة عن ظروفها وقرائن حدثها كانت طبيعية. وإذا اعتبرت بظروف مكانها وزمانها وإنزالها بكلمة وانقضائها بكلمة إلى غير ذلك من القرائن الملازمة لها كانت آيات ومعجزات حقة. فاحمرار ماء النيل مثلاً يحصل في كل سنة في شهر تموز عند بدء فيضان مائه لما يمازجه من الوحول لكن انقلابه دماً في غير وقت فيضانه (لأن الظاهر

من الكتاب أن تلك النعمة كانت في أواسط شباط)، وبضربة عصا وموت السمك فيه ونباتة النهر، وامتداد ذلك إلى أحواض المصريين، وآنية استقائهم وعدم سريان ذلك إلى جاسان حيث مساكن العبرانيين؛ ذلك كله آية لا يقدر عليها إلا من هو على كل شيء قدير. وكذا قل في آيات الضفادع والجراد، والبرد إلى غيرها فتلك المصائب يكثر نزولها في مصر على أن نزولها بمجرد كلمة يتلفظ بها موسى وفي غير حينها المعتاد ووفرته الخارقة العادة، وانكفافها من فور أمر موسى إن ذلك إلا آية معجزة. وكثيراً ما تستند عناية الله في صنع المعجزات إلى الفواعل الطبيعية معظمة قواها ومبرزة أفعالها في غير حينها، وهذا لا يخرجها من حيز المعجزات.

الضربة الثانية بالضفادع فقد جاء في سفر الخروج (ف ٨): إن الرب أمر موسى أن يدخل إلى فرعون طالباً إطلاق الشعب، وإذا أبى ضرب تخوم مصر كلها بالضفادع فتقسي قلب فرعون. فمد هرون يده على مياه مصر فصعدت الضفادع وغطت أرض مصر، وانتشرت في البيوت والمخادع وعلى الأسرة والناس، وفي التناير والمعاجن. فدعا فرعون موسى وهرون وقال: إشفعا إلى الرب أن يرفع الضفادع عني وعن شعبي حتى أطلق الشعب. فقال له موسى: اقترح علي متى تشاء أن تشفع الضفادع فيك فتقطع الضفادع قال: غداً. قال موسى: سيكون كما قلت لتعلم ان ليس للرب إلها نظير، وفعل الرب كما قال موسى وماتت الضفادع من البيوت والأقنية والحقول، فجمعوها كوماً كوماً وأنتنت الأرض منها. وكان المصريون يعبدون من أقدم الأيام أي من عهد الدولة الخامسة إلهاً يقيمهم لإزعاج الضفادع وغيرها من الدبيب والذباب، وترى في آثارهم صور آلهة وعلى رأسها ضفدع منها في متحف بولاق تمثال إله وعلى رأسه ضفدع. وفي دندرة صورة كتب عليها: «وجهك أشبه بوجه ضفدع». وكانوا يحسبون النيل إلهاً ويعبدونه فأراد الله بآياته أن يذل النيل بالضربة الأولى محولاً ماءه دماً، وأن يذري بالآلة الضفادع بالضربة الثانية ليظهر للمصريين عجز هذه الآلهة عن وقاية عبادها بل إتيانها بنفسها عليهم بالمضرة.

«ولما رأى فرعون أنه قد حصل الفرج صلب قلبه ولم يسمع لهما»، أي لموسى وهرون فأبلاه الله بالضربة الثالثة، فإن هرون مد يده بعصاه بحسب أمر الرب فضرب تراب الأرض، فكان البعوض على الناس والبهائم حتى خيل أن كل تراب الأرض صار بعوضاً في جميع أرض مصر. إن كلمة البعوض في العبرانية قينيم. وقال اوريجانوس (في خطبته ال ٤ في الخروج) في وصفه البعوض: «هو

حيوان صغير يحمله الهواء، وهو دقيق حتى لا تراه إلا عين من يحدّق إليه ويؤلم الجسم بمنخسه الخاد». ووصفه هيرودت (في ك ٢ من تاريخه) : بأنه يزعج الناس ويقلقهم وهم جلوس على موائدهم ويحرمهم النوم. ويمتص الدم ويكسي الجسم لدغات أليمة وعليه فهو ما تسميه عامتنا الناموس أو السكيت. وهذا البعوض يكثر في مصر ولذلك يظهر من الآثار المصرية أن ستائر الأسيرة (وهي الناموسيات بلغة عامتنا) تقادم عهد استعمالها في وادي النيل، وترى بين هذه الآثار صوراً تمثل أشخاصاً بيدهم مراوح يراوحون بها وقاية لأعيان من لدغ هذا البعوض على أن الذي ابتلى الله به المصريين، كان خارقاً العادة وشرائع الطبيعة حتى خيل أن تراب مصر كلّها صار بعوضاً واثمحق بكلمة من موسى.

إنّ سحرة فرعون صنعوا ما صنعه موسى وهرون في الجائحتين السالف ذكرهما. فإنهم حوّلوا الماء إلى هيئة دم، وأوجدوا ضفادع في حضرة فرعون. وكان لهم في ذلك وجهان : الأول أنهم حوّلوا الماء بصيغ ألقوه فيه بخفة لا تدركها عيون الحاضرين، ونقلوا بعض الضفادع بصنعة كذلك إلى حضرة فرعون وأعوانه. والثاني أنهم عملوا ذلك بحيلة شيطانية سمح الله بها لمقاصد عنايته التي تعلقو المدارك البشرية، ولتقسية قلب فرعون ليفرغ الله نقمه به وبشعبه، على أنهم حاولوا في الضربة الثالثة لإخراج البعوض فلم يكن لهم إليه سبيل. فقالوا لفرعون : « هذه أصعب الله » ومع هذا ظل قلبه متقسياً. قال برجيا (في معجم اللاهوت الإعتقادي في كلمة سحر وسحرة) ما ملخصه : « ليس ما يحملنا على أن نفترض أن سحرة مصر أتوا بشيء خارق لشرائع الطبيعة، والكتاب يبيّن لنا عكس ذلك. فكان للسحرة وقت يعدون به ما شاءوا، فإن فرعون استقدمهم وحوّلوا عصيهم حيات ورقية الحيات. وانتزاع قوتها على اللدغ أمر مستفاض في مصر والهند بل في بعض أقاليم أوربا أيضاً، حيث يتجر بالحشرات فشيء من الذكاء وخفة الحركة كان كافياً للسحرة ليخيلوا أن عصيهم استحالت حيات. على أن تحويل ماء النيل دماً وفساده بضربة عصا آية تفوق الطبيعة. وأما صبغ ماء في حوض أو إناء بلون الدم فلا شيء من المعجز فيه، وكذا مد يد هرون إلى النيل وإخراجه منه ضفادع تغطي أرض مصر ثم إماتتها من فور أمر موسى آبتان حقتان وأما إيجاد بعض الضفادع بحيلة ما أمام فرعون فلا معجزة فيه ».

لم تنجع الجوائح الثلاث في فرعون ولا قرار سحرته بأن هذه أصعب الله فضربه

الله بالضربة الرابعة . وهي انه أرسل عليه وعلى عبيده وشعبه وبيوته الذبان حتى امتلأت منها بيوت المصريين والأرض التي هم عليها . وميّز أرض جاسان المقيم فيها شعب الرب فلم يكن ثمّ ذبان (خروج ف ٨ ع ٢١ وما يليه) . إنّ كلمة الذبان في هذه الآية بالعبرانية عَرَب ومذلّوها الخلط والإمتزاج، فيمكن أن يكون المراد كل صنف من الدباب دون تعيين صنف على أن الذبان في مصر من آفتها المنكدة العيش ، وما أعظم تنكيدها وقد أرسل الله على المصريين منها ما فسدت الأرض من قبله كما صرّح الكتاب فكانت هذه الضربة قاسية حتى نرى فرعون أخذ يتساهل إذ قال لموسى وهرون : « امضوا اذهبوا لإلهكم في الأرض فقال موسى : ليس من الصواب أن نصنع ذلك ، لأننا إنّما نذبح للرب إلهنا ما هو رجس عند المصريين . أفندبح بحضرتهم ما هو رجس عندهم ولا يرجموننا ؟ » ، قال كلمت في تاريخ العهد القديم : ان المصريين كانوا يعبدون بعض الحيوان فلا يطيقون ذبح العبرانيين له . وقال روهربخر (في تاريخه البيعي) ما ملخصه إنّ حكماء المصريين كانوا يجعلون بعض الحيوان ممثلاً للاله ، فيجعلون كبش الغنم أو تيس الماعز قائد القطيع مثلاً للرب مدبر الكون ، والحيوان الكثير النتاج مثلاً للاله الخالق ، والنسر الحاذق البصر للاله الذي يرى كلّ شيء . وكان للثور والبقرة في عرفهم وفي لغتهم السرية والهيروغليفية رموز ودلائل على أمور مقدسة . ولم تكن عامتهم تدرك هذه الأسرار ، فكانت تسجد وتعبد هذه الحيوانات ، لا بما أنها ممثلة للاله فقط بل لاعتقادهم فيها شيئاً من الألوهية . ولا أقل من اجلالها كأشياء مفردة لله « فيستاءون من العبرانيين إذا ذبحوها لالههم . فقال فرعون أنا أطلقكم لتذبحوا للرب إلهكم في البرية ولكن لا تبعدا في المسير واشفعا فيّ . وخرج موسى من عند فرعون فشفع إلى الرب فرفع الذبان عن فرعون وعن عبيده وشعبه ولم يبق واحدة . لكنّ فرعون صلّب قلبه هذه المرة أيضاً ولم يطلق الشعب ، فضربه الرب بالضربة الخامسة ، وهي وباء شديد أصاب الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم ، فماتت مواشي المصريين ولم يمت شيء من جميع ما هو لبني إسرائيل . وأرسل فرعون فإذا مواشي إسرائيل لم يمت منها واحد (خروج فصل ٩) . ومثل هذا الوباء يصيب أحياناً المواشي في مصر فيلجأ أهلها إلى شراء البقر من سورية ، وجزائر البحر المتوسط لكنه لا يشتد اشتداده في ضربة موسى ، ولا تتناز به مواشي مصريّ عن مواشي عبراني . وقد قسا قلب فرعون هذه المرة أيضاً ولم تليته ضربة الماشية ،

فضربه الله وشعبه في أجسادهم بالجائحة السادسة، وهي القروح. فإن موسى وهرون أخذوا بحسب أمر الرب ملء راحتيهما من رماد الأتون، وززاه موسى إلى السماء على مشهد فرعون فصار غباراً في جميع أرض مصر، وصير في الناس والبهائم قروحاً وبثوراً منتفخة، ولم يستطع السحرة أن يقفوا بين يدي موسى من أجل القروح. ولا يمكن تعيين هذا المرض إلا بكونه من الأمراض الوبائية، وقد أصاب كل طبقة من الناس كما أشار إليه الكتاب بذكره السحرة، ومع ذلك قسا قلب فرعون أيضاً فضربه الرب الضربة السابعة بالبرد، إذ مدّ موسى عصاه نحو السماء فأرسل الرب بروقاً ورعوداً وبرداً على أرض مصر، لم يكن مثله منذ يوم أسست مصر. فأمات الناس والبهائم وأيس العشب وكثر جميع الشجر ولم يكن شيء من البرد في أرض جاسان التي فيها بنو إسرائيل.

وكان موسى أنذرهم بأنه أي إنسان أو بهيمة وجد في الصحراء ولم يأو إلى المنازل ينزل عليه البرد فيموت. فمن خاف كلام الرب من عبید فرعون هرب بعبیده وماشيته إلى البيوت ومن لم يوجّه قلبه إلى كلام الرب ترك عبیده، وماشيته في الصحراء، فمات. وقد عيّن الكتاب وقت إنزال هذه الضربة بقوله: «إذ كان الشجير مسبلاً والكتان مبدراً». ويكون ذلك في مصر في شهر آذار. وأما الخنطة والقطاني فلم تلتف لأنها كانت متأخرة»، على أنها ألتفها بعد ذلك الجراد كما سيجي، وذكر الكتاب ناراً مع البرد، والأرجح أن المراد بها البروق المتتالية. ولما عظمت الجائحة «استدعى فرعون موسى وهرون، وقال لهما: قد خطئت هذه المرة أيضاً الرب عادل، وأنا وشعبي منافقون فاشفعا إلى الرب فحسبنا ما نالنا من أصوات الرعود والبرد، فأطلقكم ولا تعودوا تمكثون... فخرج موسى وبسط يديه إلى الرب فكفت الرعود والبرد. ولم يعد المطر يهطل على الأرض» (خروج فصل ٩).

وقد عاد فرعون إلى معصيته وأخلف موسى ما وعده ولم يؤذن إلا في انطلاق الرجال من بني إسرائيل. وأخيراً طرد موسى وهرون من بين يديه فعاقبه الله بجائحة الجراد وهي الثامنة. فإنه أمر موسى أن يمدّ عصاه على أرض مصر فساق ريحاً شرقية على الأرض طول ذلك اليوم وطول الليل، فحملت الريح الجراد على جميع أرض مصر واستقرّ عليها كثيراً جداً لم يكن قبله جراد مثله، ولا يكون بعده كذلك. فغطّى وجه الأرض حتى أظلمت وأكل جميع عشبها وجميع ما تركه البرد وثمر الشجر، حتى لم يبق شيء من الخضرة. فبادر فرعون واستدعى موسى

وهرون وقال : قد خطئت إلى الرب إلهكما وإليكما، والآن فاصفحا عن ذنبي هذه المرة، واشفعا إلى الرب إلهكما أن يرفع عني هذه التهلكة . فخرجا من عند فرعون وشفع موسى إلى الرب فردَّ ريحاً غربية شديدة جداً فحملت الجراد وطرحته في بحر القلزم . ولم يبقَ جرادة واحدة في ناحية من نواحي مصر، ولكن قسا الرب قلب فرعون فلن يطلق بني إسرائيل، فابتلاه الله بالضربة التاسعة وهي أن موسى مدَّ يده نحو السماء فكان ظلام مدلههم في جميع أرض مصر ثلاثة أيام لم يكن الواحد يبصر أحاه ولم يقد أحد من مكانه . ولجميع بني إسرائيل كان نور في مساكنهم (خروج ف ١٠) . وقد وصف كاتب سفر الحكمة (ف ١٧ وف ١٨) شدة هذه الجائحة . فمما قاله : « لم يكن في قوة النار مهما اشتدت أن تأتي بضياء ولا في بريق النجوم أن ينير ذلك الليل المدلههم ... حيثئذ بطلت صناعة السحر وشعوذته وبرز على افتخارهم بالحكمة حجة مخزية ... أما أولئك فكان جديراً بهم أن يفقدوا النور ويحبسوا في الظلمة لأنهم حبسوا بنيك الذين بهم سيمنح الدهر نور شريعتك الغير الفاني » . والأظهر أن النعمة لم تكن بمجرد الظلام المدلههم خاصة لأنه جاء في سفر الحكمة ذكر أصوات قاصفة تدوي من حولهم ، وأشباح مكفهرة تتراءى أمام وجوههم ، ومرور وحوش ، وفحيح أفاعي ، وقعقة حجارة متدحرجة ، وزئير وحوش ضارية إلى غير ذلك . وقد رأى الأب فيكورو (مجلد ٢ صفحة ٣٣٦) : أن الظلام حصل بأمر الله أن يشتد السموم المعروف في مصر بالخمسين اشتداداً خارقاً العادة، واستشهد لذلك بأن آية سفر الخروج المنبئة بذلك . إنما هي في الترجمة السبعينية مؤذنة بهذا المعنى، وبأن اوريجانوس قال (في تفسير بشارة متى) : « إنّ الظلام المدلهم كان في مصر ثلاثة أيام لا من قبل انتفاص نور الشمس ، ولا من قبل تكاثف السحب المظلمة، ولا من قبل كثافة الهواء » . وقد كانت هذه الضربة موجعة إذ نراها جعلت فرعون يستدعي موسى، ويؤذن في انطلاق الشعب وأطفالهم بشرط أن يتركوا غنمهم وبقرهم . فقال له موسى : تعطينا ذبائح ومحرقات نقربها إلى الرب إلهنا . فمواشينا أيضاً تمضي معنا لا يبقى منها ظلف . فقال له فرعون : إمض عني واحذر أن تعود النظر إلى وجهي فإنك يوم تنظر وجهي تقتل فقال موسى نعمًا؛ قلت؛ لا أعاود أرى وجهك أيضاً .

وقال الرب لموسى قد بقيت ضربة واحدة انزلها على فرعون والمصريين وبعد ذلك يطلقكم من ههنا جملةً بل يطردكم طرداً . فكلم الشعب أن يطلب الرجل

من صاحبه ، والمرأة من صاحبته أمتعة من فضة وذهب، وأنا آتيكم حظوة في عيون المصريين فيعطونهم ما يسألون . ومضى بنو إسرائيل فصنعوا كما أمر الرب»، ولما كان نصف الليل ضرب الرب كل بكر في جميع أرض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشه إلى بكر الأسير الذي في السجن . وجميع أبكار البهائم . وكان صراخ عظيم في مصر حيث لم يكن بيت إلا وفيه ميت» (خروج ف ١١ و ١٢): وهذه هي الجائحة العاشرة والأخيرة . وقال فيها صاحب سفر الحكمة (ف ١٨ ع ١٢): «وكان لكلهم اجمعين أموات لا يحصون قد ماتوا ميتة واحدة حتى ان الاحياء لم يكفوا لدفن الموتى» . وأما بنو إسرائيل فذبحوا في ذلك المساء خروف الفصح بحسب ما أمر الرب موسى، ورشوا من دمه على أبوابهم . فعبر ملاك الرب عن بيوتهم بضربته فلم يمسه ضربه . فدعا فرعون موسى وهرون ليلاً وقال: قوما فاخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل بغنمكم وبقركم وامضوا اعبدا الرب وباركوني أيضاً . وألح المصريون على الشعب ليعجلوا لإطلاقهم لأنهم قالوا قد متنا بأجمعنا . فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر، وأخذوا ما أعارهم المصريون من أمتعة فضة وذهب وثياباً . وكان ذلك يحق لهم مكافأة عن أتعابهم في بناء مدن وأقنية . وقد يمكن أن يكون الملاك المهلك أباد الأبكار بوباء أو بوسيلة أخرى، تنفذ أمر الرب على أنه لا يمكن أن تكون هذه التهلكة بوباء طبيعي كما ادعى بعض منكري الوحي لاسيما لشمول الموت الأبكار وحدهم ولا وجه طبيعي لذلك .

لا عجب من أننا لا نجد أثراً مصرياً ينبئنا بهذه الجوائح لأنها مصائب نزلت بهم لعصيانهم وهي مخزية لهم، وحاطة من شأنهم . وقد لاحظ أهل العلم بالآثار المصرية أن المصريين لم يتركوا أثراً لكل ما كان خافضاً من شأنهم إلا إذا استعادوا شرفهم ، وهو بديهي . فمن يرغب في تقليد ذكر خزيه وذله ومع هذا قد وجد أثرٌ دالٌّ على الضربة الأخيرة وهي موت الأبكار . قال شباس (في تاريخ الدولة ال ١٩): «إننا نجد في أثر مصري كائن في متحف برلين أشار إليه بروغش (في تاريخ مصر) ذكراً لابن لمنفتاح الأول مات قبل أبيه كابين فرعون الوارد ذكره في سفر الخروج» حيث قال من بكر فرعون الجالس على عرشه» كما مرّ آنفاً .

وقد أتفحنا العالم لوت بإيضاحات أكثر دقة في هذا الشأن قال : إن فرعون الذي كان يلي مصر لدى عود موسى من مدين لا يمكن أن يكون إلا منفتاح ، وإذا تقرّر ذلك لزمنا أن نحول بصرنا إلى تمثال كبير لمنفتاح كائن الآن في متحف

برلين، يمثل ابن منفتاح البكر مشاركاً لأبيه في الملك، كما يدلّ على ذلك التاج الذي على رأسه. ووصفه بالابن الذي يحبه أبوه والذي يعطف إليه قلب من ولده. ويسمى منفتاح باسم أبيه وقد صوّر ساجداً لسوتخ الإله العظيم رب السماء، فلا يلزم أن يكون الإنسان شديد التشبّث بإيمانه ليوقن أن هذا الأمير الذي مات قبل أبيه منفتاح، وترك الخلافة في الملك لساتي أخيه الأصغر، إنما هو بكر منفتاح الذي تهدده الرب بقوله: «قلت لك أطلق ابني ليعبدني وإن أبيت ان تطلقه هاأنذا قاتلُ ابنك البكر» (خروج ف ٤ ع ٢٣). وقد أتمّ الرب ما هدده به كما جاء في سفر الخروج (ف ١١ ع ٥ وف ١٢ ع ٢٩). «ضرب الرب كل بكر في جميع أرض مصر من بكر فرعون الجالس على عرشه إلى بكر الأسير». فالجالس وصفٌ للبكر وقد كُتِر ذلك في آيات ثلاث من الخروج، فالبرهان واضح: روى ذلك فيكورو في مؤلفه الكتاب والاكتشافات الحديثة (مجلد ٢ صفحة ٣٤١).

الفصل الخامس

أخبار خروج بني إسرائيل من مصر إلى البرية

عد ١٨٤

مدّة إقامة بني إسرائيل في مصر

قد مرّ في عد ٩٤ ذكر الخلاف الحاصل في تعيين سني العبودية التي قضّاها بنو إسرائيل في مصر. وأبنا أن منشأ الاختلاف بين النص العبراني وغيره من الترجمات التي صرّحت بأن مقام بني إسرائيل في مصر كان أربع مئة وثلاثين سنة. وبين الترجمتين السبعينية والسامرية اللتين يتبيّن منهما أن الأربع والثلاثين سنة كانت من خروج ابراهيم من أور الكلدانيين إلى خروج بني إسرائيل من مصر. وأن يوسف وغيره من القدماء والحداث، اعتمدوا على ما جاء في الترجمة السبعينية لكنّ الأكثرين من العلماء والمفسّرين عوّلوا على ما جاء صريحاً في النص العبراني في سفر التكوين (ف ١٥ ع ١٣)، حيث قال الله لابراهيم: «إنّ نسلك

سيكونون غرباء في أرض ليست لهم . ويستعبدونهم ويعذبونهم أربع مئة سنة » ثم في سفر الخروج (ف ٢ ع ٤٠) : « وكان مقام بني إسرائيل الذي أقاموه بمصر أربع مئة وثلاثين سنة » .

وقد أثبتنا هناك أن كثيراً من الآثار المصرية يُستخلص منه أنّ المدّة التي انقضت من عهد أباهي الذي استوزر يوسف في سنة ١٧ للملكه، إلى عهد منفتاح فرعون الخروج إنّما هي نحو من أربع مئة وثلاثين سنة، لا مئتان وخمسة عشرة سنة وعليه فالأظهر أن مدّة إقامة بني إسرائيل في مصر أربع مئة وثلاثون سنة، ويؤيده النص العبراني الصريح، وأقوال كثير من الآباء والعلماء منهم من مشاهير الحدّاء لانرمان في التاريخ القديم لشعوب المشرق، وفيكورو في محال عديدة من كتبه والأب مور في مقالته في سلسلة تواريخ الكتاب، وتوفيقيها مع الآثار المثبتة في مجلّة المباحث الدينية في عددها المؤرّخ في ١٥ أيلول سنة ١٨٩٣م وغيرهم كثيرون، بل إنّ يوسفوس نفسه الذي قال (في ك ٢ ف ٦ من تاريخ اليهود) « إن العبرانيين خرجوا من مصر لسنة ٤٣٠ من بلوغ آيينا ابراهيم إلى أرض كنعان ولسنة ٢١٥ من انحدار يعقوب إلى مصر » . كان قال قبلاً (ف ٥ من الكتاب الثاني المذكور) : « وانقضت أربع مئة سنة على هذا النحو كان المصريون فيها يجدون في إبادة أمّتنا وبنو إسرائيل يجهدون في توطئة هذه المصاعب » . وقال العالم فلاس (من مقالته في الشعوب القدماء المطبوعة في أمستردام سنة ١٧٦٩م) أن ذرية الأصل الواحد في مدّة ٤٣٣ سنة وأربعة أشهر يبلغ عديدها إلى ٢٤٥٧٦ شخصاً فإذا فرضنا إنّ السبعة والستين ذكراً الذين انحدروا إلى مصر مع يعقوب أقاموا فيها ٤٣٠ سنة كان عددهم عند خروجهم منها ١٦٤٦٥٩٢ نفساً فإذا أسقطنا النساء نصف هذا العدد كان الباقي ٨٢٣٢٩٦ ذكراً وإذا أسقطنا ربع هذا العدد أطفالاً وشيوخاً كان الرجال المقتدرون على حمل السلاح ٦١٧٤٧٢ رجلاً . وفي الكتاب إنّ عددهم عند خروجهم « نحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال خلا الأطفال » (خر ف ١٢ ع ٣٧) .

عد ١٨٥

الحل الذي ارتحل منه بنو إسرائيل وفي طريق خروجهم

إن لتعيين الحل الذي ارتحل منه بنو إسرائيل لدى خروجهم من مصر أهمية إذ

يتعلق به مبحث آخر، توفرت الأقوال فيه وهو تعيين معبرهم في البحر الأحمر، فإذا غلّم محل بدء سفرهم سهل العلم بطريقهم، وبالحل الذي انتهوا إليه عند البحر الأحمر، فقال يوسفوس (في ك ٢ رس ٥ من تاريخ اليهود): «إن العبرانيين ارتحلوا من مصر والمصريون يذرفون الدموع أسفاً على سوء معاملتهم لهم، وكان طريقهم في ليتوبولي، وكانت حينئذ صحراء فبنيت بعد ذلك هناك مدينة سمّيت بابل عندما استحوذ كمبيس على مصر». رقال في محل آخر إن بابل هذه كانت في محل القاهرة الآن. وقال أسطفان البيزنطي (في كلامه على المدن): «أن ليتوسبولي مدينة في مصر وهي حي في منف وتجاهها الأهرام». وعليه فرأي يوسفوس أنّ بني إسرائيل رحلوا من منف أو القاهرة. وهذا غير ثابت ولم يكن يوسفوس يعرف الحال التي تكلم فيها. ولعلّه أسند رأيه إلى تقليد اليهود الذين أقاموا في مصر بعد أن دُمّر بختنصر أورشليم. ولم يكن لتقليد هولاء أسّ راهن ومع هذا اعتمد عليه وعلى رواية يوسفوس بعض العلماء المسيحيين في صدر النصرانية وبعده دون أن ينسبوا أسامنه.

ولما جاء عصر التدقيق والتنقيب كان الأب سيكار P. Sicard اليسوعي^(١) أوّل من عني بالتنقيب عن طريق الإسرائيليين عند خروجهم من مصر إلّا أنه لم يبلغ من الحقيقة شأواً لأنه ظنّ أن منفاح ملك مصر وقتئذ كان يسكن مدينة منف على مقربة من القاهرة لا مدينة تانيس (صان)، كما حققت الآثار القديمة الآن، وأن رعمسيس المدينة التي صرح الكتاب بأن بني إسرائيل هاجروا منها، إلّا أنها هي في القرب من منف في جنوب القاهرة على نحو ثلاث ساعات منها في المحل المستمى الآن البساتين. فلم يكن لهم والحالة هذه إلّا طريقان من منف إلى البحر الأحمر، الأوّل في الوادي الذي بين جبل طورا وبين جبل ديوشى، والثاني في الصحراء التي بين القاهرة والسويس التي سَمّاها القدماء أرسينيا، وقطع بأنّ بني إسرائيل سلكوا الطريق الأوّل. وقد تابع الأب سيكار في قوله كثير من علماء عصره ولاسيما في إفرنسة على أن الإكتشافات الحديثة محقت كل أشكال؛ وأتت بالعلم اليقين أن منفاح كان عند إنزال الجوائح بمصر، ولدى إطلاق بني إسرائيل في تانيس المعروفة الآن بصان والواقعة في الشمال الغربي من البحر الأحمر، وفي جوار أرض جاسان

(١) ولد في اويين في افرنسة سنة ١٦٧٧ ومات في مصر سنة ١٧٢٦.

التي كان يسكنها بنو إسرائيل . وقد حَقَّقَت هذه الآثار أيضاً أن رعمسيس المدينة لم تكن في القرب من منف والقاهرة ، بل من أرض جاسان وتانيس في مصر السفلى (راجع ع ١٧٦) .

وعليه فمما لا يشوبه ريب أن بني إسرائيل ارتحلوا من رعمسيس المدينة التي بناها رعمسيس الثاني في مصر السفلى إلى سكوت. ثم ارتحلوا من سكوت ونزلوا بأيتام في طرف البرية كما صرَّح بذلك سفر الخروج (ف ١٢ ع ٣٧ و ف ١٣ ع ٢٠) . «ولم يسيرهم الرب في طريق أرض فلسطين مع أنه قريب لأن الله قال لعل الشعب يندمون إذا رأوا حرباً فيرجعون إلى مصر» (خروج ف ١٣ ع ١٧) . إذ كان الأقرب مسافة أن يسيروا على شاطئ البحر المتوسط ويجتازوا من العرش إلى غزة على أن هذا الطريق كانت تحدد به حصون غاصة بالجنود المصرية. فتمنع مسيرهم ويتسنى لفرعون أن يدركهم ولم يشأ الله أن يعرض بني إسرائيل (وهم منهوكون بالعبودية وغير ممرنين على حمل السلاح)، للحرب مع الكنعانيين المخنكين بالحرب واللائذين بملك مصر فينجدهم لا محالة على الإسرائيليين . وقد أخرج بنو إسرائيل معهم عظام يوسف كما كان أوصاهم. ومن تقليد اليهود الذي أثبتته القديس أسطفانوس في أعمال الرسل (ف ٧ ع ١٥ و ١٦) والقديس إيرونيموس أن العبرانيين أخذوا معهم عظام إخوة يوسف الأحد عشر.

عد ١٨٦

أقوال العلماء في طريق بني إسرائيل ومعبرهم في البحر الأحمر

قدمنا قول الكتاب أن بني إسرائيل ارتحلوا من رعمسيس إلى سكوت، وارتحلوا من سكوت ونزلوا بأيتام ثم أمر الرب موسى «أن يرجعوا وينزلوا أمام فم الخيروت بين مجدول والبحر أمام بعل صفون» (خروج ف ١٤ ع ٢) . فأين سكوت وأيتام وفم الخيروت ومجدول وبعل صفون؟ فهذه مسألة معضلة مهمة يتعلق على العلم بها بطريق العبرانيين إلى البحر الأحمر ومعبرهم فيه. وقد توفرت فيها الأقوال وتضاربت، وقد أورد الأب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٣٦٢) منها قولين خاصة قول بروغش العلامة الألماني، وقول مهندسي ترعة السويس الإفرنسيين، وعقبهما بذكر رأيه فنجتزئ بتلخيص هذه الأقوال. فالحاصل

من قول بروغش (في كتابه الخروج والآثار المصرية صفحة ٢٥ وما يليها): إن للمسافر من رعمسيس (وهي تانيس على رأيه) إلى فلسطين طريقتين، أحدهما نحو الشمال الشرقي من رعمسيس إلى بالوز (وهي الآن طينة أو فرما)، ماراً بفيتوم إلى سكوت، على أن الآثار أنبأتنا أن هذا الطريق تكثر به الوحول فلم يكن مطروقاً ولا يسافر به جثم غفير بعدد وذخائر وماشية. والطريق الثاني هو الطريق الذي كان الفراعنة يسيرون به جنودهم وخيولهم ومركباتهم، ويسميه المصريون السكة السلطانية وهو مسافة أربع مراحل أي رعمسيس وأسوار سكوت وأيتام ومجدول.

وأثبت بروغش إستطراق هذه الطريق بأثر عُثر عليه اتفاقاً. والأولى أن يقال بعناية ربّانية (كما قال) في المتحف البريطاني حَظَّ هذا الأثر منذ ثلاثين قرناً كاتب مصري قص فيه أخبار سفره لينشد خادمين فرّاً فقال: «مضيت من القصر الملكي في تانيس في مساء اليوم التاسع من الشهر الثالث من الصيف أتطلب الخادمين فبلغت أسوار سكوت في اليوم العاشر من ذلك الشهر. فخبرت ثمة أن الفارين ذهبوا نحو الجنوب فبلغت في الثاني عشر إلى قيتام فقيل لي هناك إنهما توجّها إلى شمال مجدول». وهذا الأثر هو البايير المعروف بأنستازي الخامس وقال بروغش: بعد ذلك ضع موسى وقومه موضع الفارين وهذا الكاتب موضع فرعون تجد طريق العبرانيين.

وقد تعقّب فيكورو قول بروغش هذا لأوجه منها إن تانيس التي سافر منها الكاتب غير رعمسيس التي سافر منها العبرانيون. وأن سكوت التي جعل بروغش موقعها في شرقي تانيس قد حققت اكتشافات العالم نافيل إنَّها في جنوبيها في محل المسقوفة الآن. ومنها أن أيتام التي حلّ فيها بنو إسرائيل غير قيتام التي بلغ الكاتب المصري إليها. ومنها أن الفارين توجّها إلى شمال مجدول والكتاب ينبئنا أن بني إسرائيل مضوا من أيتام نحو الجنوب. فإذا قد كان طريق العبرانيين غير طريق الفارين والكاتب المصري. ونُدّد فيكورو بهذا القول خاصة لأنه يؤدي إلى أن بني إسرائيل لم يتوجّهوا من جهة البحر الأحمر بل من جهة البحر المتوسط. ولم يجتازوا في البحر بل عبروا في مضيق من الأرض يفصل بين البحر المتوسط وبحيرة سربونيس المسماة الآن بحيرة بردويل. وأن جنود فرعون لم تغرق في بحر بل في بحيرة أو آجامها وكلّ ذلك يخالف كلام الكتاب في سفر الخروج وغيره.

وأما أكثر المهندسين الموظفين في حفر خليج السويس ففرضوا أن البحر الأحمر

في أيام عبور المصريين من مصر إلى برية سينا كان متصلاً بالبحيرات المرة الواقعة في شمالي السويس. وفي جنوب بحيرة التمساح وزعم بعضهم إنهم عبروا في هذه البحيرات. وإليك ما قاله فردينند دي لاسبس في خطبته التي ألقاها في نانت في ٨ كانون الأول سنة ١٨٦٦م: «جاء في الكتاب المقدس الذي تيقنت صدقه باكتشافاتي وأسفاري كلها أن موسى لما أخرج بني إسرائيل من مصر سار بهم من رعمسيس المدينة، حيث يُرى إلى الآن صخر يمثل أحد فراعنة مصر ويسمى رعمسيس، والمحطة الثانية التي حلوا فيها سماها الكتاب سكوت وتأويل الكلمة في العبرانية مظلة وخيمة، والعرب يسمون هذا الحبل أم الخيم. وقام موسى بقومه من سكوت إلى محلة سماها الكتاب، أيتام وهناك محل تنجعه عشيرة من رعاة الماشية تسمى إيتاميس. ومن عادة قبائل العرب أن تسمى الأرض التي تحل فيها باسمها. ولما عرف موسى أن جنود فرعون يتتبعون أثرهم، عاد إلى الوراء بشعبه بحسب أمر الله له، واحتلوا بحيروت أو فم الحيروت، وتأويل الكلمة محل القصب، والعرب تسمى هذا الحبل وادي بيت البوز أي وادي القصب. وكان هناك حينئذ مستنقعات من أمواه البحر الأحمر. وقد اكتشفنا ثمة طبقات من الملح البحري متجمعة من بخار ماء البحر في مدة قرون، وعثرنا أيضاً على أصداف البحر الأحمر. ولم يكن القدماء يحسبون طول الخليج إلا خمسة عشر فرسخاً، ولا امترى البتة أن مجتمع أمواه البحيرات المرة إنما هو الخليج المسمى خليج هيروبوليس. وأما بحيروت أو فم الحيروت، فكان موقعها على ما يتلخص من الكتاب بين البحر جنوباً ومجدول شمالاً، وبعل صفون شرقاً، ويبتوم غرباً، وكان البحر متصلاً بالبحيرات المرة. وأما مجدول فكانت حصناً، سماه الرومانيون مكحول أو مكدلون. وترى أطلالها في جانب الطريق المؤدي إلى سورية. وبعل صفون كانت هيكلًا مقاماً على أرفع أكمة هناك تذكراً لحرب أثارها أوسيريس على تيفون (بحسب حكاياتهم)، وهي آخر ما يسقى بمياه النيل.

ويبتوم كانت على مدخل الوادي الذي يسمى إلى اليوم وادي توم... ولما احتل بنو إسرائيل فم الحيروت ظهرت لهم طلائع الجيش المصري، فارتعدوا لكن الله أثار عند المساء الريح الشديدة التي وصفها الكتاب، فامسك المصريون عن الوثوب عليهم إلى صباح اليوم التالي. وقد كنت شاهداً لمثل هذه الريح العاصفة إذ حللت في المحل نفسه عند أول ما أخذت في اكتشاف الخليج سنة ١٨٥٤م. فلم أتمكن أنا

ورفقائي من توثيق أطناب مظلتنا التي قلبتها العاصفة. وكانت الحصى تدمي وجوهنا وأيدينا. فشدة الريح العاصفة في أيام موسى قذفت الأمواه من حيث لم تكن عميقة فاعتنم موسى العون الرباني الذي أمده الله به، وسير العبرانيين في البحر طريقاً ييساً وعند سكون الريح عاد الماء إلى محله فغمر المصريين الذين كانوا دخلوا في أثر بني إسرائيل، وحيث أن ارتفاع الماء هناك من متر وثلاثين سنتيمتراً إلى متر وثمانين سنتيمتراً فأمسك جيش فرعون أو غرقه».

ومن هؤلاء المهندسين العالم لاكوانتر، وقد حقق أن البحيرات المرة كانت متصلة بالبحر الأحمر وأن ارتفاع البرزخ المسمى الشالوف فصل بينهما وأن مياه البحيرات أشد ملوحة من مياه البحر. وذلك دليل على أن هذا الإتصال كان متقطعاً، فتكون الأمواه تارة متصلة وطوراً منفصلة. وعليه قال إن موسى إذا ارتحل من أيتام سير قومه على شاطئ البحيرات المرة الغربي، قاصداً أن يدخل الصحراء الواقعة في شرقي خليج السويس. فقطع الطريق عليهم جيش فرعون الآتي من منف في الجنوب الغربي، وأمسى بنو إسرائيل محصورين بين العسكر المصري جنوباً والبحيرات شرقاً. وجبل جنفاً (المسمى الآن جبل أحمد تاشر على ما روى فيكورو) غرباً، فخلص الله شعبه بأية فاتحة له في وسط البحيرات طريقاً ييساً وغرق أعداءهم في هذه الأمواه المتصلة بالبحر الأحمر فصدق قول الكتاب أن بني إسرائيل عبروه، والمصريين غرقوا فيه. وقد أبان لاكوانتر شديد التشبث بقوله حتى سأل أن يستقصى الكشف في محال يعينها في هذه البحيرات فيأمل وجدان أثر لمركبات فرعون.

قد ندد الأب فيكورو (الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٣٨٧) بأقوال هؤلاء المهندسين. ولاسيما لاكوانتر مبيئاً أن برزخ الشالوف الفاصل بين خليج السويس والبحيرات المرة هو أقدم من موسى بقرون وأثبت ذلك من طبقات أرضه التي لا يمكن تكونها في عهد موسى ولا بعده، بل قد تقدمته كثيراً. وقال: إن الآثار المصرية لم تأتينا بإشارة إلى اتصال البحر الأحمر بالبحيرات المرة، بل أنبأنا بما يخالف ذلك، وهو احتفار قناة توصل بينهما. فقد اكتشف بوكرد في القرن الماضي خط هذه القناة، واستتبع روبل مجراها مسافة ساعة ونصف، بل ذكرها هيرودت من أيامه وعزاها إلى رعمسيس الثاني أبي منفتح الذي خرج بنو إسرائيل من مصر في عهده. وآثار هذه القناة باقية إلى يومنا هذا، وعليه فلم يكن البحر الأحمر في أيام موسى متصلاً بالبحيرات المرة، ولا في وقت الأنواء الشديدة، ولا حاجة إلى

العدول عن ظاهر آيات الكتاب الصريحة بأن العبرانيين، عبروا البحر الأحمر أو بحر سوف أو بحر القلزم. والمعنى واحد ولا داعي إلى هجر أقوال الآباء والعلماء القدماء، وكثير من الحداثاء الذين أثبتوا أن المراد بآيات الكتاب المتعددة البحر الأحمر.

وبعد أن فُتد الأب فيكورو هذه الأقوال عاد إلى إيراد ما يراه الأمثل، والأظهر والأقرب إلى الصواب في هذا الباب فقال: إن بني إسرائيل ارتحلوا من جاسان في وادي توميلات في جنوبي المديرية المسماة الآن الشرقية حيث قناة الماء التي كُشف عنها حديثاً. وقد رأيت آثارها في جوار بيتوم. وأنبأنا الآثار إن ساتي الأول جد منفتح إنما هو الذي احتفها، وكان مسير بني إسرائيل في القرب من الماء ضربة لازب لاستقائهم واستقاء ماشيتهم، وكانت مرحلتهم الأولى قصيرة. فجم غفير نظيرهم لا يتسنى له أن يسير مسافة طويلة خاصة في اليوم الأول من سفرهم. فحلوا في سكوت، وهي على رأيه حصن من حصون بيتوم، وفي اليوم التالي بلغوا أطراف البرية وحلوا في أيتام. والأرجح عنده أن المراد بايتام أحد الحصون التي بناها الفراعنة وقاية من غزوات العرب الرُّحل.

وذكر ديودورس الصقلي هذه القلاع، وأثبت الآثار المصرية وجودها، ويتبين من بابير محفوظ في متحف برلين، أنها بنيت منذ عهد أقدم ملوكهم، وكانت تسمى باللغة المصرية إتام وفي القبطية تام أو توم. ولا تخفى المقاربة بين هذا الاسم وبين اسم إيتام الذي ذكره الكتاب. وهذا الطريق كان يؤديهم إلى غزة، ولكن مسيرهم به هرباً من فرعون كان يوقعهم في يد حلفائه ملوك فلسطين. والبابير المعروف بانستازي الثالث ناطق بوجود هذه المخالفة يومئذ، ولذلك أمر الرب موسى أن يرجع فيسير ببني إسرائيل نحو الجنوب أي نحو البحر الأحمر وجبل سيناء، فساروا إلى أن حلوا أمام البحر ولم يصريح الكتاب، كم كانت مدة انتقالهم من إيتام إلى أمام البحر أيوماً أم أكثر. وبعد المسافة مؤذن بأنهم قضوا أكثر من يوم، وكان مسيرهم على شاطئ البحيرات المرة الغربي، قضى عليهم بذلك احتياجهم إلى الماء، والكلأ لماشيتهم. وكانت تلك القطعة تروى بماء النيل وفم الحيروت^(١)

(١) وبيروى حيروت ويحيروت مركبة من كلمة بي ومعناها في المصرية كالسريانية محل وبيت ومن حيروت وفي نسختنا السريانية 'ܡܝܬܐ' 'ܡܝܬܐ' فم الحيروت كما في النص العبراني.

يتعذر تعيين موقعها لتعذر تعيين موقع مجدول وبعل صفون، اللتين عرف موسى بهما فم الخيروت. ولكن لا يعدو أن يكون موقع هذه في شمالي خليج السويس عند آخره لأن موسى أتى من جهة الشمال ميّماً المشرق فلا وجه لعوده نحو المغرب، بل أن يحل عند الطرف الشمالي من الخليج. وقد عثر إدوار نافيل في أخربة تل المسقوطة على صفيحة من عهد بتولمايس فيلادلفوس؛ كتب عليها اسم بيكارت أو بيحارت مرتين ولكن لم يعين موقعها، ولعلها بيحירות التي ذكرها سفر الخروج وقال كثير من المحققين الحدباء: إنّ بيحירות هي المسماة الآن أجروود وهي واقعة بين البحيرات المرة والسويس على بعد أربع ساعات من السويس، ولا يبعد هذا عن الصواب وإن تعسّر القطع به.

وكذا لا يمكن القطع بتعيين محل مجدول، وقد وجد اسمها مكتوباً في الآثار المصرية مَكْتَل أو مكدل، ومعناه القلعة أو الحصن كمعنى مجدل أو مجدول. وهذا مؤذن بأن موقعها كان على التخوم بين مصر والبرية، وكان ثمة حصن. وفي أثر لساني الأول أنّ هذا الملك مؤم مدينة اسمها مجدل عند إيباه من سورية إلى مصر (ذكر ذلك بروغش وشباس وغيرهما). وأمّا بعل صفون فيرجح أنه الجبل المسمى الآن جبل الطاقة (؟) الواقع في الجنوب الغربي من السويس. ويظهر أن هذا الاسم ساميّ دال على مهد الاله وقال بعضهم: إن بعل صفون معناه إله الشمال أو إله الرياح الشمالية. وإنّ واضع هذا الاسم لهذا الجبل إنّما هم البحارة الفينيقيون الذين كانوا يسيّرون سفنهم من هناك نحو الجنوب، ويقدمون محركات لبعل إله هذا الجبل. انتهى ملخصاً.

عد ١٨٧

نجاة بني إسرائيل وغرق جنود فرعون في البحر الأحمر

قال الكتاب (خروج ف ١٤ ع ٥ وما يليه) «فلما أخبر ملك مصر أن الشعب قد هربوا تغير قلبه وقلوب عبيده عليهم وقالوا: ماذا صنعنا فأطلقنا إسرائيل من خدمتنا، فشدّ مركبته، وأخذ قومه معه وأخذ ست مئة مركبة مختارة، وجميع مراكب مصر... فاتّبعهم المصريون فأدركوهم وهم نازلون عند البحر»، قد كان المصريون حراساً على إمسك أسراهم وعبيدهم لتواصل النفع بعملهم كما تبين من

كثير من آثارهم فلا مزية إن كان غمهم شديداً إذ رأوا شعباً كبيراً هاجر بلادهم، وأعدمهم الإنتفاع بأعماله لا إلى زمن ليقدموا الذبائح لإلههم كما كان يظن فرعون بل إلى ما لا نهاية له. ولذلك ركب فرعون بنفسه في مقدمة قومه، وأخذ ست مئة مركبة من مركباته وجيشاً كبيراً وأسرع في لحاق بني إسرائيل. وقد كتب منفتحاً نفسه في أحد آثاره أنه صنع كذلك عند محاربته غزاة أجنبيين انتصر عليهم في مبادئ ملكه. إذ قال إن الفرسان الراكبين خيول عظمتهم جدوا في تتبع آثارهم»، فسار الجيش المصري من تانيس حيث كان الملك حينئذ كما مرّ فأدركوا بني إسرائيل عند خليج السويس، وقطعوا عليهم الطريق من جهة الشمال والشمال الشرقي. وكان في الغرب والجنوب جبل الطاقة وعمر يستعصي عليهم المسير به. وفي الشرق البحر فضاقت بهم المسالك، وسدّت عليهم الطرق ولذلك ارتاع بنو إسرائيل إرتياعاً شديداً وقالوا لموسى: «أين عدم القبور في مصر أخرجتنا لنموت في البرية...»



فقال لهم موسى: قفوا وانظروا خلاص الرب الذي يجريه اليوم لكم... ومضى موسى يده على البحر، فأرسل الرب ريحاً شرقية شديدة طول الليل حتى جعل في البحر جفافاً وقد انشق الماء، ودخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليبس والماء لهم سور عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون، ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومراكبه وفرسانه إلى وسط البحر... وقال الرب لموسى: مد يدك على البحر فيرتد الماء على المصريين... فمد موسى يده ورجعت المياه، فغطت مراكب وفرسان جميع جيش فرعون الداخلين وراءهم في البحر، ولم يبقَ منهم أحد. ولا يعلم حق العلم كم كانت المسافة التي اجتازها بنو إسرائيل في البحر، ويظهر أنها لم تكن طويلة لأنهم عبروا في ليلة واحدة، فيقدر أنها مسافة ست إلى ثماني ساعات على كونهم مليونين من النفوس، ومنهم نساء وأطفال ومعهم ماشية. ويرجح أن معبرهم كان من شاطئ الخليج الغربي بخط منحرف إلى شاطئه الجنوبي الشرقي. إن فرعون لم يفرق كما غرق عسكره لأن الكتاب لم يشر إلى ذلك، والتاريخ والآثار المصرية يظهر منها أنه مات حتف أنفه وعلى فراشه. ودفن في الحبل الذي يسمونه بيبسان الملوك في مدفن أعد له. على أن الآثار لم تنبئنا بشيء من الأحداث في عهده بعد السنة الثامنة من ملكه. وإن قال بعضهم: إنه ولي مصر عشرين سنة دون أن يقيموا على مدعاهم دليلاً. ولا عجب من أننا لا نجد ذكراً لجائحة البحر الأحمر في الآثار المصرية، كما لم نجد ذكراً للضربات العشر لما مر من أن المصريين وغيرهم لم يشأوا تخليد إنخذالهم وخزيهم وهو طبيعي وبديهي.

ومع هذا قد روى العلامة شباس ترجمة اعلام أخذه عن البايير المعروف بأنستازي الخامس قد نسخ في عهد ساتي الثاني ولكن يمكن أن يكون كتب لأول مرة في أيام مفتاح الأول، وقد أنفذه أحد قادة الجيش إلى بعض مأموريه، وهذه ترجمته: «إعلام، متى وصلت إليكم رسالتي هذه اهتموا سريعاً بأن تحضروا إليّ بالمديجو (مّر معنا أن المراد بهذه الكلمة رجال الشحنة الموكولة إليهم المحافظة على العبرانيين بعمل اللبن). الذين يلون السافكي (لا يعلم معنى هذا اللفظ) الأجانب العازمين على الصعود (أي من مصر نحو بلاد العرب. وهذا التعبير كان المصريون والعبرانيون يستعملونه للدلالة على الانطلاق من مصر)، ولا تحضروا جميع الرجال الذين عينت لكم أسماؤهم في درج. وأحرصوا على أنفسكم وأن لا يتردد الرجال في طاعة أمريهم، وايتوني بهم إلى تقهو (هو حصن من حصون المحافظة على

التخوم الشرقية) فانا أدخلكم وإياهم». وقال شباس: لو عيّن العبرانيون في هذه الرسالة باسمهم لما كان لأحد أن يمتري في دلالتها على خروجهم من مصر، ولكن سموا سافكي ولعلّ هذا اللفظ دال على حالتهم أو شغلهم في مصر وعليه فلا يمكن القطع بأن المراد به العبرانيون. وإن أوجبت ذلك القرائن فيبقى الأمر في حيّز الاحتمال .

زعم بعض ناكري الوحي أن العبرانيين انتهزوا فرصة الجزر في البحر الأحمر، فعبروه على اليسر الحاصل من قهقرة ماء البحر. ولما تتبّع المصريون أثرهم استولى المدّ في البحر ففرّقهم. ومَن تمحلوا لذلك العالم دهبوا إله الذي كان يصحب القائد بونايرت (نابوليون الأول) في غزوته إلى مصر. وتابعه أكثر مفسريّ الكتاب من العقليين وسلفادور اليهودي. على أن آي الكتاب ناطقة بما يخالف زعمهم نطقاً جلياً. وقد دقّق ونقّب كثير من الجوّابين والعلماء، وصرّحوا بأنه يستحيل حقيقة على مليونين من النفوس أن يعبروا سوّية مصحوبين بماشيتهم، وأطفالهم ونسائهم على ضبّة حاصلة من جزر البحر في مدة ساعات قليلة. ولا نرى آية عظمت الأسفار المقدّسة قدرها كآية شق البحر الأحمر وإجازة بني إسرائيل فيه. وقد كثر ذكرها في أسفار العهدين القديم والحديث، وترتّم بها الانبياء في مواضع عديدة من كتبهم. ومثل هذا الزعم في بطلانه زعم بعضهم أن عمود النار والغمام، إن هو إلا أقباس من النار كان موسى يسيّرهما في مقدّمة قومه فتضيئهم. ولما اتبعهم المصريون سيّرها في أواخر قومه لتحجّجهم عن نظر أعدائهم، فهذا يُسخر منه، ولا يلتفت إلى ردّه. فالأقباس لا تنير مليونين من النفوس، والكتاب يعزو هذا العمود إلى ملاك إذ قال (خروج ف ١٤ ع ١٩): «فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر إسرائيل فصار وراءهم، وانتقل عمود الغمام من أمامهم فوقف وراءهم، ودخل بين عسكر المصريين وعسكر إسرائيل فكان من هنا غماماً مظلماً، وكان من هناك ينير الليل فلم يقترب أحد الفريقين من الآخر طول الليل». وهذا العمود صحب بني إسرائيل مذ سافروا من سكوت على ما قال القديس إيرونيموس في رسالته إلى فابيول أو مذ سافروا من رعمسيس على ما قال غيره أو مذ سافروا من ايتام إلى ممات هرون على ما قال أكثر المفسرين: وكان مضيئاً في مدة الليل ومظلماً كغمام حالك في مدة النهار. فقد توفّرت آيات الله في إخراج شعبه من مصر لتكون ذكرى وعبرة لشعبه وغيرهم طول الأيام.

وقد سبّح موسى وبنو إسرائيل بعد نجاتهم التسيحة التي ذكرها سفر الخروج (في الفصل الخامس عشر منه) والمفتحة: «أسبّح الرب فإنه قد تعظّم بالمجد الفرس وراكبه طرحهما في البحر». إلى آخرها وأخذت مريم أخت موسى وهرون الدفّ في يدها، وخرجت النساء كلّهن وراءها بدفوف ورقص يترنّمن بأي هذه التسيحة ومريم وبعض رفيقاتها يجاوبن: سبّحوا الرب فإنه قد تعظّم بالمجد.

الفصل السادس

أخبار بني إسرائيل في برية سيناء

عد ١٨٨

لمعة في شبه جزيرة سينا

إنّ سينا شبه جزيرة يحدها خليج السويس غرباً والبحر الأحمر جنوباً وخليج عقبة شرقاً. وتتصل ببلاد العرب شمالاً وأعلى جبالها يُسمّى الآن جبل أم شومر وجبل موسى وجبل سربال. وليست برية سينا صحارى تعلوها الرمال بل بلاد جبلية متحجرة، وليس فيها من الرمل إلا ما ندر خلافاً لصحارى مصر، وترتبتها غير خصبة والنبات فيها قليل إلا في بعض الأودية، والهضاب حيث تكثر الأعشاب العطرية، وليس على أكامها تراب ولا خضر والماء قليل في أوديتها، وسماؤها نقيّة، ولكنّ شمسها محرقة حتى تزيد فيها الحرارة مدة النهار ثلاثين درجة عليها مدة الليل. وسمّاها الكتاب (خروج ف ١٥ ع ٢٢) شور وهي كلمة عبرانية معناها السور. وفي السريانية **ܫܘܪܐ** فإنّ العبرانيين رأوا تجاههم عند إقبالهم على هذه البلاد جبلاً شامخاً من وراء البرية كأنها أسوار طبيعية للبلاد، فسّموها شور أي سوراً، حتى قال هنري بلمر رئيس اللجنة الإنكليزية الآتي ذكرها وهو ينظر مع صحبه من عند عيون موسى إلى جبلي الراحة والته

من وراء البرية، أعجبوا من تسمية العبرانيين لهذه البلاد سوراً. فما أطبق هذه التسمية للحقيقة والوضع.

إنَّ أول من زار برية سينا في هذا العصر، واستقصى فيها إنما هو بوكرد لسنة ١٨١٠م. ثم تبعه كثير من الجوّايين والزائرين على مشقة السفر، وقلة الأمن فيها إلى أن أرسل الإنكليز سنة ١٨٦٨م لجنة علمية للتنقيب فيها والاستطلاع على مواقعها. وكان رئيس هذه اللجنة العالم هنري بلمر، فأقامت هذه اللجنة في تلك الأنحاء ستة أشهر، وأخذت نحو ثلاثمائة صورة فوتغرافية تمثل أخصّ مواقع هذه البلاد، ورسمت لها عدة خرائط جغرافية، ونسخت كل ما عثرت عليه فيها من الخطوط، ونشرت خلاصة أعمالها وآرائها سنة ١٨٧٢م ونستشهد مرات أقوال هؤلاء العلماء في الأعداد التالية.

عد ١٨٩

مراحل بني إسرائيل من جانب البحر الأحمر إلى برية سين

أثبت كثيرون ما جاء في تقليدات أهل تلك الأنحاء أنَّ الإسرائيليين بعد أن عبروا البحر الأحمر حلّوا في الموضع المسمّى الآن عيون موسى. فهناك صحراء كافية لاحتلالهم فيها بعض عيون ماء صافٍ لكنه ملح. وقال فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة ٤٤٢) إنه عدّ هناك اثني عشر ينبوعاً عند زيارته هذا المحل في ٨ آذار سنة ١٨٨٨م، وهناك بعض النخيل أيضاً. وقال الكتاب (خروج ف ١٥ ع ٢٢): «ثم ارتحل موسى بإسرائيل من بحر القلزم، وخرجوا إلى برية شور، فساروا ثلاثة أيام في البرية ولم يجدوا ماء فأفوضوا إلى مارة» قال فيكورو (في المحل المذكور) إنَّ بني إسرائيل اجتازوا حينئذٍ في ساحل البحر الأحمر الذي طوله إلى مارة ثمانون كيلومتراً، وعرضه ثمانية عشر كيلومتراً وساروا هذه المسافة في مدة ثلاثة أيام فكأنهم ساروا في كل يوم ما يجتازه راكب واحد في مدة نحو أربع ساعات ونصف.

وقد تيقّن كل من جابوا هذه الأماكن بصدق كلام الكتاب إذ لم يجدوا هناك إلا أرضاً جرداء، ذات حصى سوداء ليس فيها من النبات إلا بعض أعشاب لا نضارة لها، وبعض شجيرات ذابلة ولا شيء من الماء هناك، حتى قال هنري بلمر

رئيس اللجنة الإنكليزية: «إنَّ كل ما هنالك لا يطبع في مخيلة المسافر إلا تصوُّر برية لا ماء فيها». وقال فلستد (في كتاب رحلته ببلاد العرب المطبوع في لندرة سنة ١٨٣٨م): «يكره العرب الرُّحْل كل البلاد التي من حرارة إلى عيون موسى لعدم وجود الماء فيها».

وأما مارة التي أفضوا إليها فأكثر العلماء أكدوا على أنها الينبوع المسَّيَّ اليوم عين حوارة؛ وهي على أكمة صغيرة هناك ويختلف طعم مائها باختلاف الفصول لكنه لا يخلو أبداً من مرارة. وقال بوكرد (في كتاب رحلته في سورية سنة ١٨٢٢م صفحة ٤٧٢) إنَّ الناس لا تستطيع شرب هذا الماء لمرارته، بل الجمال نفسها تأنف منه إلا إذا أضناها الظمأ. على أن اللجنة الإنكليزية لم تقطع بموقع مارة كل القطع بل قال رئيسها هنري بلمر إنَّه وجد أثراً لذلك في وادي مريرة في تلك الجهة إذ اكتشف سنة ١٨٦٩م هناك عين ماء مر المذاق.

إنَّ كل ما مرَّ مصداق لقول الكتاب: «فافضوا إلى مارة فلم يطبقوا أن يشربوا من مائها لأنه مرّ. ولذلك سمَّيت مارة فتذمَّر الشعب على موسى وقالوا: ماذا نشرب؟ فصرخ إلى الرب، فأشار له إلى شجرة فألقى منها في الماء فصار عذبة». وسمَّي بعضهم هذه الشجرة كركد، وقالوا إنها شجرة ذات أشواك يكثر نبتها حذاء الينابيع، تثمر في الصيف حبواً حمراء عذبة المطعم، وإنَّ من خواصها جعل الماء أقلَّ مرارة. ولكن أبي حكماء اللجنة الإنكليزية المصادقة على هذا الزعم. وقال بلمر رئيسهم لا يعلم أحد أيَّ الشجر استعمل موسى في تحلية ماء مارة. فسفر الخروج لم يصرِّح به، وأهل تلك البلاد لا يعرفون نباتاً يحلِّي الماء. وقد مرَّ بنو إسرائيل في تلك البلاد، ولم تكن ثمار الأشجار ناضجة، ولكن قال فردينند دي لاسبس: (في خطبته السالف ذكرها في نانت سنة ١٨٦٦م): أخبرني بعض العرب أنهم يلقون في المياه المُرَّة نوعاً من الشوك يحمل ثمرأً أحمر حامضاً فيمتصُّ ما فيها من المواد الملحية والقلويَّة، فتخفُّ مرارتها وتصلح للشرب عند الحاجة. ومهما يكُ فذلك فضلٌ من الله سواء قيل إنه هدى موسى إلى شجرة يحلِّي بطبعه مرارة الماء أو أنه أزال مرارته بآية مع توسُّط الشجر.

ثم قدم بنو إسرائيل إلى ايليم وكان هناك اثنتا عشرة عين ماء، وسبعون نخلة فنزلوا هناك على الماء. وقد أجمع أكثر العلماء والجوَّابين على أن موقع ايليم

هذه إنما هو في وادي غرندل. فهناك صحراء تبعد عن عيون موسى ستة وثمانين كيلومتراً. وتجد إلى اليوم أشجار النخل وغيرها من أشجار البرية. وهناك أيضاً ينبوع ماء يجري دائماً ومياهه صافية غزيرة لاسيما في أيام الربيع، وقت حلول بني إسرائيل هناك حتى يتفرّع منه عدة ينابيع. «ثم ارتحلوا من ايليم وأقبل كل جماعة بني إسرائيل إلى برية سين التي بين ايليم وسيناء». كذا في سفر الخروج (فصل ١٦ عد ١) وفي سفر العدد (فصل ٢٣ عد ١٠)، وارتحلوا من ايليم ونزلوا على بحر القلزم، وارتحلوا من بحر القلزم ونزلوا بيرية سين». ففصل موسى في سفر العدد ما أجمله في سفر الخروج ومحلة بني إسرائيل هذه في جانب بحر القلزم الذي هو البحر الأحمر نفسه يتيسّر لمن شهد هذه الأماكن تعيينها تعييناً أكيداً. فأقوم طريق لهم من ايليم إلى البحر كان أن يجتازوا في سفح الجبل المسمّى حمام فرعون، وأن ينحدروا نحو ساحل البحر في وادي شيبقه ووادي طيبة. وعليه فأكثر من تجوّلوا في هذه البلاد قضا بأن محلة بني إسرائيل هذه كانت في أطراف وادي طيبة من جهة البحر، وأن موسى وعمدة قومه حلّوا على الأرجح عند ينابيع وادي طيبة ونخيله على بعد ألف وخمس مئة متر من الشاطيء، وبين هذا المحل وبين وادي غرندل الذي ارتحلوا منه مسافة ثلاثين كيلومتراً أي مسافة نحو خمس ساعات.

وقد كان لهم في مرحلتهم من وادي طيبة إلى برية سين طريقان يُسمّى أحدهما طريق البحر، يُسار به على شاطئ البحر مسافة عدة كيلومترات، ثم يُصعد به نحو الجبل بوادي فيران. والثاني يُسمّى طريق الشمال يُصعد به في وادي طيبة ثم يتحوّل إلى الجنوب الشرقي إلى طرف المحل المعروف بدبة الرملة من جهة الغرب إلى أن يتصل بالطريق الذي على شاطئ البحر. وأجمع أعضاء اللجنة الإنكليزية أن بني إسرائيل ارتحلوا في طريق البحر لسهولة مسلكه ووجود الماء فيه، وهو أرجح من قول غيرهم لأنهم سلكوا طريق الشمال لقربه من برية سين. وهذه البرية هي الصحراء المعروفة الآن بيرية المرقى على ما رأى علماء اللجنة الإنكليزية، وهي واقعة بين الجبال شرقاً والبحر الأحمر غرباً وطولها ٢٢ كيلومتراً وعرضها خمسة كيلومترات وفيها ينبوعان: عين ذفاري وينبوعها عذب، وعين المرقى وماؤها مّ ملح، والمسافة من وادي طيبة إلى عين ذفاري اثنان وعشرون كيلومتراً. وفي هذه البرية بعض المرعى. وبلغ إليها بنو إسرائيل بعد شهر من خروجهم من مصر».

عد ١٩٠

المن

لم يتذمّر بنو إسرائيل في برية سين على موسى لحاجتهم إلى الماء إذ كان منه ما يكفيهم فيها. بل أنبأنا سفر الخروج (فصل ١٦ عد ٢ وما يليه) أنهم تذمّروا لحاجتهم إلى الطعام، وقالوا لموسى وهرون: «ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر حيث كنا نجلس عند قدور اللحم، ونأكل من الطعام شعبنا فلم أخرجتنا إلى هذه البرية لتقتلنا هذا الجمهور كله بالجوع؟ فقال الرب لموسى: ها أنا ممطر لكم خبزاً من السماء. فليخرج القوم ليلتقطوه، طعام كل يوم في يومه... وبالغداة كان يسقط الندى حول المحلة. ولما ارتفع سقيط الندى إذا على وجه البرية شيء دقيق. مكثّل كالجليد على الأرض. فلما رآه بنو إسرائيل قال بعضهم لبعض: منهو (أي ما هو ما هذا فسّتي لذلك منّا)، لأنهم لم يعلموا ما هو... وسماه آل إسرائيل المن وهو كبزير الكزبرة أبيض وطعمه كقطائف بعسل». وكانوا يلتقطون منه كل واحد على قدر أكله عمراً لكل نفس. والعمر كبل. وقال بعضهم: إنه الوعاء الذي كانوا يشربون الماء به. وكانوا يقسمون ما جمعه بهذا العمر. فمن أكثر لم يفضل له ومن أقلّ لم ينقص له. وكانوا يلتقطونه في كل غداة. فإذا حميت الشمس كان يذوب. وما بقي منه إلى اليوم التالي دبّ فيه الدود. وأنتن إلا في يوم السبت فكانوا يلتقطون منه يوم الجمعة ما يكفي مؤونة يومين، فلا يعتريه فساد ولا يجدون يوم السبت شيئاً منه في البرية.

زعم بعض الطبيعيين أن المنّ الذي أكله بنو إسرائيل في برية سينا لم يكن إلا شيئاً طبيعياً، فهو صمغ شجر الطرفاء. وإلى اليوم يلتقط العرب ورهبان دير طور سينا من هذا المنّ، ويأكلونه بالخبز كالعسل. وقد أخذ منه كثير من الجوّابين إلى أوروبا. فلا تنكر أن شجر الطرفاء كثير في تلك البلاد وأنه ينضج ضمناً يتعلّق على أغصانه كحباب الندى، ويسيل عند اشتداد حرارة الشمس في شهري حزيران وتموز، وله طعم العسل. ويسمّيه العرب المنّ لشبهه بالمنّ الذي أقات الله به بني إسرائيل، لكن بين منّ الطرفاء، وبين المنّ الذي أنزله الله على بني إسرائيل فرقاً كبيراً من أوجه عديدة؛ منها أولاً: إنّ منّ بني إسرائيل كانوا يلتقطونه كل يوم في السنة كلها، وفي مراحلهم كلّها من برية سين إلى أرض

الموعد. ومنّ الطرفاء لا تجد له عيناً ولا أثراً إلا في شهري حزيران وتموز. ثانياً: إنّ المنّ الرّبانيّ كان يسقط عند الفجر ومنّ الطرفاء يسقط نحو نصف النهار إذ كان من إسرائيل يذوب. ثالثاً: إنّ منّ بني إسرائيل كان يقيت جمهورهم وهو نحو من مليونين، ومنّ الطرفاء قليل جداً حتى حقّق ستتلاي (في كتابه منّ سينا وفلسطين صفحة ٢٦) إنّ ما يلتقط من المنّ في سينا هيهات أن يكفي مؤونة رجل واحد في مدة ستة أشهر. وقال بوكرد (في كتاب رحلته في سورية صفحة ٦٠١): إنّ ما يلتقط منه في شبه جزيرة سينا كل سنة إنما هو خمس مئة إلى ست مئة ليبرا وزده ما استطعت، فلا يكفي بني إسرائيل مؤونة أسبوع واحد. رابعاً: إنّ منّ بني إسرائيل كان ينتن في اليوم التالي إلا يوم السبت. ومنّ الطرفاء يمكن حفظه سنين عديدة. خامساً: إنّ منّ بني إسرائيل كان كأنه القوت الوحيد لجمهورهم مدة أربعين سنة. ومنّ الطرفاء لا يكفي لقوت إنسان واحد لأنه دواء مسهل قلّ فيه الجواهر المغذي. سادساً: إنّ منّ بني إسرائيل «كانوا يطحنونه بالرحى أو يدقونه في الهاون ويطبخونه في القدور ويضعونه مليباً» (سفر العدد فصل ١١ عد ٨). ومنّ الطرفاء لا يصدق عليه شيء من ذلك. هذا وقد حلّل العالم پرتلوت - أحد القائلين بأنّ المنّ كان طبيعياً - المنّ المأخوذ من سينا والمنّ المأخوذ من كردستان، فكانت نتيجة تحليله الكيماويّ أن أكبر جزء مما تألّف منه هذا المنّ إنما هو المادة السكرية. وبعض المواد المسهلة التي لا تصلح للتغذية. فإذا ما المنّ الذي اقتات به بنو إسرائيل إلا الخبز الذي نزل من السماء.

زعم بعضهم أن بني إسرائيل كانوا يذوقون بالمنّ أي طعم أراده كلّ منهم، وأسندوا ذلك إلى قول سفر الحكمة (فصل ١٦ عد ٢٠ و٢١): «وأرسلت لهم من السماء خبزاً مُعدّاً لا تعب. فيه يتضمّن كل لذة ويلائم كل ذوق، لأن جوهرك أبدى عذوبتك لبنيك. فكان يخدم شهوة المتناول ويتحوّل إلى ما شاء كل واحد». ففهموا الآية بحسب منطوق حروفها على أن القديس أغوستينوس وغيره من الآباء والعلماء، أثبتوا أن المراد بكلام سفر الحكمة ليس هو إلا أن المنّ كان يلائم ذوق كل ممن يستعملونه، وخاصة لأنه جاء في سفر العدد (ف ١١ عد ٦): «والآن فنفسنا يابسة لا شيء أمام عيوننا غير المنّ». ولو ذاق كلّ به ما شاء من الطعام لما قالوا: إنّ نفوسهم يابسة؛ فالمنّ كان للذيذاً مغذيّاً يلائم كل ذوق فلا يأنف منه أحد ويخدم شهوة المتناول فيعيضه عن أحسن ما يشتهي.

عد ١٩١

السلوى

جاء في سفر الخروج (ف ١٦ ع ١٣) «ولما كان العشي صعدت السلوى فغطت المحلة». وجاء في سفر العدد (ف ١١ ع ٣١) «وهبت ريح من لدن الرب فسأقت سلوى من البحر، وألقته على المحلة على مسير يوم من هنا ويوم من هناك حوالى المحلة. (وكان طيران السلوى) عن نحو ذراعين عن وجه الأرض فأقام الشعب يومهم كله وليلتهم وغدهم، يجمعون السلوى. فجمع أقلهم عشرة أعمار فسطحوها لهم مساطح حوالى المحلة لتجف، وتكون لهم مؤونة. والظاهر أن الله أرسل إليهم السلوى مرتين الأولى في بركة سين وهي التي ذكرها موسى في سفر الخروج، والثانية في محلة قبور الشهوة، وهي التي ذكرها في سفر العدد وبين الأولى والثانية سنة، وكلتاها في فصل الربيع. وقال علماء الزولوجيا (وهم أهل العلم بالحيوان) إن السلوى لا ترتفع عند طيرانها عن الأرض أكثر من ذراعين لاسيما إذا أضناها التعب. وحقق الجوابون وغيرهم أن هذا الطائر يكثر مروره في بركة سيناء وسائر بلاد العرب في فصلي الربيع والخريف. فكانت المعجزة إذاً قائمةً بجعل الله الريح تسوقها بكثرتها العجيبة إلى محلة بني إسرائيل. وتيسيره التقاطها وإنشاء موسى بها قبل بلوغها وسوقها عند مسيس الحاجة إليها.

واسم هذا الطائر في العبرانية شلوى وفي الكلدانية والسريانية **שלوى** (سلواي) وفي العربية سلوى. وواحدته سلواة وهو معروف في بلادنا بهذا الاسم وكذا فهمه قدماء المترجمين في الترجمات السبعينية واللاتينية والسريانية والعربية. وكذا ورد في القرآن أيضاً وإن قال بعض مفسريه: أن المراد بالسلوى الشماني على أن العالم لودلف لم يألُ جهداً ليثبت (في كتابه تاريخ الحبشة ك ١ فصل ١٣ عد ٩٦): إن المراد بكلام موسى ليس طائر السلوى بل الجراد ومن مستنداته أن اسم شلوى في العبرانية مشتق من أصل يدل على الكثرة والغزارة. فيصدق على الجراد أكثر من طائر السلوى. وإن الجراد يكثر في بلاد العرب، وتسوقه الريح إليهم ويلتقطونه ويملحونه، ويذخرونه مؤنة طيبة المطعم نافعة للصحة لا يأنف منها أكابرهم وأعيانهم. وإن رأيه يؤيده قول موسى إليهم سطحوها

مسطاح حوالي المحلّة، ولو كان المسطوح طائر السلوى لدب فيه الدود وأنّ من تعريضه للشمس. غير أنّ اجماع نسخ الكتاب ومفسريه القدماء والحدثاء على أنّ المراد طائر السلوى يبطل لإزعام لودلف ويحقّقها أن العبرانيين سألو موسى لحماً لأن نفوسهم سئمت المئ فلا يغنيهم الجراد عن اللحم.

عد ١٩٢

ارتحال بني إسرائيل من برية سين إلى رفيديم

قد جاء في سفر الخروج (ف ١٧ ع ١) «ثم ارتحل كل جماعة بني إسرائيل من برية سين مرحلة مرحلة على حسب أمر الرب ونزلوا في رفيديم». ولكن جاء في سفر العدد (فصل ٣٣ ع ١٢) تفصيل المراحل حيث قيل: «وارتحلوا من برية سين ونزلوا بدفقة. وارتحلوا من دفقة ونزلوا بألوش، وارتحلوا من ألوش ونزلوا برفيديم». فالظاهر أن سفر الخروج لم يصرح بذكر منزلتي دفقة وألوش، لأنه لم يكن فيهما شيء مهم. وللمسافر من برية سين إلى وادي فيران حيث موقع رفيديم القديمة ثلاث طرق: الأولى شمالية يسار بها من عين ذفاري السالف ذكرها، ويجتاز في جبل هناك إلى رفيديم ولكن هذه الطريق مستحدثة. والثانية يمرّ بها في وادي سدرّة ووادي مكثّب في جانب المحل المسمى مغارة حيث كان المصريون يحتفرون المعادن. والثالثة وهي الأيسر والأطول يسار بها على شاطئ البحر في جنوب سهل المرقى إلى مصب وادي فيران. ويصعد في هذا الوادي إلى رفيديم والمسافة بين برية سين ورفيديم في هذا الطريق ثمانية وسبعون كيلومتراً.

وقد رأى أعضاء اللجنة الإنكليزية أن السواد الأعظم من بني إسرائيل سار في هذا الطريق مع ماشيتهم، وأنّ بعض المشاة منهم سار في طريق وادي سدرّة لانتقاصها سبعة عشر كيلومتراً عن الأولى. وزعم بعضهم أن مسير هؤلاء في هذا الطريق ينع منه خوفهم من المصريين الذين كانوا يعملون في المعادن أو يحرسون العملة. ولكن هذا مردود بأن بني إسرائيل الذين كان عديدهم حينئذ زهاء ست مئة ألف رجل، لم يبالوا بنفر يحتفرون المعادن أو يحرسونها. ولم تتمكن اللجنة الإنكليزية من تعيين موقع دفقة، على أنّ العالم إير الألماني استرعى الالتفات إلى المشابهة الكائنة بين اسم دفقة، وبين اسم مققة الذي يراد به باللغة المصرية المواد الثمينة التي تخرج من معادن سيناء. فكأنه يشير إلى أن دفقة كان موقعها قريباً من

المغارة السالف ذكرها. وأما ألوش فلا يعلم في أي المواقع هذه بين دفقة ورفيديم. وأما رفيديم فموقعها في الوادي المعروف الآن بوادي فيران، وتأويل اسمها محل الراحة. والماء الآن قليل في المسافة بين بركة سين ورفيديم فإن كان كذلك في أيام موسى، فيكون بنو إسرائيل أسرعوا في مسيرهم متزودين بقرهم ما كان لا بد منه لهم من الماء، وكانوا يعللون أنفسهم بوجودهم ماء في رفيديم فخاب ما أملوا فعاودوا على عادتهم الشكوى.

عد ١٩٣

آية إجراء الماء من الصخرة

قال الكتاب (خروج ف ١٧ ع ٣): «وعطش هناك الشعب إلى الماء وتذثروا على موسى وقالوا: لِمَ أضعثنا من مصر لتقتلنا وبنينا وماشيتنا بالعطش؟ فصرخ موسى إلى الرب قائلاً: ما أصنع بهؤلاء الشعب إنهم عن قليل يرحمونني. فقال له الرب: مر أمام الشعب وخذ معك من شيوخ بني إسرائيل، وعصاك التي ضربت بها النهر... وها أنا قائم هناك أمامك على الصخرة في حوريب، فاضرب الصخرة فإنه يخرج منها ماء، فيشرب الشعب فصنع موسى كذلك على مشهد شيوخ إسرائيل». فجرى الماء من الصخرة «وسمي ذلك الموضع الحنة والخصومة لسبب مخاصمة بني إسرائيل»، وتأويل حوريب الخراب واليبوسة إذ ليس هناك ماء. ورأت اللجنة الإنكليزية أن حوريب هذه غير حوريب التي تجلى الرب فيها لموسى في العليقة. وأما الصخرة الوارد ذكرها هنا فقد أشغل الجوالين والزائرين البحث عنها من أقدم العهد، وحسبها رهبان دير القديسة كاترينا في جوار ديرهم. وكثيراً ما أروها زائريهم فصدقوا بقولهم، وكتبوا فيها ما عن لهم وأخصهم شاو الإنكليزي وبوكوك؛ الأول في كتابه الذي طبعه في أكسفردي لسنة ١٧٧٢م وملخص ما قال: «قد شهدنا رفيديم وتهياً لنا أن نرى صخرة مربية (وهي التي تسميها النسخة اللاتينية العامية الحنة والخصومة كما روينا آنفاً). فإذا هي محفوظة سالمة من التأثيرات الجوية وكرور الأيام وهي صخر من رخام أشبه بالحجر المحبب مكعبه ستة يزدات (واليرد أقل من المتر قليلاً). وهو في وسط الوادي منفصلاً عما سواه ويظهر أنه منقطع أصلاً من جبل سيناء المحيط بهذا السهل.

والماء الذي جرى منه قد ثقب في إحدى زواياها قناة عمقها إنسان (الإنش جزء من إثني عشر جزءاً من القدم). وعرضها عشرون إنشاً وقد عاينا ثقباً عديدة على طول هذه القناة، وتلك أدلة حية ناطقة بأن كل ثقب كان يصدر عين ماء. والمتأمل يرى أن مثل ذلك لا تأتي به صناعة ولا مصادفة بل كل ما شاهدنا دلنا أن ثمة آية، وأن هذا المشهد يهدي حركة تقوية في قلب كل ناظر». وقال بوكوك ما خلاصته: «إن في الغرب والجنوب من جبل سيناء وادي يسمى وادي يه أي وادي الله، ولا غرو أن ما كان منه في الغرب إنما هو وادي رفيديم حيث حلّ بنو إسرائيل بعد ارتحالهم من برية سين. فأهل هذا المحل يدلون هناك على الصخرة التي يقولون إن موسى ضربها فجرت المياه. وهي صخرة ضخمة من الحجر المحبب الأحمر طولها عشرة أقدام، وعرضها كذلك وعلوها إثنتا عشرة قدماً. وفي أسفل جانبها منفجرات لا يظهر أنها صنع آلة وعددها من كل جانب نحو إثني عشر منفجراً، والعرب يسمون هذه الصخرة صخرة موسى. ويلقون عشباً في هذه المنفجرات ويطعمونه جمالهم زاعمين إنه يبرئها من كل مرض». وقال بهذا المقال لاون دي لاورد وستنلاي وغيرهما.

على أن أعضاء اللجنة الإنكليزية لم يروا في منفجرات الصخرة المحكي عنها شيئاً من المعجزة. وأوردوا لعدم تصديقهم بأن هذه الصخرة صخرة موسى سببين: الأول أنها ليست في وادي رفيديم بل في الوادي المسمى وادي اللجة. والثاني أن هذه الصخرة لا تنفرد بالعلامات التي استدلوها بها على أنها صخرة موسى، فإن في هذا الوادي نفسه صخرة أخرى تشبه الأولى كل الشبه، ولها مثل أخرى في أنحاء شبه جزيرة سيناء. وقد تابع الأب فيكورو أعضاء اللجنة الإنكليزية في رأيهم فقال: في الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٢ (صفحة ٤٧٦) ما ملخصه: «لم تكن آية ضرب الصخرة وجري الماء في المحل الذي يعينه الآن رهبان سيناء، وصدقهم فيه شاو وبوكوك، لأن رفيديم حيث جرى الماء من الصخرة ليس موقعها في وادي اللجة بل في وادي فيران، كما حقق لنا ذلك تقليد قديم حفظه أوسايوس والقديس أيرونيوموس في القرن الرابع وأنطونيوس الشهيد في القرن السابع. وأيدته رؤية هذه المحال فالصخرة الحقيقية يلزم أن تكون في وادي فيران، وقد ذكر رجال اللجنة الإنكليزية تقليداً عند عرب تلك الأنحاء، يعين محل هذه الصخرة في بقعة

تسمى حسي^(١) الخطاطين وهم يعدون موسى من الخطاطين لأنه خطّ الشريعة ولهم عادة لا يعرف لها بدء، وهي أن كل من مرّ بهذا المحل رمى حجراً صغيراً دالاً على أنه لا ينسى المحل، ولا التقليد المشار إليه، فترى الحصى ركاماً فوق الصخور الكائنة هناك والعرب يقولون: إنّ بني إسرائيل بعد أن شربوا من الماء الذي انفجر من الصخرة جلسوا يلعبون برمي الحصى على الصخور. ومن يمشون الآن على هذه العادة يقصدون تذكر هذه الآية، والاستشفاع بموسى صانعها لبرء أقربائهم أو أصحابهم من المرض. ولا تنحصر عادة رمي الحصى على هذا المحل بل يعرف لها نظائر في محلات أخرى حيث وجد تقليد دالّ على أمر مهم، فالعالم بلمر هو أول من روى هذا التقليد وهو يعيّن محلاً يرجح أنه محلّ هذه الآية.

قال الرسول: «إنّ آبائنا شربوا شراباً واحداً روحياً لأنهم كانوا يشربون من الصخرة الروحائية التي كانت تسير معهم، وتلك الصخرة كانت المسيح». (قرنتية ١ ف ١٠ عد ٤) فقال بعض المفسرين والآباء إنّ الصخرة التي ضربها موسى فجّرت المياه كانت تسير مع بني إسرائيل أو كانت أمواها تسيل في أقنية تابعة لهم حيث حلوا. واتّصل بعضهم إلى أن يقول إنّ مياه الصخرة لبثت تصحبهم ثمانين وثلاثين سنة على أنّ هذا التفسير غير صحيح بل الصحيح ما قال غير هؤلاء من المفسرين والآباء وهو أن كلام الرسول مجازي ورمزي كما هو ظاهر من وصفه الشراب بالروحي، والصخرة بالروحانية ومن تصريحه بأن الصخرة كانت المسيح. فالصخرة أي مدلول الصخرة وهو المسيح كان يسير معهم بما أنه إله أجرى لهم الماء، وأنزل عليهم المن. وأيضاً لو كانت الصخرة تسير معهم بنفسها أو بمائها لما خاصموا موسى في قادش أيضاً لحاجتهم إلى الماء، كما ورد في سفر العدد (ف ٢٠). ولما أغفل موسى ذكر استمرار هذه الآية سنين طوالاً فهو لم يغفل ذكر استمرار المن أربعين سنة.

عد ١٩٤

حرب العمالقة

بينما كان بنو إسرائيل في رفيديم وافاهم العمالقة يقطعون الطريق عليهم فكانت

(١) الحسي والحسي والحسي سهل من الأرض يستنقع فيه الماء وقيل غلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر وكلما نزلت دلواً اجتمعت أخرى.

الحرب التي دُكرت في سفر الخروج (ف ١٧ ع ٨ وما يليه). وقد مرّ في كلامنا على غزوة كدرلاومر ملك العيلاميين الجنوبي سورية أن كثيراً من العلماء يرون أن العمالقة هم ذرية عماليق بن أليفاز (من سريته تمنع) بن عيسو ابن اسحق ابن ابراهيم؛ وإن العلماء العرب وكثيرين غيرهم يرون أن عماليق جد هولاء إنما هو من ذرية حام لا من ذرية سام. ويؤيد قولهم أن غزوة كدرلاومر كانت قبل مولد عيسو وأليفاز وذكر أنه ضرب العمالقة فأرجع إلى ما مرّ هناك عد ١٥٥. فهولاء العمالقة، كانوا يسكنون بركة فاران وما جاورها وسمعوا أخبار قدوم بني إسرائيل إلى أرضهم. وظنّوا أنهم ينوون الإقامة فيها فانتظروا بلوغهم محلاً يسر لهم فيه الانتصار عليهم، وفاجأوهم في وادي فيران حيث كانوا بلغوا ضحكاً بسفرهم الشاق مسافة ثمانين كيلومتراً من برية سين. فقال موسى ليشوع بن نون الذي كان يخدمه مذ كان حدثاً:

« إختتر لنا رجالاً واخرج لمحاربة العمالقة، وغداً وأنا أقف على رأس (الراية) اليفاع، وعصا الله في يدي. فصنع يشوع كما قال له موسى في محاربة العمالقة. وموسى وهرون وحوور صعدوا إلى رأس اليفاع؛ فكان إذا رفع موسى يده يغلب بنو إسرائيل، وإذا حطّها تغلب العمالقة. ولما كُلت يدا موسى أخذوا (أي هرون وحوور) حجراً وجعلاه تحته فجلس عليه واسند هرون وحوور يديه أحدهما من هنا والآخر من هناك، فكانت يداه ثابتتين إلى مغرب الشمس فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف. وقال الرب لموسى: أكتب هذا ذكراً في الكتاب». فيظهر أن الحرب دامت النهار بطوله، وكانت للعمالقة حروب أخرى مع بني إسرائيل سيأتي ذكرها. وأما من هو حور هذا؟ فزعم يوسيفوس أنه زوج مريم أخت موسى. على أن الآباء ونخص بالذكر منهم غريغوريوس النيصصي وامبروسيوس، أثبتوا أن مريم أخت موسى استمرت بتولا لم تتزوج، وأن الصحيح أن حور من ذرية يهوذا فهو، ابن كالب بن حصرون غير كالب بن يوفنا. وأما اليفاع فهو اسم رابية قال فيكورو (في المحل الآنف ذكره) إنها تسمى اليوم جبل الطاحونة وإن ارتفاعها ٢٢٠ متراً. وقد عمر المسيحيون الأولون في هذا المحل مدينة فاران ذكراً لهذه الآية، وكانت مدينة اسقفية وترى هناك إلى اليوم أطلال كنائس ومعابد وأديرة ومدافن. وقد كشفت اللجنة الإنكليزية ثمة عن صفيحة مثلت عليها صورة رجل مثشع بحلة، وذراعاها مبسوطتان

يصلي كما صوّر لنا سفر الخروج موسى في موقعة رفيديم. ووجدوا أيضاً صورة ناتجة على أعلى باب تمثل ثلاثة أشخاص في الهيئة الآنف الذكر، فلا غرو أنّ سكّان فاران الأولين راموا أن يخلدوا بهذه الصور ذكر موقعة كانت سبباً لشهرة مدينتهم.

عد ١٩٥

اتيان يترو حمي موسى إليه في البرية ومشورته عليه
في القضاء للشعب

إنّ يترو حمي موسى ويسميه العرب شعياً كان كاهن مدين كما يسميه الكتاب. ويظهر أنّه كان يعبد الإله الحقيقي، أو أخذ يعبده حيثُ إذ جاء في سفر الخروج (ف ١٨ ع ١١) أنّه قال لموسى: «الآن علمت أن الرب عظيم فوق جميع الآلهة بنفس الأمر الذي بغوا (المصريون) به عليهم (على بني إسرائيل). ثم قرب يترو حمي موسى محرقة وذبائح لله، وجاء هرون وجميع شيوخ إسرائيل ليأكلوا مع حمي موسى أمام الله»، والأرجح أن المدينين قوم يترو سكّان العدو الشرقيّة من البحر الأحمر هم غير المدينين ذريّة مدين بن ابراهيم من قطورة سكان الجهة الشرقية من البحر الميت، فالأولون حاميون من ذرية كوش بن حام لتسمية الكتاب صفورة امرأة موسى كوشية (سفر العدد ف ١٢ ع ١). والثانون ساميون من ولد ابراهيم، وإن قال بعضهم إنّ أصل القبيلتين واحد، وقد مرّ لنا كلام في هذا الشأن. فلنأسمع يترو بجميع ما صنع الله لموسى وبني إسرائيل، أتى إليه ومعه صفورة ابنته امرأة موسى وجرشوم واليعازر إبناه، فيظهر أن موسى كان قد أرسلهم إلى يترو بعد أن نزل بهم إلى مصر كما جاء في الفصل الرابع من سفر الخروج. وخرج موسى للقاء حميه وسجد وقبّله، وسأل كل منهما عن سلامة صاحبه. وقصّ موسى على حميه جميع ما صنع الرب بفرعون، والمصريين وجميع ما نالهم من المشقة في الطريق وكيف خلّصهم الرب.

ولمّا رأى يترو موسى يجلس وحده ليقضي للشعب من الغداة إلى العشي قال له: ليس ما تصنعه بحسن فإنّك تكلّ أنت وهذا الشعب الذين معك أيضاً، فاسمع ما أشير به عليك. كن أنت للشعب من قبل الله ترفع دعاويهم إليه، وتنبئهم

بالفرائض والشرائع وتنهج لهم الطريق الذي يسلكونه. وانظر من جميع الشعب أناساً أقوياء أتقياء مستقيمين يكرهون الطمع، وولّ منهم عليهم رؤساء فئات بين ألف ومئة وخمسين وعشرة، فيقضون للشعب في كل أمر صغير ويرفعون إليك كل أمر عظيم، فسمع موسى من حميه وصنع جميع ما قاله له. ولما أزمع بنو إسرائيل على المسير من برية سيناء نحو أرض الموعد، سأل موسى حماه أن يبقى معهم ليهديهم الطرق. فاعتذر، ولذلك جاء في سفر الخروج (ف ١٨ ع ٢٧): «ثم صرف موسى حماه فمضوا إلى أرضه» ولكن يظهر أنّ حو باب بن يترو استمر معهم إذ جاء في سفر العدد (ف ١٠ ع ٢٩) إنّ موسى قال لحو باب: «تعال معنا نحسن إليك... فقال له: ولأنا أمضي إلى أرضي وعشيرتي. فقال له: لا تتركنا فإنّك تعلم مواضع حلولنا في البرية، فتكون لنا بمنزلة الأبصار وإن سرت معنا فما يحسن الرب من خير نحسن به إليك». وقد صحبهم إلى أرض الموعد وأخذ نصيباً ممّا قسّمه يشوع بن نون.

عد ١٩٦

ارتحال بني إسرائيل من رفيديم إلى برية سيناء ونزولهم الجبل
وأي الجبال هو

جاء في سفر الخروج (ف ١٩ ع ١ وما يليه): «وفي الشهر الثالث لخروج بني إسرائيل من مصر في ذلك اليوم... رحلوا من رفيديم وجاءوا برية سيناء فنزلوا في البرية... تلقاء الجبل» إنّ للمرّتحل من رفيديم أي من وادي فيران إلى برية سيناء طريقين: الأول يسمى الآن طريق الواطية في الطرف الشمالي من وادي فيران، والثاني في محل يسمى الآن نجب الهواء في شرقي رفيديم، وممر الطريقين بين سلسلة جبال ارتفاعها من ست مئة إلى تسع مئة متر على أنّ طريق نجب الهواء عسر المسلك، فالأظهر أنّ العبرانيين سلكوا طريق الواطية إلى جبل سيناء. ثم إنّ المسافة التي اجتازها بنو إسرائيل من عيون موسى إلى جبل سيناء هي نحو من مئتين وواحد وستين كيلومتراً، فإذا قسمت على إحدى عشرة مرحلة (كما كانت مراحلهم هذه) كان الحاصل أنّهم ساروا في كل مرحلة ٢٤ كيلومتراً إلا قليلاً، عبارة عن مسافة أربع ساعات بناءً على أن الراكب يجتاز في كل ساعة ستة

كيلومترات، وليس ذلك قليلاً، وهم شعب كامل يسير بأطفاله وشيوخه ومواشيّه، وإما تلقاء أي الجبال حلوا لأن هناك جبلاً أو قمماً لسلسلة جبل سيناء، يسمى كل منهما باسم خاص فأعم التقاليدات أنَّ الجبل الذي حلوا تلقاءه إنما هو الجبل المسمى الآن جبل موسى. وقد صحح أعضاء اللجنة الإنكليزيّة هذا التقليد القديم. على أنَّ بعض الجوالين في هذا العصر، رأوا أنَّ الجبل الذي حلوا تلقاءه هو جبل سربال. وهو قمة من جبال سيناء تبعد عن رفيديم ستة كيلومترات أو سبعة، وسمي سربالاً أي درعاً لهيئة تحدر الماء على صخوره آونة الشتاء. فتكون أشبه بزرد درع نشرت عليها وارتفاعه عن ساحل البحر نحو ١٩٨٠ متراً ويبلغ بعض أعالیه ٢٠٦٠ متراً على أنَّ موقع هذا الجبل المحاط بثلاثة أودية ضيقة، هي وادي الريم ووادي علامة ووادي عجلة، يقضي بأنه يكون صالحاً لنزول إسرائيل تلقاءه، ولاسيما إنهم أقاموا في بركة جبل سيناء مدة طويلة.

وقد صرّح كثير من المؤلفين القدماء الذين ساءحوا أو حجوا إلى جبل سيناء، أنَّ هذا الجبل هو المعروف الآن بجبل موسى، ومن هؤلاء سيلفانوس أمون والقدیس نیلوس راهب سيناء وانطونيوس الشهيد وغيرهم.

ثم ليس في جبل سربال ما نراه في جبل موسى من الآثار الدالة على إجلال القدماء له لتزييل السنّة عليه كبناء كنائس ومعابد وأنهاج طرق. وقد استمسك القائلون بأن سربال هو الجبل الذي نزلت عليه الشريعة، بوجود بعض خطوط قديمة في جواره لكن هذه الخطوط في جوار سربال أقل منها كثيراً في غيره كجبل المناجاة. وقد كان العلماء في أواخر القرن السالف، ومبادئ هذا القرن يظنون تلك الخطوط تمّقها العبرانيون في أيام خروجهم من مصر، فظهر الآن بعد حل رموزها والإطّلاع على فحواها أنّه لم يكن لبني إسرائيل يد فيها بل أنَّ ما كان منها سامياً قد كتبه النبطيون قبل قليل من التاريخ المسيحي أو بعده. وبعضها كتب باليونانية وقد قطعت اللجنة الإنكليزيّة بأن سربال ليس الجبل الذي حلّ بنو إسرائيل تلقاءه، وبالنتيجة ليس الجبل الذي نزلت السنّة فيه على موسى.

فالصحيح إذاً أنَّ الجبل الذي ذكره الكتاب إنما هو جبل سيناء، ويسمى الآن جبل موسى، وطول هذا الجبل ٣٢٠٠ متر وعرضه ١٦٠٠ متر وهو يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي. وارتفاعه الأوسط على ساحل البحر ٢٠٠٠

متر وعن الأوداء ٤٥٠ متراً على أن له قمتين الأولى جنوبية وارتفاعها ٢٢٤٤ متراً وهذه يسمونها جبل موسى، باسم الجبل كله وكانت تسمى قبلاً جبل المناجاة. والثانية في الشمال الغربي وتسمى رأس الصفصافة ومعظم ارتفاعها عن سطح البحر ٢١١٤ متراً. وفي الشمال الغربي من رأس الصفصافة، سهل فسيح يسمى سهل الراحة، مساحة سطحه ألف وست مئة اكتار، والاكتار عبارة عن عشرة آلاف متر مربع فيكون المجموع ستة عشر مليون متر مربع. وإذا ألحق به منفجراً وادي الدير ووادي اللجة تضاعف اتساعه. فعلى أيّ القمتين تجلّى الرب لموسى وأنزل عليه الشريعة؟ فرهبان دير القديسة كاترينا يزعمون استناداً إلى تقليد متوغل في القدم أن القمّة الجنوبيّة المسماة جبل موسى أو جبل المناجاة هي مهبط السنّة. وإنّ رأس الصفصافة لا أهميّة له على أنّ معاينة هذه الأماكن تقضي بالتحالف لزعهم إذ ليس في سفح القمة الجنوبية أرض يمكن أن يجتمع فيها جمع غفير، وسهل الراحة محجوب عنها بقمة رأس الصفصافة.

وقد صرح الكتاب بأن بني إسرائيل كانوا يرون قمة الجبل الذي نزل الله السنّة عليه. ولذلك رأى روينسون أولاً، ثم قطعت اللجنة الإنكليزيّة بأن رأس الصفصافة إنّما هو مهبط الشريعة الموسوية. وهذا لا ينقص من حرمة جبل موسى فإنّه يرجح أنّه الجبل الذي تجلّى الله لموسى عليه في العليقة، والنار تضطرم فيها وفي مناجاته له بعد الشريعة، كما تدل على ذلك تسميته القديمة جبل المناجاة. وتقليدات أهل تلك البلاد أنّ الجبل المسمّى الآن جبل المناجاة، هو جبل منخفض في شرقي جبل موسى ويشرف على سهل الراحة: فهناك أقيم خباء المحضر (قبة العهد)، إذ عليه يصدق ما ذكره الكتاب من أنّ هذا الخباء كان خارجاً عن المحلّة، وكان من بني إسرائيل يمكنه أن يرى من باب خيمته موسى داخلاً في الخباء. انتهى (ملخصاً عن الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلّد ٢ من صفحة ٤٨١ إلى صفحة ٤٩٩ طبعة ٤).

عد ١٩٧

تنزيل الله السنّة

لما حلّ بنو إسرائيل تلقاء جبل سيناء صعد موسى إلى الجبل، فداده الرب قائلاً: كذا تقول لبني إسرائيل قد رأيتم ما صنعت بالمصريين وكيف حملتكم على أجنحة

النسور، وأتيت بكم إليّ والآن إن امتثلتم أوامري وحفظتم عهدي فإنكم تكونون لي خاصة من جميع الشعوب لأن جميع الأرض لي، فعاد موسى ودعا شيوخ الشعب، وألقى إليهم جميع الكلام الذي أمره الرب به، فأجاب الشعب أجمع كل ما تكلم به الرب نعمل بحسبه. ولمّا أنهى موسى كلامهم إلى الرب قال له: أمض إلى الشعب وقدهم اليوم وغداً، وليغسلوا ثيابهم، ويكونوا مستعدين لليوم الثالث، فإن الرب يهبط أمام جميع الشعب على جبل سيناء. واجعل حداً للشعب من حواليه، واحذروا من أن تصعدوا الجبل أو تمسوا أطرافه فإن كل من يمس الجبل يقتل قتلاً بالرجم. وإذا نفخ في البوق جاز لهم أن يصعدوا فنزل موسى، وأعدّ الشعب كما أمر الرب. وحدث في اليوم الثالث عند الصباح أنّها كانت أصوات وبروق وغمام كثيف على الجبل، وصوت بوق شديد جداً. فأخرج موسى الشعب من الخلة، فوقفوا أسفل الجبل (في سهل الراحة)، وهو مدخن كله كدخان الأتون. فارتجف الشعب جداً، ونادى الرب موسى إلى راس الجبل فصعد، فقال الرب له: انزل ناشد الشعب أن لا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون. وليتقدّس الكهنة الذين يتقدّمون إلى الرب كي لا يبطش الرب بهم، فامض وانزل ثم اصعد أنت وهرون معك. ففعل موسى كما أمر الرب، ثم تكلم الرب على مسمع من الشعب منزلاً شريعته، وأولها الوصايا العشر وألحق بها السنن والأحكام الواردة في الفصول ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ من سفر الخروج. فوعد الشعب أن يعمل بكل ما أمر الرب فكتب موسى جميع كلام الرب وبكر في الغداة وبنى مذبحاً في أسفل الجبل، ونصب إثني عشر نصباً لاسباط إسرائيل الإثني عشر، وبعث فتيان بني إسرائيل فاصعدوا محرقات، وذبحوا ذبائح سلامة من العجول للرب.

قد أنكر جاحدو الوحي في القرن السالف أنّ موسى كتب السنّة وسائر أسفار التوراة المنسوبة إليه متمحلين لإنكارهم، بأنّه لم يكن له في البرية ما يكتبها به فقال فولتير ومن حدا حدوه إنّه لم تكن وسيلة في تلك الأيام لكتب المرء أفكاره، إلّا بحفرها على حجر أو رصاص أو خشب أو لبن. ولم يكن للكلدان والمصريين حينئذ من ذريعة لإبلاغ الخلف ما كان لهم إلّا برسم ما يدل على مجمل أحداثهم بإيجاز، وخطوط هيروكليفيّة لا أن ينمقوا كتباً في البرية، وهم كل يوم بواد. وقال هرتمان الألماني في هذا القرن أيضاً إنّه كان نوع من الكتابة في أيام موسى إلّا أنّها لم تكن إلّا سرّاً محفوظاً للكهنة فلم يتهيأ لبني

إسرائيل عرفانها على حالتهم الدليلة في مصر، وزعم مع غيره من الجاحدين أنه لم يكن في إمكانهم وجدان المواد اللازمة لكتابة أسفار ضخمة كأسفار موسى الخمسة، ولا سيما أن التقاليد المحلية كانت تحظر عليهم استعمال غير الحجر أو المعدن أو الخشب، ولا تبيحهم استعمال الرق. واختتم هرتمان كلامه بأن العبرانيين لم يعرفوا الكتابة قبل عصر القضاة.

إن هؤلاء الجاحدين كانوا قبل هذه الأيام، ولو أوردوا اليوم مثل هذه الحجج الباطلة لعيبوا بالجهل الفاحش. فقد صدّقوا بأن فن الكتابة كان في ذلك العصر نادراً عند القبائل اليفانية في أوربا، لكنّه كان في وادي النيل عامّاً شاملاً. يعرفه المصري والعبراني أيضاً. وكنت ترى الكاتب المصري كيف اتّجهت، وقلمه بيده كما نرى الآن صوراً لهم تشد عن العد نقشت قبل أيام الخروج، وفي عصره بل كان للمصريين ولوع أو هوس بالكتابة، حتّى عدّت من العلامات المميزة لهم، ولم تكن المواد اللازمة لها تعوزهم إذ كانوا يكتبون على الحجر والخشب والنسيج والباير. وفي متاحف أوربا ما هو أكثر من أن يعد مكتوباً على المواد المذكورة في عصر الخروج وقبله. وعليه فإذا رأينا موسى حاملاً اللوحين، ووصايا الله مكتوبة عليها ورأيناه يأمر بأن تكتب هذه الوصايا على عتبات الأبواب، وعلى عصائب تُشدُّ بها الجبهة، وعلى غيرها علمنا بلا ريب أن الكتابة مطروقة عند المتكلم ومن يكلمهم. وكان ذلك برهاناً آخر جلياً لصدق الكتاب لا للتكذيب به من وجه أن من يتكلّم كذلك يلزم أن يكون تربي في مصر، وتعلّم علومهم ومن يكلمهم يلزم أن يكونوا كذلك يعرفون الكتابة والقراءة وغيرهما مما اعتاده المصريون، كما كان موسى وبنو إسرائيل وعليه فتكون حجج الجاحدين حججاً عليهم.

عد ١٩٨

إبطاء موسى في الجبل وعبادة بني إسرائيل عجل الذهب

أنبأنا الكتاب (خروج ف ٢٤) أن موسى بعد أن أذاع شريعة الرب على بني إسرائيل، أمره أن يصعد هو وهرون وناداب وإيهو ابناه، وسبعون من شيوخ إسرائيل ليسجدوا للرب، ويشكروه على آلائه عن بعد ويتقدم موسى وحده فكان

كذلك. وبعد أن صعد موسى الجبل غطاه الغمام، وأقام موسى في الجبل أربعين يوماً وأربعين ليلة، وحينئذٍ أمره الرب بعمل الخبء وتابوت العهد، وبين له كيف يلزم عملهما وكيف تكون خدمة الكهنة فيه، وعيّن عاملين لصنعه، وهما بصلاّئيل بن اورى بن حور من سبط يهوذا، وأهلياب بن اجساماك من سبط دان وسلم إليه لوحى الوصايا كما فصل ذلك في سفر الخروج من ف ٢٥ إلى ف ٣٢. وسنأتي على ذكر ملخص ما ذكره الكتاب عن هذا الخبء وما حواه. أمّا الشعب فرأوا أنّ موسى أبطأ في النزول من الجبل، فاجتمعوا على هرون وقالوا له: قم فاصنع لنا آلهة تسير أمامنا، فإن موسى لا نعلم ماذا أصابه. ويظهر أنّهم أكثروا من الإلحاح على هرون، فأراد أن يصرفهم عن عزمهم بما خيّل له أنّهم يأبون صنعه. فقال لهم: إنزعوا شنوف الذهب التي في آذان نسائكم وبنيككم وبناتكم وآتوني بها فلم يتوقف الشعب عن العمل بقوله، فأخذها منهم ودفعها إلى صانع وصوّرها في قالب وصنعها عجلاً مسبوكة. فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أخرجتك من أرض مصر. فتناسوا حالاً تعليم الله بوحدانيّة ذاته، ونطقوا بالشرك. ولا جرم فهم أرادوا أن يتابعوا المصريين بعبادتهم للاله ابيس الذي كانوا يرونهم يسجدن له أمام عجل أو صورة عجل، وكانوا يصورون أحياناً هذا الاله بهيئة إنسان ورأسه رأس عجل.

وقد أجهد العالم مونسو نفسه ليبرئ هرون من هذه الجريمة في كتاب أفرده لذلك، ومن حججه فيه أنّ العجل الذي تسبب بسببه كان شبيهاً بالكارويم الذي كان الرب جالساً عليه عند تجليه لموسى في جبل سيناء. وإنّه لم يأثم بسبب العجل، بل بوضعه وسيلة لتقدمة الشعب عبادة وثنية على أنّ مونسو لم يصادف نصيراً له في رأيه هذا وحاول غيره أن يبرئ ساحة هرون بأنّه إنّما قصد أن يجعل الشعب يسجد للاله الحقيقي امام صورة عجل كأن لم يكن إلا صورة الله. واستدلّوا على ذلك بأنّه قال للشعب: غداً عيد للرب، واستعمل كلمة يهوه الدالة على الله لا على آلهة الأمم. وإنّ الشعب تجاوز مقصده فسجد لعجل آكل عشب كما قال المزل (مز ١٠٥ ع ١٩): «صنعوا عجلاً من حوريب، وسجدوا للمسبوك، وتبدلوا بمجدهم شكل ثور آكل عشب». على أنّه لا يمكن تبرئة هرون من الاثم وهو لم ينكر ذنبه. وقد قال موسى في سفر التثنية (ف ٩ ع ٢): «أمّا هرون فغضب الرب عليه جداً حتى همّ أن يبيده، فتضرّعت لأجل هرون

أيضاً في ذلك الوقت». وسنأتي على إخجال الجاحدين لتنديدهم بالكتاب لذكره سبك العجل عند ردنا تنديدهم به لما ذكره في عمل الحباء.

فقال الرب لموسى في الجبل: هلم فانزل فقد فُيِّد شعبك الذي أخرجته من أرض مصر، ودعني يضطرم غضبي عليهم، فأفنيهم وأجعلك أنت أمة عظيمة. فخشع موسى للرب ضارعاً إليه أن يرجع عن شدة غضبه، ويعود عن مساءة شعبه، ونزل موسى من الجبل ولوحا الشهادة في يده مكتوب على جانبيهما من هنا وهناك، بأمر الله الوصايا العشر، ولما دنا من المحلة رأى العجل والرقص فأتقّد غضبه، فرمى باللوحين من يديه، وكسّرهما في أسفل الجبل. ثم أخذ العجل الذي صنعوه فأحرقه بالنار وسحقه حتى صار ناعماً، وذراه على وجه الماء وأسقى بني إسرائيل، وأنب هرون على صنيعه. زعم بعض الربيين أن كل من شرب من ذلك الماء، وكان مذنباً بالسجود للعجل ضُرب بقروح عرّفت موسى به فقتله بنو لاوي بأمره. وقال غيرهم من الربيين إنّ كل من شربوا من هذا الماء، وكانوا أكثر عبادة للعجل تغير لون لحاهم إلى لون الذهب، واتصل ذلك أيضاً بأولادهم على أن هذه أقاصيص لا يعتد بها. والظاهر إنّه أسقاهم من الماء الذي ذرى على وجهه رماد العجل، ليروا بطلان ما عبدوا وإنّه لا يأتي بنفع ولا ضرر ولو تناولوا رماده.

ثم وقف موسى على باب المحلة وقال: من هو للرب فليقبل إليّ. فاجتمع إليه جميع بني لاوي. فقال لهم: كذا قال الرب إله إسرائيل ليتقلد كل واحد سيفه وليقتل كل واحد أخاه وصاحبه وقريه، فصنع بنو لاوي كما أمر موسى فسقط من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل كذا في النص العبراني، والترجمات السبعينية والسريانية والسامرية. وكذا قرأ كثير من الآباء اليونان واللاتينيين، ولكن جاء في النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية ثلاثة وعشرون ألفاً. ثم قال موسى للشعب في الغد قد خطئتم خطيئة عظيمة والآن أصعد إلى الرب لعلني أكفر خطيئتكم. ورجع موسى إلى الرب وقال: يا ربّ قد خطئ هؤلاء الشعب خطيئة عظيمة، والآن اغفر خطيئتهم وإلا فامحني من كتابك الذي كتبته. فقال له الرب: الذي خطئ إليّ إياه أمحو من كتابي، والآن امض وقد الشعب إلى حيث قلت لك: هوذا ملاكي يسير أمامك (خر ف ٣٢). ثم قال له: انحث لك لوحين حجري كالأولين فاكتب عليهما الكلام الذي كان على اللوحين الأولين اللذين كسرتهما. واصعد في الغداة إلى جبل سيناء، ولا يصعد أحد معك. فنحت لوحين حجري كالأولين وبكر إلى جبل سيناء وفي يده لوحا الحجر،

فهبط الرب في الغمام وأقام موسى هناك أربعين يوماً وأربعين ليلة، لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً. فكتب على اللوحين كلام العهد الكلمات العشر، وأوصاه وصايا أخرى. وعاد موسى ولوحا الشهادة في يده ولم يعلم أن أديم وجهه قد صار مشعاً من مخاطبة الرب له، حتى خاف هرون وبنو إسرائيل من الدنو منه فأرجعهم موسى، وأمرهم بجميع ما كلمه الرب به في طور سيناء، ولما فرغ من مخاطبتهم جعل على وجهه برقعاً، وكان يرفعه عند دخوله بين يدي الرب إلى أن يخرج فإذا خاطب بني إسرائيل رد البرقع على وجهه.

عد ١٩٩

خباء المحضر ورد لإزعاج من جحدوا صحة كلام الكتاب

لما كان عقل الإنسان قاصراً عن أن يسن لنفسه شريعة يقوم بها أعماله، ويقوم بفروضه. وعمت الوثنية وطفى الشرك بالله والشر استجذب الله شعبه من مصر إلى البرية. فنزل على موسى شريعته وجعل اسمها التوحيد، وأمر بني إسرائيل العمل بها، وبما أن الإنسان مركب من نفس وجسد، ويلزمه أن يعبد الله خالقه بهما. وكان المحسوس أشد تأثيراً به من المعقول المجرد، ألهم الناس مذ بدء نشأتهم إقامة المعابد والمساجد، بما أمكن من العظمة والأبهة لإجلالاً له وحمللاً لهم بالوسائل الخارجة أيضاً إلى توقيره وعبادته. ولذا أمر موسى بعد سن شريعته أن يجعل لشعبه الناقلة خباءً متنقلاً، أي مظلة بدلاً من المعبد الراسخ، وأن يكون له من العظمة ما يشعر بانه بيت الله أو خبأؤه، ويميزه عن أخبيتهم. ولذلك أمر موسى (الخروج ف ٢٥) قائلاً: مر بني إسرائيل أن يأخذوا لي مقدمة عند كل إنسان ما تسخو به نفسه، وهذه هي المقدمة ذهب وفضة ونحاس وسمنجوني وأرجوان. وصبغ قرمز وبز وشعر معزى، وجلود كباش مصبوغة بالحمرة وجلود سمنجونية، وخشب سنط (وهو الاكاسيا) وهو كثير هناك. وزيت للمنارة وأطياب لدهن المسح وللبخور العطر، وحجارة جزع وحجارة كريمة لترصيع الأقنود، والصدرة من ملابس الأحبار. ولما أبلغ موسى ذلك إلى الشعب أتى الرجال والنساء بأسورة وشنوف وخواتم وقلائد كل متاع من الذهب، وكل من وجد عنده سمنجوني وأرجوان وصبغ قرمز إلى سائر ما ذكره الرب أتى به، وكل امرأة حاذقة غزلت بيدها وأتت بغزل، والاشراف

أتوا بحجارة الجزع، والحجارة الكريمة تطوعاً للرب. فصنع بصلائل وأهلياب وكل من أودع الرب قلوبهم فهماً وحكمة الخباء بحسب كل ما أمر الرب به (خروج ف ٣٥)، وكان أهلياب «نجاراً ونساجاً حاذقاً ومطرزاً» (خروج ف ٣٨ ع ٢٣) وقد فصل موسى كل ما كان في الخباء في سفر الخروج من الفصل الخامس والعشرين إلى الفصل الثاني والثلاثين ثم من الفصل السادس والثلاثين إلى الفصل الأربعين. ومجمل ما هنالك أنَّ هذا الخباء كان مظلة كبرى طولها ثلاثون ذراعاً، وعرضها عشر، وعلوها كذلك. وكان مقسوماً إلى قسمين أحدهما يسمى القدس وطوله عشرون ذراعاً وعرضه عشر. وكان فيه مائدة خبز التقدمة ومنارة الذهب ومذبح الذهب. وثانيهما يسمى قدس الأقداس وطوله عشر أذرع وعرضه كذلك، وكان فيه تابوت العهد وضمنه لوحا الوصايا، وقسط المنّ وعصا هرون. وكان يفصل بين القدسين ستار ثمين معلق على أربعة أعمدة من السنط مرصعة بصفائح من ذهب. وكان حول الخباء سرادق طولها مئة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً، وكل ذلك قائم على أعمدة من السنط والواح. وكان سقف الخباء مغطى بأربعة أستار أولها من داخل كان مصنوعاً من الأرجوان. والثاني شعر المعزى لمنع نفوذ المطر إلى الداخل. والثالث من جلود كباش والرابع من جلود سمجنونية اللون. كانت الجهة الشرقية من الخباء مفتوحة معلقاً عليها في خمسة أعمدة ستر ثمين، يحجب ما كان في داخله. ومن شاء أكثر تفصيل لهيئة الخباء وما حواه وملابس الأبحار فيه فليطالع الفصول المشار إليها آنفاً.

كذب الجاحدون بكلام الكتاب في الخباء، وسخروا منه متهمين وقالوا ما هو إلا حكاية كتبت بعد بناء هيكل سليمان للشبه الكبير بين الهيكل والخباء. ومن هؤلاء: الكافران فولتر ورنان في المقالات التي كتبها في آخر حياته. وأخص ما تمحلوا به لاسناد أوهامهم قولهم من أين المعامل، والأدوات عند قوم رحل ليعملوا في البرية ما وصفه موسى في الخباء من المناثر والمذابح، وصفائح الذهب والترصيع بالحجارة الكريمة، والانسجة المصبغة. ومن أين العملة الماهرون وهم لم يكن بينهم من يصلح أحديتهم؟ لكنهم طغوا وجهلوا، وجاءت الاكتشافات الحديثة تخجلهم بكفرهم وتخزيهم بجهلهم. والشبه بين الهيكل والخباء لا يقوم عليه تكبر مذ كان سليمان صنع الهيكل على مثال الخباء، وأراد أن يكون بيت الله مبنياً راسخاً بعد أن كان مظلة متنقلة. ولم يرد ذكر الخباء مرة واحدة في الخروج ليسمى حكاية بل

كرر ذكره كأنه في كل صفحة بعد الخروج أي في باقي أسفار موسى، وأسفار يشوع بن نون والقضاة والملوك الأول والثاني إلى بناء الهيكل.

ولنأت إلى شهادة الآثار فهي أعظم مفحم للجاحدين، فقد اكتشفت معامل للمصريين في محل يسمى الآن وادي المغارة في جانب جبل سيناء، وعلى مقربة من محلة العبرانيين. كان المصريون يعملون بها ما يستخرجونه من معادن الذهب والنحاس هناك، وحقت اللجنة الإنكليزية وجود هذه المعامل والمعادن هناك. وتبينت أخريتها ومثل ذلك حققتها أبحاث الكونت لابورد ولبسيوس، ولوتان دي لافال. ونجد ذكر اكتشاف المعادن منذ عهد الدولتين الخامسة والسادسة في مصر، فإن أماني عامل الملك اوزرتيسان الأول، روى في أثر له أنه كان يخفر من ينقلون ذهب معادن كبتوس. وقد كشف عن صفيحة في كوبان كتب عليها للسنة الثالثة من ملك رعمسيس مضطهد اليهود؛ إن ساتي الأول احتفر بئراً ليشرّب منها عملة المعادن، ومن يسيرون في البرية إليها راكبين الحمير فعمق ١٢٠ ذراعاً فلم يجد ماء لكن رعمسيس احتفر سبع أذرع أخرى أو ثمانى فوجد الماء. وفي متحف تورين باير يحوي خريطة هذه المعادن الذهبية للاهتداء إلى عروق الذهب فيها. وقد وجدت اللجنة الإنكليزية في وادي المغارة تمثالاً لفرعون الذي يسمّى سنافرو من الدولة الرابعة، ونقوشاً تمثل فرعون كاوبس الذي بنى أول أهرام هذه الدولة الرابعة فلم يكن إذاً مستحيلاً ولا عسراً على موسى أن يصنع عند جبل سيناء ما صنعه في الخباء، أو في تابوت العهد وملابس الكهنة، فقد استخدم بصلاييل معامل وادي المغارة في صنع ما صنعه من ذهب أو فضة أو نحاس. أو أشغل العملة المصريين بعمله حسب ما شاء. وإذا كان بصلاييل عاملاً في المعادن وأهلياب نجاراً نساجاً طرازاً واستخدم هذان غيرهما ممن أودع الرب قلوبهم حكمةً وفهماً كما جاء في الكتاب فأى مستحيل أو أي غرابة في عمل الخباء لنكذب بآيات الكتاب؟.

ثم إن بني إسرائيل لم يكونوا كلهم في مصر رعاة ماشية، ولم يشغلهم كلهم المصريون في عمل اللبن، بل أشغلوا بعضهم في معامل الصنائع أيضاً. وكان بينهم كثير من أسرى مصر وشعبها. وكان في مصر عملة ماهرون في الذهب والجواهر وترصيعها والحفر بها. ولنا على ذلك شهادات تشدُّ عن العدِّ بما وجد في المدافن القديمة وغيرها من الحلي والتماثيل والصور التي يعجب منها احذق صناع هذا العصر، وقد ملئت بها متاحف أوروبا ومتحف بولاق. وقد كشف عن خريطة لمعادن

الذهب التي كانت في وادي حمامات بين النيل والبحر الأحمر. وتلك الخريطة صنعت في أيام رعمسيس الثاني مضطهد اليهود. وقد ترجمها وأذاعها العالم ليابلان وأمر خديوي مصر سنة ١٨٧٤م بالبحث هناك عن آثار المعادن التي تشير إليها الخريطة، فوجد هناك كثيراً من الآنية والأدوات التي كانت تستعمل في تصفية الذهب والعمل فيه، وبعض المادة الحاوية العروق الذهبية أيضاً. وإذا راعينا أنَّ رعمسيس الثاني صانع هذه الخريطة هو الذي كان يسخر اليهود في الأعمال الشاقة لزمننا لزوماً بديهيّاً أن نسلم أنه سخر بعض اليهود في العمل بمعادن، ومعامل وادي حمامات أيضاً. ومن كان أهلاً منهم أشغل بعمل الحلي وغيره من المصنوعات الذهبية. ثم إنَّ كل ما ورد ذكره في عمل الخباء من نسج أو طراز أو ترصيع جواهر أو طلي بالذهب، والتصفيح به أو عمل الآنية منه أو من الفضة فكل ذلك من صنائع المصريين التي لا تعد أمثلتها في متاحف أوربا. ويستبعد كثيراً أن لا يكون بعض بني إسرائيل تعلم هذه الصنائع منهم مع إقامتهم بين أظهرهم أربعة قرون ونيفاً، وإذا لم يعسر على بني إسرائيل عمل ما كان في الخباء فبالأولى أن لا يعسر عليهم سبك عجل الذهب الذي عبده عند إبطاء موسى في الجبل، ولم يغفل الجاحدون عن انتقاد كلام الكتاب فيه.

وبعد أن تمَّ عمل الخباء وأدواته وما كان فيه، أمر الرب موسى أن يقيم هذا الخباء في اليوم الأول من الشهر الأول للسنة الثانية من الخروج، فكرس بالزيت المقدس المركب من زيت الزيتون والميعة وغيرهما أدوات الخباء، وآنيته ووضع التابوت والمذابح والمناثر فيه. واستدعى هرون وبنيه والبسهم بحضرة الشعب أثواب التقديس، ومسحهم بالدهن المشار إليه آنفاً، وقدم ذبائح لله. ويظهر أن الخباء أقيم على الجبل المسمى الآن جبل المناجاة. وهو أكمة مرتفعة قليلاً عن السهل، وكائنة في مدخل الوادي المسمى الآن وادي الدير في شرقي جبل موسى، ومشرفة على سهل الراحة حيث حل بنو إسرائيل، فموقعها وموقع هذا السهل قاضيان بإقامة الخباء في أعلاها إذ جاء في سفر الخروج (فصل ٣٣ عد ٧ و ٨) إنَّ كلاً من بني إسرائيل كان يرى الخباء وموسى عند دخوله إليه.

الفصل السابع

ما بقي من مراحل بني إسرائيل إلى صحراء مواب

عد ٢٠٠

ارتحال بني إسرائيل من جبل سيناء إلى قبور الشهوة

بعد أن أقام بنو إسرائيل تلقاء جبل سيناء نحواً من سنة، ونزل الرب عليهم سنّته، وأقاموا الخباء، ومسح أحبارهم، وأتمّ نظامهم، أمر الرب موسى أن يعدّهم. فكان عديدهم من ابن عشرين سنة فصاعداً ست مئة ألف وثلاثة آلاف وخمسة مئة وخمسين رجلاً عدا اللاويين (سفر العدد ف ١ ع ٤٥ وما يليه). ثم انكشف الغمام عن الخباء فحملة اللاويون وارتحل بنو إسرائيل حوله بحسب النظام المذكور في الفصل الثاني من سفر العدد. وكان ارتحالهم في العشرين من الشهر الثاني للسنة الثانية بعد الخروج يؤمون بركة فاران. وقد أقرّت اللجنة الإنكليزية بعجزها عن تعيين الطريق الذي سار به بنو إسرائيل حينئذ، لكنها أوردت بعض افتراضات تقرب من الصحة. وحيث أنّ أوّل محلة احتلها بنو إسرائيل بعد ارتحالهم من بركة سيناء إنّما هي قبور الشهوة، فرأى أعضاء هذه اللجنة أن الأظهر أنّ موقع قبور الشهوة هو في المحل المسمى اليوم رويس الاويرج، وهو بعيد ٤٢ كيلومتراً عن جبل موسى في طريق خليج عقبة. وذهب بعض العلماء إلى أنّ بني إسرائيل عند ارتحالهم من سفح جبل سيناء ساروا نحو الشمال لكن الأظهر أنّهم اتجهوا نحو المشرق إلى جهة خليج عقبة. وعليه فلا يصح أن يكون موقع قبور الشهوة في المحل المسمى الآن وادي العين في الشمال الشرقي من جبل موسى على بعد ٨٨ كيلومتراً منه - كما ظنّ بعضهم - ولا في السهل الواقع في الشمال الغربي منه المعروف الآن بالواطية.

ويرجح أنه في رويس الاويرج كما رأى أعضاء اللجنة الإنكليزية. وروى الأب فيكورو (الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٢ صفحة- ٥٥٣) أن عند العرب هنالك تقليداً منبهاً بأنه قد مرّ بهذا المحل منذ أحقاب جمهور كبير من الحجاج ماضين إلى حيصروت، فلبثوا فيه، وما يرى فيه من الآثار إنما هي آثار عبورهم ثم تاهوا في التيه وانقطعت أخبارهم. فيمكن إنتاج شيء من هذا التقليد وإن غير راهن لأن قول العرب في رواية هذا التقليد «تاهوا» مشعر بأن المراد بجمهور الحجاج الماضين إلى حيصروت بنو إسرائيل، وعن هذه الكلمة أخذ اسم بادية التيه أي تيه بني إسرائيل، وقولهم حجاج يريدون به جمهوراً كحجاج مكة. ولكن يمكن اشتقاق الكلمة من حك العبرانية مثل **حك** (حكى) السريانية ومعناها العيد. وقد استعمل هذا اللفظ (في الخروج ف ١٠ ع ٩) للدلالة على العيد الذي سأل موسى وهرون فرعون أن يأذن لبني إسرائيل أن يعملوه في البرية.

وأما الداعي لتسمية هذا المحل قبور الشهوة فهو ما جاء في سفر العدد (ف ١١ ع ٤ وما يليه) حيث قيل: «واشتهى الأخلاط (أي من خرجوا مع بني إسرائيل من مصر، ولم يكونوا منهم) الذين فيما بينهم شهوة فتابعهم بنو إسرائيل، وبكوا هم أيضاً وقالوا من يعطينا لحماً فقد ذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقثاء، والبطيخ والكراث والبصل والثوم، والآن فنفسنا يابسة لا شيء أمام عيوننا غير المن». فلما سمع موسى الشعب ييكون بعشائرهم وقد اشتد غضب الرب جداً ساء ذلك موسى. وقال للرب: لِمَ ابليت عبدك؟ حتى وضعت أثقال جميع هؤلاء الشعب عليّ! أَلَعَلِّي أنا ولدتهم؟ حتى تقول لي إحملهم في حجرك كما تحمل الحاضن الرضيع، من أين لي لحم أعطيه لجميعهم؟ فإن كنت فاعلاً بي كذا فاقتلني إن حظيت في عينيك ولا أرى بليتي. فقال له الرب: إجمع لي سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل وخذهم إلى خباء المحضر فيقفوا ثمة معك، فانزل وأتكلم معك وأخذ من الروح الذي عليك وأحلّه عليهم، فيحملون معك أثقال الشعب، وقل للشعب تقدّموا للغد فتأكلون لحماً لا يوماً ولا يومين ولا خمسة أيام ولا عشرة أيام ولا عشرين يوماً بل شهراً من الزمان إلى أن يخرج من أنوفكم، ويصير لكم بشماً. فخرج موسى وأخبر الشعب وجمع سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل، ووقفهم حوالي الخباء وحل روح الرب عليهم، فتنبأوا إلا أنهم لم يستمروا أنبياء وبقي منهم الداد وميداد في المحلة فتنبأوا فيها. وعند انحيازهم إلى المحلة «هبت ريح من لدن الرب

فساقت سلوى من البحر، وألقتة على المحلة على مسيرة يوم من هنا ويوم من هناك حوالي المحلة على نحو ذراعين عن وجه الأرض، فأقام الشعب يومهم كله وليلتهم وغدهم يجمعون السلوى فجمع أقلهم عشرة أحمار^(١) فسطحوها لهم مساطح حوالي المحلة، وبينما اللحم بعد بين أسنانهم قبل أن يعضوه إذا اشتد غضب الرب فضربهم ضربة عظيمة جداً، كأنه بلاهم بوباء إثر أكلهم السلوى، فمات منهم خلق كثير فقبروهم هناك، «فسمي ذلك الموضع قبور الشهوة لأنهم دفنوا فيه القوم المشتين». وقد ذكرنا ما يتعلّق بالسلوى عند إنزالها المرة الأولى في بركة سين فطالع عد ١٩١.

عد ٢٠١

ارتحال بني إسرائيل من قبور الشهوة إلى حصيروت وغيرها حتى قاش وتذمر مريم وهرون على موسى بسبب امرأته

جاء في سفر العدد (ف ١١ ع ٣٥): «ورحل الشعب من قبور الشهوة إلى حصيروت فأقاموا هناك». وحصيروت تسمى الآن عين حصيره أو حصاره على مسيرة أربعة وعشرين كيلومتراً من رويس الاويرج نحو خليج عقبة. وهناك آثار محلة من ينابيع ماء جارية ونخيل. وكلمة حصيروت عبرانية تأويلها الخطيرة وهي الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الماشية. ومثل هذه الحظائر كان ولا شك كثيراً في بلاد العرب. ويظهر في سفر العدد (ف ١٢) إنّه هناك تكلمت مريم وهرون في موسى بسبب المرأة الحبشية التي تزوجها، لأنه كان قد اتخذ زوجة حبشية (والأولى أن تترجم كوشية)، وهي صفورة امرأته فإنّها من المدينيين وهم على الأرجح قبيلتان إحداهما من ذرية كوش بن حام ومنها امرأة موسى هذه. والثانية من ذرية مدين بن ابراهيم من قطورة كما مر في عد ١٩٥.

وعلماء العرب يحسبون المدينيين سكان شرقي البحر الأحمر أجنيبين عنهم وليسوا من قبائل العرب السامية. وهذا مؤيد للقول بأنهم من ولد كوش بن حام،

(١) كذا في نسخة الآباء اليسوعيين في سفر العدد فصل ١١ عد ٣٢ ولكن في سفر الخروج فصل ١٦ عد ١٨ انهم كالوا المن بالغمر وفي عد ٣٦ (وكان العمر عشر الألفية) فلعل مرتبي الحروف في المطبعة بدلوا العين بالحاء هنا.

وأما الذي حمل مريم وهرون إلى القول على موسى بسبب امرأته، فالظاهر من أمره أن صفورة تسببت في هذا التذمر بتفاجرها بالنعم التي اعطاها زوجها موسى. وكان العبرانيون يمتنون ذرية حام والمصريون والكوشيون منها. وكان موسى نهاهم عن التزوج بالأجنبيات، فرأوا أنه كان عليه أن يردها على أبيها لا أن يستبقها. فانتصر الله لموسى وقال له: أخرج أنت وهرون ومريم إلى الخباء فخرجوا. وقال الرب لهرون ومريم: اسمعوا كلامي إن يكن فيكم نبي للرب فبالرؤيا أتعرف له وفي حلم أخطبه، وأما عبدي موسى فأخطبه فمأ إلى فم، فما بالكما لم تهابا أن تتكلما فيه؟ وأظهر الرب شدة غضبه عليهما ومضى ومال الغمام عن الخباء فإذا مريم برصاء كالثلج فشفع بها موسى لدى الرب فلم يقبل شفاعته، إلا أن تحجز سبعة أيام خارج الخلة فحجزت كذلك ولم يرتحل الشعب حتى أرجعت.

ثم قال الكتاب (سفر العدد ف ١٣): «وبعد ذلك ارتحل الشعب من حصيروت ونزلوا بيرية فاران»، بيرية فاران فسيحة الأنحاء، ولم يعين الكتاب في أي جهاتها حلوا، ولكن يؤخذ من كلامه التالي في بعته رجالاً يجسون أرض كنعان أنهم حلوا في قادش. لقول الكتاب بعد ذلك (عد ٢٧) إن هولاء الجواسيس عادوا إلى موسى في بيرية فاران في قادش، وإذا كان الأمر كذلك فلا يكون مفهوم كلام الكتاب أن الشعب ارتحل من حصيروت توة إلى قادش فإن ما جاء في الفصل ١٢ من سفر العدد؛ إنما هو كلام مجمل موجز ورد تفصيله في الفصل الثالث والثلاثين منه حيث ذكر ثماني عشرة مرحلة بين حصيروت وقادش. ولما لم يكن في هذه المراحل ما يهم موسى ذكره اضرب عن تفصيلها. وأبقى ذكر جميع المراحل من خروجهم من مصر إلى بلوغهم صحراء مواب، فأفرد له الفصل الثالث والثلاثين على أن تلك المراحل قلما كان فيها أمر مهم. وقد تتبعها كثير من العلماء والمكتشفون، ولهم في تعيين مواقعها أقوال قل منها ما يمكن إخراجه من حيّز الاحتمالات. فنضرب عن تفصيلها مجانية للملل القراء، وأكثرها في بادية التيه المعروف بتيه بني إسرائيل. على أن المرحلة الأخيرة قبل قادش وهي عصيون جابر معروفة وموقعها معين، وهي على خليج عقبة وظن بعضهم أنها وإيلة مدينة واحدة. وليس ذلك بمقطوع به إذ جاء في سفر الأيام الثاني (ف ٨ ع ١٧). ثم ذهب سليمان إلى عصيون جابر وإلى إيلة على شاطئ البحر في أرض أدوم». فالظاهر منه أنهما مدينتان، ولعل إيلة سميت باسم إيلة من ولد عيسو الذي خلف اهلييامة في

الولاية على بلاد أدوم، كما في التكوين (ف ٣٦ ع ٤١). وقد انقضت مدة ارتحال بني إسرائيل من حصيروت إلى قادش دون أن يكون فيها حدث مهم. ولا أقل من أن الكتاب لا ينبئنا شيئاً من الأحداث المهمة إلا ثورة قورح من بني لاوي وداثان وأبيرام واون من بني راويين ومعهم مئتان وخمسون من رؤساء الجماعة وتذمرهم على موسى لاختصاص هرون وذريته بالكهنوت.

وقد صرح الكتاب بما عاقب الله به رؤساء الثائرين أي بانشقاق الأرض وابتلاعهم مع أولادهم ونسائهم، وبخروج نار أحرقت محازبيهم المئتين والخمسين، ولما شكوا الشعب وقالوا إن العقاب شديد الصرامة انتشر فيهم وباء أهلك منهم أربعة عشر ألفاً، وانكفأت الضربة بتوسل موسى وهرون. وقد فصل الكتاب ذلك في الفصل السادس عشر من سفر العدد، ثم ذكر في الفصل السابع عشر أن الرب أمر موسى أن يأخذ عصاً من كل بيت من رؤسائهم فأخذ اثنتي عشرة عصاً، وكتب أسم كل واحد على عصاه واسم هرون على عصا لاوي. فوضع موسى العصي أمام الرب في الخباء فأفرخت عصا هرون وأخرجت براعيم، وأزهرت وأنضجت نوراً. فأخرج موسى جميع العصي إلى بني إسرائيل ليتحققوا اختيار الرب هرون ونسله للكهنوت. وأمر الرب موسى أن يرث عصا هرون إلى أمام الشهادة لتحفظ آيةً لذوي التمرد.

وارتحل بنو إسرائيل من عصيون جابر إلى قادش وهي واقعة على تخوم الأدوميين. وقال أعضاء اللجنة الإنكليزية: إن موقعها في عين قادش في جبل مغرة وتسمى قادش برنع، وتوجد قادش أخرى في أعلى الجليل وقعت في نصيب سبط نفتاليم. وقال بعضهم إن قادش التي حل بها بنو إسرائيل غير قادش برنع وإنهما مدينتان ومهما يكن فقد أقام بنو إسرائيل في قادش مدة متطاولة، كما يظهر من سفر تثنية الإشتراع (ف ١ ع ٤٦) حيث قال الله لهم: «فأقمتم في قادش ما أقمت من الأيام الكثيرة».

عد ٢٠٢

ما كان لبني إسرائيل في قادش أعني وفاة مريم أخت موسى وإجراء الماء في الصخرة ثانية وإرسال الجواسيس إلى أرض الموعد

قد جاء في سفر العدد (ف ٢٠ ع ١): «أقام الشعب بقادش، وماتت ثم مريم ودفنت هناك»، وهي أخت موسى وبنت عمران. وكانت تكبر أخاها موسى بعشر

أو باثنتي عشرة سنة فهذا ما يقضي به ما جاء في الكتاب عن كلامها مع ابنة فرعون عند انتشار أخيه من النيل، والأظهر أنها استمرت بتولاً وإن قال بعضهم إنها زوجة حور (راجع عد ١٩٤). ولم يذكر الكتاب سني عمرها ولا يتأكد في أية سنة بعد الخروج ماتت فإن صحَّ قول كلمت إنها ماتت في السنة الأربعين للخروج كان عمرها إلى موتها مئة وثلاثين أو مئة واثنين وثلاثين سنة بناءً على أنَّ موسى أباها مات تلك السنة، وعمره مئة وعشرون سنة (تثنية ف ٣٤ عد ٧) وعمرها قبل مولد أخيها عشر أو اثنتا عشرة سنة كما مرَّ. وقال يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٤ ف ٤) إنها دفنت باحتفاء وأنفق على دفنها من مال الجماعة. وإن بني إسرائيل رثوها شهراً. وقال اوسابيوس أن سكان قادش كانوا إلى زمانه يدلون على قبر مريم في ضواحي مدينتهم.

وفي قادش أيضاً خاصم الشعب موسى وهرون لحاجتهم إلى الماء، فتجلى الرب لهما في باب الخباء وقال لموسى أن يجمع الجماعة ويأخذ عصاه ويضرب الصخرة فتجري المياه. فعمل كما أمر الرب وقال للجماعة اسمعوا أيها المتمردون أنخرج لكم من هذه الصخرة ماء؟ ورفع يده وضرب الصخرة مرتين بعصاه فخرج ماء كثير فشرب منه الجماعة وبهائمهم، وهناك قضى الرب على موسى وهرون بأنهما لا يدخلان أرض الموعد، ولم يصرَّح في سفر العدد بالداعي لهذا القضاء، لأن الرب قال لموسى وهرون بما أنكما لم تؤمنا بي ولم تقدساني على عيون بني إسرائيل لذلك لا تدخلان أنتما هؤلاء الجماعة الأرض التي أعطيتها لهم. لكن المرتل أوضح ذلك في المزمور ١٠٥ عد ٣٢ إذ قال بموجب النص العبراني: «ثم أغضبوه على مياه الخصومة، فلحق موسى سوء من أجلهم لأنهم غاظوا روحه ففرطت شفتاه»، فكان قوله أنخرج لكم من هذه الصخرة ماء؟ كان من باب الإستفهام الإنكاري مع أنَّ الرب كان قال له ولهرون أن يكلِّما الصخرة فتعطي مياهها (سفر العدد ف ٢٠).

ومن قادش أرسل موسى بأمر الله اثني عشر رجلاً من كل سبط رجلاً من رؤسائه يجسسون أرض كنعان. وقال دي لابور (في تفسيره الجغرافي في سفري الخروج والعدد): إنه بعثهم من رثمة أوَّل مرحلة بعد حصيروت، فعادوا إليه في قادش، وأمرهم موسى أن يطوفوا في البلاد، ويروا سبكانها أشديدون هم أم ضعفاء؟ وقليلون أم كثيرون؟ وما مساكنهم أحياء هي أم حصون؟ فمضوا وجسَّوا الأرض

من برية فاران إلى رحوب عند مدخل حماه. وظن بعضهم أن رحوب يراد بها سهل البقاع وبعلبك مستمسكين بقول الكتاب إنَّها عند مدخل حماه وبأن اسمها رحوب أي رحب، وفسيح ينطبق خير انطباق على تلك السهول. ولكن رأى غيرهم سنداً إلى ورود اسمها في سفر يشوع بن نون، وفي سفر القضاة دالاً على مدينة في سبط اشير، إنَّ رحوب كانت في أنحاء دان قرية من منابع الأردن. إلا أن يوفى بين القولين أن مملكة رحوب كانت تخومها تمتد إلى دان و منابع الأردن. وقد أتم الجواسيس تطوافهم في أربعين يوماً، وأتوا خبرون وهي الخليل الآن. وقال الكتاب: إنَّها بنيت قبل صوعن مصر (وهي تانيس القديمة وصان الآن) بسبع سنين. وقطع الجواسيس من ثم زرجونة بعنقود واحد من العنب، وحملوه بعثلة بين اثنين مع شيء من الرمان والتين فسمي الموضع وادي العنقود. وجاءوا موسى في برية فاران في قادش، وأروا الجماعة ثمر الأرض وقالوا إنَّ الأرض تدرُّ بالحقيقة لبناً وعسلًا وهذا ثمرها، غير أنَّ الشعب الساكنين فيها أقوىاء، والمدن حصينة عظيمة جداً فهناك العمالقة مقيمون بأرض الجنوب، والحثيون واليوسيون والأموريون مقيمون بالجليل، والكنعانيون مقيمون عند البحر وعلى عدوة الأردن. وقد رأينا ثم من الجبابرة جبابرة بني عناق فصرنا في عيوننا كالجراد وكذلك كنا في عيونهم.

وخالفهم يشوع بن نون وكالب بن يوفنا قائلين نصعد ونرت الأرض، فإننا قادرون عليها. ووقع الرعب في الجماعة، ورفعوا أصواتهم في البكاء وتذمروا على موسى وهرون، فمزق يشوع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما قائلين: إنَّ الأرض التي مررنا فيها لتتجسسها جيدة جداً فلا تخافوا سكانها، والرب معنا فلا ترهبوهم فقاتلت الجماعة كلها: ليرجما بالحجارة، وظهر مجد الرب في الخباء لجميع بني إسرائيل مغضباً عليهم. فأخذ موسى يتوسل إليه كي لا يهلكهم. وقضى الرب بأن جميع الرجال الذين خرجوا من مصر، وعمرهم عشرون سنة فصاعداً لا يدخل منهم أحد أرض الموعد إلا يشوع بن نون وكالب بن يوفنا. وقال الرب للجماعة إنَّ أطفالكم الذين قتلتم إنَّهم يكونون غنيمة لأعدائكم في أرض الموعد فإياهم أدخل الأرض التي رذلتموها، وأما جثثكم فتسقط في البرية إذ تكونون فيها بعدد الأيام التي تجسستم الأرض فيها، وهي أربعون يوماً كل يوم بسنة أي من يوم خروجهم من مصر إلى دخولهم أرض الموعد، فالرب رآهم غير أهل لمحاربة الكنعانيين، وسائر سكان فلسطين فأطال مدة إقامتهم في البرية ثماني وثلاثين سنة. وسوف تأتي على

ذكر المواضع التي أقاموا فيها هذه المدة الطويلة، وأما الرجال الذين بعثهم موسى ليجسوا الأرض ورجعوا وذمّروا عليه كل الجماعة، فضربهم الرب وأماتهم وأبقى يشوع بن نون وكالب بن يوفنا (العدد فصل ١٣ و ١٤).

عد ٢٠٣

ارتحال بنو إسرائيل من قادم في جانب جبل أدوم إلى جبل هور
وموت هرون هناك

قد أضرب موسى عن ذكر ما كان في الثماني والثلاثين سنة التي أقاموا فيها بالبرية، وعاد بعد ذكره آية الصخرة في قادم يبنينا (سفر العدد ف ٢٠ عد ١٤)، لأنه أنفذ رسلاً من قادم إلى ملك أدوم، ولا يظن أنهم أقاموا كل هذه المدة في قادم بل الأظهر أنهم ارتحلوا عنها. ثم عاودوا الإقامة فيها، وأما ملك أدوم هذا فهو من ذرية عيسو بن اسحق بن ابراهيم. وسُميت هذه البلاد باسمه أدوم أو هو سُمي باسمها على أحد القولين اللذين ذكرناهما قبلاً. ومن كلام الكتاب الآتي يتضح أن ولاية هذه البلاد استمرت في ولد عيسو، إذ قال موسى لملك أدوم:

«قال أخوك إسرائيل قد علمت بجميع ما نالنا من المشقة، وإن آباءنا هبطوا مصر. فأقمنا بها أياماً كثيرة، فأساء المصريون إلينا وإلى آبائنا، فصرخنا إلى الرب فسمع صوتنا، وبعث ملاكاً وأخرجنا من مصر. وها نحن في مدينة قادم في طرف تخمك، دعنا نمر في أرضك ونحن لا نميل إلى حقول ولا كرم ولا نشرب ماء بئر، لكننا نسير في الطريق السلطاني لا نميل يمنة ولا يسرة إلى أن نجوز تخمك». فأبى ملك أدوم إلا التهديد لهم إن جازوا بأرضه. ومنعهم الرب من محاربة الأدوميين، فتحول إسرائيل عنهم واضطروا أن يدوروا نحو الجنوب الشرقي حول جبل سعير مسكن الادوميين، ليعودوا من جهة الشمال. فارتحلوا من قادم وأقبلوا إلى جبل هور وهو على تخم بلاد أدوم في الجنوب. وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٤ ف ٤) تقليداً يتيين منه أن هذا الجبل واقع على مقربة من مدينة حجر قصبة بلاد العرب الحجرية، وإنها كانت تسمى قديماً اركا، وتسمى الآن حجر فحل بنو إسرائيل لا على الجبل بل في سفحه. وجاء في تثنية الإشتراع (فصل ١٠ عد ٦). إن هذه المنزلة تسمى موسير إذ قال: «وارتحل بنو إسرائيل من

ابار بني يقعان إلى موسير هناك مات هرون ودفن». فيظهر أنَّ اسم المحلة موسير واسم الجبل هور وهناك كلم الرب موسى قائلاً لينضم هرون إلى قومه لأنه لا يدخل الأرض التي اعطيتها لبني إسرائيل، لأنكما عصيتما أمري عند ماء الخصومة. وأمره ان ياخذ هرون واليعازر ابنة ويصعدهما جبل هور، وينزع عن هرون ثيابه ويلبسها اليعازر ابنة. فصنع موسى كما أمره الرب ومات هرون هناك في راس الجبل. وعاد موسى واليعازر إلى الجماعة فبكى جميع آل إسرائيل هرون ثلاثين يوماً، وكان عمره وقتئذٍ مئة وثلاثاً وعشرين سنة. وقد دفنه موسى واليعازر في مغارة بحيث لا يعرف أحد قبره لئلا يعبدوه بنو إسرائيل جرياً على ما آلفوا من عوائد المصريين أن يعبدوا مشاهيرهم إذا ماتوا. أو خشية أن ينتهك العرب هناك حرمة مدفنه، ومع هذا ففي جبل هور مدفن يسمونه مدفن هرون. وقد زاره كثير من الجوّالة منهم العالم دي لابور وقال إنَّ العرب يجلبون إلى اليوم مدفن النبي هرون في أعلى جبل هور، ويسمى الجبل الآن جبل النبي هرون. وقد زاره أيضاً إرربي ومنكل Yrbi et Mangles سنة ١٨١٨م وكتبوا في هذا المدفن كثيراً وخلاصته أن جبل هور عسر المسلك جداً وإنَّ في قمته مغارة في صخر، ومدفن هرون في داخلها، وهو قبر صغير أشبه بمدفن الإسلام. فيحتمل أنَّ البناء الذي يرى اليوم احدث في عصر قريب، وفي جوانبه الخارجة بعض الأعمدة وقطع من الحجر المحبب والرخام. وإنَّهما وجدا كتابة عبرانية ترجمها فلم يكن فحواها إلا أنَّ رجلاً يهودياً زار مع أسرته هذا المحل، وأنَّ في زاوية المغارة في الشمال الغربي منحدرًا بسلم إلى مغارة أخرى. وكان ثم حاجز من حديد يمنع الدنو من المدفن؛ فاتفق لهما أنَّ هذا الحاجز كان ساقطاً، فتيسر لهما أن يمشيا المدفن الذي يقال إنَّه مدفن هرون، ومن فوقه طنفسة رثة، وذكر ذلك فيكورو أيضاً في معجم الكتاب في كلمة هرون وقال إنَّ كثيراً من المسلمين أيضاً يحجون إلى قبر هرون، هناك تبركاً وإنَّ البناء الخارج فوق مغارة المدفن قد بُني بأنقاض معبد مسيحي كان هناك في مبادي القرن الثالث عشر.

عد ٢٠٤

حربهم مع ملك عراد ومراحلهم من جبل هور إلى صحراء مواب

قال الكتاب (سفر العدد ٢١): «وسمع الكنعاني ملك عراد المقيم في الجنوب :

أَنَّ بني إسرائيل قد جاءوا على طريق أثاريم، فقاتلهم وسبى منهم سبياً». ويظهر من قوله إنَّ بعض عشائر الكنعانيين كانت قد طعنت إلى عراد الواقعة في قرب العربية الحجرية. وظن هذا الملك أنَّ بني إسرائيل ينوون أخذ ملكه، ففاجأهم بالقتال واستظهر عليهم وسبى بعضهم. فخشعوا للرب فدفع الكنعانيين إليهم فأبسلوهم هم ومدنهم. وأكسبهم هذا الظفر جرأة على أعدائهم، وثقة بعون الرب لهم. على أنَّهم لم يعتمدوا أن عاودوا تشكيهم لأنهم رحلوا من جبل هور على طريق بحر القلزم ليدوروا من حول أرض أدوم. فضجرت نفوسهم من طول الطريق فعادوا يتذمرون على الله وعلى موسى. فأرسل الرب عليهم حيات نارية فلدغتهم ومات منهم قوم كثير. فأقبلوا إلى موسى يقولون: قد خطئنا بكلامنا على الرب وعلينا، فتضرع موسى إلى الرب من أجلهم فقال له الرب إصنع لك حية وارفعها على سارية فكل لذيغ ينظر إليها يحيا. فصنع كذلك فكان أي إنسان لدغته حية، ونظر إلى الحية النحاسية يحيا فقال الجاحدون: لا غرو أن من نظر إلى صورة حية آملاً أن يبرأ ارتكب معصية عبادة الأوثان فكيف عرضهم موسى لذلك؟ وقد فاتهم أن مجرد النظر إلى حية أو غيرها ليس عبادة وقد أفصح لهم موسى أنَّ صورة الحية لا قوة لها بنفسها على أن تحيي اللذيغ، بل الله هو الحيي بهذه الوسيلة فأية عبادة وثنية في صنع ما أمر الله به؟ على أنَّه بعد أن تسكع بنو إسرائيل بعبادة المنحوتات في أيام ملوكهم، وأظهروا نوعاً من التكريم لهذه الحية خلافاً لأمر الله سحقها حزقيا لأن بني إسرائيل كانوا يقدمون لها البخور (ملوك ٤ ف ١٨ ع ٤).

وقد أنبأنا المخلص أنَّ تلك الحية كانت رمزاً وإشارة إليه إذ قال: «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن البشر» (يوحنا ٣ ع ١٤)، وقد ارتحل بنو إسرائيل من جبل هور إلى صحراء مواب ثماني مراحل أخرى، ذكر أكثرها في الفصل الحادي والعشرين من سفر العدد، وكلها من الفصل الثالث والثلاثين منه. وتملكوا في مدة ارتحالهم في هذه المراحل بعض أملاكهم في شرقي الأردن كما سترى في الفصل التالي.

إنَّ اللجنة الإنكليزية تتبع آثار بني إسرائيل، وبحثت عن مراحلهم مذ عبروا البحر الأحمر إلى أن بلغوا جبل موسى غير أنَّها لم تفضِّل بتتبع آثارها من جبل موسى إلى شرقي الأردن. فبقي ذلك لمكتشفين آخرين يتحفوننا بأكثر تحقيق

وتدقيق في مواقع هذه الحال، ولا يحسن العدول عن ترجمة ما اختتم به العالم هولاند أحد أعضاء اللجنة الإنكليزية مقالته في أبحاثها قال: «لأن طريق بني إسرائيل لم تتعين كل مراحلها بتوكيد مطلق على أن الاكتشافات التي عايننا مشقاتها أكسبت على المسألة انواراً ساطعة وبياناً جلياً. وأزيد على ذلك أنه ما من عضو من أعضاء اللجنة عاد إلى إنكلترا دون أن يكون متيقناً تيقناً لا يشوبه ريب بصحة التاريخ المقدس وثبوته. فالبرية نفسها وجبالها وأوداؤها وصخورها العارية والمحترقة تبين صحة كلام الكتاب، وتثبتها وتقدم لكل من عاينها بينة مفحمة لا يقام عليها نكير لأنها هي البرية الكبرى المربعة التي قاد فيها موسى شعب الله بأمره وإرشاده».

قد مرَّ أن بني إسرائيل أقاموا في البرية بعد إرسال الجواسيس إلى أرض لموعد ثماني وثلاثين سنة. وذلك نص صريح في الفصل الرابع من سفر العدد (عد ٣٣ و ٣٤) كما مرَّ في عد ٢٠٢. وأوضح منه قوله في سفر تثنية الإشتراع (ف ٢ ع ١٤): «وكانت جملة الأيام مذ سرنا من قادش برنع إلى أن عبرنا وادي زارد (في شرقي الأردن) ثماني وثلاثين سنة إلى أن انقضى جميع رجال الحرب من المحلة كما أقسم الرب فيهم»، فأين أقام بنو إسرائيل في هذه السنين المتطاولة؟ فهذه مسألة معضلة أعى المفسرين حلها وذهبوا فيها مذاهب شتى.

فقال بعضهم إن المراحل التي جاء ذكرها في سفر العدد (ف ٣٣) قبل قادش كانت بعد ارتحالهم منها. وقدم الكتاب ذكرها وقضى بنو إسرائيل الثماني والثلاثين سنة في هذه المراحل وقال غيرهم: إن قادش اسم لمحلين حل بنو إسرائيل فيهما. وقال آخرون إنهم حلوا في قادش مرتين الأولى عند إرسال الجواسيس، والثانية عند ارتحالهم إلى هور حيث مات هرون لسنة الأربعين بعد الخروج. والذي أراه أكثر مطابقة للآيات الكريمة وقد أثبتته العالم لاون دي لابورد (في كتاب تفسيره الجغرافي لسفري الخروج والعدد) الذي تتبع مراحل بني إسرائيل مرحلة مرحلة، وتابعه في رأيه العالم فولارد محشي معجم الكتاب لكلمت إنما هو أن بني إسرائيل استمروا مدة الثماني والثلاثين سنة في برية قادش، وفي وادي عربه الفسيح الإرجاء مرتحلين من محل إلى آخر في برية

قادش نفسها التي يسميها العرب تيه بني إسرائيل على عادة الرحل، طلباً للانتجاع، وكما نرى عشائر العرب في هذه الأيام في السلط والجولان. ويؤيد ذلك قول موسى (تثنية ف ١ ع ٢٦): «فأقمتم في قادش ما أقمتم من الأيام الكثيرة». وقد وضع العالم دي لابور جدولاً للمراحل التي ذكرت في أسفار الخروج، والعدد والتثنية مثبتاً الآي الواردة في كل منها في جانب الأخرى، فظهر من ذلك أن لا خلاف بينها إلا من حيث الإيجاز والتفصيل. وقال العلامة فرنسيس لانرمان (مجلد ٢ في تاريخه الشرقي في تاريخ بني إسرائيل): «استمر بنو إسرائيل ثمانين وثلاثين سنة على العيشة الإرتحالية طائفتين البرية التي يسميها العرب التيه أو تيه بني إسرائيل، ظاعنين من الشمال إلى الجنوب حتى عصيون جابر على خليج عقبة وعائدين من هناك إلى الشمال حتى قادش برنع.

الفصل الثامن

تملك بني إسرائيل البلاد التي في شرقي الأردن

عد ٢٠٥

نهى الرب بني إسرائيل عن محاربة الآدوميين والموآبيين والمعونيين ومن سكن بلادهم قبلهم

اجتاز بنو إسرائيل عند ارتحالهم إلى شرقي الأردن بلاد الآدوميين، وهم بنو عيسو والموآبيين وهم بنو موآب بن لوط من بنته الكبرى، والعمونيين وهم بنو عمون ابن لوط من بنته الصغرى فنهاهم الرب عن محاربة اخوتهم هؤلاء. أمّا في الآدوميين فقال لموسى (تثنية ف ٢ ع ٤): «إنكم جائزون في تخم إخوتكم بني عيسو المقيمين بسعير فسيخافونكم، فتحرزوا جداً لا تناصبوهم. فإني لست معطيكم

من أرضهم شيئاً ولو موطىء قدم لأن جبل سعين قد وهبته لعيسو ميراثاً. ولذا لزمهم أن يدوروا حول جبل سعين في طريق الصحراء على ايلة وعصيون جابر الأنف ذكرهما. وأن يعودوا في طريق بركة مواب، وأما في الموائين فقال له (هناك عد ٩): «لا تعاد الموائين ولا تناصبهم حرباً فإنني لست معطيكم من أرضهم ميراثاً إذ لبني لوط وهبت عاد (اسم بلادهم القديم) ميراثاً. وقال له في العمونيين (عد ١٩): «إذا دانت جهة بني عمون فلا تعادهم، ولا تناصبهم فإنني لست معطيك من أرض بني عمون ميراثاً لأنني لبني لوط وهبتها ميراثاً». إلا أن هؤلاء العشائر غمطوا نعمة الله وأثاروا غضبه عليهم لأنهم أسأوا إلى بني إسرائيل، وعاملوهم بالقسوة عند اجتيازهم إلى أرض كنعان وبعده الموائيون خاصة أرادوا إفساد بني إسرائيل بتهتك بناتهم، وبالق ملكهم استأجر بلعام بن بعور ليعن بني إسرائيل عند احتلالهم صحراء مواب، ولذلك قال موسى فيهم بعد ذلك (تثنية ف ٢٣ ع ٣): «لا يدخل عموني ولا موائ في جماعة الرب ولو في الجيل العاشر لا يدخل أحد منهم في جماعة الرب إلى الأبد لأنهم لم يلتقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر ولأنهم استأجروا بلعام بن بعور... ليعنكم»، ولذا كانت حروب عديدة بعد ذلك بين بني إسرائيل وهذه العشائر كما ستري.

لم يكتفِ موسى بذكر نهي الرب عن محاربة هؤلاء، بل أعلمنا أيضاً في (الفصل السالف ذكره) بمن سكن بلادهم قبلهم فقال (عد ١٢): «أما سعين (بلاد الأدوميين) فأقام بها الحوريون (بنو سعين الحوري) قبل بني عيسو، فطردوهم وأبادوهم من بين أيديهم وأقاموا مكانهم». ويظهر أن الحورين قبيلة قديمة جداً حتى عدد موسى (تك ف ٣٦) كثيراً من زعمائهم أو حكامهم قبل أن يقرضهم الأدوميون وبلادهم في جنوبي بلاد الموائين. وقال في بلاد الموائين (عد ١٠): «وكان الأيمون قد أقاموا بها قبلاً وهم شعب كثير طوال القامات كالعناقين، وهم يحسبون جبابرة كالعناقين والموائين يسمونهم ايميين». وقال في أرض العمونيين (عد ٢٠): «وهي أيضاً تحسب من أرض الجبابرة لأن الجبابرة أقاموا بها قبلاً والعمونيون يسمونهم زمزيين، وهم شعب عظيم كثير طويل القامات كالعناقين، فأهلكهم الرب من بين أيديهم فطردوهم وأقاموا مكانهم». وأرض بني عمون في جنوبي السلط، وأرض بني مواب في جنوبي أرض بني عمون، والأظهر أن الجبابرة الذين أقاموا في هذه البلاد كانوا ساميين أصلاً وقد مررنا لكلام في ذلك في عد ١٥٥.

عد ٢٠٦

تملك بني إسرائيل بلاد سيحون ملك الأموريين وعوج ملك باشان

جاء في الكتاب (سفر العدد ف ٢٠ والثنية ف ٢) أن موسى بعث رسلاً من قديموت إحدى مراحل بني إسرائيل إلى سيحون ملك الأموريين قائلاً له: هي أمراً في طريق أرضك... ولا أميل يمين ولا يسرة بفضة، تميزني طعاماً فأكل نعمة تعطيني ماء فأشرب، وأعبر برجلي فقط». فأبى سيحون أن يجيزهم في وخرج عليهم بجميع قومه للحرب إلى محل يسمى ياهص، فاستظهر عليه بنو إسرائيل فقتلوه وبنوه وكثيراً من قومه، وفتحوا جميع مدنه من عروعر (المسماة اليوم) إلى جلعاد (السلط)، لم تبق قرية امتنعت عليهم. وفتحوا أحشبون (المسماة حسيبان) قصبة ملكه وبحسب آية سفر العدد (ف ٢١ ع ٢٤): «ورثوا أرضه أرنون إلى ييوق»، وأرنون وادٍ ونهر يصب في بحر الميت، ويسمى الآن النهر سب أو المعجب على رواية بعضهم، وكان قديماً فاصلاً بين أملاك الموابين في و بين أملاك الأموريين في شماليه، كما يفصل الآن ولاية البلقاء في شماله بلاد الكرك في جنوبه (فيكورو في معجم الكتاب). وييوق وادٍ ونهر يصب في ف بين البحر الميت، وبحيرة طبرية وهو المسمى الآن نهر الزرقاء، ووادي الزرقاء ما في كتاب أعلام الأماكن الواردة في الكتاب، ومواقعها واسمائها الآن^(١) يوسفوس (ك ٤ من تاريخ اليهود ف ٥): إن مملكة الأموريين هذه كان ما جنوباً نهر أرنون (المعجب) وشمالاً نهر ييوق (نهر الزرقاء) وغرباً الأردن، كلمة ييوق بمعنى تارك وفي السريانية ~~ܝܝܘܩ~~ (شباق) بمعنى ترك، وقد «الكتاب أن سيحون هذا» كان حارب ملك مواب قبلاً، فأخذ من يده جميع إلى أرنون». فالمراد أن سيحون كان عبر الأردن من عدوته الغربية إلى عدوته ية. وأخذ أملاكاً من بني مواب، وأقام هناك هذه المملكة الآمورية التي ملكها سرائيل.

قد اكتشف العالم دي سولسي في أخربة تل شيحان في تلك الأنحاء تمثالاً من مطعوناً بحربة أحد أعدائه مجندلاً على الأرض، فأخذ هذا التمثال إلى

هذا الكتاب لجورج ارمسترونك وقد اعاد النظر فيه ويلسون والماجور كوندل الشهيرين وشرته لجنة البحث في فلسطين.

إفرنسة، وهداه إلى الدوك دي لوين الشهير. وهو الآن في متحف اللوفر. ولعل اسم تل شيحان أخذ عن سيحون فتقارب اللفظان ظاهراً.

جاء في الكتاب (سفر العدد فصل ٢١ عد ٣٣ تثنية فصل ٣ عد ١) أنَّ بني إسرائيل صعدوا بعد استيلائهم على بلاد سيحون في طريق باشان، فخرج عليهم عوج ملكها بجميع قومه للحرب في ادرعي. وأمرهم الرب أن لا يخافوه وأسلمه وقومه إلى أيديهم حتى لم يبقَ لهم شريد، وفتحوا جميع مدنهم ولم تبقَ لهم قرية لم يأخذوها، «ستين مدينة كل بقعة ارجوب مملكة عوج في باشان». وغنموا البهائم وما كان في المدن، فكان ما أخذوه من الملكين سيحون وعوج كل الأرض التي في عبر الأردن، من وادي ارتون (وادي المعجب الآن) إلى جبل حرمون (جبل الشيخ الآن). «وحرمون يسميه الصيدونيون سريون والأموريون يسمونه سنير... وعوج هذا هو وحده بقي من الجبابرة، وسريه سرير من حديد، وهو لم يزل في ربة بني عمون طوله تسع أذرع، وعرضه أربع أذرع بذراع الرجل». وقد كان عوج من ذرية الجبابرة المسمين رافائيم أو رافائين الذين كانوا في فلسطين قبل أن يغشاها الكنعانيون. وكان قد ألب جماعة من الأموريين وغيرهم من الكنعانيين فغزا مملكة باشان فاستظهر على العمونيين ولاتها قبله وأزاحهم منها نحو المشرق فكانت تخوم مملكته جبل جلعاد (السلط) شرقاً، والأردن غرباً ولبنان وجبل الشيخ شمالاً، ونهر ييوق أي نهر الزرقاء جنوباً. وقال كلمت من معجم الكتاب إن التسع الأذرع عبارة عن خمس عشرة قدماً وأربعة قراريط ونصف، والأربع الأذرع عبارة عن ست أقدام وعشرة قراريط. وادرعي هي التي يسميها العرب أذرعات وتسمى الآن ذرعات وموقعها في جهة اللجاة الغربية. وربة بني عمون هي المسماة الآن عمان (فيكورو في معجم الكتاب) في الجنوب الغربي من قلعة الزرقاء في ولاية البلقاء، وسميت بعد فيلدلفيا (اعلام الأماكن الكتابية الآنف ذكره).

عد ٢٠٧

دعوة بالاق ملك الموآبيين لبلعام ليلعن بني إسرائيل

ارتحل بنو إسرائيل بعد إنتصارهم على ملكي الأموريين وباشان. فحلوا في صحراء مواب على عبر الأردن تجاه أريحا، فخاف بالاق بن صفور ملك الموآبيين

وطأة بني إسرائيل بلاده. وأخذهم ملكه كما فعلوا بسبحون وعوج. فحالف شيوخ المدينيين، وهم من ولد مدين بن ابراهيم من زوجه قطورة. وأغراهم بمناصبة بني إسرائيل قائلاً: «الآن تلحس هذه الجماعة كل ما حوالينا، كما يلحس الثور خضر الصحراء». فاستدعوا رجلاً اشتهر بالعرافة يسمى بلعام بن بعور، من فاتور التي على النهر أي نهر الفرات إذ جاء في فصل ٢٣ عد ٤ من سفر التثنية: «من فتور في آرام النهرين»، ولم يكن القدماء يعرفون فتور مدينته فكشفت لنا الخطوط المسماة عن موقعها، وهي المسماة برسك الآن على عدوة الفرات من جهة سورية. كما ظهر من الخطوط المنقوشة على مسلة سلمناصر، ومن صفيحة وجدها لايرد وهي التاسعة والثمانون من الآثار التي ذكرها هذا العالم. وكان بالاق يعتقد أن من لعنه بلعام خذله الله لأنه نبي الرب. فتردد بلعام في مطاوعة الوفد بأن يحضر معهم، ويعلن بني إسرائيل، ولو قدموا له حلوان العرافة قائلاً: إن الرب لا يؤذن له في المضى معهم ولا يعلن شعب إسرائيل لأنه مبارك، فبعث بالاق إليه رؤساء كثيرين أجل من أولئك واعدأ أنه سيكرمه جداً، ويصنع له كل ما يقوله فأبى المسير أولاً قائلاً: لو أعطاني بالاق ملء بيته فضة وذهباً، لم أستطع أن أتجاوز أمر الرب لكنه قال بالغداة: إن الرب أذن له في المسير معهم فشد على اثنائه وصحبهم، فاعترضه ملاك الرب في طريقه فجفلت الأتان في الصحراء. ثم زحمت الحائط فضغطت رجل بلعام فزاد في ضربها؛ ثم ربضت الأتان لاعتراض ملاك الرب لها في موضع ضيق. فكرر ضربها بالعصا فانطقها الله بالتوبيخ له على ضربه إياها. وكشف الرب عن بصره فرأى ملاك الله واقفاً في الطريق، وسيفه مسلول فخّر ساجداً على وجهه فنهاه الملاك عن أن يقول غير ما يقوله له، وسار بلعام إلى أن التقاه بالاق ودخلا المدينة، ولما كانت الغداة أخذ بالاق بلعام فصعد به إلى مشارف مجل يسمى بعل، فنظر أقصى الشعب، وأمر بلعام بالاق ببناء سبعة مذابح، وأن يعد عليها سبعة عجول، وسبعة أكباش، فصنع وانفرد بلعام، وعاد إلى بالاق يبارك الشعب بدلاً من أن يلعنه. ثم أخذه بالاق إلى موضع ثان وثالث، وكان بلعام يعيد بركة الشعب وينبئ بانتصاره وتسلطه. فغضب عليه بالاق، وقال: إنما دعوتك لتعلن أعدائي فاذا أنت قد باركتهم ثلاث مرات فانصرف إلى موضعك، لقد كنت عزمت أن أكرمك فحرمك الرب الكرامة، وانصرف بلعام إلى قومه (العدد فصل ٢٢ و ٢٣ و ٢٤). وقد قال لبالاق والمدينيين قبل انصرافه إنهم إذا أحبوا ينتصروا على بني إسرائيل.

فليغروهم بعبادة غير إلههم، وبالفحشاء ففعلوا ما أشار عليهم به كما سترى.

أما من هو بلعام؟ أنبي صادق هو أم عراف كاذب؟ ففي هذا أقوال: قال اوريجانوس (خطبة ١٣ في سفر العدد) إن كل ما كان لبلعام من المعرفة والقوة إنما كان بوسائل سحرية، وكان اللعن دأبه فإن إبليس دأبه اللعن. وقال توادوريطوس (مبحث ٣٩ و ٤٢ في سفر العدد) إن بلعام لم يكن يستشير الرب في ما يقول بل كان الرب يلهمه ما يقول مجبراً. وقال القديس كيرلس الاسكندري (في ك ٤ و ٦ في السجود بالروح): إنه كان شريراً ونبياً كاذباً لا ينطق بالحق إلا مجبراً. وشبهه القديس امبروسوس (في رسالته ٥٠) بقيافا الذي نطق بالحق جاهلاً ما يقول، على أن القديس ايرونيμος (في المباحث العبرانية في التكوين)، يظهر أنه تابع رأي العبرانيين بقوله إن بلعام كان ممن يؤمن بالإله الحق، وقد بنى له مذبح وكان نبياً صادقاً وإن سيئ السيرة وإن موسى صرح بأنه استشار الرب، وإنه دعا الرب إذ قال (عد فصل ٢٢ عد ١٨): «لم أستطع أن أتجاوز أمر الرب إلهي فاعمل شيئاً صغيراً أو كبيراً» وقال القديس اغوستينوس (في ك ٢ في أمور شتى) إن بلعام سيكون في يوم الدين ممن يقولون للديان: «يا رب أليس باسمك تنبأنا؟» ويظهر من قوله إنه حسب نبياً صادقاً، وإن أثيما ومن عداد المردولين. وقال برجيا من المتأخرين (في معجم اللاهوت): «لا يمكن دون مخالفة نص الكتاب أن يحسب بلعام نبياً كاذباً، أو كافراً، أو وثياً». وقد أشار القديس بطرس الرسول إلى شيء من ذلك إذ قال (رسالته ٢ فصل ٢ عد ١٥): «وقد تركوا الطريق المستقيم واتبعوا طريق بلعام ابن بعور الذي أحب اجرة الظلم. إلا إنه قد ناله التوبيخ على معصيته إذ ردع حماقة النبي حمار أبكم نطق له بصوت إنسان».

ومثل هذا الخلاف في نطق اثنان بلعام أكلام حقيقي هو أم مجرد مجاز يراد به ما قام في مخيلة بلعام فقال القديس اغوستينوس (مبحث ٤٨ و ٥٠ في التكوين) إن الاثنان نطقت بكلام حقيقي، وإن آية الكتاب يلزم فهمها بمعناها الحرفي، وتابعه على قوله كثير من المفسرين مثبتين. إن تلك معجزة حقبة كسائر معجزاته تعالى مع العبرانيين. وأيدوا ذلك بما ذكرناه آنفاً من قول بطرس الرسول في رسالته وقالوا: لم يهب الله الاثنان عقلاً ناطقاً بل أنطقها بكلام توييخ كما ينطق به إنسان. على أنه يظهر من كلام القديس غريغوريوس نيصص (في ترجمة موسى) أن الاثنان لم تنطق بكلمات مفصلة بل تأول بلعام مجرد نهيقها بالمعنى الذي ذكر.

وكان بلعام غرافاً متعوداً التطير بأصوات الحيوانات والطيور. وذكر موسى ذلك تهكماً بالعرافة كأن الأثان نطقت به. وقال ميمونيد إن هذه المحاورة بين بلعام واثانه إلا اختلاق ومجاز نبأنا موسى به ما قام في مخيلة بلعام على سبيل التاريخ وهو تصوري فقط. وقال بعضهم في وجه كلام بلعام مع اثنائه كأنها ناطقة إنه كان يعتقد التناسخ أي تقمص النفس من بدن إلى بدن آخر، إنسانيا كان أو غير إنساني فحسب اثنائه متقمصة بنفس إنسان ما؛ (ملخص عن معجم الكتاب لكلمت في كلمة بلعام).

عد ٢٠٨

اغواء بنات موب ومدين لبني إسرائيل والانتقام من المدينيين

دعا الموابيون والمدينيون بني إسرائيل إلى أعياد بعل فغور معبودهم. وأرسلوا بناتهم عملاً بمشورة بلعام يغرين بني إسرائيل بالفحشاء، والسجود لآلهتهم. فعلق في قلوب كثيرين من الشعب حب الموابيات والمدينيات، وسجد بعضهم لبعل فغور. فاشتد غضب الرب عليهم، فقال موسى لقضاة إسرائيل أقتلوا كل واحد من تعلق من قومه ببعل فغور. والأوجه في تأول هذا اللفظ بعل الفجور أي سيده أو إلهه. وبين كان الشعب يبكي عند باب خباء المحضر، فإذا زمري بن سالوا أحد روساء سبط شمعون مر أمام موسى والشعب تصحبه كزبي بنت صور أحد روساء مدين. وأدخلها خباءه فتبعتها فنحاس بن اليعازر بن هرون، ورمحه بيده فطعنهما كليهما الرجل والمرأة في بطنها، فكفت الضربة عن بني إسرائيل إذ ردت غيرة فنحاس سخط الرب عنهم، وقال الرب لموسى إنه معط فنحاس عهد سلامة وإنه يكون له ولنسله من بعده عهد كهنوت أبدي جزاء غيرته لأهله، وتكفيره عن بني إسرائيل. وكان عدد من قتلهم القضاة بحسب أمر الرب لموسى أو أفناهم الوباء الذي عبر عنه الكتاب بالضربة أربعة وعشرين ألفاً، وأمر الرب موسى أن يضايقوا المدينيين ويضربوهم لأنهم ضايقوا بني إسرائيل بما تسببوا لهم به من الشر وضربة الرب لهم (سفر العدد ف ٢٥).

وأنبأنا الكتاب (فصل ٣١ من سفر العدد) أن موسى جرد إثني عشر ألف مقاتل من كل سبط ألفاً، فسيّرهم ومعهم فنحاس بن اليعازر الكاهن، يغزون إلى

مدین. وكانت في يد فنحاس أمتعة القدس (يرجّح أن المراد بها تابوت العهد) وأبواق الهتاف. فقاتلوا المدينيين ونصرهم الرب عليهم، فقتلوا منهم كثيرين وملوكهم أي ولاتهم الخمسة. وسماهم الكتاب أوي ورقم وصور وهور ورابع وكان بلعام هناك فقتلوه بالسيف، وسبوا نساء مدين وأطفالهم. وغنموا بهائمهم ومواشيهم واثاثهم وأحرقوا مساكنهم، وقصورهم وعادوا إلى موسى في صحراء مواب، ولم يفقد أحد منهم، فسخط موسى على وكلاء الجيش وقال: هل استبقيتم الإناث كلهن؟ إن هؤلاء هن اللاتي حملن بني إسرائيل بموامة بلعام على أن يتمرّدوا على الرب فحلت الضربة في جماعة إسرائيل، فاقتلوا كل ذكر وكل امرأة وأما اناث الأطفال اللاتي لم يبلغن سن الزواج فاستبقوهنّ لكم. ففعلوا بحسب أمره ولو كان ذلك بغير أمر الرب لعيب موسى بشدة القسوة. ولم يمتلك فنحاس ورجاله بلاد مدين لأنها أرض عبرانيين من ذرية ابراهيم، وموعدهم أرض الكنعانيين. واجتزأ أن ينكل بأهلها ويدمر بلادهم جزاء لما جنت أيديهم وما عثت نساؤهم.

وقد فصل موسى ما غنمه المحاربون من المدينيين فكان من الغنم ست مئة ألف وخمسة وسبعين ألفاً، ومن البقر إثنيّن وسبعين ألفاً، ومن الحمير واحداً وستين ألفاً. ومن البنات اللاتي لم يبلغن مبلغ النساء إثنيّن وثلاثين ألفاً، ويظهر من هذا أن المدينيين كانوا أغنياء كثيراً بالماشية، لاسيما الغنم وبالاثاث والحلي كما يتحصل مما سيأتي. وقد تذرّع بهذا جاحدو الوحي فكذبوا بصحته، وعدّوه من المبالغات البعيدة عن الصدق وهو لا منافاة فيه لحال بلاد عمّ خصبها وانفسحت أرجاؤها، وتوفرت مراعيها. فلو حسبنا في بلاد مدين كلها ست مئة وخمسة وسبعين مالك غنم، وجعلنا لكل منهم ألف رأس منها لوجدنا العدد الذي عينه الكتاب. وهذا الحساب معقول لاسيما في بلاد انصرفت عناية أهلها إلى تربية المواشي، وكان بها مورد ثروتهم. وكذا قل في البقر فلو جعلنا في كل البلاد ستة وثلاثين ألف ذراع لكان لهم الإثنان والسبعون ألفاً من القدن عدا البقر التي لا تحرث. ولأمر ظاهر في عدد الحمير أيضاً فقد طاش إذاً هذا السهم للمنددين كسائر مهامهم.

وقد قسم موسى الغنيمة من الناس والبهائم نصفين، نصفاً للغزاة المحاربين وهم الإثنا عشر ألفاً، ونصفاً لجماعة إسرائيل. وأخذ من نصيب المحاربين رأساً واحداً من كل خمس مئة رأس من الناس، والغنم والبقر والحمير وضيعة للرب، دفعها إلى إيلعازر الكاهن، فأصابه من الغنم ست مئة وخمسة وسبعون رأساً، ومن البقر إثنيّن

وسبعين رأساً، ومن الحمير واحد وستون رأساً، ومن الناس إثنتين وثلاثون نفساً. وأخذ من نصيب الجماعة واحداً من خمسين من الناس، والبقر والحمير والغنم وسائر البهائم. ودفع ذلك إلى اللاويين متولّي حراسة مسكن الرب وإذا راعيت نصف عدد البهائم والإناث المذكورة آنفاً، وفرضت منه اثنين من المئة واحداً واحداً من الخمسين للاويين علمت كم أصابهم من هذه الغنائم. وإنما أمر الرب موسى أن يأخذ من نصيب المحاريين واحداً من كل خمس مئة، ومن نصيب الجماعة واحداً من خمسين لأن المحاريين كافحوا معرضين نفوسهم لخطر القتل، وأما سائر الجماعة فنالوا غنيمة باردة. واعتبر نوع هذه القسمة بعد ذلك سنة في إسرائيل. ثم تقدم رؤساء الألوف ورؤساء المئين إلى موسى، وقدّموا قرباناً للرب ما وجدوه من أدوات الذهب من حجل وسوار وخاتم وقرط وقلادة تكفيراً عن نفوسهم. فكان جملة ذهب التقدمة ستة عشر ألفاً وسبع مئة وخمسين مثقالاً، ولو كانت ذهباً مسكوكاً لعادلت أحد عشر ألفاً من الليرات الفرنسية، ولا مبالغة في هذا القدر بالنظر إلى بلاد غنية توفرت فيها الثروات ولو ضعف أضعافاً. وأدخل موسى إلعازر الكاهن الذهب إلى خباء المحضر ذكراً لبني إسرائيل أمام الرب.

عد ٢٠٩

تخليك موسى سبطي راويين وجاد ونصف سبط منسا الأرض التي في شرقي الأردن

جاء في الكتاب (سفر العدد فصل ٣٣) إنه كان لبني راويين وجاد مواش كثيرة جداً. ونظروا الأرض التي ملكها بنو إسرائيل في عبر الأرض الشرقي من سبيحون ملك الآموريين، وعوج ملك باشان صالحة للماشية. فتقدّموا إلى موسى وإلعازر الكاهن، ورؤساء الجماعة يسألون أن يعطوا هذه الأرض ميراثاً لهم. ولا يجوزون الأردن فقال لهم موسى: أخرج إخوتكم إلى الحرب وتقدّوا انتم ههنا؟ إن هذا يفضي إلى قلق الشعب ووهن في قوته، وذكرهم بما صنع آبائهم في البرية مما أسخط الرب عليهم، فقالوا: إننا نبني حظائر لمواشينا هنا وبيوتاً لأطفالنا، ونحن نتجرد مسرعين أمام بني إسرائيل حتى ندخلهم مكانهم، ولا نرجع إلى بيوتنا حتى يستحوذ كل من إخواننا على ميراثه، ونحن لا نرث معهم شيئاً من عبر الأردن إلى

هناك. فحسن كلامهم في عيني موسى والجماعة. فأعطى موسى بني جاد وبني رآوبين ونصف سبط منسا بن يوسف مملكة سيحون ملك الأموريين ومملكة عوج ملك باشان، فبنى بنو جاد ديبون وهي ديبان الآن في شمالي نهر المعجب. ونحو الجنوب من جبل عطروش وعطاروت. ويرجح إنَّها كانت عند الجبل المسمى الآن عطروس الأنف ذكره. وعراير المسماة الآن عراير في جنوبي ديبان وشمالي الكرك وعطروت شوفان ولا يعرف موقعها، ويعزير ويرجح أنَّها كانت في محل بيت زرة الآن، وجعل اوسايوس والقديس ابرونيموس موقعها على بعد عشرة أميال من عمان نحو الغرب وخمسة عشر ميلاً من حسيبان نحو الجنوب.

وبنوا أيضاً يجبيهة وتعرف الآن بخربة الجبيهة، بين السلط شمالاً وعمان جنوباً. ثم بيت نمره، المعروفة الآن بتل نمرين وبيت هاوان، وتسمى اليوم تل رame في جانب كفرين في شرقي أريحا، وبني بنو رآوبين حشبون وهي حسيبان الآن في الشمال الشرقي من جبل نبو والعالا أو العالة، وتسمى اليوم العال، وهي في الشرق الشمالي من حسيبان قريبة منها ثم فريتائيم. ويرجح أنَّها المسماة الآن القرية بين ديبان جنوباً وميدبا شمالاً ونبو. ويظهر أنَّه كان موقعها في سفح جبل نبو وبعل معون، وتسمى اليوم تل معين، أو معين في الغرب الجنوبي من ميدبا وفي الجنوب من جبل نبو وسبمه أو سبام. ويحتمل أن موقعها كان في محل سوميا الآن في غربي حسيبان وشمالي جبل بنو^(١).

ومضى بنو ماكير بن منسا بن يوسف ففتحو جلعاد وهي السلط، وطرّدوا الأموريين منها، فأعطاهم موسى إياها فأقاموا فيها. ومضى يائير من سبط منسا أيضاً واستولى على مزارعها، وسماها حُثُوت يائير أي ما أحياه يائير. ومضى نويح وفتح قنات وتوابعها، وسماها نويح باسمه ولا يعرف موقعها إلى اليوم، ولكن في شرقي الأركن موضع يسمى وادي قانه، فربما كانت هناك وعليه فكان مقام بني رآوبين في جنوبي تلك الأرض، ومقام بني جاد في شماليها، ونصف سبط منسا في أرض باشان أو باسان.

وأمر موسى أن يعطى اللاويون ثمانين وأربعين مدينة في انصبة أسباط إسرائيل

(١) أخذنا أسماء هذه المدن القديمة عن الكتاب واسماءها الآن عن كتاب أعلام الأماكن الكتابية الأنف ذكره.

في عبر الأردن، وأرض الكنعانيين مع محاجرهما لماشيتهم. وأن تكون ست مدن منها مدن ملجأ، يلجأ إليها من قتل نفساً غير متعمد وأن تكون ثلاث من مدن الملجأ هذه في عبر الأردن، وثلاث في أرض كنعان. وقال (تثنية ف ١٩ ع ٩): إذا وسَّع الرب تخومكم، فزيدوا ثلاثاً على هذا الثلاث. وعين مدن الملجأ الثلاث في عبر الأردن. وهي باصر في البرية في أرض السهل للراويين. وراموت في جلعاد للجادين. وجولان في باشان للمنسيين». (تثنية ف ٤ ع ٤٣). أمّا باصر فيرجح أنّها باصر الحريري من قرى اللجاة الجنوبية، تبعد خمسة أميال عن اذرعات وأما راموت جلعاد فموقعها في بلاد السلط، وربما كانت في المحل المسمى الآن ريمون. وأمّا جولان فكان موقعها في سهل الجولان بل سمي باسمها. وقال اوسايوس إنّها كانت في أيامه مدينة مهمة ولم يعين موقعها.

وتقدمت بنات صلفحاد من عشائر منسا إلى موسى واليعازر الكاهن، ورؤساء الجماعة قائلات: إنَّ أبانا مات في البرية ولم يكن من جملة القوم الذين اجتمعوا على الرب مع قورح، ولم يكن له بنون فلماذا يسقط اسم أينا من بين عشيرته؟ فاعطنا ميراثاً بين أعمامنا، فرفع موسى أمرهم إلى الرب فقال له إنَّهنَّ نطقن بالصواب، فانقل ميراث أبيهنَّ إليهنَّ. وأعلم الرب موسى حينئذٍ كيف يقسم الميراث في بني إسرائيل إذ قال: «أي رجل مات وليس له ابن، فانقلوا ميراثه إلى ابنته فإن لم تكن له بنت فاعطوا ميراثه لاختوته، فإن لم يكن له إخوة فاعطوه لأعمامه، فإن لم يكن له أعمام فاعطوه لأدنى ذوي قرابته في عشيرته». (عدد فصل ٢٧) ورد بنو منسا سؤال بنات صلفحاد بأنَّهنَّ سيصرنَّ نساءً لأحد رجال أسباط بني إسرائيل، فيسقط ميراثهنَّ من ميراث بني منسا، ويزاد على ميراث السبط الذي يتزوجن منه. فأمر موسى عن أمر الرب أن بنات صلفحاد يتزوجن بمن يحسن لديهنَّ لكن يجب أن يكون من عشيرة أبيهنَّ حتى لا يتحول الميراث من سبط إلى آخر فتزوجن ببني أعمامهنَّ (عدد ف ٣٦).

عد ٢١٠

إحصاء موسى بني إسرائيل وتسليمه قيادتهم إلى يشوع بن نون وموته. قد أمر الرب موسى أن يحصي بني إسرائيل الإحصاء الثالث، إذ كان الأول

عند خروجهم من مصر. والثاني في بركة سيناء فكان عدد الرجال من ابن عشرين سنة فصاعداً ست مئة ألف ومئة وثلاثة وسبعين رجلاً. ولم يكن باقياً ممن عُذُّوا في بركة سيناء الاكالب بن يوفنا. ويشوع بن نون ذاك بحسب قول الرب إنهم يموتون في البرية إلا هذين الرجلين، ومع هذا لم ينقص عدد الشعب عما كان عليه لدن خروجه من مصر. وقد أحصى اللاويون وحدهم فكان عددهم من ابن شهر فصاعداً ثلاثة وعشرون ألفاً (عدد فصل ٢٦).

قد أنبأنا موسى (تثنية ف ٣ ع ٢٥) أنه سأل الرب قائلاً: «دعني أجوز فأرى الأرض الصالحة التي في عبر الأردن هذا الجبل الحسن ولبنان». فقال له الرب: «حسبك لا تزد في الكلام معي في هذا الشأن، لكن إصعد إلى قمة الفسجة وارفع طرفك غرباً وشمالاً وجنوباً وشرقاً، وانظر بعينيك لأنك لا تجوز هذا الأردن. ومر يشوع وشددته وشجعه فإنه هو يعبر أمام هؤلاء الشعب، ويورثهم الأرض التي تراها». والفسجة قمة في جبل نبو تسمى الآن راس السياغة (على ما في كتاب أعلام الأماكن الآنف الذكر). ومن وقف عليها رأى قسماً كبيراً من أرض فلسطين. ومن وقف على شاطئ البحر الميت غرباً غير بعيد عن مصب الأردن، رأى حسناً جبل نبو. وهذه القمة تجاهه نحو الشمال، فمن هناك نظر موسى أرض الموعد. ثم سلم قيادة الشعب إلى يشوع بن نون، وأمره أن يستشير دائماً رئيس الأحبار، وأن يقسم معه أرض الموعد في عبر الأردن على بني إسرائيل بالقرعة. وخطب في بني إسرائيل خطباً عديدة ذكرهم بها بأخص مواد السئة مغيراً أو مزيداً عليها أشياء إقتضاها الزمان، وحض الشعب على اتقاء الرب والعمل بسننه مبيناً لهم حسن الثواب إن عملوا بها وشر العقاب إن خالفوها. ودفع كتب الشريعة إلى الكهنة آمراً أن يتلوها على مسامع الشعب مرة في كل سبع سنين في عيد المظال. ثم ترثم أمام جماعة بني إسرائيل بالنشيد المثبت في الفصل ٣٢ من سفر التثنية مستهلاً بقوله: «انصتي أيتها السماوات فأتكلم ولتستمع الأرض لأقوال في». وهذا النشيد يلزم كل عبراني مدى الدهر أن يستظهره حافظاً إياه بلا كتاب. ثم بارك بني إسرائيل بركات نبوية ذكرت في الفصل ٣٣ من ذاك السفر. وصعد إلى جبل نبو ومات على هذا الجبل وعمره مئة وعشرون سنة، ولم يكل بصره ولم تذهب نضرتة، ودفنه الرب في الوادي في أرض موآب تجاه بيت فغور التي يرجح أنها المسماة المريجة الآن، ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا كما جاء في الفصل الأخير من سفر

التثنية الذي أضافه يشوع بن نون أو غيره من الكتبة الملهمين إلى هذا السفر. وقد أخفى الله قبر موسى لئلاً يعبد بنو إسرائيل تشبهاً بالمصريين، وقد كان بين بني إسرائيل قوم ممن كان عمرهم لدن الخروج أقل من عشرين سنة. وبكى بنو إسرائيل موسى ثلاثين يوماً.

عد ٢١١

الأسفار التي كتبها موسى

قد كتب موسى الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم وهي أسفار التكوين، والخروج، والأخبار، والعدد، وتثنية الإشتراع. فذكر في التكوين خلق الله السماء والأرض، وما فيها وإبداع الإنسان الأول والمرأة الأولى، ثم أنساب الآباء قبل الطوفان وبعده ومواطنهم. وتفرق أعقابهم في الآفاق بعد بلبلة ألسنتهم في بابل. ودون أخبار نوح وإبراهيم، واسحق ويعقوب ويوسف إلى انحذار يعقوب بذريته إلى مصر ووفاته، و وفاة يوسف فيها. وذكر في سفر الخروج مولد موسى، وتبني ابنة فرعون له وهربه إلى مدين، وإرسال الرب له ليخرج شعبه من مصر. وعمل الله المعجزات على يده فيها وخروج بني إسرائيل منها، واجتيازهم في البحر الأحمر، وحلولهم في طور سيناء وتنزيل الله الشريعة عليه وأمره بعمل خبء الحضر. ويلي هذا السفر سفر الأخبار وقد فصل موسى به بأمر الله ما يلزم الكهنة والأخبار عمله، وطرائق تقدمه الذبائح، والمحرقات، وتكملة الوصايا الشرعية والطقسية. ويلي سفر العدد وقد انطوى على تكملة تاريخ ارتحال بني إسرائيل من جبل سيناء إلى صحراء مواب، وتفصيل بعض مراحلهم التي كان موسى ذكرها قبلاً مجملته وعلى سنن أضافها إلى السنن التي ذكرت في سفر الخروج والأخبار. ويلي هذا السفر تثنية الإشتراع وقد وضعه موسى بمنزلة مذكرة للأحداث التي جرت لهم، وللسنن التي فرضها بأمر الله مكرراً ذكر ما ورد في أسفار الخروج والأخبار والعدد، وزائداً أو منقحاً بعض المواد لاقتضاء تقلب الحال زيادة أو تنقيحاً.

وقد أيدنا في ما مر من كلامنا إلى الآن صحة كثير من أي هذه الأسفار بالآثار القديمة، والإكتشافات الحديثة المصرية والآشورية والبابلية والسورية، كما رأيت وما برحت هذه الإكتشافات تزيد المنددين افحاماً، والجاحدين بكماً والمؤمنين تمكناً وتشبهاً بعري الدين الكاثوليكي المقدس.

وقد رأينا أن نلخص هنا عن الموجز الكتابي للأب فيكورو (مجلد ١ عد ٢٣٩ وما يليه) أخص الحجج المثبتة أن موسى كتب أسفار التوراة الخمسة هذه وأنه صادق بما كتب. إن مصادر هذه الحجج أربعة الكتاب المقدس نفسه، والتوراة السامرية، والآثار المصرية، واللغة المكتوبة بها أسفار التوراة، ففي الحجة الأولى نقول: قد أجمع اليهود والنصارى على أن موسى كتب أسفار التوراة الخمسة، وأنه لم يكتب إلا ما كان حقيقياً وصادقاً. واس هذا الإجماع آيات يثبت في أسفار التوراة نفسها، وفي سائر الأسفار المنزلة، فقد جاء في سفر الخروج (ف ١٧ ع ١٤) أن الرب أمر موسى أن يكتب في الكتاب تاريخ محاربة بني إسرائيل للعمالقة، وقال الرب لموسى: «أكتب هذا ذكراً في الكتاب». بالتعريف كما في النص العبراني لا في كتاب بالتنكير. وهذا دال صريح الدلالة على أنه كان لموسى كتاب يدون به تاريخ ما يحدث لبني إسرائيل. وجاء في هذا السفر (ف ٢٤ ع ٤): «وكتب موسى جميع كلام الرب». وقال بعد ذلك (ع ٧): «وأخذ كتاب العهد وتلا على سامع الشعب»، وعليه فلم يكتب موسى السنة وحدها بل الأحداث التاريخية أيضاً.

وقد صرح موسى بذلك أكثر تصريح بما كتبه في سفر تثنية الإشتراع (فصل ٣١ عد ٩ وما يليه). «وكتب موسى هذه التوراة، ودفعها إلى الكهنة بني لاوي... وسائر شيوخ إسرائيل، وأمرهم موسى قائلاً في نهاية السبع السنين... حينما يأتي جميع بني إسرائيل ليمثلوا لدى الرب... تنادي عليهم بهذه التوراة على مسمع من جميع إسرائيل. إجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال، والغريب الذي في مدلك لكي يسمعو ويتعلموا، ويتقوا الرب إلهكم. ويتحزوا العمل بجميع كلام هذه التوراة» ومن ذلك قوله بعيد هذا (عد ٢٤): «ولما فرغ موسى من رقم كلام هذه التوراة في سفر بتمامها أمر موسى اللاويين... إن خذوا هذه التوراة واجعلوه إلى جانب تابوت عهد الرب إلهكم فيكون ثم عليكم شاهداً». وقد مر أن الفصل الأخير من سفر التثنية المنبئ بموت موسى، قد علقه يشوع بن نون أو كاتب غيره بمنزلة ذيل على هذا السفر.

ثم إن سائر أسفار الكتاب التي كتبت بعد التوراة تثبت صحتها، وحقيقة نسبتها إلى موسى فسفر يشوع بن نون مفعم بالايغاز إلى أسفار التوراة حتى قال بعض المنددين إنها وسفر يشوع من قلم كاتب واحد، ونقتصر من ذلك على

ذكر أقواله: «تشدد وتشجع جداً لتحفظ جميع الشريعة التي أمرك بها موسى عبدي... لا يرح سفر هذه التوراة من فيك بل تأمل فيه نهائراً وليلاً». (يشوع ف ١ ع ٧ و ٨)، «كما أمر موسى عبد الرب بني إسرائيل على ما هو مكتوب في سفر توراة موسى» (يشوع ف ٨ ع ٣١): «فتشددوا جداً لتحفظوا جميع المكتوب في توراة موسى وتعملوا به ولا تعدلوا عنه يئنة ولا يسرة (يشوع فصل ٢٣ عد ٦). وسفر القضاة مفعم أيضاً بالإشارات إلى أسفار التوراة، ونراها في سفرَي الملوك الأول، والثاني قاعدة وسنة لبني إسرائيل من أيام غالي إلى ممات داود. وقد كثر في جميع الأسفار الباقية اخبارية أو نبوية أو حكمية ذكر موسى، وما عمله الله على يده من المعجزات وما نزل عليه من السنن كما ذكره موسى في أسفار التوراة. وليست الفصول الأولى من سفر أخبار الأيام إلا خلاصة ما كتبه موسى في الأنساب والمواليد، وقلماً تجد صفحة في الزبور لا تحوي إشارة ما كتبه موسى. وقد تواتر ذكر المخلص ورسله آيات من أسفار العهد الجديد، ويضيق المقام عن استقراء جميع الآيات المثبتة ما نحن مشتبون، وعليه فأسفار الكتاب كلها تثبت أن موسى كتب أسفار التوراة الخمس وإن صدقها مجمع عليه في أسفار العهدين القديم والجديد.

الحجة الثانية من التوراة السامرية أن للسامريين توراة باللغة العبرانية، ولكنها مكتوبة بالحروف القديمة على الهيئة الفينيقية. وهي غير الترجمة السامرية أو الآرامية التي كانت أيديهم تتداولها قديماً، وغير الترجمة العربية التي في أيديهم الآن. وتلك التوراة السامرية القديمة تطابق جوهرها توراتنا ولا تخالفها إلا بأمر عرضية أو بتعيين بعض السنين. وقد أطلع عليها الآباء القدماء، واستشهدوا بها ونخص بالذكر منهم أوريجانوس (في سفر العدد فصل ١٣ عد ١) وإيرونيμος (في مقدمة سفر الملوك الأولى). إلا أنها تورّت عتاً بظلمات الجهل إلى بدء القرن الثاني عشر. وقد عثر بطرس دلاً فالي على نسخة منها في دمشق سنة ١٦١٦م، وهي التي طبعت في الجامعتين (بوليكولت أي الكتاب المقدس بعدة لغات مجموعة معاً) الباريسية، واللندن سنة ١٦٤٥م وسنة ١٦٥٧م. ولا يعلم حق العلم متى تلقى السامريون التوراة لكن الأرجح والظاهر من سفر الملوك الرابع (فصل ١٧ عد ٢٥ وما يليه)، أنهم تلقوها من الكاهن الإسرائيلي الذي بعثه إليهم ملك آشور، عندما أرسل الرب عليهم أسوداً تقتل منهم في مبدأ إقامتهم في السامرة في مكان بني إسرائيل المبين

إلى آشور. «وأقام الكاهن بيت أيل وأخذ يعلمهم كيف يَتَّقون الرب»، ولم يستطع الجاحدون إلى الآن إقامة حجة ثابتة توجب التسليم لهم بتلقي السامريين التوراة في غير الوقت المشار إليه، أعني بعيد خراب السامرة وجلاء بني إسرائيل إلى بلاد آشور، وإقامة السامريين مكانهم، وقد كان ذلك لسنة ٧٢١ ق.م. فإذا وجود التوراة عند السامريين أعداء اليهود مطابقة لتوراتنا بينة قاطعة على عراقه أسفار موسى الخمسة في القدم، ولا أقل من أن تثبت هذه البينة أن هذه الأسفار أقدم من العصر الذي تمحله لها كثير من الجاحدين والمنددين.

الحجة الثالثة تؤخذ من الآثار المصرية، وقد رأيت عند الكلام في أخبار يوسف وإقامة بني إسرائيل في مصر، وخروجهم منها الطباقي الكائن بين كلام موسى في آيات عديدة وما جاء في الآثار المصرية مصداقاً لكلامه، ودل ذلك صريح الدلالة على أن كتاب سفرَي التكوين والخروج كان له العلم التام بأحوال مصر لاسيما أحوالها على ما كانت عليه في أيام رعمسيس الثاني، ومن سلفه فما جاء في الكتاب عن حالة البلاد، ومدنها ولاسيما التي على تخومها وتآلف جنودها إنما هو دال حقيقة على عصر رعمسيس، لا على عصر الفراعنة الذين كانوا في أيام سليمان وخلفائه.

فإن كانت التوراة دُوِّنت في آخر مدة ملوك يهوذا كما زعم الجاحدون فلم كانت منبهة إنباء مدققاً بحال مصر القديمة؟ ولم تنبئ بحالها على عهد أولئك الملوك؟ ولم كانت رواية التوراة أخبار حالة مصر مختلفة عن رواية الانبياء لها؟ ولم كانت الروايتان كلتاهما تطابقان حالة البلاد في العصرين كما شهدت آثارها صريح الشهادة؟ وكيف مثلت لنا التوراة مصر بهيئة مملكة واحدة؟ ولم تشر إلى تقسم هذه المملكة إلى أمريات صغيرة، كما صرَّح بذلك أشعيا إذ قال (فصل ١٩ عد ٢) «وأسلَّح مصر على مصر، فيقاتل الإنسان أخاه، والرجل صديقه، مدينةً مدينةً، ومملكةً مملكةً». ولماذا نرى الأعلام المذكورة في التوراة تطابق ما كشفت عنه الآثار المصرية على عهد رعمسيس ومن سلفه؟ ولا نرى فيها مثلاً واحداً للأعلام السامية التي اعتادت وضعها الدول المصرية المعاصرة لسليمان. فلماذا نجد في التوراة أسماء صوعن ورعمسيس، وصوعر ولا نجد أسماء مجدل وتحفيس وغيرهما مما ذكره الانبياء. ثم إنَّ لنا في علاقات مصر مع البلاد الأجنبية دليلاً آخر على ما نحن مثبتون مثلاً إنَّ الحبشة تولَّت مصر قبل أيام حزقيا، وفي مدة ملكه ولا نجد ذكراً

لذلك في التوراة كما لم تذكر دولة الآشوريين الأولى التي نشأت في أيام انحطاط مملكة مصر، ولو كتبت التوراة في عهد ملوك يهوذا كما وهم الجاحدون لرأينا فيها ذكر هذه الأحداث المهمة لا ذكر أخبار رعمسيس وأسلافه. إنَّ بعض أهل العلم بالآثار المصرية قد عارضوا أخبار التوراة بما كشفت عنه الآثار المصرية، واضعين كلاً منها بجانب الآخر فتيقنوا ما بينهما من المطابقة. ولا يمكن الجمع بينهما بهذه الدقة دون أن يكون كاتب التوراة مقيماً بمصر عند وقوع تلك الأحداث، ولا يمكن التقليد أن يحفظها على سلامتها التامة مدة قرون عديدة.

الحجة الرابعة تؤخذ من اللغة العبرانية المكتوبة بها التوراة، قد رأى الماهرون باللغة العبرانية أن في أسفار موسى كثيراً من الكلمات، وأساليب التعبير الدالة على قدم هذه الأسفار ومخالفتها من حيث ألفاظ اللغة، ونحوها للأسفار التي كتبت بعدها باللغة العبرانية. من ذلك استعمال هو ضمير المذكر الغائب بدلاً من هي ضمير المؤنثة الغائبة في مئة وخمس وتسعين آية من التوراة، ولم يرد الضمير هي بصيغة التأنيث إلا في إحدى عشرة آية، ويحتمل أن يكون النساخ المتأخرون أصلحوا ذلك في الإحدى عشرة آية، وقد استعملت كلمة نعر العبرانية المذكورة ومعناها الشاب في إحدى وعشرين آية بدلاً من نعة المؤنثة بمعنى الشابة، ولم ترد الكلمة بصيغة التأنيث إلا في آية واحدة. ويحتمل أن يكون ناسخ متأخر أصلح في هذه الآية فعدم الفرق بين المذكر والمؤنث دليل قاطع على العرابة في القدم، وعلى أنَّ اللغة العبرانية لم تكن قد ضبطت في أيام كاتب تلك الأسفار، بالأصول النحوية التي ضبطت بها بعد ذلك إذ لا تجد أثراً لمثل ذلك في الأسفار العبرانية التي كتبت بعد موسى. وقد لاحظ الماهرون في اللغة العبرانية أيضاً أن في أسفار التوراة أصولاً خاصة بها لا توجد في الأسفار المتأخرة، منها أنه إذا اجتمع موصوفان ربط الأول مع الثاني بحرف اليود (الياء) وهو اصطلاح قديم لا تجد له أثراً إلا نادراً في اللغة العبرانية بعد موسى. وكذا تجد في أسفار موسى فعل الأمر منتهياً بحرف النون، ولا مثيل لذلك في الأسفار المتأخرة، وللمصدر في أسفار موسى صيغة غير صيغته في غيرها. وذكروا ألفاظاً وعبارات كثيرة في أسفار موسى لا وجود لها في غيرها، وقالوا ليس في أسفار موسى كلمات أجنبية إلا الكلمات المصرية. وقد أطال واجاد الأب فيكورو ياثبات هذه الحقيقة في كتابه الآخر الموسوم بالأسفار المقدسة، وانتقاد العقليين لها (مجلد ٣٠ من صفحة ٩ إلى صفحة ٢١٣).

وقد نسب كثير من القدماء والحدثاء كتابة سفر أيوب الصديق إلى موسى ومنهم القديس أفرام السرياني، إذ قال في مقدمة كلامه على هذا السفر **ܕܡܘܨܝ ܕܐܝܘܒ** أي أن موسى كتب كتاب أيوب ولكن قال غيرهم: إن أيوب نفسه كتب سفره بالسريانية أو العربية، فترجمه موسى إلى العبرانية. وعزاه بعضهم إلى أصدقاء أيوب أو أحدهم، وغيرهم إلى سليمان وأصله شعر فصيح العبارة، بليغ الإشارة، ولكن ناظمه لم يقيد نفسه بوزن ولا قافية، وهذا دالٌّ على قدمه، والأظهر أن أيوب كان في زمان موسى، وأقام بأرض عوص المنسوبة إلى عوص بن آرام بن سام والأرجح أنها اللجاة وحوران.

الفصل التاسع

يشوع بن نون وأخبار بني إسرائيل في أيامه

عد ٢١٢

يشوع بن نون والسفر المنسوب إليه ومجمل أعماله

إن يشوع بن نون هو من سبط افرايم بن يوسف، وكان خادماً أميناً لموسى بل مؤازراً له، وعهد إليه موسى بقيادة بني إسرائيل بعد وفاته. وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٥ ف ١) أنه كان له من العمر خمس وثمانون سنة حين تولى قيادة بني إسرائيل، وعليه فكان عمره خمساً وأربعين سنة عند خروجهم من مصر. ولم يبقَ ممن خرجوا منها، وعمرهم فوق العشرين سنة إلا يشوع هذا، وكالب بن يوفنا كما مرّ. إن كل ما سنورده في هذا الفصل من أخبار بني إسرائيل مسنده السفر المنسوب إليه، وتلك النسبة وإن لم تكن يقينية فتؤيدها أدلة راهنة عديدة منها أن تقليد اليهود المصرح به في كتاب التلمود، يعزو هذا السفر إلى يشوع. وقد

تابعهم على ذلك كثير من المحققين والمدققين. ومنها أنه جاء في هذا السفر (فصل ٢٤ عد ٢٦): «وكتب يشوع هذا الكلام في سفر توراة الله» أي كتب هذا السفر وألحقه بأسفار موسى.

ويستغرب أن يكون يشوع غفل عن أن يدوّن الأحداث المهمة التي أجزاها الله على يده. وتقاعد عن إتمام فرض تستلزمه رسالته. وتشتنى من ذلك الآيات الأخيرة من هذا السفر المنبئة بموت يشوع، واليعازر الحبر، فإنّها من قلم كاتب آخر قديم. ان لنا بينات قاطعة على قدم سفر يشوع منها أن لا ذكر فيه لبيت لحم موطن داود بين مدن يهوذا، وذاك دليل قاطع بأنّ هذا السفر كتب قبل أيام داود، وإلا لما أهمل الكاتب ذكرها. ومنها أنه جاء فيه (فصل ١٥ عد ٦٣): «أمّا اليبوسيون سكان اورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فاقام اليبوسيون مع بني إسرائيل في اورشليم إلى اليوم». وعليه فكاتب هذا السفر كان قبل السنة الثامنة من ملك داود التي فيها تولى داود صهيون، أي اورشليم (كما في ملوك ٢ فصل ٥ عد ٥٧). ومنها أنّ هذا السفر وصف صيدون بالكبيرة (فصل ١١ عد ٨)، مع أنّ صيدون أخرجها الفلسطينيون في زمان القضاة سنة ١٢٠٩ ق.م، وأخذت صور سوددها، فإذا كان الكتاب قبل أيام ملوك إسرائيل.

قد أعدت عناية الله يشوع لأمرين كبيرين إفتتاح بلاد فلسطين، وقسمتها على أسباط بني إسرائيل. فأتمّ أولهما بما قيّض الله له من النصر، والفوز في مواقع عديدة فتيسّر له ثانيهما. وكانت بلاد فلسطين يومئذ منقسمة إلى ممالك عديدة لكن هذه الممالك لم تكن إلاّ أعمالاً أو أقطاعاتاً مستقلة أحدها عن الآخر، ويلي كلّ منها حاكم يسمونه ملكاً يتأمر على عشيرته، وهذه العشائر هي التي سماها الكتاب الحثيين واليبوسيين والآموريين الخ. وقد جاءت الآثار المصرية مصداقاً لما ورد في الكتاب، فقد كشف العالم مريات عن وجه مساكن في أخربة هيكل الكرنك على مقربة من تاب (طيبة) القديمة، دوّن عليه تحوتمس الثالث أحد ملوك الدولة الثامنة عشرة أكثر من ست مئة اسم موضع، استحوز عليها وبين هذه الأسماء مئة وتسعة عشر علماً لعشائر ومواقع في فلسطين، وهي منقسمة إلى ست دوائر كأنها ست إمارات. ويمكن أن تقرأ أسمائها كما يأتي يابوسي (اليبوسيون)، آموري (الآموريون)، كركاسي (الجرجسيون)، حيوي (الحوويون)، عرقي (العرقيون أو الحثيون)، سيني (السينيون أو الفرزيون)، وقد

رقمت هذه الخطوط في مدة إقامة بني إسرائيل في مصر قبل خروجهم منها. •

عد ٢١٣

عبور يشوع الأردن بيني إسرائيل واختتانهم

قد أنبأنا الكتاب (يشوع ف ١) أن الرب أمر يشوع بن نون بعد وفاة موسى أن يتشدّد ويتشجّع، وأن يقوم فيعبر الأردن هو وجميع الشعب إلى الأرض التي الرب معطيها لبني إسرائيل من البرية ولبنان إلى نهر الفرات. جميع أرض الحثيين (طالع عد ٥٦) وافتتح يشوع أعمال قيادته بأن أرسل من شطيم حيث كانت محلّتهم جاسوسين لينظروا أرض عبر الأردن وأريحا. فدخلوا بيت امرأة بغّي اسمها راحاب، وعرف ملك أريحا بقدمومهما، وأرسل جنداً للقبض عليهما فأخفتهما راحاب وقالت لئنهما خرجا ولا تدري أين ذهبا، وأنبأت الرجلين بفرط الخوف المستحوذ على قلوب الكنعانيين من مهاجمة بني إسرائيل لهم. وسألتهما أن يرأف بنو إسرائيل بها وبأهلها متى تولّوا أريحا. فوعداهما ودلّتهما بحبل من الطاق لأنّ بيتها كان في حائط السور، ووافقاهما على علامة أن تعقد من خيوط القرمز في الطاق التي دلّتهما منه، فينجو كل من كان في بيتها أبوها وأُمّها وإخوتها، وجميع بيت أبيها وعادا إلى يشوع فحدثاه بجميع ما وقع لهما.

فبكر يشوع في الغداة ورحل من شطيم، وأقبل إلى الأردن هو وجميع بني إسرائيل. وباتوا هناك قبل أن يعبروا وكلم يشوع الكهنة قائلاً احملوا تابوت عهد الرب، واعبروا أمام الشعب فحملوه، وساروا أمامهم ولما انغمست أقدام الكهنة حاملتي التابوت في حاشية المياه، والأردن طافح من جميع شطوطه كل أيام الحصاد، وقف الماء المنحدر من فوق وقام نداً واحداً ممتداً جداً، وانقطع الماء المنحدر إلى بحر الغور (البحر الميت) تماماً. وعبر الشعب قبالة أريحا ووقف الكهنة على اليبس حتى فرغ الشعب كلّ من عبور الأردن، ودعا يشوع بأمر الرب أثني عشر رجلاً من كل سبط قائلاً إرفعوا من ههنا من وسط الأردن من موقف أرجل الكهنة اثني عشر حجراً، واعبروا بها وضعوها في المبيت الذي تبيتون به الليلة. فرفع كل من الإثني عشر حجراً على كتفه، ووضعوها في مبيتهم لتكون تذكرة لهم ان مياه الأردن انفلقت أمام تابوت عهد الرب عند عبورهم الأردن. ونصب يشوع اثني عشر حجراً في وسط الأردن في موقف أرجل الكهنة حاملتي التابوت «وهي

هناك إلى يومنا هذا». ولما صعد الكهنة من وسط الأردن، رجعت مياه الأردن إلى موضعها وجرت كما كانت تجري قبلاً (يشوع فصل ١ إلى ٥).

لا مرأى بأن انفلاق مياه الأردن معجزة خارقة نظام الطبيعة، كشق البحر الأحمر وغيره من الآيات التي ذكرها الكتاب، ولا ينكر إمكان صيرورة المعجزات إلا من ينكر أن الله على كل شيء قدير، فيخرق نظام الطبيعة أو يغيّره كلما شاء لأنه بادع كل كائن سواه وربه، وسنن الطبيعة طوع يده. وقال أوسايوس (في كتابه في المواضع العبرانية) إن الحجارة التي نصبت تذكرة لهذه الآية استمرت قروناً في محلها، وكان سكان تلك البلاد يدلون الغرباء عليها. وجاء في أخبار رحلة السائح الإفرنسي من بوردو الذي زار الأماكن المقدسة سنة ٣٣٣ للميلاد: «وبقي فوق ذلك الينبوع (وهو الذي حلّى الإشاع ماءه) اثر لبنة راحب البغي الذي دخله الجاسوسان فأخفتهما، ولما سقطت أسوار أريحا استمر هذا البيت سالماً، فهناك كانت أريحا التي دار بنو إسرائيل بتابوت العهد حول أسوارها، فتهدّمت ولا يظهر من آثارها إلا محل تابوت العهد والإثنا عشر حجراً التي رفعها بنو إسرائيل من الأردن». وجاء أيضاً في كتاب رحلة أنطونيوس الشهيد الذي كتب سنة ٥٧٠ أو سنة ٦٠٠ أن بيت راحب بقيت آثاره، وأقيم معبد للعدراء في محل الغرفة التي أخفت الجاسوسين فيها. وأما الحجارة التي رفعها بنو إسرائيل من الأردن فهي باقية وراء المذبح في كنيسة كبيرة غير بعيدة عن المدينة.

وجاء في الكتاب (يشوع ف ٥) أن الرب قال ليشوع لصنع لك سكاكين من صوان، واختن بني إسرائيل لأن من خرجوا من مصر كانوا مختونين فيها وماتوا. وأما جميع الشعب الذين ولدوا في البرية، فلم يختنوا لأنهم كانوا رحلاً لا مقر لهم في البرية مدة أربعين سنة، فاختن جميع هؤلاء. واستعمال السكاكين من صوان مؤذن بقدّم الختان، وقد مر في كلامنا في إبراهيم أن الله أمره أن يختن كل مولود من نسله. وأبناً ثمة أن الختان كان عند المصريين قبل إبراهيم، فهو منذ العصر الحجري أي مذ كانت الآلات القاطعة تصنع من حجر قبل أن اعتادوا صنعها من حديد. وحفوظ على استعمال الآلات الحجرية رعاية وتذكرة للأصل. وقال بعضهم إن استعمال الصوان أسلم من استعمال الحديد لعدم تهيج محل القطع. وقد وجد الأب ريشار سكاكين من صوان سنة ١٧٧٠م في محلة بني إسرائيل، وسأتي على تفصيل ذلك عند الكلام في مدفن يشوع. وقد صرح الكتاب بأن محلّتهم

هناك دعيت الجلجلال إذ جاء في سفر يشوع (فصل ٥ عد ٩) «قال الرب ليشوع: اليوم كشفت عار المصريين عنكم، فدُعِيَ ذلك الموضع الجلجلال إلى هذا اليوم». ولذلك قال يوسيفوس: إنَّ معنى الجلجلال الحرية لأن بني إسرائيل تحرروا ثمة من عبودية مصر ومشاق البرية. وقال العالم كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ١١٨) إنَّ الجلجلال كانت في المحل المسمَّى الآن تل جلجلول، واستشهد يوسيفوس الذي قال: إنَّ الجلجلال كانت على بعد خمسين غلوة في غربي الأردن (عبارة عن مسير ساعة ونصف)، وعلى بعد عشر غلوات في شرقي أريحا (عبارة عن ١٨٥٠ متراً)، وحقق كاران بالمعينة أنَّ هذا الموقع هو المسمَّى الآن تل جلجلول. وتوجد مواضع أخرى تسمى الجلجلال سيأتي ذكرها وهناك صنع بنو إسرائيل الفصح، وأكلوا من غلة الأرض بعد الفصح فطيراً وفريكاً، فانقطع المن منذ أكلوا من غلة الأرض.

عد ٢١٤

سقوط أسوار أريحا وإسبال بني إسرائيل جميع ما كان فيها

كانت أريحا بمنزلة مفتاح لبلاد فلسطين وأنبأنا الكتاب (يشوع فصل ٦) أنَّها كانت مغلقة مقفلة من وجه بني إسرائيل لم يكن أحد يخرج منها ولا أحد يدخلها. فأمر الرب يشوع أن يطوف رجال الحرب حول المدينة كل يوم مرة، وأن يحمل سبعة كهنة سبعة أبواق الهتاف أمام تابوت العهد، وأن يطوفوا في اليوم السابع سبع مرات حول المدينة وينفخ الكهنة في الأبواق. ففعلوا كذلك وفي اليوم السابع طافوا حول المدينة سبع مرات، وفي الأخيرة منها نفخ الكهنة في الأبواق، وهتف الشعب كله هتافاً شديداً، فسقط السور المنيع مكانه، فصعد الشعب إلى المدينة كل واحد على وجهه. وأخذوا المدينة وأبسلوا كل ما فيها بحد السيف من رجل وامرأة، وطفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير. ولم يبقوا إلا على راحب البغي التي آوت الجاسوسين، وأبيها وأمها وإخوتها وجميع ما هو لها، وأقام هؤلاء بين بني إسرائيل. وقتل يشوع ملك أريحا كما صرَّح الكتاب في الفصول الآتية كما ستري.

وأحرق رجال الحرب المدينة وجميع ما فيها بالنار إلا الذهب والفضة، وآنية النحاس والحديد، فإنَّهم جعلوها في خزانة بيت الرب. وقد أباحهم الله هذا القتل

والتدمير ليشند رعبهم على سكان الأرض التي جعلها لهم ميراثاً، فيتيسر لهم إمتلاكها عنوة كما فعلوا. وقد أشار الكتاب إلى ذلك بقوله (يشوع فصل ٦ عد ٢٧): وكان الرب مع يشوع وذاع خبره في كل الأرض، ففر كثير من الكنعانيين من وجهه بأسه. وروى بروكوب أنه وجد في بلاد المغرب عمودان من حجر أبيض، نقش عليهما باللغة الفينيقية ما معناه، «لأما نحن هم الذين فروا من سطو يشوع بن نون». رواه بوجولا في تاريخ أورشليم (مجلد ١ فصل ٢) وقال: حاول بعضهم أن ينكر صحة رواية بروكوب لكنهم لم يقيموا على زعمهم حجة إلا مجرد الإنكار لها.

قد لعن يشوع أريحا قائلاً: «ملعون لدى الرب الرجل الذي ينهض ويبنى هذه المدينة أريحا، يبكره يؤسسها، وبأصغر بنيه ينصب أبوابها». (يشوع فصل ٦ عد ٢٦)، وقد صدقت نبوته في حيثيل الذي من بيت ايل أريحا، فإنه شاء تجديد بنائها في أيام أحاب ملك إسرائيل. ففجع بموت بكره المسمى أبيرام لدى تأسيسها، وبأصغر بنيه المدعو سحوب لدى إقامة أبوابها كما جاء نصاً في سفر الملوك الثالث (فصل ١٦ عد ٣٤)، ثم تهدم هذا البناء. ويظهر أن بعض بني إسرائيل جددوا بناء هذه المدينة بعد عودهم من الجلاء البابلي لا في محلها القديم بل على مقربة منه نحو الجنوب. وهذه المدينة الحديثة هي التي شرفتها أقدام المخلص مرات. إن كلمة أريحا تحتل أن تؤول بالقمر فإن يرحا ~~مما~~ السريانية تأويلها القمر والشهر فكان سكانها الأولين من الكنعانيين كانوا يعبدون القمر، وتحتل أن تؤول بالرائحة فإن جناتها وورودها كانت شهيرة.

عد ٢١٥

محاربة بني إسرائيل أهل العي

إن مدينة العي التي يسميها يوسفوس عينا، وفي الترجمة العربية القديمة غاي، كان موقعها في الغربي الشمالي من أريحا. وجاء في كتاب أعلام الأماكن الكتابية المطبوع بنفقة اللجنة الإنكليزية للبحث في فلسطين، أنها كانت في المحل المسمى الآن تل عيان، في الشرقي الجنوبي من بيت اين التي هي بيت ايل القديمة أو في الجنوب الشرقي منها على مقربة من دير ديوان. وقال العالم كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٥٩) إن موقع العي في محل خربة الكديرة الآن، وإن روينسون

على ما يُظن هو أول من اهتدى إلى ذلك، وإنَّها في الجنوب الشرقي من بيت اين (بيت ايل)، وإنَّه متابع لروينسون على رأيه. فإلى هذه المدينة أرسل يشوع من أريحا قوماً يجسونها، فعادوا وقالوا ليشوع: لا تكلف كلَّ الشعب إلى هنالك، فإنَّ أهلها قلائل بل يصعد نحو ألفي رجل أو ثلاثة آلاف، فصعد نحو ثلاثة آلاف رجل فهزمهم رجال العي، وقتلوا منهم نحو ستة وثلاثين رجلاً فاذعر الشعب. ومزق يشوع ثيابه، وسقط على وجهه على الأرض قدام تابوت الرب هو وشيوخ إسرائيل يستعطفون الله على شعبه فقال ليشوع: قد أجرم إسرائيل بإخفائه ما حظر عليه أخذه من غنائم أريحا، ورمى القرعة بين الأسباط وعشائر كل سبط وبيوته ورجاله فأخذ عاكان بن كرمي من سبط يهوذا، فاستنطقه يشوع فقال: «رأيت في الغنيمة رداءً بابلياً حسناً، ومثني مثقال فضة، وسبيكة من ذهب وزنها خمسون مثقالاً، فاشتيتها وأخذتها، وها هي مدفونة في الأرض في وسط خبائي والفضة تحتها». فأرسل يشوع فأخذ ذلك من وسط الخباء، وطرحه أمام تابوت الرب وأخذ عاكان والفضة والرداء والسبيكة وبناته وبقرة وحميته، وخباءه وأتوا بهم وادي عكور وهو الآن وادي كلت (كتاب أعلام الأماكن الكتابية). فرجموه بالحجارة وأحرقوه بالنار ورضي الرب عنهم لاقتصاصهم من الجرم الذي أسخطه بمخالفة أمره وقد شاء الرب ذلك ليكون عبرة وتذكرة لهم (يشوع ف ٧).

ثم سَير يشوع ليلاً ثلاثين ألف رجل جابرة بأس، ليكنوا من وراء المدينة. وبكر غدوة وصعد هو وشيوخ إسرائيل أمام الشعب إلى العي، فخرج ملكها برجاله لقتالهم، فأظهر يشوع وعسكره الإنهزام أمامهم، فتتبع أهل العي بني إسرائيل حتى أبعدوا عن المدينة. فسُدَّ يشوع حريته والعلم عليها، فوثب الكامنون على المدينة فدخلوها والقوا النار فيها، وخرجوا وراء أهلها فصار القوم في وسط إسرائيل هؤلاء من هنا واولئك من هنالك، فضربوهم حتى لم يبقَ منهم باقٍ ولا شريد، وقبضوا على ملك العي حياً، وقادوه إلى يشوع ورجعوا إلى المدينة. فقتلوا من بقي فيها فكان جملة من قتلوا من رجل وامرأة إثني عشر ألفاً. وغنم بنو إسرائيل سلب المدينة بحسب أمر الرب، وعلق يشوع ملك العي على خشبة ثم ألقوا جثته عند مدخل باب المدينة، وجعلوا عليه جثوة كبيرة من الحجارة (يشوع فصل ٨) فكان ما عمله يشوع حيلة حرية كثرت أمثالها بين المحاربين. وأرشدتهم الله إليها نعمةً من سكان العي الأموريين، وتيسيراً لامتلاك

شعبه أرض موعدهم وهو مالك الأرقاب الذي يبيت ويحيي ويجزي كلاً بما جنت يداها.

عد ٢١٦

مسألة بني إسرائيل لسكان جبعون

أما جبعون فهي المسماة الآن الجيب أو الجب، وقال يوسفوس (تاريخ اليهود ك ٧ فصل ١١) إنها بعيدة عن أورشليم نحو خمسين غلوة (الغلوة ثلاث مئة إلى أربع مئة ذراع) شمالاً، وقال كاران (ك ١ في اليهودية صفحة ٣٨٦): ليس من يقيم نكيراً على أن جبعون هي المسماة الآن الجيب، وإنها بعيدة عن أورشليم نحو الشمال عشرة كيلومترات أي مسافة نحو ساعتين. وإن بهاء الدين سماها في ترجمة الملك صلاح الدين في أيام الصليبيين الجيب كما تسمى الآن. وكذا جاء في كتاب أعلام الأماكن. وقال كلمت في معجم الكتاب إنها بعيدة عن الجلجال مسافة ثماني ساعات أو تسع غرباً. فسكان هذه المدينة سمعوا بما فعله يشوع بأريحا وبالعبي. فاحتالوا بأن أخذوا لحميرهم حقائب رثة، وزقاق خمر عتيقة مشققة مرقعة، وجعلوا نعالاً مرقعة في أرجلهم، وثياباً بالية عليهم، وجميع خبز زادهم يابس عفناً، ومضوا إلى يشوع في محلة الجلجال. وقالوا: إننا قادمون من أرض بعيدة على اسم الرب الهكم لأننا سمعنا بخبره، وبجميع ما صنع في مصر وبسبحون ملك حبشون، وعوج ملك باشان. فأرسلنا شيوخنا وسكان أرضنا لنقطع لهم عهداً منكم وهذا خبزنا تزودناه سخناً من بيوتنا، وها هو الآن يابس وعفن، وهذه زقاق الخمر ملأناها جديدة، وها هي مشققة وهذه ثيابنا ونعالنا قد تعتقت، ولم تلتمس جماعة إسرائيل مشورة الرب فسالموهم، وقطعوا لهم عهداً، وحلفوا لهم أنهم يستبقونهم. ولكن سمعوا بعد ثلاثة أيام أنهم جيران لهم وساكنون بينهم، فأتوا مدنهم وهي جبعون المحكى عنها وكفيرة وهي خربة فقيرة اليوم على بعد ثمانية أميال في الشمال الغربي من أورشليم على ما في كتاب أعلام الأماكن، وعلى ما روى كاران (مجلد ١ في اليهودية صفحة ٢٨٤). ثم بثروت وهي البيري الآن في شمالي أورشليم، وشرقي رام الله كما في كتاب أعلام الأماكن، وكما روى كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٩)

وقال: إنها على بعد نحو ثلاث ساعات من أورشليم في الطريق المؤدية منها

إلى نابلس والناصرية، وإنَّ التقليد الراجح الصحة يتبين منه ان هذا هو المحل الذي انتهت فيه العذراء، والقديس يوسف إلى تخلف يسوع عنهما، ثم قرية يعازيم (أي محل الأشواك)، والأظهر أنَّها المسماة الآن قرية العنب، وقرية أبي غوش على بعد تسعة أو عشرة أميال من أورشليم في الطريق المؤدي إلى يافا (كما في كتاب أعلام الأماكن وفي كتاب كاران مجلد ١ في اليهودية صفحة ٦٢).

لم يضرب بنو إسرائيل أهل جبعون حرمة للعهد الذي قطعوه لهم، ومبرة ليمينهم بالله، وجعلهم يشوع والرؤساء محتطبي حطب ومستقي ماء لكل الجماعة ولمذبح الرب، فأذعنوا لذلك ورعوا الزمام لبني إسرائيل في ما عُثِنُوا له (يشوع فصل ١٠)، على أنَّ شاول أهلك جمّاً غفيراً منهم لحسابه أنَّه يلزمه استئصال بقايا الكنعانيين والجبعونيين من الحووين. فانتقم الله لدمهم بمجاعة في أيام داود دامت ثلاث سنين، وكفّر داود عنها بتسليمه إلى الجبعونيين سبعة من ولد شاول فقتلهم. وقد صرّح الكتاب بذلك في الفصل الحادي والعشرين من سفر الملوك الثاني. ولم يأت الكتاب بعد ذلك بذكرهم بمنزلة فصيلة مستقلة.

عد ٢١٧

تألب ملوك الجنوب على يشوع وبني إسرائيل

قال الكتاب (يشوع فصل ١٠): ولما سمع أدونيصادق ملك أورشليم بما فعله يشوع بأهل أريحا، وملكها وأهل العي وملكها، وإنَّ أهل جبعون سالموا بني إسرائيل، وأقاموا فيما بينهم، فخاف خوفاً شديداً لأن جبعون مدينة عظيمة مثل إحدى المدن الملكية، وهي أكبر من العي وجميع رجالها جبابرة. فأرسل أدونيصادق إلى هوام ملك حبرون وهي الخليل، وإلى فرآم ملك يرموت، وهي المعروفة الآن بخربة يرموك على مسافة نحو ثلاث ساعات شمالاً من بيت جبرين، ويافيع ملك لاكيش «وهي المعروفة الآن بخربة أم الاكيس في الغرب الجنوبي من بيت جبرين، وفي غربي عجلون الآتي ذكرها». ثم «دبير ملك عجلون» وتغرّف إلى الآن بهذا الاسم، وهي في الغربي الصريح من بيت جبرين على مسافة أربع ساعات، وتبعد ستة عشر ميلاً عن غزة شمالاً (أعلام الأماكن

وكانان في مجلد ٢. في اليهودية). وأرسل ملك أورشليم يقول لهؤلاء الملوك الأربعة: هلموا إلّي وناصروني، فنضرب جبعون لأنها سالت يشوع وبني إسرائيل. فاجتمعوا ونزلوا على جبعون وحاربوها. فاستنجد أهلها بيشوع، فزحف عليهم بغتة سائراً الليل كله من الجلجال فهزم الرب ملوك الآموريين ورجالهم، وضربهم ضربة عظيمة في جبعون، وتعقبهم يشوع في طريق عقبة بيت حورون (وهي المعروفة اليوم بيت أور في الغرب من الحب (جبعون)، وهي محلطان عليا وسفلى واستمر بنو إسرائيل يطاردونهم إلى عزيقة لم يتعين إلى الآن موقعها فهي بين بيت جبرين وأورشليم قرية من خربة الشويكة^(١). وإلى مقيدة وقال أوسايوس: إن هذه المدينة بعيدة ثمانية أميال عن بيت جبرين، وفي كتاب أعلام الأماكن الكتابية أنه يحتمل أن كان موقعها في محل قرية المغار الآن، وقال فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ١٨٦): ويحتمل أن يكون موقعها عند سفح جبل بيت أور قريباً من السهل وبين كان ملوك الآموريين منهزمين من وجه إسرائيل في مهبط بيت حورون (بيت أور)، رماهم الرب ببرد كالحجارة فقتل منهم كثيرين، وهرب الملوك الخمسة، واختبأوا في مغارة بمقيدة فقال لهم يشوع: دحرجوا حجارة كباراً على فم المغارة. ووكلوا عليها قوماً يحفظونها، وأنتم هلموا على أعقاب أعدائكم وأهلكوا ساقتهم. ففعلوا كذلك حتى أفنوهم ودخل من بقي منهم المدن المحصنة، ورجعوا إلى يشوع في مقيدة وفتحوا فم المغارة، وأخرجوا الملوك الخمسة منها وضربهم يشوع وقتلهم، وعلقهم على خمس خشبات إلى المساء ثم أنزلوهم عن الخشب، وطرحوهم في المغارة التي اختبأوا فيها وجعلوا على فم المغارة حجراً كباراً، وفتح يشوع في

(١) ففي كتاب أعلام الأماكن الكتابية ومواقعها ان عزيقة كانت في تل زكريا أو في دير العاشق فزكريا هي بين بيت جبرين وبيت الجمال ودير العاشق في وادي سارق وقال كانان (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٣٣) ان عزيقة لا بد ان تكون قرية من سوكو لأنها ذكرتاً معاً في آيات عديدة ومنها في سفر الملوك الأول ١٠ فصل ٧ عد ١) حيث قيل ان الفلسطينيين «نزلوا بين سوكو وعزيقة» حيث صرع داود جليات الجبار ولا وراء ان سوكو هي خربة الشويكة البعيدة سبعة أميال ونصف عن بيت جبرين إلى جهة أورشليم وعزيقة أقرب منها إليها. وقد ذكر أوسايوس والقدس ابرونيموس أنها بين بيت جبرين وأورشليم. وذكر الآب فيكورو (في معجم الكتاب) كل هذه الأقوال وقال إن كلمة عاشق يمكن ان تكون مكسر عزيقة وان كانت بعيدة عن الشويكة.

ذلك اليوم مقيدة وضربها بحد السيف، وأبسل ملكها وكل الأنفس التي فيها.

عد ٢١٨

ايقاف يشوع الشمس والقمر عن مسيرهما

جاء في الكتاب : إنه لما كان بنو إسرائيل يطاردون ملوك الآموريين، كلم يشوع الرب، «فقال على مشهد إسرائيل: يا شمس قفي على جبعون ! ويا قمر أثبت على وادي أيتلون ! فوقفت الشمس وثبت القمر إلى أن انتقم الشعب من أعدائهم... فوقفت الشمس في كبد السماء، ولم تمل للمغيب مدة يوم كامل، ولم يكن مثل ذلك اليوم قبله ولا بعده سمع فيه الرب لصوت إنسان» (يشوع فصل ١٠ عد ١٢ وما يليه)، قال الأب فيكورو (في الموجز الكتابي عد ٤٢٥ وما يليه): أن هنا أربعة مباحث في أي وقت من النهار أوقف يشوع الشمس؟ وكم كانت مدة وقوفها؟ وبأية وسيلة صنع الله هذه الآية، وكيف يرد ما ورد عليها من الاعتراض؟ وقال في المبحث الأول: إن وقت وقوف الشمس كان عند مغيبها فلا محل لالتماس الآية إلا عند مدهامة الليل، وكفه بني إسرائيل عن تتبع أعدائهم. وقوله في كبد السماء يرادف قوله في السماء، ولا يمكن تحقيق مدة وقوف الشمس لأن الآية في النص العبراني، «ولم تمل (الشمس) للمغيب مدة نحو يوم كامل، ولم يكن مثل ذلك اليوم». فهذا النص قيد المدة بنحو يوم كامل ولم يطلقه، وليس فيه الكلمات «قبله ولا بعده». فكان ذلك مانعاً من تحقيق المدة ومؤذناً فقط بأن الوقت كان طويلاً على أن ميمونيد اليهودي، وبعض البروتسطنت وقليلاً من العلماء الكاثوليكين أيضاً وهموا أن كلام يشوع مجازي وشعري ليس المراد منه إلا أنني يشوع طول ذلك النهار، ووقوف الشمس لاستئصال بني إسرائيل أعدائهم لا إن النهار طال أو الشمس وقفت حقيقة واستمسك أصحاب هذا الرأي بقول الكتاب، «وذلك مكتوب في سفر المستقيم» قائلين ليس هذا السفر إلا نفثات شعرية على أن زعمهم مردود بصراحة آي الكتاب وأجماع التقليد على مخالفته.

وأما بأية وسيلة أطل النهار؟ فلا يخلو أن يكون إما بأن الله أوقف الكرة الأرضية عن دورانها اليومي، إما بأنه جعل أنوار الشمس تضيء بني إسرائيل

كلما لزم من الوقت للحاقهم أعدائهم دون إيقاف الأرض بغتة عن حركتها، فيرد على الأول: إنَّ وقوف الأرض عن حركتها ينشأ عنه طبعاً دمار عام في الكائنات الأرضية كهدم الأبنية، ودك الجبال، وتشوش كبير في الأجرام السماوية، وخروج الأرض عن نقطة دورانها بتشوش حركة القمر. وقد فات المعارضين أنَّ الله الذي هو قادر على إيقاف حركة الأرض هو قادر أيضاً على تدارك ما ينتج عنه من الغوائل الطبيعية. وإنَّ حركة الأرض السنوية حول الشمس، وحركة القمر حول الأرض، لا علاقة لهما بدوران الأرض اليومي على محورها، وأمَّا على التفسير الثاني وهو وقوف الشمس ظاهراً دون إيقاف حركة الأرض، فلا يعسر على الله وهو على كل شيء قدير أن يتصرف بأشعة نور الشمس كما يشاء بانبعائها، أو انكسارها لتتير أرض فلسطين، فبعد مغيب الشمس نرى أنوارها في الأفق مدة الشفق، وقبل بزوغها إلى الأفق نرى أنوارها فيه مدة الفلق، فهل يعسر على الله أن يطيل مدة الشفق ساعات عديدة في صقع مخصوص؟ وحينئذٍ يصدق القول: إنَّ الشمس واقفة وإنَّ النهار طال، ولا يتأتى من ذلك دمار في الكائنات الأرضية ولا تشوش في الأجرام السماوية.

فيقول الجاحدون لا أثر في تواريخ القبائل القديمة لوقوف الشمس، أو لطول نهار أكثر من عادته، ولو صدق كلام يشوع لظهر هذا الوقوف في البسيطة كلها فلا يعتد بقولهم، إذ لا تاريخ لذلك العصر، وليس ما يثبت أنَّ طول النهار عم غير فلسطين. فيقولون أيضاً إنَّ حركة الأرض أو الشمس مخالف لسنن الطبيعة ولكن لا يستطيع باري الطبيعة الذي فرض لها هذه السنن أن يغيّرها أو يصرف قوتها إلى ما شاء؟ وقد تكلم كاتب السفر المقدس في وقوف الشمس بحسب مفهوم القوم في ذلك العصر، ولم يكن عليه وهو في معمة الحرب أن يراعي علم الفلك، ويخاطب قومه بما لا يعلمون. فهذا ملخص ما جاء به الأب فيكور في كتابه المارّ ذكره. وقد أطلت واجاد بكلامه على هذه الآية في كتابه الآخر الموسوم بالأسفار المقدسة وانتقاد العقليين لها (مجلد ٤ من صفحة ٤٥٩ إلى صفحة ٤٨٥) حيث أفصح بأن نبد مجمع الفصح المقدس مقالات كلبلاي التي أثبت بها دوران الأرض حول الشمس لم يكن من العقائد الدينية ولم يثبتها أحد من الأحبار الأعظمين بمنزلة سنة في الكنيسة. وإنَّ القول بأن الأرض تدور حول الشمس لم يكن حديثاً بل قال به البيتاغوريون لنحو خمسة قرون قبل

التاريخ المسيحي. وأئده نيقولاوس دي كوسا في إيطاليا. ولم تنبذه الكنيسة بل رقت القائل به إلى مقام الكردينالية، ثم أثبتته نيقولاوس كوبرنيكوس في القرن الخامس عشر قبل كيلاي، وقد فرط من مجمع الفحص نبذ مقالات هذا العالم فالكنيسة الكاثوليكية لا تعتبر كل ما جرى في إحدى المجمع الرومانية معصوماً من الضلال، بل هذه العصمة لرأسها المنظور متى بت أمراً بمنزلة معلّم للكنيسة كلها وأمر جميع المؤمنين بتنزيله منزلة عقيدة دينية ولم يأمر أحد من الأخبار الأعظمين بشيء من ذلك في شأن مذهب كيلاي.

عد ٢١٩

افتتاح يشوع مدناً أخرى في جنوبي فلسطين

قال الكتاب (يشوع ف ١٠ عد ٢٩): «ثم اجتاز يشوع وجميع اسرائيل معه من مقيدة إلى لبنه، وحاربها فاسلمها الرب ايضاً إلى أيدي اسرائيل هي وملكها... وقتلوا كل نفس فيها لم يبقوا فيها باقياً وفعّلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا». وموقع لبنه غير معين إلى الآن ففي اعلام الأماكن الكتابية أنّ موضعها غير معروف. وقد ذكر اسمها بين مقيدة ولاكيش، وفي معجم الكتاب لكلمت أنّ اوسابينوس والقديس ايرونيوس قالوا إنها كانت في عمل بيت جبرين. واجتاز يشوع من لبنه إلى لأكيش (خربة ام الاكيس طالع عد ٢١٧) فافتتحوها في اليوم الثاني، وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنه. وصعد هورام ملك جازر لنصرة لأكيش فضربه يشوع هو وقومه حتى لم يبق منهم باقياً. أما جازر ففي اعلام الأماكن الكتابية انها تسمى اليوم تل جازر وهي بعيدة أربعة اميال نحو الغرب من عمواص المسماة قديماً نيكوبوليس. واجتازوا من لأكيش إلى عجلون وتسمى الآن أيضاً بهذا الاسم (طالع عد ٢١٧) وحاربوها وافتتحوها في ذلك اليوم وضربوا أهلها بحد السيف وصعدوا من عجلون إلى حبرون (الخليل) وحاربوها، وافتتحوها، وضربوها بحد السيف هي وملكها ومدنها وكل نفس فيها. وعادوا إلى دبير (وسماها الكتاب في محل آخر قرية سفر أي قرية الأسفار أو الكتب، ورجح كاران أنها كانت في المحل المسمى الآن خربة سراسير وخربة دويربان في ناحية الخليل. وذكر قول العالم وان دي فلد أنها كانت في محل خربة الدلبة التي تبعد مسافة ساعتين عن الخليل نحو الجنوب الغربي وضعف هذا القول). وحاربوها

وأخذوها هي وملكها وسائر مدنها، وضربوهم بحد السيف. وضرب يشوع جميع أرض الجبل أي جبل اليهودية والجنوب والسهل والسفوح وقتل ملوكها واستحوذ على جنوب فلسطين كله ولم يبق من أهله إلا من تحصنوا في الحصون، ولم يفتح أورشليم حينئذ وإن قتل ملكها.

عد ٢٢٠

اعتصاب ملوك شمال فلسطين على بني اسرائيل وتشتيت يشوع شملهم

أخذ الرعب من ملوك الكنعانيين الشماليين كل مأخذ، وراعهم أن يسطو يشوع عليهم كما سطا على ملوك الجنوب، فعمدوا إلى مهاجمة بني اسرائيل قبل دنوهم إليهم، واعتصبوا يداً واحدة. وكان مقدام هذه العصبة يابن ملك حاصور. فقد جاء في سفر يشوع (فصل ١١ عد ١) ولما سمع يابن ملك حاصور ما فعله يشوع بملوك الجنوب، أرسل إلى يوباب ملك مادون وإلى ملك شمرون وملك اكشاف ليناصروه في محاربة بني اسرائيل. أما حاصور مدينة رئيس العصبة فالذي في اعلام الأماكن الكتابية يرجح أنها كانت في جبل حصيره في الجليل قرية من قادمين والذي اعتمده كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٣٦٤). مسنداً إلى آيات عديدة ذكرت فيها حاصور وإلى أقوال ليوسفوس أن هذه المدينة كانت على بحيرة الحولة عند طرفها الشمالي الغربي في المحل المسمى الآن تل الحزاوي، وجعلها روينسون في خربة الخريبة، ودي سولسي في خربة الحان وكل هذه الأماكن قرية من بحيرة الحولة. وأما مادون فيرجح أنها كانت في محل خربة مادين في غربي بحيرة طبرية، وشمرون سمونيه هي الآن قرية صغيرة تبعد خمسة أميال عن الناصرة غرباً. واكشاف كفر ياسيف الآن هي قرية تبعد ستة أميال عن عكا في الشمال الشرقي منها (عن اعلام الأماكن في أسماء هذه المدن الثلاث). ويرجح كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٢٦٩) أن موقع اكشاف كان في قرية كشاف على بعد كيلومترين من الطيبة في قضاء نابلس.

لم يقتصر يابن على دعوة الملوك الآنف ذكرهم لمظاهرة لأن الكتاب قال (عد ٢) إنه أرسل أيضاً «إلى الملوك الذين إلى الشمال في الجبل وفي الغور

جنوبي كثُروت وفي السهل وفي بقاع غور غرباً وإلى الكنعانيين شرقاً وغرباً، والآموريين والحثيين واليبوسيين في الجبل، والحوين تحت حرمون في أرض المصفاة» المتبادر إلى الفهم من قوله إلى الشمال في الجبل ان المراد الملوك الذين كانوا في لبنان أو في أطرافه من جهة مرج عيون، وبلاد الشقيف فهي في الشمال من مملكة يابان، وأما كثُروت فقال فيها كاران (مجلد ١ في الجليل صفحة ٢١٠) إنها كانت في المحل المسمى الآن أبو شوشة في جانب بحيرة جناشر التي هي بحيرة طبرية، وان اسم كثُروت في اللاتينية Genereth جنرات أو كنرات على الاصطلاح القديم ليس هو إلا اسم كنروت في العبرانية، وبهذا الاسم سميت بحيرة جاناشر نسبة إلى المدينة القديمة التي كانت في جانب البحيرة. وقال القديس ايرونيوس ان هيرودس ملك اليهودية جدّد هذه المدينة، فدعاها طبرية باسم طياريوس قيصر. وقالوا إنّه أول من سماها به وجاء في التلمود الأورشليمي ان كثُروت المذكورة في سفر يشوع بن نون، هي جاناشر وأن اسمها مركب من جنا جنة وسار بمعنى ملك فتأويله جنة الملك أو الجنة الملكية لخصب أراضيها، وقد مر في اعلام الحثيين أن سار بمعنى ملك.

وأما بقاع غور غرباً فيتبادر إلى الفهم أن المراد به الجولان فهو في غربي بحيرة طبرية وشمالها. والمراد في الجبل بعد قوله اليبوسيين جبل اليهودية، وحرمون جبل الشيخ. وأما أرض المصفاة فالذي في كتاب الاعلام الكتابية أنّه يظهر أنّها البقاع. ويؤيده أنه جاء بعد ذلك (عد ٨) إن بني إسرائيل ضربوا هؤلاء الملوك وتعقبوهم إلى صيدون (صيدا) الكبيرة وبقعة المصفاة شرقاً. فخرج هؤلاء الملوك في خلق كثير، وبخيل ومراكب عديدة جداً، ونزلوا جميعاً على مياه ميروم لمحاربة بني إسرائيل وأمر الرب يشوع أن لا يرهبهم، فخرج يشوع عليهم بجميع رجال الحرب، وانقضوا عليهم بغتة عند مياه ميروم والمراد بها بحيرة الحولة على ما في الاعلام الكتابية وفي كتاب كاران (مجلد ٢ في الجليل صفحة ٤٥٠).

ولكن جاء في معجم الكتاب لكلمت أنّ مياه ميروم هي في ناحية الكرمل قرية من مجدو (اللجون الآن)، وأسند قوله إلى أنّ الملك يابن وحلفاءه لا يدعون يشوع يتوغل في بلادهم إلى بحيرة الحولة، فالأوجه أن يقطعوا عليه الطريق عند مضيق مجدو، كما فعل ملوك سورية مراراً بملوك مصر عند غزوهم

بلادهم. ومهما يكن من أمر المكان فقد أسلم الرب يايين وحلفاءه وجيوشهم إلى أيدي بني إسرائيل فضربوهم، وتعقبوهم غرباً إلى صيدا وإلى مياه سرفوت (وهي صرند على ما في كتاب الاعلام وقيل إنها بحيرة طبرية). وشرقاً إلى بقعة المصفاة وهي البقاع كما مر حتى لم يبق منها باق. وعرقب يشوع خيلهم واحرق مراكزهم بالنار وافتتح حاصور مدينة رئيس العصابة وأحرقها، وقتل ملكها يايين واستولى على كل تلك المدن، وأبسل ملوكها بحد السيف، وغنم بنو إسرائيل غنائم تلك المدن، وقتلوا أهلها وانبسط حكم يشوع من الجبل الأملس الممتد جهة سعيير وهو في بلاد الأدوميين إلى بعل جاد في بقعة لبنان تحت جبل حرمون، وبعل جاد هي بانياس من منبع الأردن على ما في كتاب الاعلام الكتابية.

عد ٢٢١

محاربة يشوع بني عناق وتدويخه بلادهم

عاد يشوع ظافراً غنائماً في شمالي فلسطين إلى جنوبيها فحارب بني عناق وقرضهم (يشوع فصل ١١ عد ٢١). وبنو عناق هم ولد عناق بن أربع، وبه سميت الخليل في أقدم الأعصر قرية أربع. ثم دعيت حبرون في أيام ابراهيم الخليل والآن الخليل. وجاء في سفر العدد (فصل ١٣ عد ٢٣)، وفي سفر يشوع (فصل ١٥ عد ١٤) أنه كان لعناق ثلاثة بنين، وهم شيشاي وأحيمان وتلماي، فكانوا آباء عشائر دُعيت بني عناق وكانوا جبارة حتى قال بنو إسرائيل إنهم كانوا في أعينهم كالجراد وكانت مواطنهم الخليل وغزة واشدود وغيرها في جنوبي فلسطين. وقد قرضهم يشوع من حبرون (الخليل)، ودير (خربة سراسير طالع عد ٢١٩)، وعتاب هي المسماة الآن أيضاً بهذا الاسم تبعد عن دير ميلين ونصف غرباً على ما في كتاب اعلام الأماكن الكتابية، وفي كتاب كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٦٥). وقد سماها خربة عناب الكبيرة. وطردهم يشوع أيضاً من سائر جبل يهوذا، ولم يبق عناق في أرض بني إسرائيل إلا في غزة الباقية على اسمها، وفي جت وهي الآن تل الصافي بعيدة خمسة أميال عن بيت جبرين في الطريق المؤدية منها إلى اللد على ما في اعلام الأماكن الكتابية. أو هي ذكرين في الطريق المذكورة، وأقرب من تل الصافي إلى بيت جبرين على ما في كتاب كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ١٠٩). ثم في أشدود أسدود الآن في ناحية المجدل من

شمالي عسقلان. وقد مرّ في (عد ٢١٩) إنّ يشوع حارب سكّان حبرون وديبر وقتل ملكيهما كما في سفر يشوع (فصل ١٠ عد ٣٦ و ٣٨)، ثم ذكر (فصل ١١) ما جاء هنا، فكأنّه افتتح حبرون وديبر قبل محاربة يابين كما في الفصل العاشر ثم ذكر قرضه العناقيين منهما ومن باقي مدنهم في الفصل الحادي عشر أو ذكر فتحهما استطراداً مع باقي المدن التي افتتحها مع هذا الفتح لم يكن إلّا بعد انتصاره على يابين وحلفائه في الشمال.

وكذا ولي بنو إسرائيل أرض فلسطين في مدّة ست سنين أو سبع، واستفحل أمرهم فيها ولكن بقي الكنعانيون في المدن البحرية وفي بعض المدن المحصّنة وفي غزة، وجت (ذكرين) واشدود وعسقلون وعقرون (عافر الآن). وهي المدن الخمس التي فرّ إليها بنو عناق، وتحصّنوا فيها وقد حلّ فيها بعداً الفلسطينيون فكانت مراكز أقطابهم واستمر كثير من الكنعانيين في أملاك سبط افرايم وفي الأرض التي أعطيتها نصف سبط منسى في عبر الأردن. وفرّ كثير منهم إلى المدن البحرية وتشتتوا جاليات في الآفاق كما مرّ في مقالة الفينيقيين. وقد عدّ يشوع (فصل ١٢) الملوك الذين قتلهم بنو إسرائيل، فكانوا واحداً وثلاثين ملكاً منهم سيحون ملك الأموريين وعوج ملك باشان قتلها موسى. وباقيهم وهم تسعة وعشرون ملكاً قتلهم يشوع بن نون وقد مرّ في عد ٢١٢ ذكر ما كانت عليه حالة هؤلاء الملوك وإنّ الآثار المصرية أثبتت تقسيم فلسطين في تلك الأعصر إلى ممالك صغيرة كهذه.

عد ٢٢٢

قسمة أرض فلسطين على بني إسرائيل

قد أمر الرب يشوع أن يقسم ما ملكوه من البلاد على بني إسرائيل، وإن بقي قسم كبير من أرض موعدهم بيد أعدائهم في فلسطين وغيرها. وكان موسى قسم في أيامه ما ملكوه في عبر الأردن على بني راويين وبني جاد ونصف سبط منسا. وكان رجال هؤلاء تجنّدوا مع إخوانهم في حروبهم السالف ذكرها بل كانوا في مقدمة جيوشهم كما تعهّدوا أمام الرب وموسى حين رغبوا إليه أن يعطيهم أرض عبر الأردن ميراثاً كما مرّ. فأطلقهم يشوع بعد حروبه فعادوا إلى أرضهم وأهلهم. أمّا نصيب سبط راويين فكان في شرقي البحر الميت، وكان من مدنهم عروعر

(عراير الآن)، وميدبا (وتعرف اليوم أيضاً بهذا الاسم)، وحشيون (حسبان الآن) إلى غيرها من المدن والسهول. وكانت هذه البلاد مملكة سيحون ملك الأموريين، وكانت قبله بلاد الموآبيين وهي الآن في ولاية البلقاء. وكان نصيب بني جاد في شمالي نصيب رآويين ومن مدنه جلعاد وهي السلط ويعزير وهي بيت زرة الآن ورثة أو ربة عمون وهي عمان الآن، ودعيت في زمان اليونانيين فيلادلفيا. ويمتد هذا النصيب على عدوة الأردن الذي هو تخم له طرف بحر كنارت وهو بحيرة طبرية، وكانت هذه البلاد بلاد العمونيين. وكان قد استحوذ سيحون على بعضها وعرج على بعضها الآخر. وأما نصيب نصف سبط منسا فكان في شمالي نصيب جاد، وهو جميع السهول الواقعة على عدوة الأردن الشرقية بين بحيرة طبرية جنوباً وبحيرة الحولة شمالاً، حيث الجولان الآن وكان من مدنها إدري أذرعات الآن وعشتاروت والراجح أنها تل عشترة في الجولان. وهذه البلاد كانت مملكة عوج ملك باشان، فهذه البلاد هي التي قسمها موسى على سبطي رآويين وجاد ونصف سبط منسا وكلها في عبر الأردن شرقاً.

وبعد أن استراح يشوع من حروبه اجتمع هو واليعازر رئيس الأخبار ورؤساء الأسباط، وقسموا الأرض التي ملكوها في غربي الأردن بالقرعة، وبعد أن أفرزوا أنصبة سبطي يهوذا وإفرائيم ونصف سبط منسا، وبقي سبعة الأسباط متقاعدون عن امتلاك أرضهم، فأمرهم يشوع أن يأخذوا من كل سبط ثلاثة رجال يسيرون في الأرض، ويخططونها ويقسمونها سبعة أقسام، وأن يعودوا إليه فيلقى القرعة أمام الرب فيمتلك كل منهم ما أصابه، ففعلوا فكان نصيب كل من الأسباط بعد هذه القرعة كما يأتي.

فكانت تخوم سبط يهوذا شرقاً البحر الميت، وغرباً نصيب شمعون، وجنوباً البرية وتخوم مصر، وشمالاً نصيب سبط بنيامين في أورشليم وما جاورها، ونصيب سبط دان فكان في هذا السهم ناحية الخليل وما في جوارها. وأصاب سبط شمعون ما يتاخمه غرباً البحر المتوسط، وشرقاً نصيب بني يهوذا وما كان باقياً في يد بني عناق غزة وما جاورها، ومن مدنه بئر سبع وتل الشريعة. وأصاب سبط بنيامين أورشليم وما جاورها شرقاً إلى نهر الأردن، وغرباً إلى قرية يعريم (أبي غوش الآن) وتخوم سبط دان، وجنوباً نصيب سبط يهوذا، وشمالاً نصيب سبط إفرائيم ومن مدنه أورشليم وأريحا وجبعة. وأصاب سبط دان ما تخومه غرباً البحر

المتوسط. وشرقاً أملاك سبط بنيامين، وشمالاً نصيب بني افرائيم، وجنوباً نصيب بني يهوذا. فكان نصيبا بنيامين ودان متحاذيين شرقياً وغريباً. الأول في الجبل وفيه أورشليم إلى الأردن، والثاني في غريبه وفيه يافا والد وصرعة. وأصاب سبط افرائيم ما يحده شرقاً نهر الأردن من تخم بنيامين إلى تخم منسا، وغرباً البحر المتوسط على تخم دان، وجنوباً أملاك دان وبنيامين، وشمالاً أملاك نصف سبط منسا، وفي هذا النصيب نابلس الآن وسبسطة وهي السامرة وكفرسابا إلى غيرها. وأصاب نصف سبط منسا ما يتاخمه شرقاً نهر الأردن بين تخمي افرائيم ويساكر، وغرباً البحر المتوسط إلى جبل الكرمل، وجنوباً أملاك بني افرائيم، وشمالاً نصيبا زابلون ويساكر. ومن مدنه قيسارية فلسطين وعملت ودورا وهي الطنطورة الآن. وأصاب سبط يساكر ما يحده شرقاً نهر الأردن بين تخمي منسا وزابلون، وغرباً أملاك زابلون ومنسا، وشمالاً نصيب منسا، وجنوباً نصيب منسا وجنوباً نصيب زابلون وكان في هذا النصيب جانب كبير من مرج بن عامر وناحية جنين وجلبون وهي جلبوع القديمة ونورس ونين وهي نائين القديمة.

وأصاب سبط زابلون ما يحده شرقاً نهر الأردن وبحيرة طبرية، وغرباً البحر المتوسط في جهة حيفا، وشمالاً نصيب سبط نفتالي وآشير، وجنوباً أملاك سبطي يساكر ومنسا. ومن مدن هذا السهم طبرية والناصرية وما بينهما وفي جوارهما من المدن. وأصاب سبط آشير ما يحده غرباً البحر المتوسط في جهة صيدا وصور وعكا، وشرقاً سهم سبط نفتالي، وشمالاً بلاد الشقيف وإقليم الشومر، وجنوباً سهم زابلون، وكان في سهم آشير الجانب الأكبر من بلاد بشاره الآن وبعض الشومر والشقيف وبعض سنحقي عكا. وأصاب سبط نفتالي ما يحاذي سبط آشير شرقاً، فكان لأشير البلاد الساحلية، ولنفتالي البلاد الجبلية. فكانت حدود نصيبه سهم آشير غرباً ونهر الأردن من بحيرة طبرية إلى بحيرة الحولة شرقاً، وناحية مرج عيون وبعض الشقيف شمالاً، وسهم زابلون جنوباً، ومن مدنه صفد وقدس وهي قادمس القديمة والجش والجرمق وناحية الشاغور. وسوف نعلق في آخر هذا المجلد خريطة سورية وفي جانبها خريطة هذه الأسهم إن شاء الله. ولم يعط بنو لاوي سهماً معيناً بل أعطوا ثمانية وأربعين مدينة أو قرية مشتتة في أنصبة أسباط إسرائيل ليقيموا بخدمة الرب بينهم؛ ومنها ست مدن للملجأ حتى يهرب إليها كل قاتل نفساً سهواً بغير عمد. وكانت هذه المدن الست، ثلاث في عبر الأردن وهي باصر (بص

الحريري) في سبط راوبين، وراموت جلعاد (السلط) في سبط جاد. وجولان في باشان في سبط منسا (طالع عد ٢٠٩). وثلاث في غربي الأردن، وهي قادش في الجليل في نصيب نفتالي في غربي بحيرة الحولة على ما في أعلام الأماكن كما مرّ آنفاً. ثم شكيم في جبل افرائيم وهي نابلس الآن. ثم حبرون في جبل يهوذا وهي الخليل. وقد تقدم كالب بن يوفنا إلى يشوع راغباً في أن يعطى جبل حبرون كما وعده موسى بعد عوده من تجسس أرض الموعد فأعطيه. فطرد بني عناق من هنالك، وصعد إلى دبير (سراسير) ووعد من يأخذها أن يعطيه ابنته عكسة زوجة، فانتحها ابن اخيه فأنجز وعده له (يشوع فصل ١٥). على أن ما أعطيه كالب إنما هو صحراء حبرون وقراها. وأما المدينة فأعطيتها بنو هرون كما هو مصرّح في سفر يشوع (فصل ٢١ عد ١٢). ووقع تخم بني دان الذي كان في جهة يافا ضيقاً عليهم، فصعدوا وحاربوا لاشم وضربوا أهلها بحدّ السيف وسكن بعضهم فيها، وسموها لاشم دان باسم دان أبيهم. وتسمى لايش ودان وموقعها في محل تل القاضي حيث ينابيع الأردن، تبعد ميلين غرباً عن بانياس (كتاب أعلام الأماكن الكتابية وكاران مجلد ٢ في الجليل صفحة ٣٣٨).

وبعد الفراغ من قسمة الأرض أعطى بنو إسرائيل يشوع بأمر الرب المدينة التي طلبها وهي ثمنة سارج في جبل افرائيم، فبنى المدينة وأقام فيها بين بني افرائيم لأنه من سبطهم (يشوع فصل ١٩). وثمنة سارج هي الحّلّ المعروف الآن بخربة تبة في جبال افرائيم، تبعد نحو ساعتين ونصف نحو الشمال الغربي من جفنة وسنجيء على ذكر هذا الحّل عند الكلام في مدفن يشوع.

عد ٢٢٣

نصب خباء المحضر في شيلو

جاء في سفر يشوع (فصل ١٨ عد ١): «والتأمت كل جماعة بني إسرائيل في شيلو، ونصبوا هناك خباء المحضر وأخضعت الأرض بين أيديهم». وشيلو هذه تسمى الآن خربة سيلون. وقال أوسايوس أنها بعيدة اثني عشر ميلاً عن نابلس جنوباً. وقال القديس ابرونيموس أنها تبعد عنها عشرة أميال فقط، ورجّح كاران قول أوسايوس وهي في شمال (بيت اين)، وفي شرقي الطريق المؤدي من بيت اين

الى نابلس (كاران مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٤). وقال الأب فيكورو:
(الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ١٨٩) إن روينسون الجوّالة
الاميركي هو أول من اهتم الى موقعها سنة ١٨٣٨ م، وأنّ تعيين موقعها في
سيلون لا مرية فيه. فهناك أقيم خباء المحضر ووضع فيه تابوت العهد، واستمر ثمة
إلى أن أخذه الفلسطينيون في زمان عالي الكاهن كما سترى. وقال علماء اليهود
إنّ تابوت العهد بقي في شيلو ٣٦٩ سنة. فكان هناك المركز الديني لبني إسرائيل
كما كانت أورشليم بعداً، ولما بنى بنو رآوين وجاد ونصف سبط منسا مذبحاً
للرب في عبر الأردن، قلق منهم بنو إسرائيل وهتّوا بقتالهم ثم اكتفوا بأن يرسلوا
إليهم فنحاس بن اليعازر الكاهن، ومعه عشرة رؤساء لينذروهم بالإنكفاف عن هذه
المعصية فأذعنوا، واعتذروا بأنهم لم يقدّموا على ذلك إلا ليكون لهم مذبح للرب
كماخوانهم في غربي الأردن (يشوع ف٢٢). وفي سيلون الآن أطلال على أكمة
يُستدلّ منها أنه كان هناك خباء المحضر حتى حملت رؤية هذه الأطلال اللجنة
الإنكليزية التي تفحصت عن آثار فلسطين سنة ١٨٧٨م على القطع بأنه هناك كان
بيت الرب حقة طويلة، إذ بنوا أسافله بالحجارة وظلّلوا اعاليه بالخباء (كوندري في
كتابه في اعمال هذه اللجنة مجلد ١ صفحة ٨٣). وقال الأب فيكورو (في المحل
المدكور آنفاً) بعد أن روى ما مرّ، إنّ كلّ من زار هذه الأماكن كما زارها هو سنة
١٨٨٨م قطع ولا ريب بأنّه هناك كان خباء المحضر لا سيما أنّ عند سفح الأكمة
سهلاً فسيحاً يضاوي الشكل يتيسر للشعب كله أن يرى منه خباء الرب.

عد ٢٢٤

وفاة يشوع بن نون ومدفنه

قد شاخ يشوع وطعن في السنّ فاستدعى اليه جميع بني اسرائيل، وشيوخهم
ورؤساءهم وقضاةهم وعرفاءهم، وذكرهم بما صنع الرب الى آبائهم واليههم،
وحزّضهم ليحفظوا كلّ ما كُتب في توراة موسى، ولا يعدلوا عنه يميناً ولا يسرة.
ويتنكبوا الإختلاط مع الأمم ويعتزلوا مصاهرتهم. وقال إن عملتم بذلك هزم الواحد
منكم الفأ. وإن اختلطتم ببقية هؤلاء الأمم كانوا لكم وهماً ومعثرة وسوطاً على
جنوبكم وشوكاً في عيونكم. فأجاب الشعب وقالوا: حاش لنا ان نترك الرب ونعبد

آلهة غريبة. واذعنوا لما اوصاهم به، فقطع يشوع عهداً للشعب في ذلك اليوم، وكتب هذا الكلام في سفر توراة الله. وأخذ حجراً كبيراً وأقامه هناك تحت البلوطة التي عند مقدس الرب، وقال هذا الحجر يكون شاهداً عليكم لئلا تجحدوا الهكم، وصرف الشعب كل واحد الى ملكه. ومات يشوع بعد ذلك وهو ابن مئة وعشر سنين، فدفنوه في ارض ميراثه في ثمنة سارح التي في جبل افراييم الى شمال جبل جاعش (يشوع فصل ٢٣ و ٢٤). ولا إشكال في أنّ الآيات الأخيرة من سفر يشوع المنبئة بموته، ودفنه هي لكاتب قديم غيره. وإن صدق قول يوسفوس الذي روينا في عد ٢١٢ أنّ يشوع كان عمره يوم وليّ قيادة اسرائيل خمساً وثمانين سنة، وقد مات وعمره مئة وعشر سنين، فتكون مدّة قيادته خمساً وعشرين سنة وعلى هذا أكثر العلماء. وإن ظهر من جداول كلمت المعلقة في فاتحة المعجم الكتاب أنّ مدة قيادته لم تكن الا السبع السنين التي افتتح فيها فلسطين.

قد مرّ آنفاً أنّ ثمنة سارح كان موقعها في المحل المسمّى الآن تبنة او تبني في جنوبي نابلس. وقد كشف فيها العالم كاران عن مدفن يشوع بن نون في ٣١ آب سنة ١٨٦٣م ثم شخص الى هذا المحل ثانية سنة ١٨٧٠م فازداد تيقناً بذلك، وتابعه على رأيه العالم دي سولسي الذي تعهد هذا المحل بعد اشهر من زيارة كاران له سنة ١٨٦٣م ثم الأب ريشار الذي جال في فلسطين في شهري ايار وحزيران سنة ١٨٧٠م، والذي حمل هؤلاء جميعاً على القطع بأنّ قبر يشوع بن نون هنالك إنما هو الحجج الآتية:

اولاً: إنّ الكتاب صرّح بأن يشوع دفن في ثمنة سارح كما روينا عن سفر يشوع (فصل ٢٤ عد ٣٠). وجاء في سفر القضاة (فصل ٢ عد ٩) أنه دفن «في ثمنة حارس في جبل افراييم الى شمال جبل جاعش» وقد حققت التقليدات القديمة وظروف المحل، وقرائن الحال أنّ ثمنة القديمة كانت في محل تبنة الآن، ويؤيد ذلك تقارب الحروف في اسميّ ثمنة وتبنة وابدال الميم بالباء مستفاض في إعلام كثيرة وقلب الحروف كما في سارح وحمارس ليس بنادر ايضاً.

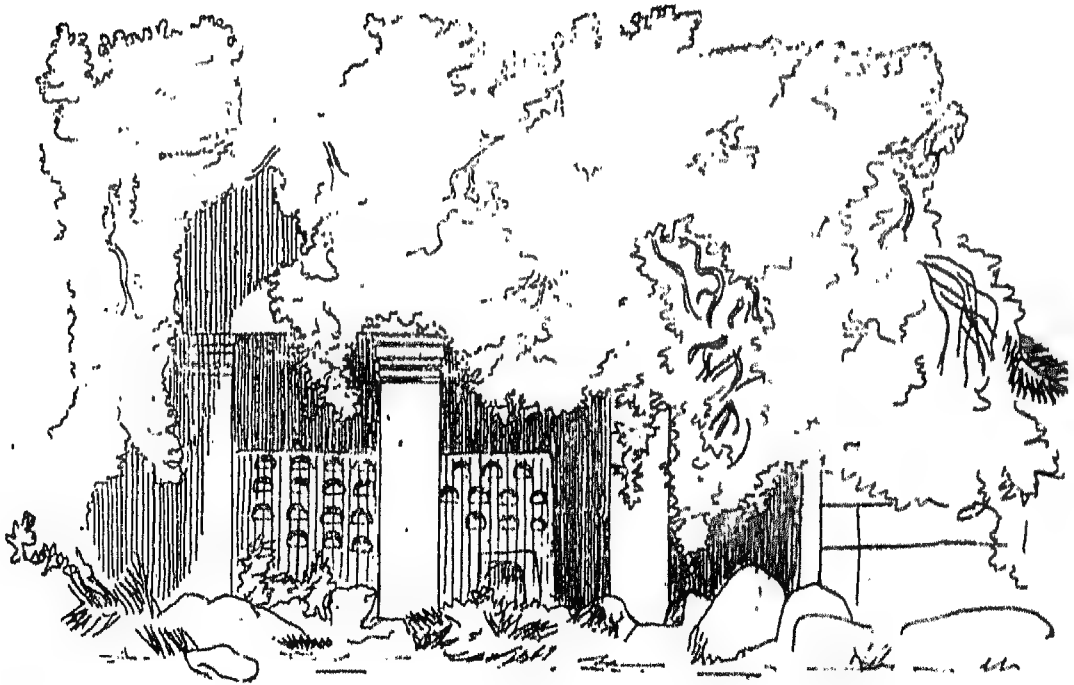
ثانياً: إنّ كاران كشف ثمة عن مقبرة فيها ثمانية مدافن يمتاز باقيها بزيادة

اتقانه، وبإقامة رواق أمامه، وكلُّ ما فيه دالٌّ على قدمه، وفي الرواق ثقب معدة لوضع المصاييح فيها وقت حفلة أو زيارة حتى يقضي كل ناظر دون تلوم أنَّ هناك مدفن رجل كريم كبير في قومه، وأن المدافن التي إلى جانبه إنما هي مدافن بعض أسرته. وقد أنبأنا الكتاب انه هناك اقام يشوع ومات ودفن ، فإذا هذا المدفن مدفنه ويؤيده ان في جنوبه جبلاً قضى العلماء المشار اليهم أنه الجبل الذي سمّاه الكتاب جاعش. وقال أنَّ يشوع دفن الى شماله.

ثالثاً: إنَّ الأب ريشار المار ذكره وجد في محلة الجلجال كثيراً من السكاكين الصوّانية التي ختن بها يشوع بني اسرائيل هناك (طالع عد ٢١٤). ثم مضى الى مدفن تبنة بعد أن أعلمه كاران أمره، فبحث ووجد كثيراً من هذه السكاكين الصوّانية في المدفن وفي ما جاوره.

وفي النسخة السبعينية كلام خلا عنه النصّ العبراني والترجمة اللاتينية العامية وهو (بعد قوله فبنى المدينة واقام فيها). « وأخذ سكاكين الحجر التي ختن بها بنو اسرائيل الذين كانوا ولدوا في مدّة عبورهم البرية ووضعها في ثمنه سارح». وزادت كلامها في دفنه: « ووضعوا هناك في القبر حيث دفنوه سكاكين الحجر التي ختن بها بني اسرائيل في الجلجال عندما اقتادهم من مصر. وأتموا بذلك وصية الرب وهذه السكاكين باقية هناك إلى اليوم». وقد كتب الأب ريشار من بيروت في ٢٠ حزيران سنة ١٨٧٠م رسالة إلى أحد اصدقائه اذاعتها المجلّة العلميّة المسماة Les Mondes (العوالم)، أفصح فيها بأنه وجد بعض هذه السكاكين في الجلجال، ثم في مدفن يشوع وجواره وحقق أنَّ هناك قبر يشوع بلا مرية. ثم شخص الأب ريشار في ٥ آب سنة ١٨٧٢م إلى اديمبورك فخطب في مجلس الجمع العلمي الذي كان حينئذ ملتئماً في هذه المدينة. وأرى المجتمعين السكاكين الصوّانية التي لقيتها في الجلجال، وفي مدفن يشوع وغيره مثبّتاً أنَّ ذلك دليل صراح على أنَّ ذلك المدفن إنما هو مدفن يشوع بن نون وقال تزيد ذلك بيانا شهادة الترجمة السبعينية بأنَّ سكاكين الحجر التي صُنِعت في الجلجال، وُضِعَ قسم منها في مدفن يشوع وقد وجدناه الآن، وها هو. ثم اتى الأب ريشار في آخر الشهر المذكور الى باريس، وعرض هذه السكاكين على منظر جمعية العلوم فيها فكان لذلك احسن وقع في اذهان علمائها. وقد اختتم العالم كاران كلامه

في هذا المدفن بقوله (مجلد ٢ في السامرة صفحة ١٠٤) لا أرى بعد وجدان هذه السكاكين العديدة سبيلاً الى الإمتراء في أنّ هناك حقاً قبر يشوع بن نون، وقد تابع الأب فيكورو العالم كاران على رأيه ذاكرًا جُلّ كلامه (مجلد ٣ في الكتاب والاكتشافات الحديثة صفحة ١٩١)، والرسم المعلق هنا يُريك هيئة هذا المدفن الآن.



صورة مدفن يشوع بن نون في تبة

الفصل العاشر

قضاة بني اسرائيل بعد يشوع

عد ٢٢٥

سفر القضاة

لما كان كلامنا في هذا الفصل على ما تضمنه سفر القضاة تحتم علينا أن نبيّن متى دُوّن هذا السفر، ومن كتبه وخلاصة ما حواه. أن الظاهر من اختتامه بموت شمشون أنه لم يُكتب قبل انتصار صموئيل على اعداء شعب الله كما في سفر الملوك الأول (ف ٧). ثم قد ورد في سفر القضاة مرّات هذا القول. « ولم يكن في تلك الأيام ملك لإسرائيل ». وهذا مشعر بأن هذا السفر كُتب بعد ارتقاء شاول الى منصّة الملك في اسرائيل. وقد صُرح فيه (ف ١ ع ٢١) أنّ الياوسيين كانوا مقيمين في اورشليم مع بني بنيامين الى هذا اليوم. وهذا دالّ على أن هذا السفر كُتب قبل عهد داود اذ جاء في سفر الملوك الثاني (ف ٥ عد ٦ و ٧): إنّ داود هو الذي طرد الياوسيين من اورشليم واقام سدّة ملكه فيها. فالحاصل من كل ذلك أن هذا السفر كُتب بعد موت شمشون وقبل ارتقاء داود منصّة الملك. وقد عزاه علماء التلمود الى صموئيل، وهذا لا يبعد عن الصواب وينطبق خير انطباق على ما ذكرناه آنفاً ، وإن لم يمكن القطع به مطلقاً، ولم يرتّب أحد من العلماء القدماء في قدم سفر القضاة. ولم يأتِ العقليون انفسهم التسليم بأنه عريق في القدم، بل اثبتوا أنه اول اسفار العهد القديم، وانزلوه منزلة سفر التكوين عندنا وإن ندّدوا ببعض ما حواه كما سترى في كلامنا الآتي.

وأما ما حواه هذا السفر فمقدمة أبان فيها الكاتب حالة بني اسرائيل بعد وفاة يشوع بن نون، واهتمام بعضهم بمحاربة من بقي بينهم من الكنعانيين تكملة

لامتلاكهم أرض موعدهم، وتقاعد بعضهم عن طرد أعدائهم وضربهم الجزية على من دان لهم منهم. ثم تقلبهم في أمر دينهم فاذا استراحوا بطروا، ولووا عن الرب إلههم إلى آلهة الأمم وعبدوها. وإذا ضايقتهم أعداؤهم تابوا إلى الله فأقام لهم مخلصاً سمّوه قاضياً أو حاكماً فيهم. ولم يكن لهم مركز لانضمام كلمتهم بل كانوا كعشائر البدو في أيامنا.

وهذه المقدمة ينطوي عليها الفصلان الأول والثاني. ثم أخذ الكاتب من الفصل الثالث إلى الفصل السابع عشر يروي لنا أخبار هؤلاء القضاة وما كان من أعمالهم، فذكر منهم اثني عشر أو ثلاثة عشر قاضياً إذا حسبنا بينهم إيمالك الذي سينجلي لك ما كان من أمره. وهم عتنييل واهود وشمجر ودابورة مع باراق، وجدعون وإيمالك وتولع ويائر ويفتاح وابصان وإيلون وعبدون وشمشون. وقصّ كاتب السفر أخبار بعضهم، واجتزأ بذكر أسماء بعضهم ومدة ولايتهم. ثم علّق على سفره في الفصلين السابع عشر والثامن عشر ذكراً فيه خبر ميخا الذي صنع صنماً مسبوكاً. وسجد له وإقام له كاهناً ثم أخذه منه بنو دان عند استيلائهم على لايش (دان وهي الآن تل القاضي)، ونصبوه هناك وعبدوه. وروى في الفصول الثلاثة الأخيرة خبر الرجل اللاوي الذي مرّ في جبع بنيامين مع امرأته، فأماتها أهل هذه المدينة بأعمالهم الفاحشة، ومحاربة بني إسرائيل لبني بنيامين وإهلاك السواد الأعظم منهم. فهذه خلاصة هذا السفر وسترى تفصيلها.

عد ٢٢٦

مدة قضاة بني إسرائيل

إنّ في تعيين مدّة هؤلاء القضاة عقبات ومشاكل يعتاص الاهتداء إلى وجه حلها لأنه إذا حسبت السنين التي ذكرها الكتاب لكلٍ منهم، ومدة مضايقتهم منذ تعبدهم لكوشان رشعائيم ملك آرام، النهرين، إلى وفاة شمشون كان مجموع هذه السنين أربع مئة وعشر سنين، وإذا أضيف إليها مدة ولاية عالي وهي أربعون سنة على ما في سفر الملوك الأول (فصل ٤ عد ١٨)، وأهمل حسبان مدة صموئيل كان مجموع سني هؤلاء القضاة أربع مئة وخمسين سنة. على أننا نرى في سفر الملوك الثالث (فصل ٦ عد ١) أنّ سليمان شرع ببناء الهيكل في السنة الأربع

والثمانين لخروج بني اسرائيل من مصر. ويُلزم أن يضاف الى سني القضاة مدة مُلك شاول وهي أربعون سنة، ومدة مُلك داود وهي أربعون سنة أيضاً ومدة اربع سنين من مُلك سليمان. فيكون مجموع السنين من ولاية القضاة الى بناء الهيكل خمس مئة واربع وثلاثين سنة. ويُلزم أن يضاف إلى هذا العدد مدة اقامة بني اسرائيل في البرية، وهي اربعون سنة، ومدة ولاية يشوع وهي خمس وعشرون سنة - كما مرّ - فيكون المجموع خمس مئة وتسع وتسعين سنة، وهذا مخالف لما في سفر الملوك. ولذلك توقّرت الاقوال وتضاربت، وأصحّها ان هؤلاء القضاة كان احيانا اثنان او ثلاثة منهم في وقت واحد. وقد جاء في سفر القضاة نفسه (فصل ١١ عد ٢٦) التصريح بأنه انقضى على بني اسرائيل منذ بلوغهم شرقي الاردن الى زمان يفتاح ثلاث مئة سنة، وعليه وضع الأب فيكورو (في الموجز الكتابي عد ٤٤٩) لتوفيق هذا الخلاف الجدول الآتي .

سنة.

٤٠	مدة إقامة بني اسرائيل في البرية
٣٠٠	من ولاية يشوع إلى يفتاح
٦	يفتاح
٧	أبصان
١٠	أيلون
٨	عبدون
٢٥	من عبدون الى ارتقاء شاول عرش الملك
٤٠	شاول
٤٠	داود
٤	سليمان
٤٨٠	المجموع

والذي أراه بخامد فكرتي على سبيل استخراج العدد غير المعلوم من المعلوم أن نراعي عدد السنين المنصوص عليه. ولا يحتمل اللبس لنستخرج منه مدة سني

القضاة الحاصل الاشكال فيها من قبيل ان كان بعضهم مع غيره في وقت واحد او كان احدهم في شرقي الأردن والآخر في غربه فاليك الجدول الآتي :

سنة	
٤٨٠	المدة من الخروج إلى بناء الهيكل (ملوك ٣ ف ٦ ع ١)
٤٠	مدة اقامة بني اسرائيل في البرية كما في آيات عديدة
٢٥	قيادة يشوع (يوسيفوس ك ٥ من تاريخ اليهود فصل ١)
٤٠	مُلْك شاول (اعمال الرسل فصل ١٣ عد ٢١)
٤٠	مُلْك داود (ملوك ٢ فصل ٥ عد ٤)
٤	من مدة مُلْك سليمان (ملوك ٣ فصل ٦ عد ١)
٣٣١	فتكون مدة القضاة
٤٨٠	

وَيُرْجَحُ أن أبصان وايلون وعبدون كانوا يلون شرقي الأردن في مدة ولاية عالي وصموئيل وسطو شمشون في غربه. طالع جدولا آخر سنثته عد ٢٨١. قال فرنسيس لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ صفحة ٢٠٨) ما ملخصه لا يطمعن أحد بأنه يستطيع أن يعين بالدقة تاريخ الاحداث وسني كل من القضاة التي جاء ذكرها في سفر القضاة، فمن جد من العلماء في هذا التعيين أضاع تعب ووقته، وحالت مشاكل دون مرامه. ففي اسفار الملوك اعداد تخالف اعداد السنين في تعيين مدة القضاة، ويوسيفوس المؤرخ اليهودي والراوي الأمين لتقليد أمته لم يثبت على قول في تعيين مدة القضاة بل قال فيه ثلاثة أقوال: يخالف احدها الآخر على أن تقدّم علم التاريخ بما ظهر من الآثار المصرية يبيننا أن نعلل النفس بأمل ان يتهياً لنا في وقت قريب تعيين زمان مؤكد للخروج بمعارضة تواريخ مصر بما جاء في الكتاب. ويضطر كل عالم الآن ان يُقرّ بأنه يلزم ان يطرح من اعداد السنين التي انقضت بين خروج بني اسرائيل من مصر واقامة ملك فيهم أكثر ممّا جاء في كل التقاويم التي اذيعت حتى الآن.

محاربة بني يهوذا وشمعون وبني يوسف بعض الكنعانيين

جاء في سفر القضاة (ف ١) أن بني اسرائيل سألوا الرب بعد وفاة يشوع قائلين: من منا يصعد في مقدمتنا لمحاربة الكنعانيين ؟ فقال الرب: يهوذا يصعد لأنني إلى يده قد أسلمت الارض، لأن الله أراد أن يكون ملوك اسرائيل من هذا السبط وأن يكون منه المخلص. واتفق بنو يهوذا وبنو شمعون على مقاتلة الكنعانيين الذين في ارض نصيبهم. وقصدوا أولاً بازق التي روى لانرمان انه لا يمكن تعيين موقعها ولكن يلزم بين اورشليم والأردن على انه جاء في كتاب اعلام الاماكن الكتابية انه يُحتمل ان يكون في موضع خربة بزقة على بعد ستة اميال في الجنوب الشرقي من اللد. وروى يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ٥ ف ٢) أن الكنعانيين أملاوا الانتصار على بني اسرائيل بعد وفاة يشوع. فجمعوا عسكرياً غفيراً في جانب مدينة بازق، وأمرؤا عليه ملكها المسمى ادوناي بازق اي سيد بازق او واليها، لأن تأويل ادوناي بالعبرانية السيد او المتسلط. فاستظهر عليهم بنو اسرائيل، وقتلوا منهم عشرة آلاف رجل، وشتتوا شمل الباقيين وادركوا ادوناي بازق، وقطعوا اباهم يديه ورجليه، وعلى رواية يوسفوس بأنهم قطعوا يديه ورجليه فكان ما جرى عليه نقمة من الله، فقد اعترف أنه صنع كذلك سبعين ملكاً كانوا يلتقطون الخبز تحت مائدته، فعاقبه الله كما جنى، واتوا به الى معسكرهم الحال قريباً من اورشليم فمات هناك.

وحارب بنو يهوذا اورشليم، وافتتحوها، ولكن روى يوسفوس انهم افتتحوا المدينة السفلى. وقتلوا اهلها واحرقوها بالنار، وكانت المدينة العليا محصنة فلم يفتتحوها لكن النص صريح بأنهم افتتحوا اورشليم، فيطلق على كلها. ولذلك قال بعضهم انهم افتتحوها فلم يتمكنوا من حفظها بل عاد اليبوسيون اليها او لم يطردوهم منها، فلبثوا فيها مع بني بنيامين كما جاء في عد ٢١ من الفصل الاول نفسه من سفر القضاة، ومهما يكن فقد استمر اليبوسيون في اورشليم الى ان افتتحها داود.

وحارب بنو يهوذا حبرون ايضاً (الخليل) فاستولوا عليها وضربوا بني عناق فيها وسلموها الى كالب ابن يوفنا. كما وعده موسى، وكما طلب هو من يشوع. وقد مر (في عد ٢٢) أن كالب بن يوفنا هو الذي افتتح حبرون ودبير، ولا بد أن

كان مع اله بني يهوذا، فذكر سفر القضاة هنا لهذا الفتح اعادة لما جاء ذكره في سفر يشوع كما تبين من أن قرائن الخبر في السفرين واحدة. ثم انطلق بنو يهوذا مع بني شمعون الى صفات فاخذوها وضربوا اهلها بالسيف، وسموها حرمة اي الحرمه. ولا يمكن القطع بموقع صفات فكتاب اعلام الاماكن لم يعين موقعها بل اورد فيه عدة احتمالات. وكاران لم يذكرها بالخصوص بل ذكر شيئاً عند كلامه في مريشه في وادي صفاته الذي رأى بعضهم ان صفات كانت على جانبه فقال ما ملخصه ان مريشة هي خربة مراش الآن، وقد جاء ذكرها مع وادي صفاته في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ١٤ عد ٩) حيث قيل: « فخرج عليهم اي على بني يهوذا زارح الكوشي... فخرج آسا عليه وتصافا للحرب في وادي صفاته مريشة». وقال: إن مريشة خربة مراش تبعد ميلين عن بيت جبرين نحو الجنوب، وإن روينسينون جنح الى جعل موقع صفاته في محل تل الصافي الآن التي تبعد مسافة نحو ثلاث ساعات عن خربة مراش، فان صحَّ ان صفات كانت على جانب وادي صفاته فيكون موقعها في ناحية بيت جبرين. ثم افتتح بنو يهوذا غزة وتخومها واشقلون (عسقلان) وتخومها. وعقرون (عاقر)، وتخومها وسائر مدن الجبل. واما مدن الساحل فلم يفتتحوها اذ كان لاهلها مركبات من حديد تحول دون الدنو منها.

ثم صعد بنو يوسف أي سبط افرايم ونصف سبط منسا أو سبط افرايم وحده على ما روى يوسفوس، فحاصروا بيت ايل (بيت اين الآن) الى ان دلَّهم رجل خارج منها على مدخل اليها. فافتتحوها وضربوا اهلها بالسيف، واستبقوا الرجل وعشيرته. وكان اسمها قبلاً لوز فانطلق ذلك الرجل الى ارض الحثيين، وبنى مدينة وسمها لوز (طالع ما ذكرناه في عد ٥٦ في اسم هذه المدينة وموقعها). واما باقي الاسباط فلم تهزم الحمية أو لم تساعدهم القوة على طرد الكنعانيين كما اوصاهم موسى ويشوع في المدن الساحلية كعكاء وصبياء وغيرها، وفي بعض المدن الجبلية، وحيث تقوى بنو اسرائيل ضربوا عليهم جزية، وحيث ضعفوا سالوهم وتركوهم يسكنون بين اظهريهم. وحققت لنا الآثار المصرية بقاء الكنعانيين في السواحل، اذ ذكرت هذه الآثار غزوة رعمسيس الثالث ومرور جنوده في هذه السواحل. ولم تأت بكلمة في بني اسرائيل، ولا جاءت في سفر القضاة كلمة في مرور عساكر مصريين في بلاد بني اسرائيل أو مضايقتها لهم.

تسلط كوشان رشعتائيم ملك آرام على بني اسرائيل وتخليص عتنييل لهم

لم يكتف بنو اسرائيل بمسألة بعض الكنعانيين بل اتخذوا بناتهم زوجات لهم. وأعطوا بناتهم لبنيهم، وعبدوا آلهتهم البعليم (اي الابعال) والعشتاروت، فاشتد غضب الرب عليهم. ولما كان الكنعانيون لم تعاودهم القوة للتسلط على بني اسرائيل باعهم الرب إلى يد كوشان رشعتائيم ملك آرام النهرين. فتعبدوا له ثمانين سنين. وسمى يوسفوس (تاريخ اليهود ك ٥ فصل ٣) هذا الملك «كوزرتا ملك الآشوريين». وقال رولينسون إنه يحتمل ان يكون اشوريش عليم حفيد آشور ديان وابو تجلت فلاصر الاول الذي قال فيه «إنه الملك القدير وغازي البلاد الاجنبية». وتابعه سايس (في كتابه معارضة تاريخ آشور وبابل). ولكن ندد فيكورو بقولهما اذ لم يكن لهما فيه حجة تؤيده، فان لم يكن كوشان معلوماً بشخصه فمعلوم أنه كان من بلاد ما بين النهرين لتصريح الكتاب بانه ملك آرام النهرين. ولا عبرة لزعم كراتس انه ملك ادوم وقد تصفحت أدوم بآرام للمقاربة في العبرانية بين صورتَي الحرفين المقابلين الدال والراء كما هما في لغتنا أيضاً. فكوشان غشى فلسطين بعساكره واخضع بني اسرائيل لسلطته. وكانوا يدفعون اليه جزيتهم كل سنة، يحملونها إلى مقره فيظهر انهم تقاعدوا عن حملها إليه أو لاح له ما يدل على عصيانهم. فزحف إليهم بجنوده ينوي التثكيل بهم، فصرخ بنو اسرائيل الى الرب فأقام لهم مخلصاً وهو عتنييل قناز اخي كالب الاصغر، وكان مزوجاً بعكسه ابنة عمه كالب وعده بها يوم حصار قرية سفر فكان هو اول من افتتحها كما مرّ عد ٢٢٢. فعتنييل حضّ اخوانه بني اسرائيل على التوبة إلى الله مذكراً لهم بآياته يوم كانوا يتقونه واياه وحده يعبدون فاذعنوا لكلامه. وأمروه عليهم فجمع عسكرياً من بني اسرائيل، وخرج لمحاربة كوشان فاسلمه الرب الى يده واستظهر على جنوده وشتت شملهم. ولم يبنينا الكتاب اين كانت تلك الحرب، ولم يطرّفنا بشيء من التفصيل ولكن ظهر من كلامه ان الضربة كانت قاضية لذكره ان بني اسرائيل استراحوا بعدها اربعين سنة، وان سلطة كوشان كانت عمّت بلاد فلسطين حتى جنوبها، لأن عتنييل الذي شتت جنوده كان من سبط يهوذا ساكناً في قرية سفر اي دير (وهي سراسير الآن) على مقربة من الخليل (قضاة ف ٣).

تعبّد بني اسرائيل لعجلون ملك مواب وتنجية اهود لهم

مات عتئييل فعاد بنو إسرائيل إلى شرهم، فلم يجلب الرب عليهم هذه المرة ملكاً من قاصي البلاد ويجعله آلة لنقمته، بل اثار عليهم عجلون ملك الموابيين من ذريتهم، اي من ذرية مواب بن لوط من بنته الكبرى، وكان الرب حظه على الاسرائيليين في أيام موسى أن يحاربوا الموابيين حرمةً للوط. وكانت مساكنهم في الجنوب الشرقي من فلسطين وراء البحر الميت. ولما كانوا ضعفاء لا يملكون من الارض إلا يسيراً استنجدوا بالعمونيين أبناء خالتهم واخوانهم لانهم ابنا لوط من بنته الصغرى. وكانت مساكنهم في الشمال الشرقي من أرض الموابيين. ولجأوا إلى العمالة، وكانوا رُحلاً في البرية الواقعة في شرقي تخوم الموابيين، وأمر هؤلاء على جيشهم عجلون ملك الموابيين. فانتصروا على بني اسرائيل الذين في شرقي الاردن وعبروا هذا النهر، ولم يقتصروا على إجبار بني اسرائيل ليدفعوا لهم الجزية كما فعل كوشان ملك آرام النهرين، بل ارادوا انتزاع املاكهم ايضاً لضيق ارض مواب فاخذ عجلون مدينة النخل المراد بها على الأرجح اريحا. واقام فيها ثماني عشرة سنة مستعبداً بني اسرائيل، والظاهر أن هذا الاعتبار لم يكن عامّاً ولكن لا أقل من ان يكون شاملاً من اقام من بني اسرائيل في شرقي الاردن وسبط بنيامين الذي اريحا في نصيبه وسبط يهوذا لقربه من العدو.

وصرخ بنو اسرائيل الى الرب فأقام لهم مخلصاً أهود بن جيرا من سبط بنيامين. وكان رجلاً أعسر يعمل بيده العسرى بدلاً من اليسرى، والظاهر انه كان يعمل بكلتا يديه كما كان كثير من سبطه (قضاة ف ٢٠ عد ١٦). فأرسل بنو إسرائيل على يده هدية أو جزيتهم إلى ملك عجلون. وعمل لنفسه سيفاً ذا حدين طوله ذراع اشتمل عليه تحت ثوبه على فخذه اليمنى لييسر له إنتضاؤه بيده اليسرى، وليخفي اشتماله عليه فقدم الهدية وشيخ حامليها. وذهب الى المنحوتات المقامة في الجلدجال في جانب أريحا ليظهر أنه يستشيرها بامر. وعاد يقول للملك لي إليك كلام سرّ ايها الملك فقال: صه. فخرج من عند الملك جميع الواقفين لديه ولم يخطر على بال أن رجلاً منفرداً أعزل لا سلاح له يفتك بالملك، فلما خلا به في غرفة صيفية له في أعلى داره قال أهود لي كلام إليك من عند الله فنهض عن

سريره تهيئاً، وكان غرض اهود من كلامه أن لا تخطئه الضربة اذا كان على سريره فمد يسراه، وأخذ السيف عن فخذة اليمنى، ووجأه في بطنه فغاص القاتم أيضاً وراء النصل، واطبق الشحم عليهما لأنه كان سميناً. ولم ينزع اهود السيف وخرج واغلق أبواب الغرفة واقفلها وأفلت. ودخل عبيد الملك فإذا ابواب الغرفة مقفلة فظنوه يقضي حاجة في مخدع المصيف، ولما استبطأوه اخذوا مفاتيح، وفتحوا فإذا مولاهم صريع على الارض ميتاً، وأما اهود فبلغ الى سعيده. (لم يتعين موقعها، ويظهر انه في جبل افرايم على ما قال فيكوررو وعلى ما في كتاب أعلام الاماكن: ونفخ في البوق في جبل افرايم، فنزل بنو اسرائيل من الجبل على اثره، واستولوا على مخاوض الاردن، وضربوا من كان عند الملك، ومن فرّ وقع بيدهم في معابر النهر. فقتلوا من الموابين حيثل نحو عشرة الاف رجل كل شجاع وكل ذي بأس، فدلّ الموابيون لهم واستراحت الارض ثمانين سنة (قضاة ف ٣).

وليس المراد باستراحة الارض أن الراحة عمت جميع ارض بني إسرائيل، فقد انبأنا الكتاب بأثر ما مؤ دون فاصل أن شمر بن عنات يصحبه قوم من حارثي الارض ضربوا الفلسطينيين الذين كانوا يعتدون عليهم في الجنوب، فقتلوا منهم ست مئة رجل، ولم يكن لهم سلاح إلا منسّاس البقر فعُدّ شمر من مخلصي بني اسرائيل وهو الثالث من القضاة وسوف نأتيك ببيان اصل الفلسطينيين.

ان استعمال حيلة كالتى عمد إليها اهود في قتل عجلون كان مستباحاً مستفاضاً عند جميع القدماء، ولا سيّما الشرقيين وكانوا يحسبونه نوعاً من الحرب، وربما فضله عليها لاقلاله عدد القتلى والمصابين. وقد ترجم اليونان بتقريظ هرمودبوس، وارتوجيتون لأنهما اتيا مثل ما أتاه اهود. وقُرّظ الرومانيون موشبوس سكافولا (اي الاعسر ايضاً)، لانه فعل مثل ذلك ببرسينا الذي حاصر روما. وما احسن ما قاله هرذر في تاريخ شعراء العبرانيين (صفحة ٤٣٦): «ليس اخص من التنديد بسفر القضاة، وبما رواه عن بعضهم، فمن دأب هؤلاء المنذرين ان يتناسوا الزمن الذي كُتب هذا السفر فيه. فالقبائل القديمة كانت تستبيح استعمال اخبث الخيل في حروبها، ولم تزل هذه العادة عند بعض الشعوب الذين لم يبلغوا ذروة التمدّن. فانهم على ما لهم من البسالة والسطوة يؤثرون الحيلة على القوّة، وكانت الضرورة تقضي بهذا الدهاء على شعب يضطهده جيرانه وهو قلق في داخله. ولم تبق الحمية الطائفية إلا في بعض افراده، ولم يكن له رئيس ولا حاكم يهتم

بالمصالح العامة وهل لفرد ولو عظمت شجاعته ان يدعي مقاومة عسكر برمته؟ ولم تكن في تلك الايام الاختراعات التي جعلت الحرب صناعة وعلماً، او ليست هذه الاختراعات نفسها أكبر حيلة ودهاء. وهل من حيلة او شجاعة أخس مما يقذفه احد المدافع؟ هذا والكتاب لم يثن في محل على ما عمله اهود بل اقتصر على ذكره فقط.

عد ٢٣٠

داهورة وباراق وتخليصهما بني اسرائيل من يد ملك حاصور

مضى على الكنعانيين نحو من خمسين سنة بعد تذليل بني اسرائيل لهم، فعاودتهم القوة لينهضوا من سقطتهم خاصة في شمالي فلسطين حيث استمر جثم غفير منهم يتيسر لهم لدى الحاجة ان يستنجدوا بالفينيقيين، وسكان جبل لبنان الذي لم يدخله بنو اسرائيل، فسؤلت انفسهم لهم أن يأخذوا بثأرهم. وعاد بنو إسرائيل يتمرغون بشراًهم فباعهم الرب الى يد يابين ملك حاصور التي على جانب بحيرة الحولة. (في المحل المسمى الآن تل الهراوى أو في جبل حضيرة وهو خليفة يابين الآخر الذي حارب يشوع بن نون مؤلفاً عليه ملوك الشمال، وكان له رئيس جيش يسمى سيسرا مقيماً بحروشت الامم وهي مدينة أخرى على بحيرة الحولة (في المحل المسمى الآن الحراثية اعلام الاماكن). وربما كان سيسرا ملكاً او قياً محالفاً ليابين، لأن داهورا قالت في نشيدها: «وفد الملوك وقاتلوا» (قضاة ف ٥ عد ١٩). وعليه فكان من ضايقوا بني اسرائيل ملوكاً لا ملكاً واحداً ويابين رئيس عصبتهم. وضايقوا بني اسرائيل الذين في شمال فلسطين عشرين سنة، واثقلوهم بجزيات فاحشة ولم يجسر بنو إسرائيل ان يخلعوا نيره، وكانت مركباتهم المصفحة بالحديد ترؤع بني اسرائيل.

وكانت قوات الممالك في تلك الأيام تقاس بعدد مركباتها، وقد أبقت لنا الآثار المصرية على ذكر هذه المركبات في سورية. فالشاعر بنتاور المصري روى انه كان للحثيين عند محاربتهم رعمسيس الثاني الفان وخمس مئة مركبة للحرب. وفي آثار رعمسيس الثالث انه كان للكنعانيين عند استظهاره عليهم في موقعه مجدو (اللجون) تسع مئة وأربع وتسعون مركبة. ولم يكن لبني اسرائيل مركبات لاقامتهم

في الجبال. وكان في معسكر سيسرا تسع مئة مركبة لإقامتهم في السهول، فضايق بنو اسرائيل ذرعاً ولم يجدوا لهم ملجأ ولا منصاً إلا بأن يصرخوا إلى الله كما كانوا عند ضيقتهم يفعلون. فرأف الرب بهم وأقام لهم هذه المرة مخلصاً وهي امرأة. كانت تسكن في جبل افرايم وتسمى دابورة. وتأويل اسمها بالعبرانية نحلة (كما قال يوسفوس ك ٥ ف ٦ في تاريخ اليهود) وكانت نبيّة، ولها من شهرة الحكمة ما جعلها حكماً يلجأ إليها المتنازعون من كل فج لفصل دعاويهم، فأخذتها الغيرة على انقاذ شعبها. فأرسلت ودعت باراق (وتأويله ألبرق كما قال يوسفوس : في المحل المذكور) بن اينوعم من قادش نفتالي، وهي المعروفة الآن من اعمال صفد وقالت له من قيل الرب ان يجيش في جبل طابور عشرة آلاف رجل من بني نفتالي وزابلون. فلم يشأ ان ينطلق الا ان تصحبه دابورة فانطلقت معه الى قادش. وعلم سيسرا أن باراق ورجاله صعدوا الى جبل طابور فجمع مركباته ورجاله ومضى لقتالهم، ولما كانت المركبات لا تسير في الجبل فخيم بعسكره في مرج بن عامر على نهر قيشون المعروف الآن بالنهر المقطع. وقالت دابورة لباراق قم فان الرب اليوم يدفع سيسرا الى يديك. فنزل من جبل طابور ووراءه عشرة آلاف رجل، والقي الرب رعباً على سيسرا وجنوده فانهزموا من وجه بني اسرائيل، فتنبعوا آثارهم الى حروشت الأثم المار ذكرها وصنعوا بهم مقتلة. وروى يوسفوس (في الفصل الأنف ذكره) انه لما اقبل بنو اسرائيل على الكنعانيين انزل الرب مطراً مدراراً وبرداً وريحاً عاصفة بوجه الكنعانيين حتى لم يقووا على استعمال سلاحهم. وكانت العاصفة من جهة ظهر بني اسرائيل، والى ذلك اشارة في تسبحة دابورة حيث قالت: «من السما نشب القتال، الكواكب من حجبها حاربت سيسرا نهر قيشون جرفهم» (قضاة ف ٥ عد ٢٠). اما سيسرا فنزل من مركبته وفرّ راجلاً، وكان حابر القيني احد اقرباء امرأة موسى الذين كانوا اختلطوا ببني اسرائيل ساكناً هناك في خيمة وكان بينه وبين يايين مسالمة.

فخرجت ياعيل امرأة حابر لإستقبال سيسرا وقالت له: مل يا سيدي لا تخف فدخل خيمتها، وسألها ان تسقيه فناولته عوض الماء لبناً فساعد على نعاسه، فاسترخى ونام وغطته بالقطيفة. فاخذت ياعيل وتد الخيمة من حديد بشمالها والميتدة يمينها وضربت الود في صدغه حتى غرز في الارض، واذا بباراق جاد في اثره فقالت له ياعيل: تعال أرك الرجل الذي انت طالبه، فدخل فاذا بسيسرا ساقط

ميتاً والوتد في صدغه، فتقوى بنو اسرائيل على يابين واذلوا قومه. وسبحت دابورة تسبحتها الشهيرة المثبتة في الفصل الخامس من سفر القضاة وهي شعر، بل قال فيها هرذر أنها احسن اشعار العبرانيين الحماسية، واستراحت الارض اربعين سنة. ويراد بها ارض الشمال والصريح في الكتاب أن رجال باراق الذين اصلوا نار الحرب كانوا من سبطي نفتالي وزابلون فقط. ويتلخص من تسبحة دابورة انه لمجدهم بعض من اسباط بنيامين ويساكر وافرائيم. واستمر الباقون في الجنوب وعبر الاردن وسبط دان واشير (على قرب هذا السبط الاخير من ساحة الحرب)، لا تهزم الحمية على انجاد اخواتهم بل آثروا عليه الراحة في املاكهم آمنين، وكانت هذه الانقسامات علّة لتواتر المصائب عليهم فان الله يجعل احياناً نقايص الناس انفسهم نقمة منهم.

عاب بعض المنددين ياعيل بخيانتها سيسرا، وعابوا الكتاب بمدحه ما صنعت، وقد فاتهم أن قتل سيسرا كان عادلاً لإشهاره الحرب على بني اسرائيل، وياعيل تحسب من عديدهم. وكانت شرائع الحرب حينئذ تبيح قتل العدو وان فاراً، وكان على سيسرا أن يتحاشى دخول خيمة سكانها من اعدائه. واما قولها له ان لا يخاف فمحمول على أنها اخذتها الشفقة عليه أولاً، فأوته ثم ترؤت فرأت انه عدو لشعبها، وانها مندوبة لقتله حباً بشعبها ووطنها ففعلت. ولم يثن الكتاب عليها لعملها عملاً صالحاً بل اثنى على شجاعته، وحبها ووطنها وسنن الحرب في تلك الايام ومعاملة الكنعانيين بني اسرائيل في مثل هذه الاحداث، قد صوغت لهذه المرأة عمل ما نراه اليوم خيانة، وكان ذلك قبل سنة المخلص الكملى التي ارشدت الى الرفق بالاعداء ايضاً (فيكوررو الموجز الكتابي عد ٤٥٤).

عد ٢٣١

جدعون وتخليص بني اسرائيل من المدينيين

مرء أن الارض التي استراحت اربعين سنة بعد اذلال يابين، يُراد بها ارض من حاربوا مع باراق اي سكان نصيب نفتالي وزابلون ومن جاورهم. اذ انبأنا الكتاب (قضاة ف ٦) أن آثام غير هؤلاء من بني اسرائيل اسخطت الرب، فدفعهم الى ايدي بني مدين سبع سنين. وبنو مدين هؤلاء من ذرية ابراهيم من قطورة امرأته. ويؤيده انهم كانوا يتكلمون بلغة العبرانيين كما يظهر من ان جدعون فهم كلام

الرجل الذي كان يقصّ حلمه على صاحبه (قضاة ف ٧ عد ١٣)، وهم الذين ضربهم بنو اسرائيل في ايام موسى لمعاونة بناتهم المواين على اغواء بني اسرائيل. وكانت مساكنهم في شرقي البحر الميت وراء مساكن بني اسرائيل في عبر الاردن، والظاهر انهم غير المدينين الذين كانوا يسكنون في شرقي بحر الاحمر، ومنهم بترو حمو موسى، فهؤلاء من ذرية كوش (طالع عد ١٩٥ وعد ٢٠١). فالمدينون الذين من ولد ابراهيم كانوا يأتون كل سنة مع العمالقة سكان الشمال في جزيرة العرب، ومع بني المشرق المراد بهم العرب الرحّل سكان انحاء حوران. وينكولون ببني اسرائيل، ويفسدون غلة الارض إلى مدخل غزّة ولا يبقون ميرة ولا غنماً ولا بقرأ ولا حميراً. ويأتون بماشيتهم وخيامهم في مثل كثرة الجراد، حتى اضطّر بنو اسرائيل ان يختفوا او يخفوا مالهم في المغاور والكهوف والحصون مدة السنين السبع.

فصرخوا الى الرب فأرسل اليهم نبياً يذكرهم بانقاذه اياهم من المصريين، وسائر ظالمهم. وظهر ملاك لجدهون بن يواش الايعزري في عفرة، وهو يدوس الحنطة في المعصرة مكان أن يدرسها بالتورج. وفي الاندر هرباً من المدينين، فأعلمه ان الرب مرسله ليخلص اسرائيل، فاعتذر بأنّ عشيرته أضعف عشيرة وبأنه اصغر اخوته. وسأل علامة يعلم بها انه يكلمه بذلك من قِبَل الرب، فحقق الملاك له هذا بأنه مدّ طرف العصا التي بيده ومسّ اللحم والفطير اللذين كان اعهما له. فصعدت نار من الصخرة التهمت اللحم والفطير وغاب الملاك عن عينيه.

وابتنى جدعون مذبحاً للرب دعاه سلام الرب قال الكتاب: « وهو إلى هذا اليوم لا يزال في عفرة». وجاء في كتاب اعلام الاماكن أنه يُحتمل ان عفرة هذه كان موقعها في القرية المسماة الآن فرعاتا، تبعد ستة اميال عن نابلس غرباً. واراد جدعون تحقيق رسالته من قِبَل الرب فضرع اليه قائلاً: هأنذا واضع جزّاز صوف في البيدر، فإذا سقط الندى على الجزّاز وحده وعلى سائر الارض جفاف علمت انك مخلص اسرائيل على يدي فكان كذلك. وعصر الجزّاز في الغد فخرج منه من الماء ملء سطل ثم قال: اجرب هذه المرة ايضاً بالجزّاز ، ليكن على الجزّاز وحده جفاف وعلى سائر الارض ندى، وصنع كذلك فكان في تلك الليلة على الجزّاز وحده جفاف، وعلى سائر الأرض ندى فتبيّن إرسال الرب له.

وقال الرب لجدهون ان يقوِّض مذبح البعل الذي لأبيه، ومنه يستلمح أن اباه كان يعبد البعل، وان يقطع الغابة التي حوله وان يبتني مذبحاً للرب هناك ويقدم عليه ثوراً كان لأبيه. فأخذ عشرة رجال وفعل كما امره الرب ليلاً خوفاً من بيت أبيه واهل مدينته، لكنه لم يختف، وطلب اهل المدينة من ابيه ان يخرج له ليقبض. فقال ابوه ان كان البعل إلهاً فلينتقم لنفسه ممن هدم مذبحه، وهذا يمنع من القطع بأن اباه كان يعبد البعل. ودعا ابنه يدهل لكي ينتقم منه البعل واما جدهون فنفيخ في البوق فتبعه بعض قومه وأرسل رسلاً الى بني منسا فاتبعوه، والى بني آشير وزابولون وفتالي فصعدوا للقتال. فاجتمع اليه اثنان وثلاثون ألفاً، واعتصب جميع المدينيين والعمالقة وبني المشرق. فعبروا الاردن ونزلوا وادي يزرعيل حيث زرعين الآن من ناحية جنين (اعلام الاماكن). وتقدموا في السهل الذي هو مرج بن عامر الى محل غير بعيد عن المحل الذي كسر سيسرا فيه. فبكر جدهون ونزل بقومه على عين صرود المسماة الآن عين جلود في الشمال الغربي من جبل جلبوع الى الجنوب من محلة المدينيين.

وقال الرب لجدهون أن ينادي على مسامع الشعب إن من كان خائفاً فليرجع، فعاد منهم اثنان وعشرون ألفاً، وبقي معه عشرة آلاف. فقال له الرب ان الشعب كثير ايضاً فيفتخر إسرائيل بأنه خلص نفسه، فأنزلهم الى الماء وكل من ولغ في الماء بلسانه من راحته الى فمه فأقمه ناحية، ومن جثوا على ركبهم ليشربوا فناحية اخرى. فكان عدد من ولغ الماء من راحته الى فمه ثلاث مئة رجل فقط فابقي جدهون هؤلاء معه، وصرف الباقين الى اماكنهم. وقال له الرب إن كنت تخاف فادن من محلة العدى ليلاً مع فورة غلامك واسمع ما يقولون. ولما جاء جدهون اذا برجل مديني يقص حلاً على صاحبه، كأني برغيف خبز يتقلب على عسكر مدين فانقلب حتى صار الى الخيمة، وصدمها فسقطت. فأجاب صاحبه وقال: أما هذا سيف جدهون بن يواش جبار إسرائيل الذي دفع الله الى يده مدين كل المحلة، فعاد جدهون موقناً بالظفر. وقسم الثلاث مئة رجل ثلاث فرق، وجعل ابواقاً في ايديهم وجراً فارغة في ضمنها مشاعل. وقال لقومه اصنعوا ما ترونني صانعا واحتاط المدينيين من ثلاث جهات ونفخوا في الابواق. وهتفوا السيف للرب وجدهون، وكسروا الجرار فظهرت المشاعل. فضج جيش مدين، وجعل كل منهم سيفه في صاحبه فقتل بعضهم بعضاً، وفر الباقون الى بيت الشطة الى صريدة حتى

انتهاوا الى عدوة آبل محولة التي عند طبات. اما بيت الشطة فهي الحبل المسمى الآن شطة في شرقي عين جالود نحو الاردن، وهو اسمها القديم نفسه لأن بيت معناها البيت او الحبل او القرية . وصريدة - وفي بعض النسخ العبرانية صريرة - لم يتعين موقعها، ولكن لا بد ان يكون بين شطة وابل محولة شرقاً (اعلام الاماكن وكاران مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٠٢).

وأما ابل محولة فالذي قاله كاران (في المجلد المذكور صفحة ٢٧٧) إنها كانت في محل خربة الحمام المالح بعيدة أربعة عشر ميلاً عن بيسان نحو الجنوب والذي في اعلام الاماكن انها كانت في الحبل المسمى الآن العين الحلوة بعيدة عشرة اميال عن بسان جنوباً، والحلان قريتان من الاردن واحدهما من الاخر، وطبات لا يعلم موقعها معيناً، ولكن لا بد ان كانت في جانب ابل محولة والاردن كما قيل في اعلام الاماكن. واجتمع رجال اسرائيل من بني نفتالي واشير وجميع سبط منسا وتعقبوا أثر المدينيين، وارسل جدعون رسلاً الى جميع جبل افرايم ليقطعوا عليهم معابر النهر ففعلوا، وقبضوا على قائدَين من قواد مدين وهما عوريب (اي الغراب) وذيب (اي الذئب) فقتلوهما، واتوا برأسيهما الى جدعون في عبر الاردن.

فلام رجال افرايم جدعون لانه لم يدْعُهُم للقتال، فتخلص من لومهم بقوله، ليس ان خصاصة افرايم افضل من قطاف أبيعزر، فالخصاصة ما يبقى في الكرم بعد قطافه، والقطاف جمع قطف اي العناقيد المقطوفة. وابعزر اسم عشيرته فكأنه يقول انهم فعلوا اكثر مما فعل لانه هزم عوريب وذيباً، اما هما فقتلوهما. ويظهر منه ان جدعون لم يكن كميّاً شجاعاً فقط بل كان متقلّباً في السياسة ايضاً. ثم عبر جدعون الاردن برجاله الثلاث مئة مطارداً زاباح وصلمناع ملكي مدين. وقال لاهل سكوت (في كتاب اعلام الاماكن ان الظاهر انها كانت في محل تل درعالا في شرقي الاردن). ولأهل فنوئيل (مدينة في شرقي سكوت لم يتعين موقعها) من سبط جاد اعطوا القوم الذين في عقبي ارغفة خبز لانهم قد اعيوا. فقالوا له أَلْعَلَّ اكُفَّ زاباح وصلمناع في يدك حتى نعطي عسكري خبزاً؟ فلم يعطوهم خشية ان يعود المدينيون فينتقموا منهم. فهددهم جدعون بما اجراه بعده عليهم كما سترى وظل مطارداً ملكي مدين الى قرقر. قال اوسايوس والقديس ايرونيموس ان موقع هذه المدينة في شمالي مدينة حجر في بلاد العرب. وفي اعلام الاماكن ان اسمها الآن غير معين ويَحْتَمَلُ ان يكون المراد بها عمل او مدينة فهناك ادرك جدعون الملكين،

ومعهما خمسة عشر الف رجل، وكان من تجندوا في ساحة القتال مئة وعشرين الف رجل. ولما اقبل جدعون على الملكين وعسكرهما تسارعوا الى الفرار فجذب رجال جدعون في اثر الملكين، فادركوهما وقبضوا عليهما ورجعوا بهما من عند عقبة الشمس كذا في الترجمتين السبعينية والسريانية، وفي نسخة الآباء اليسوعيين ولكن في اللاتينية المعروفة بالعامة « ورجع قبل مطلع الشمس »، ولعله الأصح اذ لم يوجد ثمة محل يسمى عقبة الشمس.

وعاد جدعون الى سكوت فقبض على شيوخها وقال لهم هوذا الملكان اللذان عيرتموني بهما، واخذ اشواكاً من البرية، ونوارج وعاقبهم بوضعهم على الاشواك تحت النوارج، وهدم برج فنوئيل وقتل رجالها، وقال لزبابح وصلمناع كيف كان الرجال الذين قتلتمهم بطابور ؟ فقالا كانوا مثلك وهيئتهم كهية ابناء الملوك. فقال انما هم اخوتي وابناء امي ولو ابقيتما عليهم لما كنت اقتلكما. وقال لياتر بكره قم فاقتلهم، فلم يخرط سيفه خوفاً لانه كان صبيهاً. فقام جدعون وقتلهم، واخذ اهله الفضة التي كانت في اعناق جمالهما. ومنه يظهر قدم عادة العرب في تزيين اعناق جمالهم باهلة وغيرها من الحللى الى اليوم. وقد كانت ضربة جدعون المدينين مذلة لهم اعواماً طويلاً اذ قال الكتاب ذل مدين امام بني اسرائيل، ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم» (قضاة ف ٨ ع ٢٨).

وبعد هذا الظفر قال رجال اسرائيل لجدعون: تسلط علينا انت وابنك وابن ابنك. فقال لهم جدعون: لا انا اتسلط عليكم ولا ابني بل الرب يتسلط عليكم. ولكن اقترح عليهم أن يعطيه كل واحد منهم خرصاً من غنيمته. فقالوا: لك ذلك وبسطوا رداءً، فالقى عليه كل امرئ منهم خرصان غنيمته، فكان وزن خرصان الذهب التي طلبها الفاً وسبع مئة مثقال ذهب ما خلا الاهلة والنطفات اي القروط والثياب الأرجوانية التي كانت على ملوك مدين، وما خلا القلائد التي كانت في اعناق جمالهم. وقد اتفق الكتاب والآثار المصرية، والآشورية والسورة في الدلالة على ان ثعلي الرجال، والنساء والدواب ايضاً بالحلى كان من اقدم الدهر عائماً في المشرق، فصاغ جدعون ذلك الذهب افوداً، وهو احد الملابس الكهنوتية كالبطارشيل في أيامنا، وجعله في مدينة عفرة (فرعانا) وكانت الناس تتقاطر من كل فج لتراه به حتى نشأ عن ذلك نوع من العبادة الوثنية لهذا الافود.

والى هذا اشار الكتاب بقوله ان هذا الافود صار وهقاً لجدعون، وييته على أنه في الترجمتين القديمتين السريانية والعربية، وفي كتب بعض المفسرين كلمة تمثال مكان الافود. والنص العبراني غير صريح، والالف والسبع مئة مثقال ذهب تعادل اربعة وعشرين الف غرام ومئة واربعين غراماً اي نحو ثمانية آلاف درهم، اذا حُسِبَ كل مثقال ٢٠. ١٤ غراماً كما كانوا يحسبون بعد السبي البابلي. وعمل الافود لا يستلزم هذا القدر الكبير من الذهب. ومات جدعون وله سبعون ولداً لانه اتَّخذ نساءً كثيرات، ودفن في مدفن يواش ابيه في عفرة، واستراحت الارض بعد انتصاره أربعين سنة (قضاة ف ٦ و ٧ و ٨).

عد ٢٣٢

ايملك وتولع ويائير

كان لجدعون سرية في شكيم (نابلس) وُلِدَ له منها ابنٌ سناه ايملك، فانطلق بعد وفاة ابيه، فكلم أخواله وعشيرتهم قائلاً ايّ الامرين خيرٌ لكم؟ اَنْ يتسلط عليكم اخوتي سبعون رجلاً أم اَنْ يتسلط عليكم رجلٌ واحد؟ واذكروا اني عظيمكم ولحمكم، فمالت قلوب اهل شكيم اليه وقالوا: إنه اخونا واعطوه سبعين مثقالاً من الفضة عبارة عن نحو من الف غرام من بيت بعل بريت الذي كانوا يعبودونه. وكانت عادة اهل شكيم ككثير غيرهم من القدماء ان يضعوا كنوزهم وما كان ثميناً عندهم في هياكلهم لاعتبارهم الهياكل محلاً حريزاً مباركاً. وقد وُجِدَ في كثير من الهياكل خزائن يستودعونها ما كان ثميناً. فأخذ ايملك الفضة، واستأجر بها رجالاً بطلين اشقياء تبعوه، فجاء بيت ابيه في عفرة، وقتل اخوته، ولم ينج منهم إلا يواتام اصغرهم، فاجتمع اهل شكيم وبيت ملو، وهي مدينة مصابغة لشكيم. وقال كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ٤٦٤) انها تسمى الآن خربة الدّوّارة ومضوا فأقاموا ايملك ملكاً عليهم.

فانطلق يواتام اخوه ووقف على قمة جبل جرزيم (وهو جبل الطور حيث يجتمع السامريون في أعيادهم كل سنة في جانب نابلس). ورفع صوته وقال: إسمعوا لي يا اهل شكيم سمع الله لكم. ذهبت الشجر مرة ليمسحنّ عليهم ملكاً فقلن لشجرة الزيتون كوني علينا ملكة فقالت: أدع زيتي الذي لاجله تكثرمني

الآلهة والناس، واذهب لاستعلي على الشجر؟ فقلن للتيبة: كوني انت ملكة علينا فقالت: أأدع حلاوتي وثمرتي الطيبة واذهب لاستعلي على الشجر؟ فقلن للجفنة: كوني انت علينا ملكة، فقالت: أأدع مسطاري الذي يسر الله والناس، واذهب لاستعلي على الشجر؟ فقلن للعوسجة: تعالي انت فكوني علينا ملكة فقالت: ان كنتن حقاً تمسحني ملكة عليكن فتعايلن. استظللن بظلي، وإلا فلتخرج نار من العوسجة وتحرق ارز لبنان. والآن ان كنتم فعلمن بالحق والاستقامة فملكتم ايملك عليكم، وكافأتم جدعون على تخليصكم من اهل مدين بذبحكم سبعين رجلاً من بنيه، فافرحوا بأيملك وليفرح هو بكم. وإلا فلتخرج منه ناز، وتأكل اهل شكيم وبيت ملو، ولتخرج ناز منهم وتأكل ايملك. وهرب يواتام، واختفى من وجه اخيه وملك ايملك على اسرائيل ثلاث سنين، ثم ثار عليه اهل شكيم، فحاربهم ونكل بهم اولاً. وتيسر له أن يدخل المدينة بعد أن خرج منها، وقتل الشعب الذي كان فيها، وهدم المدينة وزرع في أرضها ملحاً، فانهم كانوا اذا ارادوا أن يجعلوا الارض عاقراً لا تنبت القوا فيها ملحاً. ومن بقي من اهل شكيم فزوا الى برج حصين كان فيه هيكل بريت معبودهم. فحاصره ايملك، وجمع حطباً حوله واحرقه، فأباد من السكان نحو الف نسمة. ثم انطلق الى تاباص المسماة الآن توباس، وهي في الشمال الشرقي من نابلس تبعد عنها ثلاثة عشر ميلاً. (ذكره اوسابيوس وحققه كاران مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٥٩). فأخذها وكان فيها صرح حصين لجأ اليه جميع الرجال والنساء، فحاصره ايملك وتقدم لبحرقه فألقت امرأة قمامة رحي اصابت رأس ايملك، فشذخت جمجمته فاستدعى حامل سلاحه وقال له: استل سيفك واقتلني لئلا يقال عني ان امرأة قتلتني، فوجأه الغلام فمات، وانتقم الله منه على ما صنعه باخوته (قضاة ف ٩).

وقام بعد ايملك لخلاص اسرائيل تولع بن فواة من سبط يساكر، وكان مقيماً بشامير (لم يُعيّن موقعها كما في كتاب اعلام الاماكن) في جبل افرايم. فتولى قضاء اسرائيل ثلاثاً وعشرين سنة، ومات ودفن في قريته شامير. وقام بعده يائير الجلعاوي فتولى القضاء على اسرائيل اثنتين وعشرين سنة، وكان له ثلاثون ابناً يركبون ثلاثين جحشاً، وكان لهم ثلاثون مدينة تسمى مزارع يائير، وهي في ارض جلعاد (السلط). ولم يطرنا الكتاب بشيء غير ذلك من اخبارهما، ويظهر ان ولاية يائير كانت في جلعاد وعبر الاردن الشرقي فقط.

عد ٢٣٣

يفتاح

وعاد بنو اسرائيل فعبدوا آلهة الآراميين والصيدونيين وغيرهم، فاشتد غضب الرب عليهم، واسلمهم إلى أيدي الفلسطينيين، وبني عمون فضايقوهم ثماني عشرة سنة. وبعد ان اذل بنو عمون الاسرائيليين الذين في عبر الاردن، اتوا ينكلون ببني يهوذا وبنيامين وافرائيم في غربي الاردن فصرخوا الى الرب، فذكّرهم بتخليصه لهم مرات عديدة، وبعودتهم الى عبادة الآلهة الغريبة. ولذلك صرف وجهه عنهم قائلاً: اذهبوا فاستغيثوا بالآلهة التي اخترتموها، فأزالوا الآلهة الغريبة من بينهم، وخشعوا له. فرق قلبه لمشقة اسرائيل واجتمع بنو عمون، ونزلوا بجلعاد (السلط)، واجتمع بنو اسرائيل، ونزلوا بالمصفاة المعروفة الآن بسوف في شمالي نهر اليبوق، وهو نهر الزرقاء (كتاب اعلام الاماكن) وقالوا أي رجل ابتداء الحرب مع بني عمون فهو يكون رئيساً على سكان جلعاد كلهم. وكان رجل من جلعاد اسمه جلعاد كبلده وله ابن من امرأة بغي اسمه يفتاح، وله بنون آخرون من زوجته الشرعية، طردوا يفتاح لئلا يقاسمهم الميراث فهرب من وجه اخوته. واقام في ارض طوب التي لم يُعَيّن موقعها الى الآن، ويُرجّح انها كانت في شرقي الاردن.

وقال الأب مرتينوس اليسوعي في ما أذاعه البشير من كتابه تاريخ لبنان ان مملكة طوب كان موقعها في انحاء حرمون (جبل الشيخ)، ولعلها كانت في منحدره الشرقي في الجهة المسماة الآن بالبلاس. فجمع يفتاح اليه في هذه الارض قوماً بطالين، كانوا يخرجون معه لشن الغارة وسلب المازة. فانطلق شيوخ جلعاد اليه وكلفوه ان يأتي فيكون لهم قائداً فعزّز نفسه أولاً وقال انكم ابغضتموني وطردتموني، فكيف اتبتموني الآن في شدّتكم؟ ويظهر انه كان خبيراً بضروب السياسة، فلم يرض ان يأتي معهم إلا ان يعاهدوه امام الرب، بأنه اذا انقضت الحرب استمر رئيساً عليهم فعاهدوه. فأتى معهم وارسل رسلاً الى ملك بني عمون يسأله لِمَ حمل عليهم؟ ويرغب اليه ان ينكف عن حربهم، فأجابه ملك العمونيين: إن بني اسرائيل اخذوا ارضهم عند خروجهم من مصر، فليردوها عليهم، فأرسل له يفتاح رسلاً آخرين، يبيّن له ان بني اسرائيل في ايام موسى تحاشوا بأمر الله محاربة الموآبيين والعمونيين، لانهم من نسل لوط وانه قد مضى عليهم وهم مقيمون في

هذه الارض ثلاث مئة سنة. فلماذا لم يسترجعوا ارضهم في تلك المدة؟ فلم يسمع ملك عمون كلامه، وزحف بجيشه الى بني اسرائيل. «ونذر يفتاح نذراً للرب وقال: ان دفعت بني عمون الى يدي، فكل خارج يخرج من باب بيتي للقائي حين اياي سائلاً... يكون للرب اصعده محرقة». وهاجم يفتاح بني عمون فسلمهم الرب الى يده، فضربهم من عروعر (عراير الآن) الى حد منيت عشرين مدينة والى ابل الكروم ضربة عظيمة جداً. فذل بنو عمون امام بني اسرائيل. قال الاب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٣٣) إن الجواله الانكليزي تريسترم طاف بلاد مواب سنة ١٨٧٢م واهتدى الى موقع ابل الكروم، وهي بعيدة عشرين دقيقة عن ديبان المعروفة بهذا الاسم ايضاً، وذلك الموقع يسمى الآن كروم ديبان، واما في منيت فقال: ظن بعضهم أن موقعها كان في المحل المسمى الآن منجه، في شرقي حشبون (حسبان الآن). وهو بعيد أحد عشر كيلومتراً عنها؛ لكننا لم نجد هناك اثرأ دالاً على ذلك. ونقل كلمت عن أوسايوس: أن منيت بعيدة اربعة اميال عن حشبون شرقاً على طريق فيلادلفية، وهي عمان الآن، وفي اعلام الاماكن أن موقعها في المحل المسمى المنية الآن في جنوبي جبل نبو على قول بعضهم.

وعاد يفتاح الى بيته في المصفاة فإذا ابنته خارجة للقائه بالدفوف والرقص، وهي وحيدة لا ولد له سواها. فقال لها: أوه يا بنية قد صرعتني لأنني أبرزت نذري للرب، ولا سبيل لنكثته. فقالت: يا أبت ان كنت قد أبرزت نذرك فاصنع بي ما خرج من فيك بعدما انتقم الرب من اعدائك. وطلبت أن يمهله شهرين لتتردد في الجبال، وتبكي بتوليبتها هي واتبائها، ففسح لها شهرين فانطلقت، وبكت على الجبال بتوليبتها مع ااتبائها، ثم رجعت الى أبيها فأتم بها النذر الذي نذره وهي لم تعرف رجلاً، وكانت بنات اسرائيل يمضين كل سنة وينحرن على ابنة يفتاح اربعة أيام.

قد أجمع الآباء القدماء، والتقليد اليهودي والمسيحي الى القرن الحادي عشر ان يفتاح قدّم ابنته محرقة للرب. ولكن رأى بعض الحداث أن يفتاح لم يُضَحِّ بابنته بل نذر ان تبمى بتولاً، ومن حجج هؤلاء أن شريعة موسى حظرت صريحاً تقدمة الضحايا البشرية، فلا يُظن ان يفتاح اراد ان يبرز نذراً مخالفاً للسنة، ومنها انه لو كان يفتاح نذر حقيقة ان يقدم ابنته ضحية لما جاز له أن يقدمها بنفسه اذ لم يكن

كاهناً، ومنها ان الكتاب لم يحب يفتاح بل نرى الرسول عدّه مع غيره من الآباء. بقوله: ماذا اقول؟ وزماني قصير عن ان اخبر بأمر جدعون، وباراق وشمشون ويفتاح وداود وصموئيل والانبياء» (عبرانية ف ١١ ع ٣٢). وقد ردّ اصحاب القول الاول الحجج المار ذكرها بقولهم: إنّ حظر السنّة تقدمة الضحايا البشرية لا تكون منه حجة، بأنّ يفتاح لم يُصَحَّ بابنته اذ يمكنه مخالفة السنّة كما خالفها بنو اسرائيل بتضحيتهم ببنيتهم وبناتهم ايضاً. وكذا يمكنه ان يخالف السنّة بتضحيتها، وان لم يكن كاهناً. وذكر الرسول يفتاح بين باقي من ذكرهم لا يمكن تنزيله منزلة ثناء على كل اعماله.

فما من قائل ان الرسول بهذا الذكر اثني على داود بقتل اوريا ايضاً او على شمشون بكثير من اعماله. وقالوا: إنّ آية الكتاب «كل خارج يخرج من بيتي يكون للرب أضعده محرقة». صريحة تأبى كل تأويل، ويراد بها شخص فلا يمكن حملها على بتولية ابنته، وقال القديس توما: إنّ يفتاح ركب الحمافة بنذره والمعصية باتمامه (الخلاصة اللاهوتية قسم ثانٍ مبحث ٨٨). وكذا قال كثير من الآباء والعلماء، ولكن اثني العلماء الحدباء قائلين: إنّ كلام الكتاب مجازي، فالحرق لا يراد بها محرقة دموية بل يراد بها انقطاع ابنة يفتاح عن الزواج. وهذا الانقطاع كان في المشرق في ذلك العصر محرقة كبرى، اذ كان عندهم عاراً على المرأة ان لا تلد وهذا واضح من قول الیصابات بعد ولادتها يوحنا: «هذا ما صنعه بي الرب لينزع عاري من بين بني البشر» (لوقا ف ١ ع ٢٥).

ويفتاح بنذره أن تبقى ابنته بتولاً كان يعدم نفسه الامل بأن تكون له ذرية وهذا محرقة من قبله اذ لم يكن له ولد غيرها. وتذرع هؤلاء لقولهم بباقي آيات الكتاب وهي: «لم تعرف رجلاً، وابكي بتوليتي، وبكت بتوليتها على الجبال» على أنّ صراحة آية الكتاب بأنه نذر ان يصعدها محرقة، وقوله انه اتمّ نذره بها ومراعاة عادات البلاد والايام، وجهالة نذر العقّة في تلك الايام. كل ذلك يرجح قول من رأوا ان يفتاح قدّم ابنته محرقة حقاً (فيكورو الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٣٥ والموجز الكتابي عد ٤٥٧ وما يليه).

واجتمع رجال بني إفرائيم، وعنفوا يفتاح لانه لم يدعهم لمحاربة العمونيين، فلم يُخمد غضبهم برقة كلامه كما فعل جدعون معهم بل اضطربت نار الوغى بينهم.

تبين من سفره أنّ بني عناق كانوا يسكنون غزة، وعسقلون وعقرون (عاق) التي سكنها بعد ذلك الفلسطينيون. وقد ورد ذكرهم ثمة لأول مرة في سفر القضاة حيث جاء أن شمعرج حاربهم بمناس البقر مع أمثاله من الحارثين، وقتل منهم ست مئة رجل.

وقد كان للعلماء ومفسري الكتاب أقوال متعددة متباينة في أصل الفلسطينيين، ولم ينجلي أصلهم وذريتهم، وارتحالهم إلّا من اميد قريب بعد أن أحيا العلماء اللغة الهيروكليفية. وانبعث رم تلك الصوّر، فظهر من ورائها كنوز معارف الثمن من كنوز الذهب، ومنها أنّ الفلسطينيين لم يكونوا من قبائل سورية بل من ذرية البلاسج السكان القدماء في بلاد اليونان، وفي اسمهم نفسه الحروف الأصلية في كلمة بلاسج أو فلاسج، لأنّ ابدال الباء بالفاء كثير في مثل هذه الأسماء. وإنما بُدلت الجيم الأخيرة بالهاء أو الطاء تخفيفاً، وقد جاء في كثير من آي الكتاب وأقوال المؤلفين أنّ منشأهم جزيرة كريت. أو هي أول مرحلة معروفة لهم، فقد ورد في سفر الملوك الأول (ف ٣٠ ع ١٤). «وقد غزونا جنوب الكريتيين وما ليهودا، وجنوبي كالب»، ولا مرأ في أنّ المراد بالكريتيين هنا الفلسطينيون، وجاء في نبوة حزقيال (ف ٢٥ ع ١٦). «هأنذا امّد يدي على الفلسطينيين وأقرب الكريتيين وأيد بقية ساحل البحر». وفي نبوة صفيانيا (ف ٢ ع ٥). «ويل لسكان ساحل البحر لأمة الكريتيين، إنّ كلمة الرب عليكم يا كنعان أرض الفلسطينيين، فأيدك حتى لا يبقى فيك ساكن وصريح تاشيتوس (في تاريخه ق ٢) أنّ الفلسطينيين اتوا من كريت.

وقد كشفت لنا الآثار المصرية المنبئة بتاريخ رعمسيس الثالث عن أنّ الفلسطينيين اتوا من كريت. ففي قصر مدينة أبو في تاب (طيبة) صوّر وخطوط دالة على حصول محالفة بين الكريتيين وغيرهم من عشائر البلاسج في أيام رعمسيس الثالث أحد ملوك الدولة العشرين من الدول المصرية. فغشوا سورية ومصر بعد افتتاح يشوع بن نون بلاد كنعان وأتى بعضهم بحراً والسواد الأعظم منهم، أكريتيون، فحاربهم رعمسيس الثالث، وانتصر عليهم وأسر جميعهم. وكانوا عشيرة برمّتها رجالاً ونساءً واطفالاً، ولم ير من السداد أن يبيد هذه العشيرة جمعاء، فعوّل على استبقائهم، وإعطائهم أرضاً يسكنونها. فأقام رعمسيس الفلسطا (كما في الأصل) الفلسطينيين في جانب بلاد كنعان بين يافو (يافا)، ونهر مصر فسكنوا غزة

وأشدود، وعسقلان حيث يمكن الحرس المصري أن يرقب تحركاتهم. روى ذلك الأب فيكوررو في الكتاب والإكتشافات الحديثة (مجلد ٣ صفحة ٣٣٨). ولانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ صفحة ٢١٤ طبعة ٩). ومسبرو في تاريخه القديم لشعوب المشرق (صفحة ٣١٣ طبعة ٤).

وكان هؤلاء الفلسطينيون أولاً ضعفاء يؤيده قتل شمر كثيرين منهم بمنساق البقر، ولكن زادهم قوة إنحطاط الدولة المصرية، ولحق كثير من أبناء جلدتهم الى فلسطين، وأستحذوا على جت. وهي ذكرين الآن وعلى عقرون وهي عاقر الآن. فكان لهم خمسة أقطاب أو خمسة أمراء شديدي التحالف بينهم. وسولت لهم انفسهم الإستيلاء على بلاد كنعان، وإخضاع بني اسرائيل والفينيقيين لهم فافتتحوا صيدا نحو سنة ١٢٠٠ ق.م وأخربوها كما ذكرنا في مقالة الفينيقيين عد ١١٣. وهل البلاسج الذين منهم الفلسطينيون هم من نسل يافت أو من نسل حام؟ فالعلامة لانرمان (في المحل السالف ذكره) يقول: إنهم يافتيون تبعاً لرأي الجمهور لا سيما القدماء على أن الأب دي كارا أكثر من الحجج على أن البلاسج من الحثيين من ولد حام، طالع ما دوناه مشبعاً بهذا الشأن في مقالة الحثيين عد ٨٦ و ٨٨.

عد ٢٣٥

مولد شمشون وزواجه

قال الكتاب (قضاة ١٣ ع ٢) كان رجل من صرعة من قبيلة دان، وكانت امرأته عاقراً لا تلد، فترأى ملاك الرب لها وقال إنك ستحبلين وتلدن ابناً لا يعلو رأسه موسى لأنه يكون ناسكاً أو نذيراً لله. ويبدأ بخلاص اسرائيل من أيدي الفلسطينيين وأن تحتفظ على نفسها مدة حملها، وعلى الصبي مدة حياته من شرب المسكر ومن أكل ما يكون نجساً. وأخبرت زوجها بما قال لها الملاك، فظهر لهما ثانية. وأثبت لهما بآية ما بشرهما به، وحبلت المرأة فولدت شمشون. فكان نذيراً كما قال الملاك وهو أول نذير ذكره الكتاب، ولما شب شمشون كان يتردد بين صرعة واشتاوول. أمّا صرعة فما برحت تسمى بهذا الإسم، وقال اوساييوس وايرونيوس إنها بعيدة عشرة اميال عن بيت جبرين شمالاً، وقال كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ١٧) إن صرعة واقعة حقيقة في الطريق المؤدي من بيت جبرين الى عمواص، ولكن

بعدها عن بيت جبرين هو خمسة عشر ميلاً، وأما اشتاورول فقال كاران في المجلد المذكور (صفحة ١٣) إنها تسمى الآن اشوع ولا تبعد عن صرعة إلا أربع كيلومترات والموضعان في جانب السكة الحديدية الموصلة بين يافا واورشليم.

ونزل شمشون إلى تمته المسماة الآن تبنة في جوار صرعة، غير تمته سارح مدينة يشوع بن نون. فهم في حب امرأة من بنات فلسطين، وطلب الى أبيه وأمه أن يتخذاها له زوجة، فمانعه من ذلك لأنها اجنبية فأصر على طلبه، ونزلا معه الى تمته. ورأى شمشون في كروم تمته شبل لبوة يزأر فوثب عليه، وفسخه بيديه كما يفسخ جدياً صغيراً، ولم يخبر أباه وأمه بما فعل. وقد روى سويدا أن بطلاً يونانياً يسمى يوليداماس فعل مثل ذلك، أي أنه قتل أسداً في جبل أوليمبوس، وهو أعزل لا سلاح بيده. وروى الكتاب أن داود أيضاً قتل اسداً كما سترى، وقد توفرت في الآثار الآشورية صُورُ أزدوبار يخنق اسداً بيده اليسرى. وكثيراً ما قتل المصارعون اسداً في المحاضر الرومانية وغيرها.

وعاد شمشون بعد أيام أي بعد سنة لثُزِفَ اليه المرأة التي خطبها أولاً، فكانت مدة الخطبة عند العبرانيين سنة، فحاد لينظر في جثة الأسد فإذا في جوف الأسد خشرم من النحل وعسل، فاستشار منه على كفيّيه ومضى وهو يأكل. وأعطى منه أباه وأمه فأكلا، ولم يخبرهما من أين اشتاره. وقد أكثر المنددون بالكتاب من الطنطنة بتعيب تاريخ شمشون بهذه الآية زاعمين أن النحل يأنف من الجثث، فكيف يتخذها خليّة ويصنع فيها عسله؟ لكنهم قد تعاملوا عن أن النحل وإن نأى عن الجثث فلا ينأى عن العظام اليابسة، وعن أن قول الكتاب بعد أيام كثيراً ما أراد به مدد طوال. وروى هيرودت (ك ٥ فصل ١١٤) أن النحل عشل في جمجمة اوناسيوس حاكم قبرص الذي قطع اعداؤه رأسه، واستبقوه معلقاً امامهم. والجثث في البلاد الحارة كفلسطين تجف في الصيف وتبيس كالمومياء في وقت وجيز ولا تنتن، فلا يفرّ النحل منها كما حقق كثير من الجوّالة في فلسطين. وأثبتوا أن النحل البري فيها كثير، وأنه يتخذ خلاياه في الكهوف، والمغاور وثقوب الأشجار بحيث يستظل من حرّ الشمس.

وأدب شمشون مأدبة العرس مدة سبعة أيام لأنه كذلك كانت تصنع الفتيان. وصحبه ثلاثون رجلاً وكان عشوراً فقال لهم إني ملقٍ عليكم لغزاً، فإن حللتموه لي

في سبعة أيام الوليمة أعطيتكم ثلاثين قميصاً، وثلاثين حلّة من الثياب، وإن لم تحلّوه اعطيتموني كذلك. ومنه يظهر أنّ ملابسهم كانت يومئذ القميص والحلة أي الرداء الطويل فوق القميص. وكذا نرى اليوم أكثر السكان هناك، وفي سائر الأمم البدوية في المشرق. فقالوا له أليّ لغزك. فقال لهم خرج من الآكل أكل، ومن الشديد حلاوة، فلم يكن لهم إلى حلّ لغزه سبيل. وقالوا لعرسه خادعي زوجك ليحلّ لنا اللغز ولّا حرقناك مع بيت ابيك، ألتسلبونا دعوتونا فأكثر من التدلل والبكاء عليه، وضايقته فأطلعها على اللغز، وباحت بسرّه اليهم. فقالوا له لا أحلى من العسل ولا أشدّ من الأسد. فقال لهم لولا أنكم حرثتم على عجلتي لم تكشفوا لغزي. وروى يوسفوس انه قال: «ولا ادهى من النساء»، وأشدّ غضبه فنزل إلى اشقلون (عسقلان الآن)، وقتل ثلاثين رجلاً وأخذ ثيابهم، وأعطى الحلل لحاليّ اللغز. ولا عجب من قتل رجل ثلاثين رجلاً في أيام لم يكن فيها سلاح ايماناً. ولم يقل الكتاب أنه قتلهم مجتمعين، وقد انبأنا التواريخ أنّ كثيرين قتل كلّ منهم أكثر من هذا العدد، وشمشون كان قاضياً ورئيساً في قومه الذين يضطهدهم الفلسطينيون، فجاز له أن ينكّل بأعداء قومه (قضاة فصل ١٤).

عد ٢٣٦

إحراق شمشون زروع الفلسطينيين وقتله كثيرين منهم بلحى الحمار

وأتى شمشون في أوّان الحصاد يزور إمرأته، وحمل إليها جدياً من المعز. ويظهر من هذه الآية وغيرها أنّ أهل ذلك الجيل كانوا يؤثرون لحم الجدي على لحم الغنم في الولائم والهدايا. ولما أراد شمشون أن يدخل على امرأته في حجرتها صده أبوها وقال إنك ابغضتها فزوجتها من أحد اصحابك، ولكن هذه أختها الصغرى أحسن منها فلتكن لك بدلاً منها. فقال شمشون إني بريء الآن من الفلسطينيين إذا انزلت بهم شراً. وانطلق واصطاد ثلاث مئة ثعلب، وأخذ مشاعل فجعل الثعالب ذئباً إلى ذئب وبين كل ذئبين مشعلاً، وأوقد المشاعل، وأرسل الثعالب في زرع الفلسطينيين، فأحرقت الأكداس والزرع حتى الزيتون. ولا يتحتم من كلام الكتاب أن يكون شمشون قد صاد كل هذه الثعالب منفرداً بل يُرجّح انه أعين على صيدها والكلمة في العبرانية هنا تعليم وفي السريانية ^{ܬܠܬܐ} (تعلّى). فتتحمل تفسيرها بالثعالب كما ترجمتها النسخة اللاتينية المعروفة بالعامية أو بينات آوى، والحقل وهو لفظ

فارسي يُراد به نوع من الثعالب، وأثبت كثير من الجوالاة في فلسطين وفرة الثعالب فيها.

وقال السيد مينرلن في كتابه الموسوم بالأماكن المقدسة (طبعة سنة ١٨٥٨م مجلد ٢ صفحة ١٥٦) أنه بينما كان في محلة قرية من محل شمشون شمع عواء الثعالب من جميع المغاور والكهوف والغابات وقال: «لا أعلم إن كان ثمة ثلاث مئة ثعلب، لكنني موقن أنه لو وُجِدَ شمشون آخر وأراد أن يحرق زروع بلاد الفلسطينيين لصاد من هذا الوادي وحده ما كفى وناف على عداد الثعالب اللازم لحرقها»، وكان إحراق زروع العدى من عادات كل جيل وكل مكان. فقد وُجِدَت صفيحة مصرية تُعرف بصفيحة أوناس تُقَشَّ عليها لنحو من ثمانية وعشرين أو ثلاثين قرناً قبل المخلص على ما رأى شباس (في كتابه دروس القدم صفحة ١٢٢) ما ترجمته: «ذهب الجنود بسلام فيقوضون الحصون المنيعه. ذهب الجنود بسلام فيبيدون زيتون البلاد وكرومها. ذهب الجنود بسلام فيحرقون الزروع». وجاء في أثر لاورر تاسان الثالث في سمرة على عدوة النيل خط فيه «أن هؤلاء (أي سودان بلاد النوبة) ليسوا رجالاً يستحقون الإلتفات فقد أخذت نساءهم وقبضت على شعبهم عند خروجهم لإستقاء الماء من الآبار، وأهلكت مواشيهم وأحرقت زروعهم». ولا حاجة الى أن نذكر مواطنينا بديب هذه العادة السيئة الى بلادنا من أقدم الأعصر بل نتمنى نسخها.

أمّا الفلسطينيون فلشدّة حنقهم أحرقوا المرأة وأبأها بالنار. وأما شمشون فضرِبهم ضربة أخرى عظيمة لم يفضّلها الكتاب. ثم نزل وأقام في كهف صخرة عيطم قال الأب فيكورو (الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٥٥) يُحتمل أن هذا الكهف كان في آخر سفح جبل يهوذا على مقربة من دير دوبان. ولكن في كتاب أعلام الأماكن أنه كان في قرية بيت عتاب في غربي بيت لحم، فصعد الفلسطينيون وحلّوا في أرض يهوذا فقال لهم لماذا صعدتم علينا؟ فقالوا: لنوثق شمشون ونصنع به كما صنع بنا. فأتى ثلاثة آلاف رجل من يهوذا الى كهف صخرة عيطم، وقالوا لشمشون أما تعلم أنّ الفلسطينيين متسلطون علينا؟ فجئنا لنوثقك ونسلمك الى ايديهم. فقال لهم: إحلّفوا لي أنكم لا تقعون أتم بي، فقالوا لا نقتلك ولكن نوثقك ونسلمك إليهم. فأوثقوه بحبلين جديدين وأصعدوه من صخرة عيطم، ولما انتهى الى حيث الفلسطينيون صاحوا عند لقاءه، فقطع الحبلين

الموثوق بهما كأنهما كئئان مشيط بالنار، ووجد لحي الحمار فتناوله، فقتل به ألف رجل، وقال بلحي الحمار كدست كومة كومتين، وبفك حمار قتلت ألف رجل. ورخي اللحي من يده، ودعا ذاك المكان رامة لحي. أمّا قطعه الحبلين فبالقوة غير العاديّة التي حباه الله لإياها، وأما ضربه ألف رجل كما في النص العبراني، أو قتلهم كما في الترجمات فنسبته الى شمشون نسبة ظفر الجنود الى القائد. فكثيراً ما يقال إنّ فلاناً القائد إفتتح المدينة أو كسر جيش العدو ولا يكون المراد منه أنه فعل ذلك بنفسه منفرداً، فقد يكون بعض من بني يهوذا عاونوا شمشون على قتل الفلسطينيين بعد أن رأوه قطع وثاقه وبطش بأعدائهم. وهب أنه صنع ذلك بنفسه فما على الله أمر عسير، وقد كان الرعب تولّى قلوب الفلسطينيين لما سمعوه ورأوا من أعمال هذا البطل.

وقد عطش شمشون بعد هذه الموقعة حتى كاد يهلك عطشاً فصرخ الى الرب، «فشقّ الله مورم الفك فخرجت منه مياه فشرب، ورجعت روحه إليه (أي قوته) وعاش، ولذلك دعا ذلك الموضع عين الداعي وهي في لحي الى اليوم». كذا في نسخة الآباء اليسوعيين البيروتية، ومورم الفك منبت الأضراس فيه. وفي الترجمة العربية التي طبعها الأمريكيون في بيروت سنة ١٨٨٤م «وشقّ الله الكفة التي في لحي فخرج منها ماء فشرب». والكفة كل مستدير ونقرة يجتمع فيها الماء. وقال بعض المفسرين تبعاً لظاهر الآية أن الماء خرج من فكّ الحمار والله على كل شيء قدير، ولكن يظهر من الترجمة الكلدانية أنّ الماء خرج لا من اللحي أي الفك بل من المحل الذي رماه فيه، وسمى رامة لحي أي مرمى اللحي. فالعرب وغيرهم من أصحاب اللغات يسمّون كل صخر مرتفع ومنقطع عن غيره سناً. وعليه فيكون المعنى أن الله شقّ سناً أي صخراً في المحل المسمى لحي، فخرجت منه مياه وباقي الآية مشعر بذلك كقوله: «ولذلك دعا ذلك الموضع عين الداعي وهو في لحي الى اليوم». وإلا لقال: «واللحي باقي الى اليوم».

وذكر كلمت أنّ كليكاس (في قسم ٢ من تاريخه). وأنطونينوس الشهيد (في أخبار رحلته)، ذكرا عين الداعي هذه وقالاً إنها كانت في أيامهما ولم يشيرا الى أنها خارجة من فك حمار. وقال يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ٥ فصل ١٠): إنّ العين خرجت من صخر وعليه مشى أكثر المفسرين ولا حاجة الى تكثير المعجزات. فكيف إخراج الماء من صخر أو من الأرض. وقال بروكوب (في مقدمات مكتبة

الآباء اليونان مجلد ٨٧ جزء ١) «يقال إن الله فتح ثقباً في الفك فأخرج منه المياه والأمثل أنه فتح الأرض بالفك». وأما موقع اللحي أو رامة لحي فقال فيه كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٣٩٦) إنه كان في المحل المسمى الآن خربة عين اللحي قريباً من عتان في غربي بيت لحم وبيت جالا. وأسند ذلك الى أن الاسم الآن وفي سفر القضاة واحد الى قرب هذا المحل من عتان حيث كانت صخرة عيطم التي لجأ شمشون إليها. ولا يُقدَّر أن الفلسطينيين إجتمعوا في محل بعيد عن مخبأ شمشون.

عد ٢٣٧

إقتلاع شمشون باب غزة وحمله وقبض الفلسطينيين عليه وموته

جاء في سفر القضاة (فصل ١٦) أن شمشون انطلق الى غزة ودخل الى بيت بغي أو صاحبة نزل، فاحتاط به الفلسطينيون سكان غزة وكمنوا له الليل كله عند باب المدينة، وأوصدوا الباب وقالوا عند الصبح نقتله. فقام شمشون عند نصف الليل فأخذ مصراعاً باب المدينة بعضادتيه وقلع الباب ومغلقه. وصعد به الى رأس الجبل الذي قبالة حبرون وهو اكمة في الجنوب الغربي من غزة تسمى المنطاد. فالتقليد القديم وأهل غزة الآن أيضاً يقولون إن شمشون على هذه الأكمة وضع باب المدينة (فيكورو الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٥٩).

وأحب شمشون بعد ذلك امرأة اسمها دليلة ساكنة في وادي سوريق وهو الوادي الممتد من سفح الجبل المبنية عليه صرعة المار ذكرها نحو الغرب. قال كثير من الآباء القدماء منهم فم الذهب (خطبة ١٧)، والقديس أفرام (في تفسيره سفر التكوين) إن شمشون اتخذ هذه المرأة زوجة شرعية. وقال غيرهم إنها كانت سرية تسراها وعلم بذلك أقطاب الفلسطينيين، فصعدوا إليها وأغروها بمال وقالوا خادعيه وأنظري بماذا قوتته؟ وبماذا نتمكن منه؟ وأخذت تتدلل عليه وتسأله بتلطّف بماذا قوتته وشعر بمكرها فقال إذا أوثقوني بسبعة أوطار طريفة لم تجفّ، فأضعف وأصير كواحد من الناس. فدفع إليها الأقطاب هذه الأوتار فشدته بها والكمين رابض عندها، وقالت دهمك الفلسطينيون يا شمشون، فقطع الأوتار كما يقطع خيط المشاقه إذا شيط بالنار، وعادت تتدلل عليه وتعتبه لأنه كذبها الحديث فقال لها إن أوثقوني بحبال جديدة لم تُستعمل قطّ فإني أضعف. فشدته كذلك، وصاحت دهمك

الفلسطينيون يا شمشون والكمين رابض، فقطع الحبال كما يقطع الحيط. فقالت إلى متى تخدعني وتكذبني؟ فأخبرني بما توثق؟ فقال: أوثق إذا ضُفِرَت سبع خصل رأسي مع السدى (ما مدُّ من خيوط النسيج وهو خلاف لحمته). فشُدَّتْ خصل شعره بالسدى ومكنتها بالوتد وقالت كالأول فاستيقظ من نومه وقلع وتد النسيج والسدى. وعادت تضايقه وتضاجره كل يوم فضاعت نفسه وكاشفها بسرّه قائلاً لم يعمل موسى رأسي لأنني نذير للرب من بطن أُمي، فإن لحِقَ رأسي فارقتني قوّتي. ورأت أنه كاشفها بما في قلبه فدعت اقْطاب الفلسطينيين وأضجعتة على ركبتيها، ودعت رجلاً فحلق سبع خصل رأسه. وصاحت دهمك الفلسطينيون يا شمشون فاستيقظ من نومه وقال أخرج كما كنت أصنع كل مرة وأنتفض وهو لا يعلم أنّ الرب فارقه لإخلافه نذره، ووثب الفلسطينيون الكامنون فقبضوا عليه وفقوا عينيه وشدّوه بسلسلتين من نحاس، ونزلوا به إلى غزة وكان يطحن في السجن. ولا نحتاج إلى إخبار قومنا بما أعلم تومسن الانكليزي قومه بالإرحاء التي تدار باليد، ووضع صورة إمرأتين تديران رحى فإنّ هذه الإرحاء ما برحت في كثير من قرانا وهي المعروفة بالجاروشة.

وقد حان أوان الأخذ بالثأر فإنّ شعر شمشون أخذ يطول، واجتمع أقْطاب الفلسطينيين ليدبحوا ذبيحة لداجون معبودهم. وأتوا بشمشون ليلعب أمامهم فأثى ولعب وأقاموه بين العمود. فقال للصبي الآخذ بيده دعني المس العمود القائم عليها البيت حتى اتكئ عليها. وكان البيت غاصاً بالرجال والنساء وفوق السطح نحو ثلاثة آلاف منهم يتفرجون على شمشون وهو يلعب. فصلّى إلى الله صلوة خاشعة وقبض على العمودين اللذين في الوسط القائم عليهما البيت واتكأ عليهما آخذاً أحدهما يمينه والآخر بشماله وقال: لثمت نفسي مع الفلسطينيين، وانحنى بشدّة فسقط البيت على الأقطاب وجميع من فيه، فكان الموتى الذين قتلهم في موته أكثر من الذين قتلهم في حياته. ونزل لإخوته وأهله فحملوه ودفنوه بين صرعة واشتاوول في قبر منوح أبيه وكان قد تولّى القضاء على اسرائيل عشرين سنة.

وأصحّ تفسير للآيات المنبئة بسقوط البناء على شمشون والفلسطينيين هو ما ذكره العالم ستارك في مقالته في غزة وشاطئ فلسطين حيث قال ما ملّخصه إنّ الملعب لم يكن هيكلاً داجون نفسه بل أروقة بجانيه قائمة على أعمدة يتخللها عرصة تجتمع الناس فيها وعلى أسطحها الأروقة المستوية. فيتيسّر للشهّد رؤية

اللاعبين. ويصل بين الأعمدة المتقاربة جذوع من خشب فزعزعة عمودين منها أدت الى إنقياض البناء كله فمات من كان تحته ومن كان فوقه. ويظهر أن شمشون صنع ذلك بالقوة غير العادية التي حباه الله بها وكانت عاودته بعد أن طال شعره. وقد أراد الله ذلك انتقاماً من الفلسطينيين الذين كانوا يضطهدون شعبه فجعل شمشون ينتقم منهم في حياته وعند مماته. ورأى بعض الآباء والعلماء أنه يمكن تبرئة شمشون من الإثم، فهو كان قاضياً وحاكماً ومدافعاً عن بني اسرائيل، فكان له أن يتعمد مضرة اعدائهم ونفع قومه ولو بتعريض نفسه للموت كما فعل ويفعل كثير من الملوك وقواد الجيوش، ياقتحامهم بأنفسهم حومة الوغى.

وقد وجد العالم كاران مدفن شمشون اذ قال (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٢٤): إنه بينما كان في قرية عتاب القريبة من صرعة أخبره بعض سكانها أنه يوجد محلّ على مقربة من صرعة وعرطوف يسمى خربة عسلين. وأنّ ثمة معبداً تسميه العامة ولي شيخ غريب وأنهم يسمونه قبر شمشون. ويعتقدونه كذلك. وقال ذكّرني هذه الأخبار أنّ شمشون بعد أن مات تحت الردم في غرة حمله اخوته، ودفنوه في مدفن ابيه منوح بين صرعة واشتاوول. وقال لي سكان بيت عتاب: إنّ القرية المسماة الآن أشوع كانت تسمى قديماً اشوعال أو اشتوعال. فرأيت أنّ هذه الا اشتاوول التي ذكرها الكتاب وصرعه معاً والمدفن بينهما. وقد شخصت الى خربة عسلين وعانيت مقام ولي شيخ غريب، وهو الآن معبد للإسلام وقد يكون المعبد بُني فوق المدفن. ولما كانت خربة عسلين واقعة بين صرعة جنوباً وبين اشوعال أي اشتاوول في الشرق الشمالي رأيت أنّ المحل المسقى الآن ولي شيخ غريب هو مدفن شمشون. ويؤيد ذلك أنّ الربّي اسحق كالمو الذي جال في فلسطين سنة ١٣٣٣م قال في مقالته الموسومة بطرق اورشليم: «ومن اورشليم الى صرعة وطن شمشون... والسكان يدلّون هناك على مدفن شمشون وهو أثر قديم مزين بفك الحمار الذي قتل به الفلسطينيون». والحاصل أنّ مواقع هذه المحال المطابقة لنص الكتاب والتقليد الذي حفظه سكان تلك الناحية، وما رواه الربّي اسحق المذكور، جعلت كاران يرى أنّ هناك مدفن شمشون وأبيه منوح، وتبعه في ذلك الاب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٧٠) ذاكراً كلام كاران برمته وجميع هذه الأماكن واقعة بين الرملة واورشليم حيث الخط الحديدي الآن.

أحداث داخلية في مدة القضاة

قد ذُيِّل كاتب سفر القضاة سفره بخبر حدثين ذكرهما في الفصول الأخيرة منه، فهما مقدمان حدثاً وإن تأخرا وضعاً أولهما أنّ رجلاً من جبل افرائيم اسمه ميخا أخذ ألف ومئة مثقال فضة من أمه فردّها عليها؛ فأخذت أمه مئتي مثقال منها ودفعتهما إلى الصائغ فعملها صنماً منقوشاً، وكُرِّس ميخا يد أحد بنيهِ فصار له كاهناً، ثم أخذ لاويّاً فكرِّس يده وجعله كاهناً له. وكان بنو دان أرسلوا رجلاً ليجسّوا الأرض، ويوسعوا ميراثهم، فباتوا في بيت ميخا وعرفوا الفتى اللاوي. ولما أتوا برجالهم للإستيلاء على لايش التي سموها دان (تل القاضي الآن) أخذوا اللاوي والصنم ونصبوه في مدينتهم الجديدة، وعبدوه لإكتفاء به عن بيت الله في شيلو (سيلون).

والحدث الثاني أنّ رجلاً لاويّاً من جبل افرائيم اتّخذ امرأة من بيت لحم يهودا فتركته وعادت إلى أهلها. فسار في طلبها وعاد بها إلى بيته وأغربت الشمس عليهما عند ييوس (أورشليم)، ولم يُرد المبيت فيها لأنّ أهلها من الكنعانيين. وتقدّما إلى جبع وهي المعروفة الآن بتل الفول على بعد ميلين ونصف شمالاً من اورشليم على ما رجّح كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ١٩٢) سنداً إلى شهادة يوسيفوس وحجج روبينسون. ودخل الرجل وامرأته بيتاً ليبيتا فيه فاختطف قوم اشارار المرأة، وفجروا بها حتى أدّى إلى موتها. فحملها رجلها على حماره إلى مكانه وقطّعها مع عظامها اثنتي عشرة قطعة، ووزعها في جميع تخوم إسرائيل. فاستفزع بنو اسرائيل هذا الصنيع وأثتمروا، وخرج أربع مئة ألف من كل أسباط اسرائيل يطلب الجانين ليقتصّوا منهم بقتلهم. ويصرفوا الشرّ والعار عن بني اسرائيل. فأبى بنو بنيامين أن يسمعوا لمقال اخوتهم، فحاربهم بنو اسرائيل فقتل من بني اسرائيل اثنان وعشرون ألف رجل.

فخشعوا إلى الرب وصاموا وعادوا إلى الحرب مع آل بنيامين. فقتلوا منهم خمسة وعشرين ألفاً. وارتدوا إلى الناس الذين في المدينة فقتلوه، واحرقوا مدنهم بالنار. وحلفوا بأن لا يزوّج رجل منهم ابنته لأحد من بني بنيامين، ثم ندموا على قرضهم سبطاً من اسباط اسرائيل، ولم يكن باقياً من سبط بنيامين، إلا ست مئة

رجل فزّوا واختفوا في صخرة الرّمون وهي رومان الآن في شرقي بيت اين (اعلام الاماكن). ولما لم يجدوا احداً من أهل ياييش جلعاد (السلط) عاونهم على بنيامين سيّروا إليها إثني عشر ألفاً فقتلوا الرجال والنساء، وآستبقوا اربع مئة صبيّة اشخصوهنّ الى شيلو، واستدعوا البنيامينيين فصالحوهم وأزوجههم هؤلاء البنات. وبقي مئتان منهم، فأرسلوهم عند خروج البنات الى الرقص في عيد سنوي في شيلو فكمّنوا في الكروم، وخطفوا مئتي بنت من شيلو وتزوجوا بهنّ وقالوا لا يكون اهلهنّ أخلفوا يمينهم لأنهم لم يعطوهم إياهنّ طوعاً. فهذا مثال لما كان عليه بنو إسرائيل في تلك الأيام من الهمجيّة.

كانت راعوت الموابية في عهد القضاة أيضاً على أنّ الكتاب أفرد لها سفرأ مخصوصاً فنذكر خبرها في العدد التالي.

الفصل الحادي عشر

راعوت وعالي الخبر وصموئيل النبي

عد ٢٣٩

راعوت الموابية

قد أنبأنا الكتاب بأخبار راعوت في السفر المنسوب إليها متضمناً أربعة فصول فقط؛ وموضوع هذا السفر بيان نسب داود، أصل السلالة الملكية التي ولد منها المخلص. وهذا النسب لم يذكر في سفر الملوك بل ذكر في هذا السفر في الفصل الرابع منه من عد ١٨ إلى عد ٢٢ قال الأب فيكورو (الموجز الكتابي عد ١٦٠): «إنّ هذا النسب غير كامل إذ لم يذكر به من فارص بن يهوذا إلى داود إلا عشرة آباء. وهذا العدد غير كافٍ لمُدّة ستة أو ثمانية قرون على أنّ الكاتب أراد أن يذكر أخصّ أجداد داود فقط وأن يثبت أنّه من أصل يهوذا بن يعقوب».

وقد جاء في الفصل الأول من بشارة متى أن عدد هولاء الآباء من فارص بن يهوذا الذي نزل مع أبيه إلى مصر إلى سلمون الذي تزوج براحاب إنما هو سبعة كما في سفر راعوت أيضاً. وعدد السبعة الآباء في مدة عبودية بني إسرائيل في مصر وهي أربع مئة سنة، ومدة إقامتهم في البرية وهي أربعون سنة هو كاف لهذه المدة التي مجموعها أربع مئة وسبعون سنة. ولكن العدد الذي ذكر في بشارة متى وسفر راعوت وهو أن سلمون ولد بوغر الذي تزوج براعوت. وولد منها عوبيد وعوبيد ولد يسي، ويسى ولد داود. هو غير كاف لمدة القضاة والمدة ملك شاول أربعين سنة فإن كان حذف من أسماء هولاء الآباء فيكون في هذه المدة من سلمون إلى داود إلا أن يقال: إن هولاء الآباء كانت أعمارهم طويلة أو أن يقال مع لانرمان: إن مدة القضاة كانت أقل مما جاء في كل التقاويم التي أذيعت حتى الآن. طالع ما ذكرناه في عد ٢٢٦ وقد كانت راعوت في مدة القضاة ولذا حسب بعضهم السفر المنسوب إليها ذيلًا وتتمة لسفر القضاة، ولكن لا يمكن أن يعين في مدة أي القضاة كانت الأحداث المحكى عنها في هذا السفر. فرجح بعضهم أن الجوع الذي استهل السفر بذكره كان في أيام تسلط المدينيين على بني إسرائيل أي في مدة جدعون. وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٥ ف ٩): بوغر الذي تزوج براعوت كان في أيام عالي الآتي ذكره. وكذا لا علم يقين لنا بمن كتب هذا السفر فنسق عباراته مخالف لنسق سفر القضاة وسفري الملوك الأولين. وعزاه كثير من العلماء إلى صموئيل، وقال غيرهم: إن حرقيا كتبه ولا حجة لهم في ما يدعون، والظاهر أنه دُون في أيام داود أو بعيد موته لاختتام النسب الوارد فيه بذكر هذا الملك.

وأما الأخبار الواردة في هذا السفر فهي أنه كان في أيام حكم القضاة جوع في أرض فلسطين. فهاجر رجل من بيت لحم يهوذا اسمه اليملك إلى أرض مواب هو وزوجته نعمة وابناه محلون، وكليون فتوفي اليملك. وأتخذ ابناه امرأتين موابيتين اسم الواحدة عرفة، واسم الأخرى راعوت، وأقاما هناك عشر سنين وماتا. فعزمت نعمة على العود لوطنها، ورافقتها كئيباها فسألتهما أن يبقيا في وطنهما بين أهليهما. وألحت نعمة عليهما فبكنا وأذعنت عرفة لسؤالها، وأما راعوت فأصبرت على مرافقة حمايتها حتى الموت. وقالت: حيثما ذهب أذهب، وحيثما بت أبت، شعبك شعبي والهك إلهي وحيثما تموتي أمت، وهناك أدفن وذهبنا كلتاها حتى دخلتا بيت لحم،

وكان لايملك ذو قرابة اسمه بوعز. فذهبت راعوت لتلقط سنابل من وراء الحصادين. واتفق أن كان قطعة أرض لبوعز وأن راعوت مضت إليها ولما أقبل بوعز سأل غلامه القائم على الحصادين لمن هذه الفتاة؟ فقال هي فتاة موابية رجعت مع نعى من أرض مواب. فقال لها بوعز لا تذهبي تلتقطي من حقل آخر، ولا تبرحي من ههنا ولاطفها وأثنى عليها بصنيعها مع حماتها، وأباحها أن تشرب من أوعيتهم، وتأكل من خبزهم، وتغمس لقماتها بالخل معهم. وقدم لها فريكة فأكلت وشبعت، واستبقت ما فضل معها وأعطت حماتها عند عودتها ما فضل عنها بعد شبعتها. وقالت لها حماتها: إن بوعز هو ذو قرابة لهم وأن تلازم حقله، وأن تغسل وتطيب وتلبس ثيابها وإذا رقد تعين مرقده وتكشف جهة رجله، وتضع فيخبرها بما تصنع ففعلت راعوت ما قالت حماتها.

وقلق بوعز عند انتصاف الليل فإذا بامرأة مضجعة عند رجله فسألها من هي؟ فقالت: أنا راعوت آمتك فابسط ذيل ثوبك لأنك ولي، فباركها وقال إنها فاضلة ونعم إنه ولي، لكن لها ولياً أقرب منه. وتركها تبث ليلتها، وقامت قبل أن يعرف الإنسان صاحبه. فكال لها ستة أكيال شعير وجعلها عليها، فعادت إلى حماتها فأخبرتها بما كان. ودخل بوعز المدينة وجلس على الباب فإذا الولي الذي تكلم عنه عابر، فدعا بعشرة رجال من أشياخ المدينة وقال للولي إن نعى باعت حصّة حقل اليملك أحيانا، فإن كنت تريد أن تفتك فافعل، وإلا فاخبرني لأنه ليس من يفتك غيرك وأنا بعدك. فقال أنا أفتك. فقال بوعز إنك يوم تشتري الحقل تأخذ راعوت امرأة الميت لتقيم اسمه على ميراثه، فقال الولي: إشتري أنت لنفسك، وخلع نعله وكذا كانت العادة في إسرائيل في أمر الفكك والمبادلة أن يخلع الرجل نعله ويدفعه لصاحبه. فاشهد بوعز جميع الشيوخ وجميع الحاضرين أنه اشتري جميع ما كان لايملك وابنيه، وأنه أخذ راعوت امرأة له فقال جميع القوم فليجعلها الرب كراجيل وليا. وأخذ بوعز راعوت فولدت له عوبيد وهو أبو يسي أبي داود، وقال كثير من المفسرين إن بوعز وراعوت لم يتركبا اثماً عند إضجاعهما جهة رجله.

عد ٢٤٠

عالي الخبر

إنَّ عالي كان من قضاة بني إسرائيل وبينما كان يلي قضاءهم في شيلو مركز الأمة حيث بيت الرب كان شمشون ينكل بالفلستينيين في جنوب البلاد، على أنَّ كاتب سفر القضاة أغفل ذكر عالي، وكاتب سفر الملوك الأولين المعروفين بسفري صموئيل لم يذكره إلَّا استطراداً في معرض ذكر أخبار صموئيل. ولم ينبئنا الكتاب أنَّه شهد حرباً أو خلَّص بني إسرائيل من عدو لهم كما فعل باراق وجدعون وغيرهما، بل إنَّه كان حبراً يعني بإتمام ما فُرض في السنَّة الموسوية. ويدعو إلى عبادة الله في خباء المحضر المنسوب في شيلو. ويفصل الدعاوى بين بني إسرائيل فكان حبراً وحاكماً معاً، وهو من ذرِّة هرون لكنَّه لم يكن من ولد اليعازر الذين لهم حق رئاسة الأخبار بل من ولد إيتامار بن هرون أيضاً. ولم يذكر الكتاب لِمَ أو متى أو كيف انتقلت رئاسة الأخبار من بني اليعازر إلى بني إيتامار، وقد استمرَّت فيهم إلى أيام سليمان، بل تبَيَّن منه أنَّ عالي كان فاضلاً غيوراً ورعاً لكنَّه كان ضعيفاً لا يتمالك كف ابنه حفني وفنحاس عن المساوي وانتهاك حرمة الهيكل، بل كان يعتبهما عتاباً رقيقاً يزيدهما تورطاً.

وكان الفلسطينيون ازدادوا جرأة وسطوا، ولم يقتصروا على مضايقة بني إسرائيل في الجنوب بل تطرق اعتداؤهم إلى من سكن منهم في وسط فلسطين وشمالها وإلى الفينيقيين أيضاً. فخرج بنو إسرائيل لقتالهم ونزلوا في الحقل الذي سمي بعد ذلك حجر النصر. ونزل الفلسطينيون في أفيق وقد جاء في معجم الكتاب ليفكروا ذكر قولين في حجر النصر وأفيق أولهما لكوندر وكارمون كانا قالا فيه إنَّ حجر النصر كان في محل دير أبان الآن بعيداً نحو ثلاثة أميال شرقاً عن عين شمس وهي بيت شمس القديمة، في شمالي بيت الجمال، وعليه فرجح أن أفيق كانت في الحقل المسمَّى الآن البلاد الفوقا على بعد نحو ستة كيلومترات في الجنوب الغربي من دير ابان. وثانيهما لبيرش وتوما شابلين. قال أولهما إنَّ حجر النصر كان في محل خربة صموئيل الآن على بعد ألف وست مئة متر جنوباً من الحقل المسمَّى النبي صموئيل في الشمال الغربي من اورشليم. وقال ثانيهما: إنَّ حجر النصر كان في محل بيت عكسه الآن. واتفق إثناهما أن أفيق كانت في محل

القسطل في غربي اورشليم وشرقي أبي غوش. ومهما يكن من أمر المكان فقد التحمت الحرب، وانهزم بنو إسرائيل من وجه الفلسطينيين وقتل منهم أربعة آلاف رجل. وعادوا إلى محلاتهم جزعين، فأرسلوا وحملوا تابوت عهد الرب من شيلو إلى معسكرهم. وسار معه حفني وفنحاس ابنا عالي، فأكثر بنو إسرائيل من الهتاف عند حلول التابوت بينهم، وأملوا النصر به على أعدائهم كما دُكت به أسوار أريحا أيام أجدادهم، لكنهم لم يشاكلوهم إيماناً وتكلاناً على الله، ولهذا خذلهم عند عودهم إلى محاربة الفلسطينيين. فانهزموا وتشتت شملهم، وهرب كل منهم إلى خيمته وقتل منهم ثلاثون ألف رجل، منهم حفني وفنحاس وأخذ تابوت عهد الله وجرى رجل إلى شيلو، وأذاع الخبر فيها فتعالى الضجيج وسمع عالي، وكان ابن ثمان وتسعين سنة فسقط عن الكرسي إلى خلفه فاندق عظم عنقه ومات. وكان قد تولى قضاء إسرائيل أربعين سنة كذا في النص العبراني، والترجمة اللاتينية العامة ولكن في السبعينية عشرين سنة. وكانت كُتته امرأة فنحاس حبلى وقد دنت أيام ولادتها، فلما سمعت أن التابوت أخذ وأن حماها وبعلها ماتا سقطت، وولدت وأشرفت على الموت. فقال لها من حولها لا تخافي قد ولدت غلاماً فلم تبجهم ولم تمل قلبها وسُتت الصبي إيكابور قائلة قد انتقل المجد عن إسرائيل. وقال يوسيفوس إن معنى الكلمة عار وذل، لكنّه رواها يواخاب أو يوكاب. (ملوك أوّل فصل ٤).

عد ٢٤١

ضربات الله الفلسطينيين لإمساكهم تابوت العهد واضطرارهم إلى ردّه

لم يحسب الفلسطينيون إنتصارهم على بني إسرائيل نصرة شعب على شعب فقط، بل وهموا أنّه انتصار داجون معبودهم على إله بني إسرائيل. فأخذوا تابوت العهد وأقاموه في هيكمل داجون في اشدود (اسدود) كأنّه ليسجد له. وكانوا يعتقدون داجون مصدر القوّة المولدة على نحو ما كان الكنعانيون مصدر هذه القوة في بعل. وقد دلّتنا الآثار القديمة أنّهم كانوا يصورون معبودهم هذا نصفه الأعلى بهيئة إنسان، ونصفه السفلي بهيئة سمكة تذكرة لأسفارهم البحرية. وقد اتّفقت في هذا أكثر التماثيل التي بلغت إلينا وإن اختلفت في بعض الأجزاء. ومن هذه التماثيل صفيحتان من فضة إحداهما في منضد بروسبر دوبرا في باريس، والثانية في متحف مكتبة الأمة هناك تمثلان إلهاً رأسه وذراعه بشرية، وسائر جسمه بهيئة

الدُّخَس (الدلفين) ويبد كل منهما سمكة، وكأنَّهما عائمان في تيار البحر. وقرينة داجون أو امرأته المسماة درغات تُصوَّر بهيئة امرأة وسمكة، ومن صورها كذلك التمثال الذي في متحف اللوفر في باريس. وقد شاء الله أن يخزي الفلسطينيين ومعبودهم، فإنَّه لما دخل الكهنة في الغد بيت داجون وجدوا تمثاله ملقى على وجهه على الأرض أمام تابوت الرب فردَّوه إلى موضعه.

وبكروا في صباح الغد فإذا بداجون ملقى على الأرض أمام التابوت ورأسه وكفَّاه مقطوعة عند إسكفة الباب وجثته وحدها في موضعها. قال الأب فيكورو (الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٣٩١) إنَّ في متحف اللوفر تمثالاً آشورياً نقل إليه من قصر سرغون يمثِّل داجون ساقطاً على وجهه ورأسه، مقطوع من عنقه ويدها محطمتان وأسفل جسمه الذي هو بهيئة سمكة باقي على سلامته.

ولم يكتف الله بإذلال داجون بل أنبأنا الكتاب أن قد «ثقلت يد الرب على الأشدوديين فدمَّرههم وضربهم بالبواسير في أشدود وتخومها». الكلمة العبرانية أفاليم المترجمة هنا بالبواسير تدل على شي مرتفع أو أكمة ولذا ذهب بعض المفسرين أنَّ المراد البواسير، وذهب غيرهم إلى أنَّ المراد نوع من الدمل أو الخراج. وسمى يوسفوس (تاريخ اليهود ك ٦ ف ١) هذا المرض دستريا والأظهر أنَّه البواسير. وروى هيرودت (ك ٢ من تاريخه ف ١٠٥) أنَّ التتر لما نهبوا هيكل أفروديط في عسقلان أصيبوا بمرض يستحي منه. فقال كثير من العلماء ما مصدر هذا التقليد الذي رواه هيرودت إلَّا المرض الذي أصاب الأشدوديين عند إمساحهم تابوت العهد. وجاءت في أكثر نسخ الترجمة السبعينية وفي اللاتينية العامة ذكر ضربة أخرى إذ قيل وهاجت القرى والصحارى في وسط أرضهم، وتولدت الفيران وحدث اضطراب موت شديد في المدينة. فهذه الآية يخلو عنها النص العبراني والترجمتان السريانية والعربية، على إنَّه جاء في النص العبراني (فصل ٦ عد ٥) أنَّ الأشدوديين صنعوا «خمسة بواير من ذهب، وخمس فيران من ذهب. فهذا مؤيَّد لرواية السبعينية واللاتينية ومثبت نزول هذه الضربة بالأشدوديين. وقد أضرت الفيران بزرعهم وأشجارهم فكان ذلك عقاباً آخر لهم ومدعاة لرُدِّهم تابوت الرب. وكثيراً ما تضرُّ الفيران في زروع فلسطين إلى اليوم. فحملت هذه الضربات أهل أشدود أن يستدعوا إليهم أقطاب الفلسطينيين ويستشيرهم في ما يفرج ضيقهم فقالوا: ننقل هذا التابوت إلى جت (ذكرين). وفعلوا فأصاب أهل جت ما أصاب الأشدوديين،

فصرخوا ونقلوه إلى عقرون (عافر) فأصابهم ما أصاب غيرهم، فأجمعوا على رده لئلا يقتلهم وشعبهم (ملوك ١ فصل ٥).

ودعا الفلسطينيون الكهان والعرافين ليخبروهم كيف يرسلون تابوت العهد إلى موضعه. فقالوا لا ترسلوه فارغاً بل أدوا له كفارة على عدد أقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب، وخمس فيران من ذهب، فتصوغون مثال بواسيركم، ومثال فيرانكم المفسدة لأرضكم، وتؤدون بذلك مجدداً لإله إسرائيل لعله يخفف يده عنكم وعن آلهتكم وأرضكم. واصنعوا عجلة جديدة، وخذوا بقرتين مرضعين لم يعلمها نير، وشدوا البقرتين إلى العجلة وردوا عجليهما إلى البيت، واجعلوا التابوت على العجلة وأدوات الذهب في صندوق بجانبه، وانظروا فإن صعدت البقرتان به في طريق تخومه جهة بيت شمس يكون هو الذي أنزل بنا هذا البلاء العظيم، وإلا علمنا إنما كان ذلك اتفاقاً.

ف فعل القوم كذلك فتوجهت البقرتان في سبيلهما على طريق بيت شمس وهما تخوران (تصيحان) في مسيرهما، ولم تملا يئنة ولا يسرة إلى أن وقفنا في حقل يشوع الذي من بيت شمس. فأتى بيت أهل شمس فرحين برؤية التابوت، وأنزل اللاويون التابوت عن العجلة والصندوق الذي فيه التماثيل الذهبية. وكان هناك صخر عظيم، فشققوا خشب العجلة وأصعدوا البقرتين محرقة للرب وقدموا ذبائح أخرى شكراً لله. وكانت مدة إقامة التابوت في أرض الفلسطينيين سبعة أشهر (ملوك ١ ف ٦). وقد مر أن بيت شمس الآن في شمالي بيت الجمال وفي الجنوب الغربي من قرية أبي غوش.

إن أهل بيت شمس انقصوا من الإحترام المفروض لتابوت عهد الرب. كأن من لم يكونوا كهنة منهم أو فتحوه لينظروا ما فيه دون تجلّة وإكرام. فسخط الرب عليهم وأمات بعضهم إذ قال الكتاب (ملوك ١ فصل ٦ عد ١٩): «ضرب الرب أهل بيت شمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب، وقتل من الشعب سبعين رجلاً وكانوا خمسين ألفاً» كذا في ترجمة الآباء اليسوعيين المطبوعة في بيروت وعليها فلا إشكال في الآية إذ يكون المعنى أنه اجتمع في بيت شمس عند حلول التابوت فيها خمسون ألف من الأنحاء المجاورة، ولما لم يبدوا التكريم المفروض له ضرب الرب سبعين رجلاً ممن كانوا منهم أكثر قحة. إلا أن النص العبراني: «وقتل

من الشعب سبعين رجلاً وخمسين ألف رجل». وفي الترجمة اللاتينية العامة: «ضرب الرب بعضاً من رجال بيت شمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب، وضرب من الشعب سبعين رجلاً وخمسين ألفاً من السفلة». وفي ترجمة الأميركان البيروتية: «وضرب من الشعب خمسين ألفاً رجل وسبعين رجلاً». ولذا أعضلت الآية المفسرين، وذهبوا في تفسيرها مذاهب أصبحها أن بعض النشاخ القدماء أغفلوا كلمة كانوا قبل قوله خمسين ألف رجل، ليكون صحيحاً قد جاءت الآية كما جاءت في ترجمة اليسوعيين، أو لأن النشاخ زادوا سهواً «خمسين ألف رجل» ولا أصل لها في النص. واحتج القائلون بهذا المذهب ومنهم كاييل الشهير بأن هذه العبارة ساقطة في كثير من النسخ المخطوطة العبرانية وبأن يوسيفوس لم يذكر إلا سبعين رجلاً، وبأنه لم يسمع في العبرانية ذكر عدد العقود قبل عدد الألوف فكان المتحتم أن يقال: خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً، وبأن حرف العطف ساقط من كلمة خمسين. ففاح الشعب لأن الرب ضربه هذه الضربة العظيمة. وأرسل أهل بيت شمس رسلاً إلى سكان قرية يعاريم ليأتوا ويصعدوا تابوت عهد الرب إلى قريتهم، فأتوا وأدخلوه بيت أبيناداب في الأكمة، وقدسوا يعازر ابنه لحراسة التابوت. واستمر التابوت عشرين سنة في قرية يعاريم التي يرجح كاران أنها المسماة الآن قرية العنب أو قرية أبي غوش على طريق المركبات من يافا إلى أورشليم وتبعد عشرة أميال عن أورشليم؛ معنى يعاريم الأشواك أو الغابات ويعرا ^{٢٤٢} السريانية التي تجمع ^{٢٤٣} (يعرين). معناها الأشواك فكأنه كان هناك قديماً غابات جعل محلها كروماً فسُميت قرية العنب.

عد ٢٤٢

مولد صموئيل وخدمته في هيكل الرب في شيلو

افتتح كاتب سفر الملوك كلامه بخبر مولد صموئيل، لكن عالي الخبر كان قبله بل كان صموئيل يخدمه في الهيكل. فقدّمنا خبر عالي وما كان في أيامه على ذكر صموئيل وإن أخره الكتاب وضعاً. فقد جاء في الفصل الأول من سفر الملوك الأول أنه كان رجل من الرامثائم صوفيم في جبل أفرائيم اسمه القانه مزوّجاً بامرأتين اسم إحداهما حنة، واسم الأخرى فننة. فرزقت فننة بنين ولم يكن لحنة ولد وكانت ضربتها تغضبها معنتة لها لذلك. وكانت حنة مكتئبة النفس، وكان زوجها

يشخص كل سنة من مدينته إلى شيلو ليسجد للرب مع امرأته. فصلت حنة إلى الرب، وبكت ونذرت أنها إن رزقها الرب ابناً جعلته نذيراً لله كل أيام حياته، ولا يعلو رأسه موسى، فاستجابها الرب وحملت وولدت ابناً دعتة صموئيل، ومعناه الملتمس أو المسؤول من الرب أو سمع الرب. وبعد فطامه جاءت أمه به إلى هيكل الرب في شيلو فكان يخدم عالي فيه. وليس المراد بالفطام كفه عن الرضاع بل المراد به إستغناؤه عن أمه، فإن العادة في فلسطين فطام الأولاد في السنة الثالثة بعد مولدهم. فترى أم المكايين تقول لأصغر أبنائها (مكايين ٢ فصل ٧. عد ٢٧): «يا بني ارحمني أنا التي حملتك في جوفي تسعة أشهر وأرضعتك ثلاث سنين». والّا لكان صموئيل وقرأ على عالي لا خادماً في بيت الرب. وقدمت حنة ذبيحة للرب عند تقدمة ابنها لخدمة بيته. وفاهت بتسبحة بليغة أشبه بتسبحة العذراء بعد تجسّد الخلص بها وهي مثبتة في الفصل الثاني من سفر الملوك الأول. وكانت أمه تنسج له كل سنة جبة صغيرة، وتأتيه بها عند صعودها إلى الهيكل. ودعا الرب ذات ليلة صموئيل، فظنّ عالي يدعوه فركض إليه وقال ليّك فأجابه عالي: لم أدعك يا بني إرجع فتم. فعاد ونام فدعاه الرب ثانية فهبّ إلى عالي فأجابه كالأول فمضى ونام. ثم دعاه الرب ثالثة، وانطلق إلى عالي ففهم عالي أنّ الرب هو الذي يدعو الصبي فقال له اذهب فتم! وإن دعاك أيضاً فقل: تكلم يا رب فإنّ عبدك يسمع، وكان كذلك فأعلمه الرب ما يحلّ بني إسرائيل وبعلي الخبر وابنيه حفني وفنحاس كما رأيته. ومن الصباح استنطقه عالي عمّا كلّمه الرب به فلم يكتمه شيئاً. وذاع خبر صموئيل، وعلم كل بني إسرائيل أنّ الرب ائتمنه نبياً. وكانوا يسمعون له واختاروه بعد موت عالي، وابنيه قاضياً في إسرائيل فكان آخر القضاة وأوّل الانبياء، وكان يقيم في الرامثائم صوفيم الآتي بيان موقعها.

أطال كاران الكلام وأجاده (مجلّد ١ في اليهودية صفحة ٣٦٣ إلى صفحة ٣٨٤) في بيان موقع الرامثائم صوفيم المسماة أحياناً الرامة. ومما قاله إنّ بعض العلماء ظنّ موقعها في جبل الفريديس في الجنوب الشرقي من بيت لحم على مسافة أربعة أميال. وحسبه بعضهم في محل صوبا الآن في غربي أورشليم على بعد ستة أميال عنها، واسندوه إلى تقارب الحروف في اسمي صوبا وصوفيم. وقال آخرون إنّ موقعها كان في رام الله في شمالي أورشليم وغربي البيري، ثم حقّق أنّ موقعها كان في المحل المسمى الآن النبي صموئيل قائمة في الشمال الغربي من أورشليم

على الطريق القديم المؤدي من يافا إلى أورشليم، مثبتاً ذلك بانطباق آيات عديدة من الكتاب على هذا الموقع، وبأن قرية النبي صموئيل قائمة على أكميتين تصدق عليها تسمية الرامثائم أي الرامتين، والرامة المحل المرتفع وإن كلمة صوفيم مشعرة بنسبة هذا المحل إلى صموئيل إذ ذكر الكتاب أحد جدود صموئيل يسمى صوف بقوله في أبيه القانة إله: «ابن يروحام بن اليهو بن توحو بن صوف» فضلاً عن تسمية المحل باسمه منذ زمان لا يعرف بدؤه.

عد ٢٤٣

الأسفار المنسوبة إلى صموئيل

إنَّ الأسفار الأربعة التي نسميها أسفار الملوك ليست من قلم كاتب واحد وإن كان موضوعها واحداً، بل إنَّ النص العبراني يسمى الأولين منها سفري صموئيل، والآخريين سفري الملوك. وكذلك نسميها نسختنا السريانية على أنَّ الترجمتين السبعينية واللاتينية العامة قسمتها إلى أربعة أسفار مغزوة إلى الملوك: فتغلبت تسميتها بأسفار الملوك، ولم تكن تسمية السفرين الأولين منها سفري صموئيل للقطع بأنَّ هذا النبي كتبهما، بل لأنَّ أخص مدار الكلام فيهما إنما هو على ميلاده، وقضائه في إسرائيل، ومسحه الملكين شاول وداود وسائر أعماله. ومع هذا قد أثبت يوسفوس وكثير من الآباء أنَّ صموئيل كتبهما إلاَّ أخبار الأحداث التي جرت بعد موته. وقال كثير من اليهود وعلماء هذا العصر إنَّ صموئيل دوَّن الأربعة والعشرين فصلاً من السفر الأول، وإنَّ النبيين جاد وناتان دوَّنا الباقي واحتجوا لقولهم بآية من سفر أخبار الأيام الأول (ف ٢٩ عد ٢٩) وهي: «وأخبار داود الملك الأولى والأخيرة مكتوبة في كلام صموئيل الرائي وناتان النبي وجاد الرائي». إلاَّ أن هذه الآية لا تثبت أنَّ صموئيل كتب السفرين المنسوبين إليه، ويمكن تخريجهما أنَّ كاتب سفر أخبار الأيام أراد بكلام صموئيل سفري الملوك الأولين بحسبما كان يسميهما العبرانيون، لا لأنَّ صموئيل كتبهما بل لأنَّ مدار كلامهما عليه، لاسيما لأنَّ الأحداث المحكى عنها في السفر الثاني جرت بعد موت صموئيل، وفي السفر الأوَّل نفسه آيات لا جرم إنَّها كتبت بعد الأحداث المنبقة بها، ولم يكتبها كاتب معاصر لها منها قوله: «وتولَّى صموئيل قضاء إسرائيل كلَّ أيام حياته» (ملوك ١ ف ٧ ع ١٥). وقوله: «لأنَّ الذي يقال له اليوم نبي كان يقال له من قبل رأي» (ملوك

١ ف ٩ ع ٩). وقوله «فلذلك صارت صقلاج ملوك يهوذا إلى اليوم» (ملوك ١ ف ٢٧ ع ٦). وعزا آخرون هذين السفرين إلى داود وغيرهم إلى أشعيا وأرميا وحزقيال، أو عزرا وليس لأصحاب كل هذه الأقوال بينة قاطعة عليها. والحاصل أنَّ الأمثل أن نقول إنَّ كاتبهما نكرة لم يعرف إلى الآن وكل ما يمكن ترجيحه إنما هو أنَّ السفرين كتبهما مريد موت سليمان في أيام راحبعام ابنه، وإنَّه لا مزية في أنَّ السفر الثاني لم يكتبه صموئيل لأنَّ ما انطوى عليه كان بعد وفاته، على أن كاتب السفرين الأولين هو غير كاتب السفرين الآخرين، وإن قال كثير من المدققين إنَّهما واحد. ويستدل على ذلك باختلاف النفس وطريقة الكتابة. فالسفران الأولان غاية في فصاحة اللغة العبرانية ونقاوتها في الألفاظ والأساليب الأعجمية. والسفران الآخران ينحطَّان لغةً عن الأولين ويمارجهما ألفاظ آرامية كلدانية. وكاتب الأولين صرف عنايته في تدوين أخبار الأشخاص وأطال العبارة، وكاتب الآخرين أوجز العبارة. وأهمل ذكر قرائن عديدة وصرف من العناية في تدوين أخبار الأحداث أكثر منها في تعريف الأشخاص وأنسابهم، ثم ترى في السفرين الآخرين ذكراً صريحاً لأسفار موسى وترى كاتبهما يستشهدا، ولا ترى مثل ذلك في السفرين الأولين إلى غير ذلك من الأدلة (ملخص عن الموجز الكتابي لفيكورو عد ٤٦٤ وما يليه).

عد ٢٤٤

محادبة بني إسرائيل للفلسطينيين وظفرهم بهم بإرشاد صموئيل

قد ضايق الفلسطينيون بني إسرائيل فاجتمع هولاء لدى صموئيل شاكين إليه ضيقهم وذأهم. فقال لهم إن كنتم تائبين إلى الرب من كل قلوبكم فأزِيلوا الإلهة الغريبة والعشتاروت من بينكم وأعدُّوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم. فأزالوها وعبدوا الرب وحده وقال أحشدوا كل إسرائيل إلى المصفاة فأصلي لأجلكم إلى الرب، فاجتمعوا ثمة واستقوا ماءً وصبوه أمام الرب. وكان هذا طريقة دينية دالة على توبة القلب، وإليها أشار أرميا في مرثيته بقوله (فصل ٢ عد ١٩): «أريقي كالماء قلبك قبالة وجه السيّد»، وصاموا في ذلك اليوم وأخذ صموئيل حملاً رضيعاً وأصعده بجملته محرقة للرب.

وعرف الفلسطينيون أنَّهم مجتمعون فلم يتم صموئيل المحرقة إلا وأقبل

اقتطابهم لمحاربة بني إسرائيل، فخاف هؤلاء وقالوا لصموئيل لا تكف عن الصراخ لأجلنا إلى الرب فارعد الرب بصوت عظيم على الفلسطينيين وزعجهم، فانهزموا من وجه إسرائيل. قال يوسيفوس (ك ٦ من تاريخ اليهود ف ٢) إنهم شعروا بالأرض تميد تحت أرجلهم، وكأنها تفتح فاهها لتبتلعهم. وأغشى على أبصارهم برق ورعد قاصف فشلت أيديهم عن حمل سلاحهم، فرموه وانهزموا، وإلى ذلك أشار يشوع بن سيراخ بقوله (ف ٤٦ عد ١٦ وما يليه): «صموئيل المحبوب عند الرب نبي الرب سن الملك، ومسح روساء شعبه قضى للجماعة بحسب شريعة الرب... دعا الرب القدير عندما كان أعداؤه يضيقون من كل جهة واصعد حملاً رضيعاً، فارعد الرب من السماء وبقصف عظيم اسمع صوته وحطم روساء الصوريين وجميع أقطاب فلسطين». فضر بهم بنو إسرائيل من المصفاة إلى ما تحت بيت كار فأخذ صموئيل حجراً ونصبه بين المصفاة والسن وسماه حجر النصر. وقال إلى ههنا نصرنا الرب. وسيأتي بيان موقع هذه الأماكن وانهزم بنو إسرائيل الفرصة فاستردوا المدن التي أخذها الفلسطينيون منهم من عقرون (عافر) إلى جت (ذكرين).

وروى لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ في بني إسرائيل) أن بني إسرائيل أجبروا الفلسطينيين يومئذ على إمضاء عهدة صلح أقروا لهم بها باستقلالهم بعد أن ضايقوهم أربعين سنة. واختصوا أنفسهم بالحق على إقامة مركز لجنودهم في جبعة، وأن لا يحمل من جاورهم من بني إسرائيل سلاحاً خشية الغدر بهم. وقال الكتاب: إن صموئيل كان يذهب في كل سنة ويطوف في بيت ايل والجلجال والمصفاة، ويقضي لإسرائيل في جميع تلك الأماكن ثم يأوب إلى بيته في الرامة، فلم يكن كباراق وجدعون ينقد شعبه من أعدائهم فقط بل كان أيضاً حاكماً فيهم، يفصل دعاويهم ويلي أمرهم ويضم كلمتهم وبذلك أعدهم لطريقة الحكم الملكية (ملوك ١ ف ٧).

أمّا المصفاة الآن فقد حقق كاران (مجلد ١ في اليهودية صفحة ٣٩٥ وما يليها) أن موقعها كان في محل قرية شعفات الآن في شمالي أورشليم على مقربة منها وفي الشرق الجنوبي من قرية النبي صموئيل. وقال روينسون إن المصفاة كانت في محل هذه القرية الأخيرة وإن الرامة كانت في صوبا (طالع عد ٢٤٢). وذكر الكتاب عدّة مدن أخرى باسم المصفاة أو مصفاة دون التحلية بال إحداها

في جلعاد (السلط)، والثانية في بلاد مواب في شرقي الأردن أيضاً، والثالثة في سفح لبنان في ناحية بانياس. والرابعة في نصيب سبط يهوذا. وأما بيت كار فالذي في كتاب الأعلام الكتانية أنه يحتمل ان كان موقعها في عين كارم وأما حجر النصر فقد ذكرنا موقعه في عد ٢٤٠ فطالعه هناك. قال الأب فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٣ صفحة ٤٠٣) لا ريب في أن الرامثائم صوفيم وطن صموئيل والمصفاة قرية يعريم (قرية أبي غوش) وجبعون لم تكن إحداها بعيدة عن الأخرى.

عد ٢٤٥

إلحاح بني إسرائيل على صموئيل أن يقيم لهم ملكاً

جاء في الكتاب (ملوك ١ ف ٨) ولما شاخ صموئيل قلد ابنه يوئيل وايبا قضاء إسرائيل، وكانا قاضيين في بئر سبع في طرف فلسطين الجنوبي. وروى يوسفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود ف ٣) أن صموئيل أمر ابنه أن يقيم أحدهما في بيت ايل، والثاني في بئر سبع ليقضي كل منهما لفريق من الشعب. وكذلك قال العالم كريتس الألماني في تاريخ اليهود. على أن الإبنين لم يسلكا في سبل أبيهما لكنهما مالا إلى الحرص، وقبلا الرشوة وحاييا في القضاء وذاع صنيعهما. فاجتمع شيوخ إسرائيل وأتوا الرامة (قرية النبي صموئيل) يشكون أمرهم إلى أبيهما، ويسألونه أن يقيم عليهم ملكاً كجميع الأمم، فساء هذا الكلام صموئيل فصلى إلى الرب، فأوحى إليه أن اسمع لكلام الشعب في جميع ما يقولونه، فإنهم لم يسأموك أنت وأما ساموني أنا في تولي عليهم، ولكن أشهد عليهم واخبرهم بسنن الملك الذي يملك عليهم. فبدل صموئيل قصارى جهده لكفهم عما يسألون فلم يدعنوا له، فذكر لهم كلمات الرب عما يصنعه الملوك الذين يستبدون فيهم قائلاً هذه سنة الملك الذي يملك عليكم يأخذ بنيكم، ويجعلهم لنفسه ولعجلته وفرسانه، فيركضون أمام عجلته. ويتخذ لنفسه رؤساء ألف ورؤساء خمسين، واکرة لحربه وحصاده وصناعاً لآلات حربه وأدوات عجلته. ويتخذ بناتكم عطارات وطباخات وخجارات. ويأخذ حقولكم وكرومكم وأفضل زيتونكم ويعطيها لعبيده. ويأخذ عشوراً من زرعكم وكرومكم ويعطيها لخصيانه وعبيده. ويأخذ عبيدكم وإماءكم وشبّانكم

الحسان وحميركم ويستعملهم في شغله. ويعشر ماشيتكم وأنتم تكونون له عبيداً فتصرون من ملككم الذي اخترتم لأنفسكم. فلا يجيبكم الرب فأبى الشعب أن يسمعا لصوت صموئيل وقالوا: كلا بل يملك علينا ملك كسائر الشعوب، فيقضي بيننا ويخرج أماننا ويحارب حروبنا. فتكلم صموئيل بكلام الشعب على مسامع الرب فأوحى إليه أن أسمع لصوتهم، وول عليهم ملكاً فقال لهم: إنصرفوا كل إلى مدينته ريثما أفكر بمن يكون ملكاً واجتمع بكم ثانية.

الفصل الثاني عشر

شاول وتمة أخبار صموئيل

عد ٢٤٦

تولية صموئيل شاول ملكاً على إسرائيل

قد أنبأنا الكتاب (ملوك ١ ف ٩ و ١٠) أنه كان رجلٌ من سبط بنيامين اسمه قيس، وكان له ابنٌ يسمى شاول لم يك في إسرائيل رجلٌ أحسن منه. وكان يزد طولاً على جميع الشعب من كتفه فما فوق. واتفق أن ضلَّت اتن لقيس فأرسل شاول ابنه وواحداً من غلمانه في طلبها فلم يجدها. فهم بالعود إلى أبيه، وكان مع غلامه على مقربة من الرامة موطن صموئيل. فقال الغلام: هوذا رجل الله في هذه المدينة، فهل بنا إليه لعلّه يدلنا على طريقنا التي نسلوها. فصعدا إلى المدينة، وفيما هما داخلان في وسطها إذا بصموئيل قد صادفهما، وهو خارج ليصعد إلى المشرف أي الأكمة التي كان بنى فيها مذبحاً. وكان الرب قد أوحى إليه قبل أن يأتيه شاول بيوم، وإن غداً في مثل هذه الساعة أرسل إليك رجلاً من أرض بنيامين، فامسحه قائداً على شعبي فيخلصهم. ولما رآه صموئيل قال له الرب هوذا الرجل، وقال شاول له أخبرني أين بيت الرائي؟ فأجابه صموئيل: أنا هو، وأنبأه أن الأتن التي خرج في طلبها قد وجدت، وقال لمن كل نفيس في إسرائيل إلا لك ولكل بيت أبيك، فقال شاول: أأست أنا بنياميناً من أصغر أسباط إسرائيل وعشيرتي أصغر

جميع عشائر سبطي؟ فكيف تقول لي مثل هذا الكلام؟ ودعاه صموئيل مع غلامه ليأكل معه في المشرف، واجلسهما في صدر المدعوين، وعاد معهما إلى المدينة، وباتا عنده.

ثم دعاه النبي باكرًا، وسارا معاً إلى طرف المدينة، فقال النبي له مَرِ الغلام أن يتقدّم ويمرّ أمامنا وقِفْ أنت فأسمعك كلام الله. وأخذ صموئيل قارورة الدهن وصبّ على رأسه وقبّله وقال إنّ الرب قد مسحك قائداً على ميراثه، وأطلقه منبهاً له بكل ما يلتقيه في طريقه، وبما يقال له، وإنّه يحلّ عليه روح الرب فيتنبأ مع الانبياء، وعندما حوّل منكبه لينصرف من عند صموئيل أبدل الله قلبه، ووقع له كل ما قاله النبي. وأقبل إلى الاكمة التي عيّنها له فإذا بجماعة من الانبياء قد استقبلوه، فحلّ عليه روح الله، فتنبأ بينهم ولمّا رآه كل من كان يعرفه قالوا أشاول أيضاً من الانبياء؟! فذهبت مثلاً. ولكلمة النبي في الكتاب معنيان: الأوّل النبي حقيقة وهو من يتجلّى الله له، ويكشف له عن أمور مستقبلية فينطق بها، والنبي بهذا المعنى مرادف للرأي وهو من يكشف الله له بالرؤيا عن أمور خفيّة. والمعنى الثاني المعلم والمنذر، فإنّ صموئيل أقام جمعيات يتفقه بها الشبان بما يتعلّق بسنة الله، والحض على حفظها ليندروا الشعب بكلمة الله ويحرّضوه على العمل بسنته. وكانت هذه الجمعيات تسمى مدارس الانبياء، وطلبتها يسهون انبياء أي معلّمين ومنذرين، ويُظنّ أنّه بهذا المعنى قيل في شاول أنّه تنبأ أي أخذ ينذر بكلام الله ويحضّ على العمل بسنته.

وكان صموئيل أوصى شاول أن يوافيه في اليوم السابع إلى المصفاة (شعقات). ففي ذلك اليوم دعا الشعب إليها، وخطب فيهم مذكّراً لهم بإحسان الله إليهم مذ كانوا في مصر، ورفضهم له وإلحاحهم أن يقام عليهم ملك، وأمرهم أن يقفوا أمام الرب على حسب أسباطهم وعشايرهم، لينتخب منهم ملكاً بإلقاء القرعة تنكّباً للغيرة والخلاف بينهم. فأصابت القرعة سبط بنيامين، ثم القى القرعة بين عشائره فوقع لعشيرة مطري ثم لشاول بن قيس. فطلبوه فلم يجدوه، وقد كان اختبأ بين الأمتعة، فهداهم الرب إليه فأسرعوا وأخذوه، ووقف بين الشعب، فإذا هو يزيد طولاً على الشعب كافة من كتفه فما فوق، فهتف الشعب كلّهم يحيى الملك. فكتب صموئيل السنن التي يلزم الملك أن يسير بها، وأخصّها أن يكون خاضعاً أبداً لشريعة الله عاملاً بمشورة الأحبار. ووضع ما كتبه أمام الرب كأنّه في تابوت العهد،

وصرف الشعب كل امرئ إلى منزله. وانصرف شاول إلى بيته في جبع وهي المسماة قديماً جبعة شاول أيضاً، والآن تل الفول على ما حقق كروس الألماني، وروينسون الإنكليزي وكاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ١٨٨)، أو هي جبعة الآن كما في أعلام الأماكن، وفي قول آخر لكاران وهي في الشمال الشرقي من أورشليم. ووافق من مس الله قلبهم شاول وازدراه بعض بني إسرائيل قائلين كيف يخلصنا هذا ولم يهدوا إليه الهدايا؟ فما أقدم في المشرق عادة تقديم الهدايا لمن حاز رتبة أو رُقي مقاماً بسبيل التهنة، ولم يكثر شاول بمن لم يريدوه بل تعامى عنهم كأله غير عالم بهم.

عد ٢٤٧

محاربة شاول لناحاش ملك العمونيين

لم يمض شهرٌ على انتخاب شاول ملكاً إلاَّ صعد ناحاش ملك العمونيين الذين كان قد ذلَّهم نفتاح، ونزل على يايش جلعاد وهي مدينة كانت لنصف سبط منشا في شرقي الأردن، ولعلها كانت في المحل المسمى اليوم وادي اليايس في ناحية السلط. وقال أوسايوس إنَّ موقعها كان في شرقي بحيرة طبرية (كتاب أعلام الأماكن). وضايق ناحاش أهل يايش فقالوا له إقطع لنا عهداً نخدمك، فأجابهم: إنَّه لا يقطع لهم عهداً إلاَّ أنَّه يقلع كل عين يميني لهم، ويجعل ذلك عاراً على جميع إسرائيل. فقال له شيوخ يايش أمهلنا سبعة أيام حتى ننفذ رسلاً إلى جميع تخوم إسرائيل، فإن لم يكن لنا مخلص خرجنا إليك لتقلع عيوننا. ووافى رسلهم إلى جبع مدينة شاول وقصُّوا ما كان لهم فرفع الشعب أصواتهم بالبكاء، واشتدَّ غضب شاول، وأخذ ثورين فقطعهما، وأنفذ رسلاً إلى جميع تخوم إسرائيل يقولون كل من لم يخرج وراء شاول وصموئيل هكذا يصنع بيقره. فهاج الشعب وخرجوا فكان عديدهم ثلاث مئة ألف رجل، ورجال يهوذا ثلاثين ألفاً، وروى يوسفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود ف ٦) أنَّهم كانوا سبع مئة ألف، ورجال يهوذا سبعين ألفاً وتلك مبالغة مخالفة لنص الكتاب. وقد خصَّ سبط يهوذا بالذكر لأنَّ بني يهوذا كانوا اعترلوا في مدَّة القضاة مشاركة سائر بني إسرائيل في حروبهم إلاَّ عندما قبضوا على شمشون وسلَّموه إلى الفلسطينيين. وأرسل شاول رسل يايش يقولون

لقومهم إله غداً يكون لهم خلاص عندما تحمي الشمس. وفرحوا وأرسلوا يقولون لبني عمون غداً نخرج إليكم فتصنعون بنا ما يحسن في عيونكم. ولم يكذبوا في ما قالوا بل أخفوا كيفية خروجهم إليهم كيلا يباغثوهم بالقتال، أمّا شاول فغير الأردن ليلاً ولما كان الغد رتب عسكره ثلاث فرق، ودخلوا في وسط المحلة عند هجيع الصبح، فقاتلوا بني عمون حتى حمي النهار، فتشتت من بقي منهم وتفرقوا شذر مزر، ووجد ناحاش ملكهم مجندلاً بين القتلى. وصموئيل كان معهم إذ قال الشعب له من الذي يقول أشاول يملك علينا؟ أخرجوا القوم لنقتلهم، فأبدى شاول حلمه ودرايته السياسية إذ قال لا يُقتل اليوم أحد لأنّ الرب أجرى فيه خلاصاً لإسرائيل. فانضم إليه مخالفوه. وقال صموئيل هلمّوا بنا إلى الجلجال (المسمّى الآن جلجول حذاء أريحا) لنجدّد هناك الملك فانطلقوا، وجدّدوا تملك شاول وذهبوا ذبائح سلامة أمام الرب، وفرح شاول وبنو إسرائيل أجمعون فرحاً عظيماً (ملوك ١ ف ١١).

عد ٢٤٨

محاربة شاول للفلسطينيين

إنّ شاول في السنة الثانية للملكه انتخب لنفسه ثلاثة آلاف رجل من بني إسرائيل ليكونوا جنوداً يقيمون عنده. وأقام منهم الفين في مكماش المسماة الآن مخماس على سبعة أميال من أورشليم شمالاً (كتاب اعلام الأماكن). وجعل ألفاً منهم تحت إمرة ابنه يوناثان في جبع بنيامين، وهي المسماة الآن جبعة في جوار مخماس على ما في كتاب اعلام الأماكن أو تل الفول على ما روينا انفاً عن كاران. وقد رأيت قبيله أن الفلسطينيين استبقوا لأنفسهم محرساً عسكرياً في جبعة، فضرب يوناثان رجال هذا المحرس. فهاج الفلسطينيين واجتمعوا لمحاربة بني إسرائيل، وكان لهم ثلاثون ألف مركبة، (وروى أكثر المدققين ثلاثة آلاف مركبة) وستة آلاف فارس، وشعب يشدّ عن العد، وصعدوا وعسكروا في مكماش (مخماس). فتولّى الرعب بني إسرائيل حتى اختبأ الجبناء منهم في المغاور والغياض والآبار، وجاز قوم منهم الأردن ليستأمنوا هناك. واجتمع بعض الشجعان مع شاول في الجلجال (جلجول)، وأقام ثمة شاول سبعة أيام ينتظر صموئيل بحسب مواعده ليقدم الذبائح

الله التماساً للظفر، فلم يأتِ وطفق الشعب يتفرق عن شاول، فأقدم على إصعاده المحرقة ولما فرغ من إصعادها إذا صموئيل قد أقبل، فخرج شاول للقائه فلامه النبي شديد اللوم على اختلاسه حق الكهنة بتقدمة الذبائح خلافاً للسنة، ولما افترضه النبي عليه بأمر الرب عند انتخابه قائلاً إِنَّكَ بحماقة فعلت إذ لم تحفظ وصية الرب، والآن لا يدوم ملكك لأن الرب اختار له رجلاً غيرك على وفق قلبه، فاعتذر له شاول بأنه رأى الشعب يتفرون عنه، وأنه هو لم يأت في أيام الميعاد، والفلسطينيون مجتمعون في مكماش، وصعد صموئيل من الجلجال إلى جبع بنيامين، وتبعه شاول ورجاله ولم يكن باقياً منهم إلا ست مئة رجل.

وخرجت ثلاث فرق من محلة الفلسطينيين يخربون في أرض اسرائيل. فأخذت فرقة منها في طريق عفرة. وهي المعروفة الآن بالطيبة في الشمال الصريح من مخماس. وفي الشمال الشرقي من بيت اين. وعلى خمسة عشر ميلاً من اورشليم شمالاً. وهي غير عفره موطن جدعون كما في كتاب اعلام الأماكن الكتابية وكما حقق كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٤٧)، وفرقة أخذت في طريق بيت حورون. وهي بيت اور العليا الآن في الشمال الغربي من اورشليم وفي الجنوب الغربي من رام الله. وفرقة أخذت في طريق التخيم المشرف على وادي صبوعين ناحية البرية. قال كاران (في المحل المار ذكره) إِنَّ وادي صبوعين لم يتحقق تعيينه إلى الآن، على أَنَّ الكلمة العبرانية صبوعيم معناها الضبع. وفي البرية الكائنة بين مخماس وأريحا محل يسمى الآن شق الضبع، وإن هو في العربية إلا ترجمة الكلمة العبرانية. ولما كانت الفرقة الأولى سارت شمالاً والثانية غرباً، فيظهر أَنَّ الثالثة سارت شرقاً نحو البرية المشار إليها. وأما في الجنوب فكان شاول ورجاله فلم يتوجه إليه الفلسطينيون. وقال اوسابيوس والقديس ايرونيموس إِنَّ صبوعين أو صبوعيم كانت على شاطئ بحيرة لوط غرباً. ولم يكن في أرض اسرائيل حدّاد منعهم من ذلك الفلسطينيون لئلا يعملوا سيفاً أو رمحاً، وكان يذهب كل امرئ منهم إلى الفلسطينيين ليحدّد سكته، ومنجله وفأسه ومعوله، ولما حان وقت الحرب لم يوجد سيف ولا رمح إلا في أيدي شاول ويوناثان ابنه.

وخرجت طلائع الفلسطينيين إلى معبر مكماش (مخماس)، فقال يوناثان ذات يوم لحامل سلاحه هلمّ نعبّر إلى محرس الفلسطينيين من غير أن يعلم أباه، وكان في

ذلك المعبر سن صخرة من هذه الجهة، وسن صخرة من تلك السن الواحدة من جهة الشمال مقابل مكماش، والأخرى في الجنوب مقابل جبع (جبعة). وقد كتب العالم كاران عند زيارته هذه الأماكن (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٦٤): «إنَّ وادي ماسوينيت الفاصل بين جبعة ومخماس هو عميق جداً، وكأنه عمودي في بعض محاله لا سيمًا نحو الشرق، وعلى جانبي الوادي أكمثان صخريَّتان إحداهما شمالية، والأخرى جنوية طبق ما نصَّ الكتاب». فعبر يوناثان بين صخور الأكمة الشمالية مع حامل سلاحه، وأظهرا أنفسهما لحرس الفلسطينيين، فقالوا هوذا العبرانيون خارجون من الحجرة التي اختبأوا فيها، وقالوا ليوناثان وغللامه: تعالينا إلينا نعلمكما أمراً وكان يوناثان قال للغلام إن قالوا قفًا حتى نصل اليكما وقفنا ثابتين، وإن قالوا إصعدا إلينا صعدنا، فيكون هذا علامة لنا أن الرب أسلمهم إلى أيدينا.

وصعد يوناثان على يديه ورجليه وحامل سلاحه وراءه، ووثبا على الحرس فكانت المقتلة الأولى التي عملها نحو عشرين رجلاً في نحو نصف تلم فدان أرض، أي في قدر نصف ما يحتره الفدان في نهار، فحلَّ الرعب في الحملة. وارتعد الحرس والمخربون أيضاً. قال يوسيفوس (ك ٦ من تاريخ اليهود) إنَّ يوناثان وغللامه إنصرفا من وجه الأعداء، وصعدا من محل آخر على صخر لم يكن عليه حرس فوجدوا الأعداء نائمين، فأعمالا السيف بهم فأخذوا يطرحون سلاحهم لينجوا بأنفسهم، وبعضهم يقتل بعضاً يظنهم أعداءً لأنَّ عسكرهم كان من أُمم مختلفة، وبعضهم كان يدفع بعضاً ويزحمة فأرًا فيقعون من على الصخور. وقال كريتس (في تاريخ اليهود) تولَّى الرعب الفلسطينيين لمهاجمتهم بغتة وهم على صخر عالٍ لا يتسنى لأحد الصعود إليه دون أن يجتاز في الحرس، فتوهَّموا أنَّ موجودات غير طبيعية تقاتلهم. ورأت طلائع عسكر شاول تشتت شمل الفلسطينيين، وافتقدوا من غاب من عندهم فإذا يوناثان وحامل سلاحه ليسا هناك. وأسرع شاول ومن معه إلى محل المعركة ومعهم تابوت العهد فإذا بسيف كل واحد على صاحبه وانضمَّ إلى عسكر شاول العبرانيون الذين كانوا مع الفلسطينيين خوفاً منهم. وظهر من كانوا اختبأوا في جبل أفراييم، وانضمُّوا إلى شاول حتى صار عسكره نحو عشرة آلاف رجل، فتتبعوا أثر الفلسطينيين يقتلون منهم. وقال شاول ملعون الرجل الذي يذوق طعاماً إلى المساء حتى أنتقم من أعدائي، فامتنع الشعب عن الأكل النهار كله. ومزوا في غاب كثُر فيه النحل والعسل حتى كان العسل يسيل على الأرض.

ولم يمدد أحدهم اليه يداً إلا يونانان فإنه مدَّ طرف عصاه، وغمسه في شهد العسل وردّها إلى فمه، ولم يكن عالماً بما حثَّم أبوه، فقال له رجلٌ إنَّ أباك حلفُ الشعب أن لا يذوق اليوم طعاماً، فلم يصوّب عمل أبيه، واعتذر عن عمله بجهله الأمر. واستمروا يطاردون الفلسطينيين من مكماش إلى أَيْالون وهي يالو الآن على ما روى كاران اسمها بالعربية. وأظنها يعلو كما في الخريطة الجغرافية العربية وهي في شرقي عمواص، وهو المحل الذي أوقف يشوع بن نون فيه الشمس عن المسير. وقد أعيا الشعب من كدِّه النهار كله دون قوت، فأخذوا بقرأ وغنماً وذبحوا على الأرض، وأكلوا بالدم فمنعهم شاول عن ذلك فدحرجوا صخرةً عظيمةً، وكانوا يذبحون عليها ويأكلون. وبنى شاول مذبحاً فكان أول مذبح بناه للرب، وأراد شاول أن ينزل وراء الفلسطينيين ليلاً فقال الكاهن لنسأل الله. فسأل شاول الله هل أنزل وراءهم وهل تدفعهم إلى يدي؟ فلم يجبه. وشعر بأنَّ الشعب اقترب إثماً، وحلف له أنه لو كان الإثم بابنه يونانان، ليموتن موتاً. واقترعوا فأصابته القرعة يونانان فسأله أبوه ماذا عملت؟ فقال إنه ذاق العسل برأس العصا. وأراد أبوه قتله مبرّةً ليمينه، ولكن أبى الشعب قتله لأنَّ الخلاص جرى على يده فلم يُقتل.

وحارب شاول كل من حوله من الموآبيين والعمونيين وملوك صوبا، (الراجح أنهم كانوا في سهول البقاع وبعليك)، وكان ظافراً حيث ما توجه، ولم يطرنا الكتاب بشيء من تفصيل أخبار هذه الحروب، وكان أبناء شاول يونانان ويشوي وملك يشوع، وله بنتان اسم الكبرى ميراب والصغرى مېكل، وكان أبنير بن نير عمّ شاول قائداً لجيوشه. وكان كل ما رأى رجلاً ذا بأس ضمّه إليه (ملوك ١ ف ١٤).

عد ٢٤٩

محادبة شاول للعمالقة

قد أنبأنا الكتاب (ملوك ١ ف ١٥): إنَّ صموئيل أتى إلى شاول قائلاً أنا الذي أرسلني الرب لأمسحك ملكاً على شعبه فاسمع الآن ما يقول الرب. قد إفتقدت ما صنع عماليق ببني إسرائيل وكيف وقفوا لهم في الطريق عند خروجهم من مصر، فهلم الآن، واضرب عماليق ولا تعفُ عن أحد منهم الرجال والنساء، وأبسل

بهائمهم أيضاً. وقد أبنا عند كلامنا في غزوة كدرا لعومر لسورية من هم العمالقة ومن ذرية من هم. فطالع عد ١٥٥. وقد مرّ في الكلام على القضية أنّ هؤلاء العمالقة شايعوا المدينيين. فضايقوا بني إسرائيل، وخلّصهم أهود ثم ناصروا المدينيين، فضايقوهم مرةً أخرى، ونجّاهم جدعون. ويظهر من كلام صموئيل للملكهم أجاج أنهم كانوا يسطون في أيامه على بني إسرائيل الساكنين في شرقي الأردن. ويقتلون بعضهم، فلهذا أمر الرب شاول أن يبدهم على آخرهم فجمع شاول رجالاً من بني إسرائيل، وأحصاهم فكانوا مئتي ألف راجل، وعشرة آلاف رجل من سبط يهوذا. وبالغ يوسفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود ف ٨) على عادته أن يزيد عددهم فقال كانوا أربع مئة ألف عدا ثلاثين ألفاً من سبط يهوذا.

وزحف شاول بعسكره إلى مدينة عماليق وكَمَنَ في الوادي، وأرسل يقول للقينيين ذوي قرابة يترو حمي موسى (الذين يظهر أنّ بعضهم توطّنوا بين العمالقة) أن يعتزلوا من بين العمالقة لئلا يهلكهم معهم، وهم قد صنعوا رحمةً إلى بني إسرائيل عند خروجهم من مصر. وضرب شاول بني عماليق من حويلة إلى آشور التي قبالة مصر، والمدينتان في بلاد العرب. وقتل كل من وجده بحدّ السيف، وأسر أجاج ملكهم وأبقاه حياً، وعفا أيضاً عن خيار الغنم والبقر، وكل سمين وكل ما كان جيداً، ولم ييسلوا إلا كل من كان حقيراً مهزولاً خلافاً لأمر الرب. قال يوسفوس (في المحل المشار إليه) إنّ شاول أباد بعضهم بالسلاح وبعضهم بمنعهم عن الزاد أو الماء حتى دوّخ بلادهم كلها. وعاد شاول ظافراً غانماً، وأقام نصباً لانتصاره على جبل الكرمل الذي في أملاك سبط يهوذا في المحل المعروف الآن بخربة الكرمل على عشرة أميال من الخليل جنوباً، كما ذكر أوسابيوس وإيرونيوموس، وحققه كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٦٦). فهناك أقام شاول نصب لانتصاره لا في الكرمل الذي على البحر المتوسط، ثم نزل إلى الجلجال (جلجلول) يقدّم محرقةً للرب.

فأوحى الرب إلى صموئيل أنه متسخطّ على شاول لأنه مال عن أتباعه، ولم يعمل بأمره أن يبید العمالقة وماشيتهم. فشق ذلك على صموئيل، وصرخ إلى الرب ليله كله، وبكّر للقاء شاول، فإذا هو يُصعّد محرقة للرب في الجلجال من خيار الغنيمة التي غنمها من عماليق. فالتقاه شاول قائلاً مبارك أنت إلى الرب إنني قد

أقمت كلامه. فقال صموئيل فما هو إذأ صوت الغنم والبقر الذي أنا سامع مع أن الرب أمرك بقرض عماليق وماله؟ فاعتذر بأن الشعب عفا عن خيار الغنم والبقر ليذهبوا للرب، وجئت بأجاج ملك عماليق وأبسلت العمالقة.

فقال له صموئيل: كنت حقيراً في عيني نفسك، فمسحك الرب ملكاً على إسرائيل. وقال لك إنطلق فافن العمالقة، فملت إلى الغنيمة وخالفت أمره. أترى الرب يُسّر بالحرقات كما يُسر بالطاعة لكلامه؟ إن الطاعة خير من الذبيحة، قد رذلت كلام الرب، فزدك من الملوك. فقال شاول قد خطيتُ لخوفي من الشعب فاغفر خطيئتي، وارجع معي لأستغفر الرب. فأجابه لا أرجع معك، وتحوّل لينصرف فأخذ شاول بطرف رداءه فأنشق، فقال له صموئيل: سيثق الرب مملكة إسرائيل عنك، ويدفعها إلى صاحبك الذي هو خير منك. فقال شاول: قد خطيتُ فاحفظ كرامتي أمام شيوخ الشعب وبني إسرائيل وارجع معي لأسجد للرب فرجع صموئيل وراء شاول، فسجد للرب ثم قال صموئيل هلمّ لي بأجاج ملك عماليق، فشخص أمامه مترفاً مرتعداً. فقال له صموئيل: كما أأكل سيفك النساء في إسرائيل تُنكل أمك بين النساء، وأمر بقتله في الجلجال. وانصرف صموئيل إلى الرامة وصعد شاول إلى بيته في جبع (جبعة). ولم يعد صموئيل يعاين شاول إلى يوم وفاته. وقد جاء في سفر الملوك نفسه (ملوك ١ فصل ١٩ ع ٢٤): إن شاول «تنبأ أمام صموئيل». وهذا يدلّ على أنّ قوله لم يعد صموئيل يعاين شاول إلى يوم وفاته، معناه أنه امتنع من زيارته لا من أن يراه مصادفة كما في الآية الثانية.

عد ٢٥٠

مسح صموئيل داود ليكون ملكاً موضع شاول

قد جاء في سفر الملوك (فصل ١٦) إن الرب قال لصموئيل إلى متى تنوح على شاول وأنا قد رذلته؟ فاملاً قرنك دهنأ، واذهب إلى يسى من بيت لحم لأنّي اخترت من بنيه ملكاً. فقال صموئيل إن سمع شاول يقتلني. فقال له الرب خذ معك عجلة، وقلّ إني جئت لأذبح للرب، وادعُ يسى إلى الذبيحة وأنا أعلمك ماذا تصنع؟ ومن تمسح؟ ففعل صموئيل، وأتى بيت لحم فاضطرب شيوخها وقالوا:

السلام قدومك؟ فقال أتيت أذبح للرب، فقدسوا أنفسكم، وتعالوا معي إلى الذبيحة. ويظهر من هذه الآيات وغيرها أنهم كانوا يومئذ يقدمون الذبائح مرات في غير خباء المحضر، وأتى يسى وأولاده إلى الذبيحة. ونظر صموئيل إلى ألياب أكبر أبناء يسى فقال: أمام الرب مسيحه؟ فقال له الرب لا تنظر إلى منظره، وطول قامته. فإن الإنسان إنما ينظر إلى العينين. وأما أنا فأنظر إلى القلب. وأجاز يسى أبناء السبعة وصموئيل يقول عن كل منهم لم يختره الرب ثم سأل يسى أهؤلاء جميع الغلمان؟ فأجابه: بقي الصغير وهو يرعى الغنم. فقال جئنا به. فأتى وكان أشقر حسن العينين وسيم المنظر. فقال له الرب هذا هو قم فامسحه. فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه، فحل روح الرب عليه من ذلك اليوم فصاعداً، وأمر صموئيل أن يبقى الأمر سرّاً مكتوماً.

أما شاول فمذ أعلمه النبي بانتزاع الملك منه فارقه روح الرب واعتراه داء المنخوليا^(٢). وكان أعوانه ينسبون داءه إلى روح شرير، وأشاروا إليه أن يستدعي رجلاً يحسن الضرب بالكنارة حتى إذا اعترته نوبة المرض فرّج كربته بضرب الكنارة فيستريح وينتعش. وهذه بعضهم (ربما كان بتلقين صموئيل) إلى داود بن يسى فأرسل إلى أبيه أن يبعث إليه به. فأخذ يسى حملاً حمل عليه خبيراً وزقاً خمر وجدياً من المعز، وأرسلها مع داود إلى شاول. ولما تمثّل أمامه أحجّه جداً وجعله حامل سلاحه. وكان إذا اعترى شاول الداء أخذ داود الكنارة، وضرب بيده فيستريح شاول وينتعش. هذا ما جاء في الفصل السادس عشر من سفر الملوك الأول، ولكن في الفصل السابع عشر منه (عد ٥٥ وما يليه): «وإذ رأى شاول داود حين خرج للقاء الفلسطيني، قال لأبنير رئيس جيشه ابن من هذا الغلام؟ فقال أبنير طُبّ نفساً أيها الملك إني لا أعرفه. فقال الملك: سَلْ إِبْنُ مَنْ هذا الفتى؟ فلما رجع داود من قتله الفلسطيني، أخذه أبنير وأدخله على شاول ورأس الفلسطيني بيده. فقال له شاول ابن من أنت يا فتى؟ فقال له داود: أنا ابن عبدك يسى من بيت لحم». فأكثر جاحدو الوحي من تعظيم هذه المعضلة، وقالوا إنها مستغلقة لا يُهتدى إلى وجه حلّها. وقال أحدهم فولتر:

(١) وهو اضطراب ملازم العقل تسببه شدة الغم والكلمة يونانية مركبة من مالان أي اسود وخولي أي مرّة لقولهم انه مسبب عن الخط المذكور أي المرّة السوداء.

«كيف جهل شاول من هو داود؟ وكيف خفي عليه ضارب كنارته وحامل سلاحه؟ فنحن لا نرى وجهاً لحل هذه المعضلة». على أنَّ الآباء القدماء والعلماء الחדثاء رأوا المسألة معضلة لكنهم لم يروها مستغلة بل إهتدوا إلى أوجه عديدة لحلها.

فقال بعضهم - ومنهم كريتس - في تاريخ اليهود أن صرع داود جليات كان قبل أن يستقدمه شاول ليُفَرِّج كربه بضرب كنارته، وقبل أن يجعله حامل سلاحه. لكن الكتاب قدّم وضعاً ذكر ما تأخر زماناً ولهذا أمثلة عديدة في الكتاب مرّ بنا ذكر بعضها. واحتجوا لقولهم بتسمية داود غلاماً وفتى عند قتله جليات كما رأيت آنفاً وتسميته «جبار بأس ورجل حرب حصيف الكلام». (ملوك ١ فصل ١٦ عد ١٨). عند استقدام شاول له إليه، وأيدوه بأنه جاء في الكتاب عن داود بعد صرعه جليات «وكان داود يضرب بيده كما كان يفعل كل يوم وكان في يد شاول رمح فأشرع شاول الرمح، وقال أخرق داود الحائط فتنحى داود من بين يديه مرتين» (ملوك ١ فصل ١٨ عد ١٠ و ١١). وأخبار قتله جليات ذُكرت في الفصل السابع عشر وقال هؤلاء أيضاً إنَّ كُتِبَ الأقدمين - وإن كانوا من الكُتَّاب الملهمين - ملأى من الإعادات ومن التقديم والتأخير في الوضع. فموسى مثلاً ذكر أبناء نوح أربع مرات في سفر التكوين (أي في فصل ٥ عد ٣٢ وفصل ٦ عد ١٠، وفصل ٩ عد ١٨، وفصل ١٠ عد ١). فإن صحَّ قول هؤلاء امتحنت كلُّ ضائلة وزال كلُّ إشكال.

وأما إذا كان استقدام شاول داود قبل قتله جليات كما هو ظاهر الكتاب، وعليه مشى أكثر الآباء والعلماء فلهم في حلّ المعضلة أوجه عديدة، نذكر بعضها. قال القديس أفرام جههد الكنيسة السريانية (في تفسيره سفر الملوك الأول مجلد ١ من كتبه السريانية المطبوعة في رومة صفحة ٣٧٠): «إنَّ شاول الملك كان يعرف راعي الغنم الذي من بيت لحم المعرفة الكافية. وكان قد قرّبه إليه، وجعله حامل سلاحه، وضارب كنارته على أنَّ شجاعة داود قد أذهلته وزادته اعتباراً بعينه. وكان وعد بأنه يزوّج ابنته بمن قهر جليات، فرام الإستقصاء الجهيد عن نسب من كان مزمعاً أن يصاهره كما يفعل كل أب فطِن صالح. ولذا كُلف أنبير بأن يسأل عنه وهذا أمر بديهي وعلى غاية من الصواب والسداد. ولعله أيضاً فكر أنه هو

الذي سوف يخلفه كما كان صموئيل قال له. وقال تاودوريطوس (في خطبته ٤٣ في سفر الملوك الأول): «كيف لم يعرف شاول داود؟ فيجواب بأحد أمرين إما أن الداء الذي كان يعتريه لم يكن يمكنه من عرفان من يضرب له بالكثارة، إما أن حسده له جعله يدقق بالإستقصاء عنه من أين هو وابن من هو؟» وقال كلمت (في معجم الكتاب في كلمة داود): إن داود كان ترك شاول من مدة فتبدل منظره وصوته وقامته. وكان يقوم أمامه بملايس ضارب الكثارة أو جندي يحمل سلاح الملك. فرآه عند محاربته جليات رجلاً بأثواب راعي غنم، فخفي عليه هذا وقد خلت أكثر نسخ الترجمة السبعينية عن الآيات المنبئة بسؤال شاول عن داود وإن وُجِدَتْ في بعضها وفي النص العبراني وغيره من الترجمات.

عد ٢٥١

قتل داود جليات الجبار

جاء في الفصل السابع عشر من سفر الملوك الأول أن الفلسطينيين جمعوا عساكرهم للحرب. ونزلوا بين سوكو وعزيقة واجتمع شاول ورجال إسرائيل، ونزلوا وادي البطمة وبين الجيشين الوادي. أما سوكو فهي خربة الشويكة اليوم على بعد سبعة أميال ونصف من بيت جبرين نحو أورشليم. وأما عزيقة فكان موقعها في دير العاشق أو في تل زكريا مصابة لخربة الشويكة. وأقرب منها إلى أورشليم (طالع عد ٢١٧). وأما وادي البطمة فهو في محل كلوني الآن وتسميه السبعينية وادي السنديان. قال ميشود (في مراسلات المشرق رسالته ٩٣ مجلد ٤): «قد عبرنا الوادي الذي انتقى منه داود الخمسة الحجارة الملس ليصرع بها خصمه فكان على جانبنا الجبل الذي كان عليه معسكر إسرائيل، وعلى جانبنا الآخر محلة الفلسطينيين. وقد بنى الصليبيون ثمة مدينة سموها كلونيا تذكرة لظفر داود وأطلالها باقية هناك» في المحل المسمى كلوني. ولما صاف القوم للقتال خرج مبارز من عسكر الفلسطينيين اسمه جليات من جت (ذكرين). وروى لانرمان (في تاريخه الشرقي مجلد ٦ في تاريخ العبرانيين) أنه من ذرية بني عناق الأقدمين. وقال الكتاب: كان طوله ست أذرع وشبراً وقدر كلمت (في تاريخ العهد القديم) أنها إثننا عشرة قدماً ونصف وعلى رأسه بيضة من نحاس. وكان لابساً درعاً حرسية

وزنها خمسة آلاف مثقال نحاس. أي سبعة آلاف وخمسة مئة درهم بحساب المثقال درهماً ونصفاً، عبارة عن ثماني عشرة أُنَّةً وثلاث مئة درهم. وعلى رجله ساقان من نحاس. وبين كَفَّيه مِزْراقٌ من نحاس، وقناة رمحه كنول الساج أي كالخشب التي يطوى عليها النسيج المعروفة بالمطوى، ووزن سنان رمحه ست مئة مثقال من حديد عبارة عن أَقْتَيْنِ ونِيف.

وروى يوسيفوس (ك ٦ في تاريخ اليهود فصل ١٠): إِنَّ طوله أربع أذرع وشبر وكان بين يديه رجل يحمل مجنبه، فوقف هذا ونادى صفوف إسرائيل لِمَ الحرب ووفرة إراقة الدماء؟ فأنا فلسطيني وأنتم عبيد شاول، فاختاروا رجلاً ينازلني فإن قتلني صرنا لكم عبيداً، وإن قتلته تصيرون أنتم لنا عبيداً. ولهذا مثلٌ في التواريخ القديمة واستمرَّ على ذلك أربعين يوماً، فارتاع شاول وبنو إسرائيل من هذا الكلام. وكان بين عسكر شاول ثلاثة من إخوة داود، فقال أبوهم لداود خذ إيفة مكّيال من هذا الفريك وهذه العشرة الرغفان، وامضْ لِنَقْدِ إِخْوَتِكَ فِي الْحَلَّةِ، فبكر داود ووَكَّلَ الْغَنَمَ إِلَى مَنْ يَحْفَظُهَا. وانطلق إلى المترسة وبينما هو يكلم إخوته إذا جليات خرج يكرر تقريره لبني إسرائيل. وسمع داود رجلاً يقولون من قتل هذا المبرز أغناه الملك وزوّجه إبنته. فقال: من عسى أن يكون هذا الفلسطيني الأقف، حتى يقرع صفوف الله الحي؟ وصرّح بعزمه أن ينازله فاستشاط أخوه ألياب غضباً عليه وقال له لماذا نزلتَ إلى هنا؟ وعند من خلّفت تلك الغنيمات في البرية، فانصرف داود إلى ناحية أخرى. وقال إنه ينزل جليات وبلغ شاول كلامه فاستحضره وقال إنه يحارب الفلسطيني. فقال له شاول لا طاقة لك بقتاله لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه. فأجابه داود كان عبدك يرعى غنم أبيه فقتل أسداً ودباً طرقا غنمه. وسيكون هذا الفلسطيني كأحدهما، وينقذني الرب هنا كما أنقذني هناك. وألبس شاول داود سلاحه. فلم يُحَيِّسِ الْحَرَكَةَ فِيهِ فَنَزَعَهُ عَنْهُ وَأَخَذَ عَصَاهُ بِيَدِهِ، وَانْتَقَى خَمْسَةَ حِجَارَةٍ مِلَسَ مِنَ الْوَادِي، وَوَضَعَهَا فِي كِنْفِ الرِّعَايَةِ (الْجَرَابِ) وَمَقْلَاعَهُ بِيَدِهِ، وَبَرَزَ لِلْفَلَسْطِينِيِّ فَاسْتَخَفَّ بِهِ وَقَالَ أَكَلْتُ أَنَا حَتَّى تَأْتِيَنِي بِالْعَصَا؟ تَعَالِ فَأَجْعَلْ لِحِمْلِكَ لَطِيرَ السَّمَاءِ وَوَحْشَ الْقَفْرِ، وَلَعَنَ دَاوُدَ بِآلِهَتِهِ. فَقَالَ لَهُ دَاوُدَ أَنْتَ تَأْتِيَنِي بِالسِّيفِ وَالرَّمْحِ وَالْمِزْرَاقِ، وَأَنَا آتِيكَ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي قَرَعْتَهُ. وَمَدَّ دَاوُدَ يَدَهُ إِلَى الْكِنْفِ، وَأَخَذَ مِنْهُ حِجْرًا قَذَفَهُ بِالْمَقْلَاعِ، فَانْغَرَزَ الْحِجْرُ فِي جَبْهَةِ الْفَلَسْطِينِيِّ فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ. وَأَسْرَعَ دَاوُدَ فَاخْتَرَطَ سَيْفَ الْفَلَسْطِينِيِّ مِنْ غَدَمِهِ، وَقَطَعَ رَأْسَهُ

به فتوَّى الرعب الفلسطينيين لما رأوا جثَّارهم صريعاً، وولَّوا الإِدبار منذعِرين متشتتين. فتعقبهم بنو إسرائيل يقتلون منهم إلى جت (ذكرين)؛ وإلى أبواب عقرون (عافر). ثم رجعوا عن مطاردتهم، وانتهبوا محلَّتهم وأخذ داود رأس الفلسطيني وجاء به إلى شاول ثم وضعه في أورشليم، ووضع عدته في خيمته ثم وضع السيف في بيت الرب كما يَنْضَح من فصل ٢١ عد ٩ في سفر الملوك الأول.

قد نذد الطبيعيون بالكتاب لقوله: إنَّ داود جاء برأس جليات إلى أورشليم مع أنه لم يفتح أورشليم إلَّا بعد أن قبض على زمام الملك كما في سفر الملوك الثاني (فصل ٥ عد ٩). وقد فاتهم أنَّ أورشليم كان يسكنها يومئذ بنو إسرائيل واليبوسيون معاً. والذي إفتتحه داود بعد تولَّيه الملك إنما هو حصن صهيون الذي سمَّاه مدينة داود كما هو بيِّن لكل ذي عينين يطالع ما استشهدوا به نفسه.

عد ٢٥٢

حصول النفرة بين شاول وداود

أحبَّ شاول داود أولاً وقَّبه إليه، وصافاه يوناثان بن شاول، وأخلص له في الدود، وقطع معه عهداً، ووهبه رداءه وسائر ثيابه وسيفه وقوسه ومنطقته. وكان داود يخرج حينما وجهه شاول ويتصرف بحكمة. وأحبه جميع الشعب ولا سيما عبيد شاول. فداخل شاول الحسد والغيرة وقد بلغه أنَّ النساء كنَّ عند رجوعهم من حرب الفلسطينيين يغنين قائلات قتل شاول ألوفه وداود ربواته. ووجس أن يكون داود خلفاً له بالملك بعد إنتزاعه منه كما هدَّده صموئيل. فعظمت شجونه، وتولَّته الكآبة، وعأوده مرضه، فاستدعى داود ليضرب له بالكثارة، وأشرع الرمح ليخرق داود به فتتخَّى داود من بين يديه مرتين، وأضمر قتله لكنه قال لا تكن يدي عليه بل يد الفلسطينيين، وأسمعه أنه يزوجه بميراب ابنته الكبرى بشرط أن يكون ذا بأس. ويحارب حروب الرب، فقال داود من أنا وما عشيرة أبي حتى أكون صهر الملك؟ وفي ميعاد إعطائه إياها زفَّها أبوها إلى غيره، وكانت ميكال أختها الصغرى تحب داود. فقال شاول أعطيها له فتكون له وهقاً ويقتله الفلسطينيون. ولذلك أرسل يقول لداود أن لا رغبة له في المهر لكنه يريد مئة قلفة من الفلسطينيين لإنتقاماً منهم. فذهب داود ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل، وجاء بقلفهم فغرضت على الملك بتمامها. وقد استطرق القدماء قطع قلف الأعداء، فجاء في كتاب

شمبوليون كاشف الكنوز الهيروكليفية. أنه وجد في قصر مدينة أبو في تاب (طبية) خطوطاً هيروكليفية مؤداها «أَنْ رؤساء العسكر المصري أقاموا الأسرى في حضرة الملك رمسيس الأول (قبل داود بقرون). فكان عددهم ثلاثة آلاف وعدد الأيدي المقطوعة ثلاثة آلاف وعدد القلف المقطوعة ثلاثة آلاف»، وعن خطوط أخرى هناك.

«وكان رئيس كل فرقة من الجنود يقدم حساب الأيدي اليمنى المزلومة من الأعداء في معمة القتال وعدد قلفهم». فزوجه شاول ميكال ابنته واستمر واجساً منه. بل كلّم ابنه يوناثان وغيره أن يقتلوه. فلم يكتّم يوناثان داود خبر سخط أبيه عليه، وحرّصه أن يحتفظ لنفسه ويختبئ. ثم كلّم أباه مذكراً إياه بفضل داود وأعماله الحسنة، وبفضاعة إثمه إذا أراق دمًا ذكياً إعتباطاً. فحلف شاول أنه لا يقتل داود، وأدخله يوناثان على أبيه فكان بين يديه كما كان قبلاً. وعادت الحرب مع الفلسطينيين، فضربهم داود ضربات عظيمة فهربوا من وجهه. ولم يأتنا الكتاب بتفصيل أخبار هذه الحرب بل أنبأنا أنّ شاول عاوده مرضه، وأتى داود يضرب له في الكثرة. فأشرع رمحه ثانية على داود ليخرقه فأخطأه الرمح، ونشب في الحائط ونجا داود تلك الليلة. فوجه شاول رسلاً ليقتلوه في بيته. فدلته امرأته ميكال من كوة وهرب ناجياً، وأتى صموئيل في الرامة. وأخبره بكل ما صنع به شاول، وانطلقا وأقاما بنايوت وهي محلة قريبة من الرامة، وتابعة لها كما يظهر من قول الكتاب التابع في نايت في الرامة. فأنفذ شاول رسلاً ليأخذوا داود، فأروا صموئيل في رأس جماعة الأنبياء وهم يتنبأون أي يندرون بحفظ سنة الرب. فتنبأ الرسل ايضاً أي جعلوا يتكلمون كأولئك الانبياء أي المعلمين وكذلك كان لمن أوفدهم شاول ثانياً وثالثاً. فانطلق شاول بنفسه ولماً دنا من مقام صموئيل وداود أصابه ما أصاب وفوده وزيادة. فإنه إنطرح عرياناً نهاره وليله أجمع إذ عاودته نوبة دائه شديدة حتى فقد رشده (ملوك ١ فصل ١٨ و ١٩).

عد ٢٥٣

هرب داود من وجه شاول وإتيانه ألى أحيملك الكاهن

قد هرب داود من نايت وأتى إلى يوناثان وقال له ما جرمني عند أليك حتى يريد قتلي؟ فأجابه يوناثان إنّ أباه لم يكشفه بشيء من هذا، ولم يعتد أن يكتمه ما يصنع. فقال له داود إنّ أباك يعلم وداك لي فلم يشأ أن يعلمك لئلا تحزن، ولكن

٢٥٣

ما كان يبغي وبين الموت إلّا خطوة، واتفقا أن يكشف يوناثان أباه في أمر داود يوم الإتكاء للطعام في رأس الشهر. وخرجا إلى الصحراء فعثنا محلاً يلتقيان فيه للنبا بما يكون. وفي اليوم الثاني من الشهر قال شاول ليوناثان لماذا لم يأت ابن يسي لا أمس ولا اليوم إلى الطعام؟ فأجاب يوناثان أنه قد استأذني ليمضي إلى بيت لحم لأنّ لعشيرتهم ذبيحة. فغضب شاول على يوناثان، وعيّر به بتعصبه له وقال ما دام ابن يسي حياً فلا تثبت أنت ولا مملكتك. فإتني به لأنه مستوجب الموت، فقال يوناثان أيّ سوء صنع؟ فأشرع أبوه الرمح ليطعنه به فقام يوناثان عن المائدة مغضباً وخرج إلى الحقل بحسب ميعاده لداود ومعه غلام صغير وسهام. وكان قد عاهد داود أن يرميها وإن قال لغلامه الأسهم خلفك فخذها كان خيراً لداود، فقبّل إليه وإن قال له: الأسهم أمامك كان شراً لداود فينصرف. فرمى يوناثان سهماً وأرسل الغلام يلتقطه وناداه السهم أمامك أعجل لا تقف، والتقط الغلام السهم وعاد إلى مولاه وهو لا يعلم شيئاً. وصرفه يوناثان بالسهم إلى المدينة. وقام داود من مخبئه وخرّ أمام يوناثان ثلاث مرّات لأنه ابن الملك، وقبّل كلّ منهما صاحبه وبكيا. وكان بكاء داود أشدّ. وجددا عهد الموالاة بينهما وبين ذريتهما. وعاد يوناثان إلى المدينة ومضى داود في طريقه.

وأتى داود إلى نوب وهي إما المسماة الآن بيت نوبا على ثمانية أميال شرقاً عن اللدّ، وأما المسماة بيت أنابه على ما روى كاران، وأظنها عنايني على ما في خريطة سورية. وهذه البلدة على أربعة أميال شرقاً عن اللدّ أيضاً (كاران مجلد ١ في اليهودية صفحة ٣١٥). وهي غير نوب أو نوبا التي في شرقي الأردن. وكان غرض داود من إتيانه إليها أن يرى أحيملك الكاهن، ويأخذ سيف جليات الذي كان وضعه في مقدس الرب في هذه المدينة الكهنوتية، فارتعد الكاهن حين رآه وحده. فقال له داود: إنّ الملك أمره بحاجة خفيّة. وأنه واعد غلماناً إلى موضع كذا. وسأله أن يعطيه خمسة أرغفة أو ما تيسّر فأجابه الكاهن أن ليس عنده خبز مباح إنّما عنده خبز مقدّس، ولا يباح تناوله إلّا لمن كان طاهراً. فهل الغلمان طاهرون؟ فأوجب داود ذلك فدفع إليه الخبر خبز الوجوه المرفوع من أمام الرب ليوضع خبز سخن في موضعه. وهذا ما استشهد به الخلص لإبكام الفريسيين عن تذمّرهم لفرك التلاميذ سنبلاً يوم السبت كما روى متى (فصل ١٢ عد ٣). وذكر أبياتار في بشارة مرقس (فصل ٢ عد ٢٥) موضع أحيملك إنّما هو سهو من النشاخ أو لأن

أبياتار هو ابن أحيملك وكان يعاونه في خدمته. وسأل داود الحبر أليس عندك ههنا رمح أو سيف؟ فقال إن ههنا سيف جليات الذي قتلته. فقال داود ومن لي بمثله عليّ به؟ وكان هناك وقتئذٍ دويج الأدومي كبير رعاة شاول. فأخبره ما كان بين داود وأحيملك، وكذا تسبّب قتل الكهنة وخراب نوب كما سترى (ملوك فصل ٢٠ و ٢١).

عد ٢٥٤

هرب داود إلى جت ومواب وقتل شاول كهنة نوب

وأنى داود أكيش ملك جت. وقد مرّ في مواضع عديدة أن موقع جت كان حيث ذكرين الآن على خمسة إلى سبعة أميال عن بيت جبرين في الشمال الغربي على ما رجّح كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ١٠٨). أو كان حيث تل الصافي الآن على مقربة من ذكرين شمالاً على ما في أعلام الأماكن الكتابية. ولما بلغ داود إلى جت عرفه بعض أهلها، فقالوا لملكها أليس هذا داود الذي كانت الإسرائيليات يغنين له قائلات قتل شاول ألوفه وداود ربواته؟ فخاف داود جداً وتظاهر بالجنون بين أيديهم. فقال أكيش أمن قلة المجانين عندي أتيتوني بهذا ليتجنّ بين يديّ. إن داود خاف جداً من أن شاول يقتله وصمم على الاختباء من وجهه، ورأى أن اختفائه في أرض الفلسطينيين آمن منه في أرض العبرانيين فلا الفلسطينيون يظنون أن الدّ أعدائهم، وقاتل جبارهم يختفي بين أظهرهم، ولا أحد من بني إسرائيل يخال له ذلك في بال ولما كشف أمره لم يكن له منجاة من الخطر إلا بتظاهره بالجنون. لأنّ قرائن الحال توجه عليه وتقضي بتصديقه به فلا يقدم على مثل عمله إلا من اختلّ عقله هذا ما رأيته أحسن أقوال المفسرين وأسدّها.

قد انصرف داود من جت وهرب إلى مغارة عدلام. وقال كثيرون إن هذه المغارة هي المعروفة الآن بخربة خريتون نسبة إلى القديس خريتون الذي نسك فيها. وهي على ثمانية أميال عن بيت لحم جنوباً بين جبل فريديس وتقوغ، والظاهر من كلام اوسايبوس إنّها كانت في أيامه قرية كبيرة على عشرة أميال من بيت جبرين شرقاً، وقد ترجم القديس ايرونيμος كلامه ولم يصلح به شيئاً فكأنه تابعه فيه. وقال آخرون إن مغارة عدلام كانت في جوار عين جدي. روى كاران (مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٣٥ وما يليها) هذه الأقوال ولم يصحح أو يُرجّح أحدها. ولما

سمع أخوة داود وجميع بيت أبيه أنه في عدلام نزلوا إليه، واجتمع إليه كل من كان في ضيق وعليه دين أو مرت نفسه فقام عليهم رئيساً وكانوا نحو أربع مئة رجل، فانطلق بهم داود إلى مصفاة مواب حيث كان ملك مواب فقال له داود ليقيم أبي وأمي عندكم حتى أنظر ما يصنع الله لي. وأرسل صموئيل جاد النبي إلى داود ليعود إلى أرض يهوذا فعاد ودخل غيضة حارث. وجاء في كتاب الأعلام الكتابية انها كانت في جبل الخليل على مقربة من القرية المسماة اليوم حلحول في شمالي الخليل. وسمع شاول ان داود قد ظهر هو والرجال الذين معه، فأخذ يؤتب آل بنيامين على ميلهم إلى داود وكتمانهم عليه معاهدة ابنه يوناثان له.

فقص عليه دويج الأدومي الذي كان في نوب عند مرور داود من هنالك ما صنعه احيملك لداود. وأنه دفع إليه سيف جليات الجبار، فأرسل شاول فدعا احيملك الخبر وجميع الكهنة الذين في نوب. وعنفهم على أنهم حالفوا داود وأعطوه خبزاً وسيفاً. فقال احيملك إنه لا يعلم هو والكهنة بقليل ولا كثير مما كان بين الملك وداود بل عهدوه صهره ومسرعاً في طاعته. وأمر الملك السعاة الواقفين بين يديه أن يعطفوا ويقتلوا كهنة الرب. فلم يمدد أحدهم إلى الكهنة يداً حرمة للرب. فأمر دويج الأدومي ان يقتلهم. فقتل منهم في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلاً. ثم ضرب نوب مدينتهم بحد السيف فأهلك الرجال والنساء الأطفال والماشية، ونجا ابن لاحيملك اسمه ايباتار وأتى إلى داود؛ وأخبره بما صنع شاول فأمنه داود قائلاً لا تخف لأن الذي يطلب نفسي هو الذي يطلب نفسك (ملوك ١ فصل ٢٢).

عد ٢٥٥

مطاردة شاول لداود وعفو داود عن قتله

قد نخب داود في مفره أن الفلسطينيين يحاربون عقيلة وينتهبون البيادر، وسأل الرب فأوحى إليه ان سر إليها وخلّص أهلها. فسار إليها برجاله وضرب الفلسطينيين ضربة عظيمة، واستاق مواشيهم وخلّص أهل عقيلة التي تسمى الآن كيلا على ستة أميال شرقاً من بيت جبرين (على ما روى كاران مجلد ٣ في اليهودية صفحة ٣٤٢)، وعلى ستة أميال غرباً من حلحول (على ما في كتاب الأعلام الكتابية).

فهني في وسط الطريق بين بيت جبرين وحلحول، وعلم شاول أن داود في عقيلة فظن أنه يظفر به لأنه داخل مدينة ذات أبواب واغلاق. وهم بالخروج إليه، وسأل داود الرب بواسطة ابياتار الكاهن، فاعلمه أن شاول يخرج إليه، وأن أهل عقيلة يسلمونه إلى يده فانصرف داود مع نحو من ست مئة رجل نحو البرية، وأقام في الجبل في برية زيف، فخرج شاول في طلبه. وأتى ابنه يوناثان إلى داود خفية وشدد يده بالله قائلًا: لا تخف لأن أبي لا يظفر بك وأنت تملك على إسرائيل، وأنا أكون لك ثانيًا. وتعهدا على ذلك وصعد سكان زيف إلى شاول، وتعهّدوا بأن يسلموا داود إلى يده. وعلم داود فانتقل إلى برية معون فتعقبه شاول. ولكن ورد إليه رسول يخبره أن الفلسطينيين انتشروا في الأرض فعاد عن لحاق داود إلى لقاء الفلسطينيين.

أما زيف فكان موقعها في المحل المسمّى اليوم تل زيف في الجنوب الشرقي من الخليل وفي الجنوب الغربي من بني نعيم. على أربعة أميال من الخليل (كاران مجلد ٣ في اليهودية صفحة ١٦٠ وكتاب الإعلام الكتابية). وأما معون فكانت في المحل المعروف الآن بتل معين في جنوبي زيف والخليل (كاران في المجلد المذكور صفحة ١٧١ وكتاب الإعلام). وشخص داود من معون إلى حصون عين جدي وهي المعروفة بهذا الاسم حتى اليوم في شرقي بحيرة لوط. ولما رجع شاول من وراء الفلسطينيين قبل له إن داود في عين جدي، فأخذ ثلاثة آلاف رجل منتخين وسار في طلبه، ودخل مغارة في طريقه لحاجة نفسه. وكان داود وأصحابه في باطنها فأغرى داود بعض أصحابه بقتل شاول قائلين هذا هو اليوم الذي قال لك الرب هاءنذا أدفع فيه عدوك إلى يدك فتصنع به ما حسن لك. فأبى إلا المخالفة لهم وزجرهم كي لا يمد أحد إليه يداً لكنه جاء من ورائه خفية وقطع طرف رداءه. ولما خرج سار داود ورائه ونادى يا سيدي الملك فالتفت شاول ونحو داود على وجهه ساجداً. وقال لماذا يصدّق مولاي من يقولون له إن داود يطلب أذاه فأليك بيته قاطعة أنه كان في يدي اليوم أن أقتلك في المغارة؟ وقد أشير عليّ بذلك، لكنني أشفقت وقلت لا أرفع يدي على مسيح الرب. فانظر يا أبي أنظر طرف ردائك في يدي، وكما قطعتك كان لي أن أقتلك وأنت تصيّد نفسي لتأخذها وراء من خرج ملك إسرائيل، ووراء من أنت مطارد وراء كلب ميّت وبرغوت واحد فليحكم الرب بيني وبينك. ولما سمع شاول صوت داود بكى وقال له: أنت أبو ميّ لأنك جزيتني خيراً وأنا جزيتك شراً، ولقد علمت الآن أنك ستصير ملكاً

فاحلف لي أنك لا تقرض ذريتي من بعدي. فحلف له فانصرف شاول إلى بيته وصعد داود وأصحابه إلى محال حصينة (ملوك ١ ف ٢٣ و ٢٤).

عد ٢٥٦

وفاة صموئيل

قد أنبأنا الكتاب (ملوك ١ ف ٢٥) أنّ صموئيل توفي فاجتمع جميع إسرائيل وناحوا عليه. قال يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ٦ ف ١٤): إنّ مناحة بني إسرائيل على صموئيل شملت جميعهم بل كان أسف كل منهم عليه أسف من فقد أقرب أقربائه، فقد تسامى بفضله وفضيلته وغيرته على سنة الرب وجدّه في إكساب بني إسرائيل مجداً. وتفرد باستقامة مسلكه، ونزاهة أمياله، وكفي مؤونة بيان كل ذلك ما قاله للشعب في محضر حافل عند إقامته شاول ملكاً وهو: «هأنذا فاشهدوا عليّ قدّام الرب وقدّام مسيحه ثور من أخذت أو حمار من أخذت أو من ظلمت، أو من ضغطت أو من يد من ارتشيت لأغضي عينيّ عنه. فارد لكم فقالوا: ما ظلمتنا ولا ضغطنا ولا أخذت من يد أحدنا شيئاً». (ملوك ١ ف ١٢ ع ٣ و ٤). وقد مرّ أنّه يرجّح أن يكون كتب سفر القضاة، وسفر راعوت ويحتمل أن يكون كتب من سفر الملوك الأوّل إلى الفصل الخامس والعشرين المنبئ بموته. ويحسب أوّل الانبياء أي الانبياء الذين كانوا في عهد ملوك بني إسرائيل إلى عودهم من سبي بابل، فإنّ موسى كان نبياً ودابورة نبية، وكانا قبله بل كان هو مؤسس مدرسة الانبياء كما يظهر من سفر الملوك الأوّل (ف ١٠ ع ٥ و ١٠). وكان لهذه المدرسة رئيس كما يتبيّن من هذا السفر (ف ١٩ ع ٢٠) وكانوا يسمّونه أباً (ملوك ١ ف ١٠ ع ١٢)، ومعلّماً (ملوك ٤ فصل ٢ عد ٣). وكانوا هم يسمّون أبناء الانبياء (ملوك ٤ فصل ٦ عد ١). وكانوا يعكفون على تسبيح الله (ملوك ١ فصل ١٠ عد ٥ وغيره). وكانت مواد دروسهم سنة الرب وطرائف الإنذار بها. والأظهر أنّ رئيسهم كان يمسح بالدهن المقدّس كما مسح اليشاع (ملوك ٣ فصل ١٩ عد ١٦). ولم يكن جميعهم انبياء حقيقة ينذرون بالمستقبلات، ولكن قد خرج من مدرستهم كثير من الانبياء وسائرهم علماء ومنذرون فقط (طالع عد ٢٤٦). وعليه فقد كان صموئيل أوّل من وضع طريقة

مئة وخمسون رجلاً، فليؤت لنا بثورين فيختاروا لهم ثوراً فيقطعوه ويجعلوه على الحطب ولا يضعوا ناراً، وأنا أيضاً أهبي الثور الآخر ولا أضع ناراً ثم تدعون أنتم باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب؛ والذي يجيب بنار فهو الإله، فقال جميع الشعب: الكلام حسن. واختار أنبياء البعل ثوراً وأعدّوه. ودعوا باسم البعل من الغداة إلى الظهر وهم يقولون: أيها البعل أجبننا فلم يكن من صوت، ولا مجيب وكانوا يرقصون حول المذبح.

فأخذ ايليا يسخر منهم قائلاً: اصرخوا بصوت أعلى لعلّه في محادثة أو في خلوة أو في سفر أو نائم فيستيقظ. وكانوا يصرخون بصوت عظيم، ويتخادشون على عادتهم بالسيوف والرماح حتى سالت دماؤهم عليهم. وفات الظهر وليس صوت ولا مجيب ولا مصغ. فقال ايليا لجميع الشعب أدنوا مني ليشاهدوا أنه لا يضع ناراً وأخذ إثني عشر حجراً على عدد أسباط إسرائيل وبناها مذبحاً. وجعل حول المذبح قناة ثم نضد الحطب. وقطع الثور ووضعوه على الحطب وقال: املأوا أربع جرار ماء وصبّوا على الحرقّة والحطب. وثبّوا وثلبوا ففعلوا حتى جرى الماء حول المذبح دائراً وامتلأت القناة أيضاً ماءً. فتقدّم ايليا وقال أيها الرب إله ابراهيم واسحق ويعقوب؛ ليعلم اليوم أنك إله إسرائيل وإني أنا عبدك وبأمرك فعلت كل هذه الأمور. فهبطت نار الرب وأكلت الحرقّة والحطب والحجارة والتراب، حتى لحست الماء الذي في القناة، فلمّا رأى ذلك جميع الشعب خزّوا على وجوههم وقالوا: الرب الإله، الرب هو الإله. فقال ايليا اقبضوا على أنبياء البعل ولا يفلت أحد منهم فقبضوا عليهم، فأنزلهم ايليا إلى نهر قيشون وذبحهم هناك بأمر الرب. وقيشون هو النهر المسمى اليوم المقطع الذي يصبّ في خليج حيفا في شمالها.

ثم قال ايليا لآحاب اصعد فكل واشرب فهوذا صوت دويّ مطر، فمضى آحاب ليأكل وصعد ايليا إلى رأس الكرمل وخرّ إلى الأرض. وأرسل خادمه يتطلّع نحو البحر سبع مرات فعاد في السابعة فقال: ها سحابة صغيرة طالعة من البحر فقال له: إذهب وقل لآحاب شدّ وانزل لئلا يمينعك المطر. واربّد الجو بالسحب وهبّت الرياح وجاء مطرٌ عظيم فركب آحاب وسار إلى يزرعيل. وشدّ ايليا متنيه وجرى أمام آحاب حتى وافى يزرعيل وهي زرعين الآن في ناحية جنين حيث مرج ابن عامر، بل سمي هذا السهل باسمها لأنّه يسمى صحراء يزرعيل. وكان آحاب

قد بنى ثمة قصراً كما سيجيئ وإن استمرت السامرة عاصمة ملكه (ملو ٣ ف ١٧
عد ١٨).

عد ٣٠٢

فرار ايليا من وجه ايزابل وأمر الرب له أن يمسح حزائيل
وياهو واليشاع

قصّ آحاب على ايزابل كلّ ما صنعه ايليا فاحتدمت غيظاً. وأرسلت رسولاً إلى
ايليا قاسمةً بآلهتها أنها ستجعل نفسه في مثل الساعة من غدٍ كنفس واحد من
الانبياء الذين قتلهم. فخاف ومضى على وجهه ووافى بئر سبع المسماة إلى اليوم
بهذا الاسم على ستة وعشرين ميلاً من الخليل جنوباً (كاران مجلد ٢ في اليهودية
صفحة ٢٨٣). وخلف غلامه هناك وتقدّم في البرية مسيرة يوم. فقائه ملاك برغيف
مليل، وجرة ماء وسار صائماً أربعين يوماً وأربعين ليلة إلى جبل حوريب. قال
كلمت في تفسير هذه الآية ليس المراد أنّ ايليا سار أربعين يوماً وأربعين ليلة حتي
انتهى إلى حوريب، فأنّ المسير من بئر سبع أو من البرية إلى حوريب لا يقضي كلّ
هذه المدة بل تضاف إلى الأربعين يوماً المدة التي قضاها النبي في حوريب، إلى أن
أكمل صومه أربعين يوماً. كما صام موسى قبل تنزيل السّنة عليه. وربما كان ايليا
في المغارة نفسها التي كان موسى فيها في جبل حوريب. والظاهر من كلام الآباء
والمفسرين أنّ ايليا لم يأكل شيئاً في مدة الأربعين يوماً كموسى الذي قال فيه
الكتاب (خروج فصل ٣٤ عد ٢٨): إنه «أقام هناك عند الرب أربعين يوماً وأربعين
ليلة لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماءً».

وتلك آية خارقة نظام الطبيعة لا يعجز عنها من هو على كل شيء قدير، ولا
يأنف من عملها من حبس المطر بكلمة ايليا ثلاث سنين، ومن أنزل بصلاته ناراً
فأكلت محرقة. ثم تراءى له الرب والمراد بمثل هذه الآيات ملاك الرب، وأمره أن
يعود في طريقه نحو بيرة دمشق، وأن يمسح حزائيل ملكاً على آرام. وياهو بن نمشى
ملكاً على إسرائيل. وأليشاع بن شافاط من إبل محولة نبياً مكانه لينتقم هؤلاء للرب
من تركوه وعبدوا الأوثان. وليكون من أفلت من سيف حزائيل يقتله ياهو، ومن
أفلت من سيف ياهو يقتله أليشاع. قال بعض المفسرين إنّ المسح هنا لا يراد به

صَبَّ الزَّيْتُ الْمَكْرُسَ عَلَى رَأْسِ الْمَسْوُوحِ بَلْ يُرَادُ بِهِ إِعْدَادُ حَزَائِيلَ وَيَاهُوَ لِيَكُونَا مَلَكَيْنِ، وَأَلِيشَاعَ لِيَكُونَ نَبِيًّا. وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ إِيلِيَا لَمْ يَمْسَحْ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ بَلْ رُمِيَ إِلَى أَلِيشَاعَ بِرَدَائِهِ، وَإِنَّ حَزَائِيلَ أَجْنَبِيًّا فَلَا يَمْسَحُ بِالزَّيْتِ الْمُقَدَّسِ، وَلَمْ يَرِدْ فِي الْكِتَابِ أَنَّ إِيلِيَا مَسَحَ حَزَائِيلَ أَوْ يَاهُوَ. بَلْ أَنَّ أَلِيشَاعَ تَلْمِيزُهُ مَضَى إِلَى حَزَائِيلَ وَمَسَحَ يَاهُوَ. وَقَدْ عَادَ إِيلِيَا مِنْ حَوْرَيْبٍ وَانْتَهَى إِلَى عِبْرِ الْأُرْدُنِّ إِلَى إِبِلَ مُحَوَّلَةٍ مَدِينَةِ أَلِيشَاعَ. وَفِي كِتَابِ الْأَعْلَامِ الْكِتَابِيَّةِ إِنَّ إِبِلَ مُحَوَّلَةٍ هَذِهِ كَانَتْ مَوْقِعَهَا بِحَسَبِ قَوْلِ الْقَدِيسِ إِيروْنِيمُوسَ عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ بَاسَانَ جَنُوبًا، وَتَسْمَى الْآنَ عَيْنَ حَلُوةٍ عَلَى تِسْعَةِ أَمْيَالٍ وَنِصْفٍ مِنْ بَاسَانَ. وَلَكِنْ قَالَ كَارَانُ (مَجْلَدُ ١ فِي السَّامِرَةِ صَفْحَةُ ٢٧٨) إِنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّ كَانَتْ فِي الْحُلِّ الْمُسَمَّى الْيَوْمَ الْحَمَامِ الْمَالِحِ عَلَى بَعْدِ عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ بَاسَانَ جَنُوبًا، عَلَى مَا قَالَ الْقَدِيسُ إِيروْنِيمُوسَ مَعَ أَنَّ الْمَسَافَةَ مِنْ بَاسَانَ إِلَى هَذَا الْحُلِّ أَرْبَعَةُ عَشَرَ مِيلًا. وَيُظْهِرُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدَمُوا اللَّامَ عَلَى الْحَاءِ فِي اسْمِهَا وَسَمَوْهَا إِبِلَ مَلُوحَةٍ لَوْجُودِ يَنْبُوعٍ مَلَحٍ هُنَاكَ. وَلَمَّا انْتَهَى إِيلِيَا إِلَى هَذَا الْحُلِّ وَجَدَ أَلِيشَاعَ يَحْرِثُ الْأَرْضَ وَمَعَهُ اثْنَا عَشَرَ حَارِثًا فَرَمَى إِيلِيَا إِلَيْهِ بِرَدَائِهِ. فَفَرَّكَ الْبَقَرَ وَجَرَى وَرَاءَهُ ثُمَّ عَادَ فَوَدَّعَ وَالِدِيهِ. وَذَبَحَ زَوْجَيْنِ مِنَ الْبَقَرِ وَطَبَخَ لِحَمَاهُمَا عَلَى أَدَوَاتِ الْحِرَاةِ وَقَدَّمَ لِلشَّعْبِ، فَأَكَلُوا وَمَضَى مَعَ إِيلِيَا وَكَانَ يَخْدُمُهُ (مَلُوكُ ٣ فَصْلُ ١٩).

عد ٣٠٣

خروج ابن هدد على آحاب

جَمَعَ ابْنُ هَدَدٍ وَهُوَ الثَّانِي بِهَذَا الْاسْمِ (رَاجِعْ عَد ٢٩٧) رِجَالَ آرَامَ وَصَعَدَ مَعَهُ اثْنَانِ وَثَلَاثُونَ مَلَكًا أَيَّ حُكَّامِ أَعْمَالٍ كَانُوا مُحَالِفِينَ لَهُ، وَمَعَهُمْ خَيْلٌ وَمَرَكَبٌ لِيُحَارِبُوا مَلِكَ إِسْرَائِيلَ. وَدَنُوا مِنَ السَّامِرَةِ فَوَجَّهَ ابْنُ هَدَدٍ رِسَالًا إِلَى آحَابَ قَائِلًا لَهُ فَضْنْتُكَ وَذَهَبْتُكُمَا لِي، وَأَزْوَاجُكَ وَبَنُوكَ الْحَسَنَانِ هُمَا لِي. فَارْعَتْ آحَابُ كَثْرَةَ جِيُوشِ أَعْدَائِهِ، وَكَانَ جَبَانًا وَاهِنَ الْقُوَّةِ، فَأُجَابَ كَمَا قُلْتُ يَا سَيِّدِي الْمَلِكُ أَنَا وَجَمِيعُ مَا هُوَ لِي لَكَ. وَبَعْدَ أَنْ بَلَغَ الْوَفْدُ ابْنَ هَدَدٍ جَوَابَ آحَابَ أَرْسَلَهُمْ ثَانِيَةً يَقُولُونَ: إِنَّهُ فِي مِثْلِ السَّاعَةِ مِنْ غَدٍ يَرْسِلُ عَبِيدَهُ لِيَقْتَسُوا بَيْتَ آحَابَ وَبُيُوتَ عَبِيدِهِ، وَيَأْخُذُوا كُلَّ مَا هُوَ شَهِيٍّ فِي عَيُونِهِمْ. فَدَعَا آحَابُ شَبَابًا مَمْلُوكَةً وَأَعْلَمَهُمْ بِمَا كَانَ. فَقَالُوا: لَا تَسْمَعْ وَلَا تَرْضَ فَقَالَ لِرِسْلِ ابْنِ هَدَدٍ أَنْ يُتْلَغُوا سَيِّدَهُمْ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ التَّفْتِيشِ وَأَخَذَ مَا كَانَ شَهِيًّا. فَاسْتَشَارَ ابْنَ هَدَدٍ وَأَرْسَلَ يَقُولُ خَالِفًا

بآلهته إن كان تراب السامرة يكفي لا كفَّ القوم الذين يتبعونه، فقال لملك إسرائيل: قولوا له لا يفتخر من يتنطق كمن يحل منطقته، وهو مثل يراد به أنه لا يحق للمرء أن يتفاخر بأمر قبل الفوز به، أو بمعنى ما في حكاية الدب لا تسكر على حساب جلد الدب قبل إصطياده. فأمر ابن هدد بإقامة الحصار على السامرة، وإذا بنبيّ تقدّم إلى آحاب يشجعه من قبل الرب بأنه سيدفع هذا الجيش الجرار إلى يده ليعرف أنه الرب الإله وينبذ الأوثان. وأحصى آحاب رجاله فوجد عنده من غلمان رؤساء الأقاليم مئتين واثنين وثلاثين غلاماً، ومن شعب إسرائيل سبعة آلاف. فخرجوا عند الظهر وكان ابن هدد يشرب ويسكر هو والملوك المناصرون له، فقال ابن هدد لرؤساء جيشه إن كان هؤلاء خرجوا مسالين أو مقاتلين فاقبضوا عليهم أحياء فوثب الغلمان وبنو إسرائيل وراءهم فقتل كل رجل منهم رجلاً من طلائع جيوش ابن هدد. فانهزم الآراميون واتبعهم بنو إسرائيل. وأفلت ابن هدد على فرس بين الفرسان وضرب ملك إسرائيل الآراميين وخيلهم ومراكبهم ضربة عظيمة، وتقدّم النبي إلى آحاب قائلاً امض وتشدّد واستعدّ فإنه عند مدار السنة يصعد عليك ملك آرام ثانية.

أما رجال ملك آرام فقالوا له إنّ آلهة إسرائيل آلهة الجبال، ولذلك قوا علينا وإذا حاربناهم في السهل فنقوى عليهم. وأشاروا عليه أن يعزل الملوك كلاً من مكانه ويجعل أمكنتهم قوادم ففعل كذلك؛ ولما كان مدار السنة حشد جيشه وصعد إلى افيق لمحاربة إسرائيل، وافيق هذه غير افيق التي في مرج ابن عامر حيث كانت الحرب بين شاول والفلسطينيين، بل هي المسماة اليوم الفيك أو الفيك على مسير ساعة أو أقل من بحيرة طبرية شرقاً في الطريق المؤدي من دمشق إلى فلسطين (فيكورو مجلد ٤ من الكتاب والإكتشافات صفحة ٤٥ وفي معجم الكتاب له وفي كتاب الأعلام الكتابية). فمضى آحاب إلى افيق هذه للقاء أعدائه وكان عسكره قليلاً جداً لذلك عبّر عنه الكتاب بأنه كان كقطيعين صغيرين من المعز وعبّر عن كثرة جيش ابن هدد بأنه ملأ الأرض. وبقي الجيشان يناظر أحدهما الآخر دون حرب مدة ستة أيام وفي اليوم السابع التحمت الحرب. واستظهر بنو إسرائيل على الآراميين وقتلوا منهم مئة ألف رجل في يوم واحد. ولعبت أيدي سبأ بالباقيين وهرب منهم سبعة وعشرون ألفاً إلى افيق. فسقط السور عليهم فماتوا تحت الردم. وفرّ ابن هدد ودخل المدينة إلى مخدع ضمن مخدع مذعوراً مرتاعاً. فقال له أعوانه سمعنا

أَنَّ ملوك إسرائيل ملوك رحمة فنشد الآن مسوحاً على متوننا، ونجعل حبلاً على رؤوسنا ونخرج إلى ملك إسرائيل علّه يستقي نفسك. وفعلوا كذلك فقال لهم آحاب أو حيّ هو بعد إنما هو أخي وخرج إليه ابن هدد فرحّب به وأصعده على المركبة فقال له ابن هدد المدن التي أخذها أبي من أبيك أردّها إليك أسواقاً في دمشق أي نطلق لك التجارة فيها كأنها السامرة. فقال آحاب وأنا أطلقك بهذا العهد وقطع له عهداً وأطلقه. فالتقاء أحد الانبياء متنكراً وقال إنّ عبدك خرج في وسط الملحمة فأتاني رجلٌ بأسير وقال احفظه، وإن أفلت منك فنفسك مكانه أو تزن لي قنطاراً من الفضة، وبينما أنا مشغل هنا وهناك أفلت الأسير فقال له الحكم: عليك كما شرطت على نفسك فزحزح النبي البرقع عن عينيه فعرف الملك أنه نبي، وقال كذا قال الرب بما أنك أطلقت من يدك رجلاً قد أبسلته فنفسك تكون بدل نفسه وشعبك بدلاً من شعبه. فمضى آحاب إلى السامرة واجماً قلقاً.

عد ٣٠٤

آحاب والآشوريون

قد أبانت لنا الآثار الآشورية وجهاً لمساهلة آحاب ملك إسرائيل لابن هدد ملك دمشق، وهو خوف الملكين من آشور ومحالفتها عليه، ولما كان ذكر ملوك آشور سيرد متواتراً في ما يأتي من كلامنا، رأينا أن نلخص عن كتاب فيكورو (الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٣٢ طبعة ٥) موجز تاريخ الآشوريين كلفاً بتوفير الفوائد وتيسراً لإدراك الكلام حق إدراكه. فلم يُعثر حتى اليوم على أثر للآشوريين يتبيّن منه تاريخ أصلهم، ولكن أنبأنا سفر التكوين (فصل ١٠ عد ٢٢): إنّ آشور هو ثاني أبناء سام وإنّ الآشوريين الأولين جالية بابلية وآثار بلادهم مثبتة شهادة موسى، وكانت عاصمة ملكهم أولاً مدينة آشور على شاطئ دجلة الايمن في جنوبي نينوى بين الزاب الأعلى والزاب السفلي. وكانت مركزاً لعبادة آشور أكبر آلهتهم، وإن هو إلّا آشور ابن سام الهوه على عادتهم، وأول ما تحقّقه آثار بلادهم أنها كانت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد يليها ملك يسمونه ايسميداك. وكان قد بنى هذه المملكة حاكم اسمه بلكفكابو في عصر غير معروف إلى الآن، وكان من خلفائه ملك يسمى بلباني يعتبرونه غازياً.

وتتفاخر دولة السرخونيين إحدى دولهم بانتسابها إليه. وكان في سنة ١٤٠٠ ق.م ملك من الآشوريين يسمى آشوروبيلد حكم من جانب بحيرة وان إلى الزاب السفلي. وجدد في نينوى هيكل استار الآلهة الذي كان بناه أولاً سمسيين ابن ايسميدان المذكور. وفي سنة ١٣٣٠ ق.م عظم ملكهم بينيرار الأول مملكة آشور وصيها أقوى مملكة في آسيا الغربية، وفي سنة ١٣٠٠ انتصر ابنه سلمناصر الأول على الموزري (يُحتمل أنَّ المراد المصريين). وجعل نينوى مقراً لحكومته ووسّع خلفائه تخوم مملكته شمالاً وشرقاً وجنوباً ولم تطمح أبصارهم نحو الغرب أي إلى سورية إلا في سنة ١١٢٠. إذ رُقي منصة الملك وقبيل تجلت فلاصر الأول وهو أول من جاوز منهم الفرات. وغزا سورية إلى لبنان والبحر المتوسط (راجع عد ٧٠ وعد ١٢٠). ثم مات سنة ١١٠٠ وترك لخليفته مملكة كثيرة الأنحاء شاسعة التخوم لكن ما عثمت أن كسفت شمس مجدها، لأنَّ الآراميين بعد وفاة الخليفة الثاني لتجلت فلاصر؛ أذلوا مملكة آشور وضيقوا تخومها الغربية في مدة مئة وخمسين سنة، وتلك عناية ربانية يشرت لداود وسليمان انبساط ملكهما شرقاً حتى الفرات.

ومن بعد وفاة سليمان عاد الآشوريون يستردون سؤددهم وصولتهم في عهد آشور دانييل مشيد دولة كبرى من دولهم. ثم خلفه ابنه بينيرار الثاني وخلف هذا ابنه تجلت سمدان وبعد وفاته خلفه ابنه آشور نزيربال. وأكتشف له عن آثار كثيرة مهمة. ووجد لا يرد تمثاله في أخربة قصر نمرود وقد مرَّ أنه حكم البلاد من عدوة دجلة إلى لبنان وفلسطين (راجع عد ٧٢ وعد ١٢٠). وبعد وفاته خلفه ابنه سلمناصر الثاني. وغزا سورية ست مرات وكتب وقائعه على مسلة من صخر أسود في مئة وتسعين سطراً طافحة بالفوائد التاريخية؛ منها أنها هدتنا إلى ما كان مجهولاً كلَّ الجهل وهو جلَّ الغرض من كلامنا هنا أعني أنَّ آحاب كان حليفاً لابن هدد ملك دمشق في حربه للآشوريين، ومنها إثبات العهدة التي ذكر الكتاب إبراهيم بين ملك إسرائيل وملك دمشق. وتبيان الوجه في مساهلة آحاب لابن هدد بعد استظهاره عليه. فأحاب كان رأى حملة آشور نزيربال على فينيقية وخشي أن يغزو ابنه سلمناصر الثاني مملكة إسرائيل. وملك دمشق كان يومئذ أقوى ملوك سورية فأحبَّ آحاب أن يقوي نفسه بمحالفته، وأن تكون مملكة دمشق حائلة بين الآشوريين ومملكة إسرائيل، وكان من وقَّعوا على هذه العهدة مع ابن هدد اثني عشر ملكاً منهم آحاب ملك إسرائيل.

ولإليك ترجمة ما أصاب غرضنا من خطوط سلمناصر على مسلة نمرود المذكورة، وعلى الصفيحة التي وجدها جون تليور عند منبع دجلة قال إنه في السنة السادسة للملكه «في الرابع عشر من شهر أيار رحلت عن نينوى وجاوزت دجلة... وأخذت الجزية من ملوك غربي الفرات فضة وذهباً ونحاساً ورصاصاً من المدن التي يسميها السريان باتور. وزحفت من عدوة الفرات إلى مدينة هلمان (حلب) فخاف أهلها الحرب وتراموا على رجلي فأخذت جزية منهم فضة وذهباً. وسرت من هلمان إلى ايركوليني ملك حماه أخذت ادينا وبرغوا وأرغان حاضرة ملكه واستحوذت على أثاثه وأموال قصره وأحرقت دوره. وزحفت من ارغانا إلى كركر فدمرتها وأحرقتها وكان في معسكرهم ١٢٠٠ مركبة و ١٢٠٠ فارس ٢٠٠٠٠ ألف رجل من قبل ابن هدد ملك دمشق ثم ٧٠٠ مركبة و ٧٠٠ فارس و ١٠٠٠٠ رجل من قبل ايركوليني ملك حماه. ثم ٢٠٠٠ مركبة و ١٠٠٠٠ رجل من قبل آحاب ملك سرلاي (إسرائيل)». وكذلك يعد باقي جيش هؤلاء الملوك المتحدين. ويظهر أن سلمناصر لم يقيم في سورية بل اكتفى بإذلال أهلها وأخذ جزيتهم وعاد إلى آشور. ومن أدلة ذلك أن ابن هدد نقض عهده مع آحاب واستمر مالكا راموت جلعاد حتى اضطر آحاب أن يثير الحرب عليه فيها بعد إنجلاء الآشوريين من سورية كما سيجي.

عد ٣٠٥

اختلاس آحاب كرم نابوت

قد مرَّ أنَّ آحاب بنى له قصراً في يزرعيل (زرعين) وكان لنابوت اليزرعيلي في جانب القصر كرم ورثه عن أبيه. فرغب الملك إليه أن يبيعه كرمه ليكون له بستان بقول فاعتذر له نابوت بأن الكرم ميراث آبائه فلا يمكنه أن يبيعه. وكان من الشين عندهم أن يتخلَّى المرء عما ورثه عن آبائه ولم تُجز السنته ذلك إلا للضرورة. فعاد آحاب كئيباً واضجع على سريره ولم يتناول طعاماً لإنكار آحاب عليه مسئوله. فقالت له ايزابل امرأته ما بالك كئيب النفس؟ فقصَّ عليها ما كان له مع نابوت فقالت ما أنفذ سلطانك الآن على إسرائيل. قم فتناول طعاماً وطب نفساً وأنا أعطيك كرم نابوت. ثم إنَّها كتبت كتباً إلى الشيوخ والأشراف في مدينة نابوت

وختمتها بخاتم الملك، ومنه يظهر قدم العادة بختم الرسائل بالخاتم. وقالت في تلك الكتب نادوا بصوم لتذكي شهودها الكاذبين، وأجلسوا نابوت في صدر القوم، وأقيموا رجلين يشهدان عليه أنه جُدّف على الله وعلى الملك وأخرجوه وارجموه فيموت. ففعلوا كما انفذت إيزابل إليهم، وشهد عليه شاهدا زور كما لقنت، ورجموه بالحجارة فمات. وأخبروا الملكة بموته فقالت لآحاب: قم فرث كرم نابوت، لأنهم كان من عاداتهم أن من قضي عليه بجريمة ضد الملك تولى الملك أملاكه. فنزل آحاب إلى الكرم فالتقاه بأمر الله إيليا النبي وقال له: قتلت وورثت أيضاً؟ ففي الموضع الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس دمك أنت أيضاً، فهذا الرب جالب عليك الشر ومبيد نسلك وقال له في إيزابل إن الكلاب ستأكل لحمها عند مترسة يزرعيل. فلما سمع آحاب هذا الكلام مرّق ثيابه وجعل على يده مسحاً وصام وبات في المسح ومشى ناكساً، فقال الرب لإيليا أرايت كيف ذلّ آحاب أمامي؟ فمن أجل ذلك لا أجلب الشر في أيامه بل في أيام ابنه أجلب الشر والعقوبة على بيته (ملوك ٣ فصل ٢١). وسترى تمام هذه النبوة وإنفاذ هذا التهديد في آحاب وإيزابل، على أنّ توبة آحاب لم تغيّر عمق قلبه فلم تكن صادقة ولا ثابتة، ولم يرد الكرم على ورثة نابوت وليس مطواعاً لإيزابل عابداً أصنامها فحلّت به العقوبة التي هدّده إيليا بها.

عد ٣٠٦

حرب آحاب وملك دمشق وقتل آحاب

جاء في الكتاب (ملوك ٣ فصل ٢٢) «ومضت ثلاث سنين لم تكن فيها حرب بين آرام وإسرائيل» أي بين ملك دمشق وملك إسرائيل، فالعهدة التي أمضاها هذان الملكان والحرب التي أثارها عليهما سلمناصر ملك آشور، وقفنا الحرب بينهما مدة السنين الثلاث. وانتصار سلمناصر عليهما حلّ عقد تلك العهدة فلم يقم ابن هدد بما شرط على نفسه أن يتخلّى الملك إسرائيل عن المدن التي كانت تخصّه، ومنها راموت جلعاد (السلط) فقال ملك إسرائيل لأصحاب مشورته علمتم أنّ راموت جلعاد لنا، وكان ملك دمشق شرط على نفسه أن يردها علينا فلم يردها، ونحن متقاعدون عن أخذها، وكان يوشافاط ملك إسرائيل عنده كما مرّ.

فقال له أتمضي معي إلى القتال؟ فأجابه: نفسي كنفسك وشعبي كشعبك وخيلي كخيلك ولم يشرط يوشافاط إلا أن يسأل آحاب الرب بواسطة أحد أنبيائه فجمع آحاب نحو أربع مئة رجل لكنهم كذبة أو من كهنة بعل أو متملقون له. فقالوا له اصعد إلى القتال فإن الرب دافع أعداءك إلى يدك. فقال يوشافاط: أليس هنا نبي للرب بعد فنسأل به؟ فقال آحاب يوجد بعد رجل لكنّه لا يتنبأ علي بخير وهو ميخا بن يملة، فأبى يوشافاط إلا أن يستأثوه فأتى. فقال له آحاب: أتمضي إلى راموت جلعاد للقتال أم نمتنع؟ فقال: رأيت جميع إسرائيل مبدين على الجبال كالغنم التي لا راعي لها. فقال آحاب ليوشافاط ألم أقل لك إنّه لا يتنبأ علي بخير؟ فقال ميخا رأيت الرب جالساً على عرشه وجميع جند السماء وقوف لديه، وقد أذن لأحد الأرواح أن يغوي آحاب بقول الكذب في أفواه أنبيائه، فتقدم صدقيا بن كنعنه ولطم ميخا على لحيه وقال: من أين عبر روح الرب مني ليكلمك؟ فقال ميخا: ستنظر في ذلك اليوم الذي تدخل فيه مخدعاً ضمن مخدع لتخسبني: إن عدت بسلام فلم يتكلم الرب فيّ وأشهد الشعب على كلامه.

قد مضى ملك إسرائيل ومعه يوشافاط ملك يهوذا إلى الحرب لاسترداد راموت جلعاد من يد ملك دمشق. فتنكر آحاب وتقدم إلى ساحة الحرب واستمر ملك يهوذا لباساً لباسه، وكان ملك دمشق قد أمر رؤساءه مراكبه أن لا يحاربوا كبيراً ولا صغيراً إلا آحاب، فتوهم رؤساء المراكب بأن يوشافاط هو ملك إسرائيل. فمالوا عليه فصرخ مستغيثاً بالرب الحال في هيكل أورشليم فعرفوا إنّه ليس آحاب ورجعوا عنه، وإن رجلاً نزع في قوسه غير متعمد فأصاب ملك إسرائيل بين الذراع والورك وعن يوسيفوس (تاريخ اليهود ك ٨ فصل ١٠): إن السهم أصمى رثته. فقال لمدير مركبته: أخرج بي من الجيش فأني جرحت فأخرجته. واشتد القتال وآحاب واقف بمركبته مقابل آرام ودمه يسيل في المركبة ومات في المساء. ونودي في الجيش للانصراف فعاد كل إلى محله وأخذ آحاب إلى السامرة. وغسلت مركبته وسلاحه من الدم فلحست الكلاب دمه بحسب كلام الرب بفم إيليا النبي (ملوك ٣ فصل ٢٢).

إن بين مفسري الكتاب مبحثاً معضلاً للتوفيق بين قول إيليا (ملوك ٣ فصل ٢١) «في الموضع الذي لحست فيه الكلاب دم نابوت تلحس الكلاب دمك».

وبين قول الكتاب (ملوك ٣ فصل ٢٢ عد ٣٨)، «وغلست مركبته في بركة السامرة فلحست الكلاب دمه وغسل سلاحه على حسب كلام الرب الذي تكلم به». والسامرة على مسافة سبع ساعات من زرعين حيث قتل نابوت. فذهب بعضهم إلى أن كلمة الموضع من الآية الأولى لا يراد بها المكان المتحيز بل العمل أو الناحية من باب ذكر الجزء وإرادة الكل، فكأنه يقول إن الناحية أو العمل الذي لحست به الكلاب دم نابوت تلحس فيه دم آحاب. وذكر آخرون أن تذلل آحاب أمام الرب بعد تهديد إيليا له، ووعدته تعالى إنه لا يجلب الشر في أيامه لكن في أيام ابنه، آجلاً جلب هذه العقوبة إلى ممات يورام بن آحاب؛ إذ جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ٩ عد ٢٥) إن ياهو بعد أن قتل يورام قال لأحد قواده: «خذه واطرحه في حصّة حقل نابوت اليزرعيلي، واذكر إذ كنت راكباً أنا وأنت وراء آحاب أيّه كيف جعل الرب عليه هذا الحمل». واستحسن سنكتيوس هذا المذهب (في تفسيره فصل ٢١ عد ٢٣ في سفر الملوك ال. ٣). وأراه أولى من المتابعة ليوسيفوس في قوله (ك ٨ من تاريخ اليهود ف ١٠): أن جثة آحاب نقلت في مركبته نفسها إلى السامرة ودفنت هناك وأمّا مركبته فأخذت إلى يزرعيل وغسلت بماء عين هذه المدينة. وكانت ملطخة بدم نابوت فتئت بذلك نبوة إيليا النبي. وقد استحسن كاران (مجلّد ١ في السامرة صفحة ٣١٦) رواية يوسيفوس هذه وقال: إنه أخذها عن نسخة مخطوطة كانت في أيامه وهي أصح ممّا أخذ عن غيرها، لأنّها تزيل الإشكال وظاهر الناقض بين نبوة إيليا ونوع تمامها. على إنه لا يخفى أن قول يوسيفوس إن مركبة آحاب غسلت بماء ينبوع يزرعيل مخالف لقول الكتاب إنّها غسلت «في بركة السامرة» ولذا قلت إن المذهب الثاني أولى بالإتباع.

عد ٣٠٧

أحزيا بن آحاب وارتفاع إيليا نحو السماء

خلف أحزيا أباه آحاب وكان على شاكلته، فقد عبد البعل وسجد له وأسخط الرب. وكان يوشافاط ملك يهوذا مصافياً له وقد اشتركا في بناء سفن تذهب إلى افير، لكنّها انكسرت كما مرّ (في عد ٢٩٩). وقد تمزّد الموابيون على أحزيا وأبوا

أداء الجزية المفروضة عليهم، ولم يبننا الكتاب أنه حاربهم بل أنبأنا أنه سقط من شبك عليته التي في السامرة، ومرض. فبعث رسلاً يسأل بعل زبوب إله عقرون وهل يبرأ من مرضه. وعقرون هي المسماة اليوم عاقر على ثلاث ساعات من الرملة جنوباً كما حقق روينسون وتابعه كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٣٨). وبعل زبوب تأويله إله الذباب أي الإله الذي يلجأ إليه للتخلص من الذباب، وهو يكثر في فصل الصيف في تلك الأماكن، وكان لليونان إله من الذباب ذكره بلينيوس وغيره. فخاطب ملاك الرب إيليا أن يلاقي رسل ملك السامرة ويقول لهم أعله ليس إله في إسرائيل حتى تذهبوا وتسألوا إله عقرون؟ ولذلك فالسرير الذي علاه ملككم لا ينزل عنه بل يموت موتاً فصنع إيليا كما أمره الملك. فعاد رسل الملك وأخبروه بما قيل لهم فسألهم ما هيئة الرجل الذي خاطبكم بهذا الكلام؟ قالوا رجلٌ عليه شعر متمنطق بمنطقة من جلد فقال هو إيليا. ووجهٌ إليه قائد خمسين مع خمسينه فقال له يا رجل الله الملك يقول إنزل. فأجابه إيليا. إن كنت أنا رجل الله فلتهبط نارٌ من السماء وتأكلك أنت وخمسينك. فهبطت النار وأكلته وخمسينه. وأثبتت الآية إنه رجل الله فلم يتعظ حزيا وأرسل إليه رئيس خمسين ثانياً مع خمسينه فأصابهم ما أصاب الأولين. وأرسل إليه رئيس خمسين ثالثاً وكان حكيماً فجثا على ركبتيه، وتضرع إليه قائلاً ما حيلتي يا رجل الله وأنا عبدٌ مأمور فلتكرم نفسي في عينيك، ولا تبدني كما أبدت قائدي الخمسين وخمسينهما. فأوحى الرب لإيليا أن إنزل معه فنزل، وقال للملك ما كان قاله لرساله وتركه فمات حزيا بعد أن ملك سنتين فقط بعضها في حياة أبيه وبعضها بعد موته. فكثيراً ما أشرك ملوك إسرائيل أبناءهم في الملك على عادة ملوك فارس وغيرهم من ملوك المشرق لا سيما إذا مضوا لحرب يخشون الموت فيها. وهذا يوافق ما يظهر من التضاد أحياناً في تعيين سني ملوك يهوذا وإسرائيل بين رواية أسفار الملوك وسفري أخبار الأيام، ولما لم يكن لأحزيا إبنٌ ملك مكانه أخوه يورام بن آحاب (ملوك ٤ فصل ١).

ويظهر أنه في نحو هذا الزمان ارتفع إيليا نحو السماء، ولم يظهر بعد وترك أليشاع خلفاً له. قال كثيرٌ من الآباء ومفسري الكتاب إن إيليا ما برح حياً وسعود إلى العالم قبل قيام الساعة. استمسكاً بقول ملاخيا النبي (ف ٤ ع ٥): «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل أن يجيئ يوم الرب العظيم الرهيب، فيردُّ قلوب الآباء إلى البنين». وكان الكتبة في أيام المخلص يقولون إن إيليا يلزم أن يأتي قبل مجيئ المسيح،

ولما ذكر الرسل ذلك للمخلص أجابهم: «الحق أقول لكم إن إيليا جاء ولكنهم لم يعرفوه بل صنعوا به كل ما أرادوا» (متى ف ١٧ ع ١١). وفهم الرسل أنه عنى بذلك يوحنا المعمدان الذي قيل فيه في بشارة لوقا (فصل ١): «لأنه يتقدم أمامه بروح إيليا النبي وقوته، ويرد قلوب الآباء إلى البنين» كما في كلام ملاخيا. ولذلك قال بعضهم: إن نبوة ملاخيا لا يتحقق منها مجيء إيليا إلى العالم في آخر الزمان، وإنه ربما كان هذا المذهب معاوناً لليهود في زعمهم أن المسيح لم يأت بعد، لأن إيليا لم يجرى بعد على أن المذهب الأول أي أن إيليا واخنوخ أيضاً ما برحا حييين، وسوف يأتيان قبل يوم الدين إلى العالم هو الذي عليه أكثر الآباء والمفسرين، بل سماه سنكتيوس الرأي العام. وقالوا إن قول المخلص أن إيليا جاء مجازي، يريد به أن مجيء يوحنا للتبشير به قبل ظهوره للعالم أشبه بمجيء إيليا قبل اليوم الأخير للإنذار الناس، ومقاومة الدجال وأيدوه بما جاء في رؤيا يوحنا (فصل ١١ عد ٣): «وسأقيم شاهدي (أي إيليا واخنوخ) فيتنبآن ألفاً ومئتين وستين يوماً وعليهما مسح». وبأن الترجمة السبعينية روت في بعض نسخها قول ملاخيا: «هأنذا أرسل إليكم إيليا النبي التشبي». واحتجوا له أيضاً بما جاء في كلام ابن سيراخ (فصل ٤٨ عد ٦) في إيليا: «وخطفت في عاصفة من النار في مركبة خيل نارية. وقد اكتسبك الرب لأقضية تجري في أوقاتها، ولتسكين الغضب قبل حدثه ورد قلب الأب إلى الابن». ولا نكير أن قول ابن سيراخ مشير إلى نبوة ملاخيا، ومحقق أن المراد بها مجيء إيليا قبل اليوم الأخير. ولهم في المباحث المتعلقة بهذا الأمر أقوال متباينة. مثلاً أين يقيم اخنوخ وإيليا الآن أفي الهواء أم في السماء؟ أم في الفردوس أو في جنة؟ وبكل منها قائل، وأحسن الأقوال وأسدّها إنهما في محل يعلمه الله ولم يعلمنا به، وكذلك أيّاكلان ويشربان ويلبسان أم تغنيهما عناية الله عن ذلك؟ والأظهر الثاني.

وقد خلف الإشاع إيليا وأثبت الله رسالته بآيات منها أنه ضرب مياه الأردن برداء إيليا الذي سقط عليه عند صعوده، فانفلقت إلى هنا وهناك وعبر على اليبس بمراً من أبناء الانبياء، ومنها إصلاحه نبع ماء أريحا بوصفه الملح فيه، وخروج دبتين من غاب إلى بيت إيل وافتراسهما لإثنين وأربعين صبيّاً كانوا يعيرونه قائلين اصعد يا أجلب اصعد يا أجلب، ولا ريب أنهم كانوا يستوجبون هذه العقوبة هم وآباؤهم، ومنها إكثاره الزيت لإحدى الأرامل حتى وفّت دينها به، وإقامته ابن

الشونمية من الموت وإبرأؤه نعمان رئيس جيش آرام من البرص، وضربه بخادمه حجزى بالبرص لأنه أخذ من نعمان المذكور قنطازين من الفضة وحلّتين من الثياب.

عد ٣٠٨

يورام بن آحاب

ملك يورام بن آحاب مكان احزيا أخيه لأنه لم يكن له ابن وصنع الشر في عيني الرب، ولكن لا كأبيه وأمه لأنه أزال تمثال البعل الذي صنعه أبوه، إلا أنه أعاد عبادة العجل التي أدخلها ياربعام بن نباط إقتداءً بالمصريين. فأثار الرب عليه ميشاع ملك مواب فعصاه. وأبى إداء الجزية التي كان هو وأسلافه يقدمونها لملك إسرائيل، وكانت تلك الجزية مئة ألف حمل، ومئة ألف كبش بصوفها، ولا عجب بكثرة هذه الأغنام لأنّ منبع ثروة مواب كان تربية الماشية وبلادهم صالحة لها. فلو فرضنا فيها ألفي مالك للماشية ولكلّ منهم ألف رأس كانت الجزية عشر مالهم، ولم يصرّح الكتاب أفي كل سنة كان ملك مواب يقدم هذه الجزية أم عند قيام الملك فقط؟ ويحتمل أن كان الأخير كما مرّ آنفاً. فعظم الأمر على يورام وأحصى رجال مملكته، وأرسل إلى يوشافاط ملك يهوذا سائلاً هل يمضي معه إلى مواب للقتال؟ فأجابه كما أجاب أباه آحاب إنما نفسي كنفسك وشعبي كشعبك وخيلي كخيلك. وصعد الملكان في طريق آدوم لأنّ ملك آدوم كان حليفاً ليوشافاط، ولأنهم خافوا أن يسطو عليهم ملك دمشق إن داروا حول البحر الميت من جهة المشرق، فداروا من جنوبه ولم يجدوا ماءً، فقال يوشافاط أليس ههنا نبي للرب فنسأل به؟ فقيل له إنّ ههنا اليشاع. فانحدر إليه الملكان وملك آدوم وقال اليشاع لملك إسرائيل ما لي ولك امض إلى انبياء أبيك وأملك، ولولا تكريمي لوجه يوشافاط ملك يهوذا لما نظرت إليك. ثم قال لهم النبي اجعلوا هذا الوادي حفراً حفراً فيمتلئ ماءً ولا ترون ريحاً ولا مطراً وسيدفع الرب مواب إلى أيديكم.

وكان في الغداة أنّ مياهاً جاءت من طريق آدوم فامتألت الأرض ماءً. واجتمع الموآبيون للحرب، وبكروا بالغداة وقد أشرقت الشمس على المياه فأروها حمراء كالدم، فتوهموا أنّ الملوك إقتتلوا حتى صبغ دم قتلهم المياه، وتهافتوا دون نظام ولا محاذرة على محلة الملوك فضربهم الملوك وهزموهم. ودخلوا بلادهم وهم يعملون

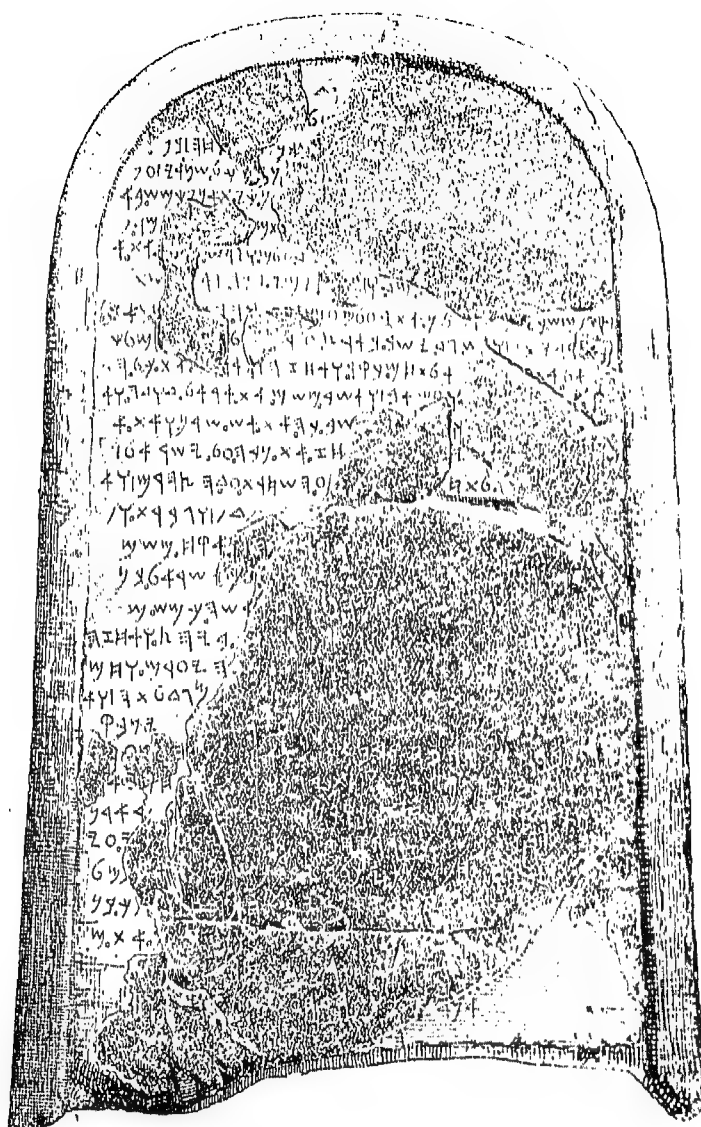
السيوف بهم وهدموا مدنهم وردموا عيون مائهم. وقطعوا كل شجرة حسنة في أرضهم وحاصروا قيرحراست حاضرتهم وهي الكرك الآن. ولما رأى ملك مواب أن قد اشتدت الحرب عليه أخذ معه سبع مئة رجل مختربين السيوف ليخترقوا الصفوف إلى ملك آدوم فلم يقدرُوا. ويُس ملك مواب من النجاة واعتقد أن كاموش معبوده ساخطٌ عليه، وأنه لا يخمد غضبه عنه إلا أن يضحي بابنه ترضيةً له، فأصعد بكره محرقةً على أسوار المدينة، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك حنقوا حنقاً شديداً، وانصرفوا عن المدينة ورجعوا إلى أرضهم (ملوك ٤ ف ٣).

ويظهر مما مرَّ في كلامنا على يوشافاط إنَّ الادوميين انحازوا بعد هذه الحرب إلى ميشاع ملك الموابيين. وخرجوا معه على يوشافاط ودثروا مدناً كثيرة في مملكة يهوذا انتقاماً من يوشافاط: لأنه خرج مع ملك إسرائيل على الموابيين. وانتصر عليهم في عين جدي كما مرَّ في الكلام عليه. وقد كُشف من أميد قريب عن صفيحة تثبت ما ورد في الكتاب عن هذه الحروب إثباتاً علمياً قاطعاً وهي المعروفة بصفيحة ميشاع.

عد ٣٠٩

صفيحة ميشاع

إنَّ هذه الصفيحة قد كشف عنها سنة ١٨٦٩ م كلرمون كانو الإفرنسي ترجمان قنصلية فرنسا في أورشليم وقتئذٍ، وهي الآن في متحف اللوفر في باريس بين الآثار اليهودية بمنزلة كنز ثمين. قال فيه دي فوكوه إنه ليس بين الآثار العبرانية ما يعادله اعتباراً وأهمية، وهي من حجر أسود كالصفائح المصرية. علوها نحو متر وعرضها نحو ستين سنتيمتراً، وقد استمرت مدفونة من نحو تسعة قرون قبل الميلاد إلى سنة ١٨٦٩ م بعده في سفح أكمة في جانب ديان شرقي البحر الميت على ثلاثة أيام من أورشليم. وكان سكان البادية قد كسروا هذه الصفيحة وهي الآن في اللوفر مركبة من نحو عشرين قطعة، ولم تزل بعض قطعها مفقودة، ولا أمل بوجدانها والخطوط المكتوبة عليها باللغة الموابية، وهي فرع من اللغة العبرانية المدونة بها الأسفار المقدسة، فكل كلماتها يمكن ردها إلى أصل عبراني، وهي من أول الأمثلة للكتابة بالحروف، وقد حوت أربعة وثلاثين سطراً وترجمها برمتها لانرمان في



صحيفة ميشاع ملك مواب

تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ صفحة ٢٧٤ طبعة ٩). وفيكورو في الكتاب والإكتشافات الحديثة (مجلد ٤ صفحة ٦٠ طبعة ٥). وقد ترجمناها عنهما موثرين ما رأيناه الأحسن لتأدية المعنى من الترجمتين: «أنا ميشاع بن كاموش ملك مواب

الديوني (نسبةً إلى ديون وهي ديان اليوم) ملك أبي في مواب ثلاثين سنة. وملكْتُ أنا بعد أبي، وأقمتُ هذا الباماه (الحل المشرق والمراد هنا الصفيحة) لكاموش في كوركاه. (الأظهر أنَّ الكلمة عَلمٌ للأكمة حيث وُجدت الصفيحة أو لمدينة ميشاع الملكية)، لأنه خلَّصني من كلِّ من إعتدوا عليَّ وجعلني أن أقهر مناصبي. إنَّ عمري كان ملك إسرائيل وضايق مواب أياماً طويلاً، لأنَّ كاموش كان ساخطاً على أرضه.

وخلفه ابنه آحاب فقال أنا أيضاً أقهر مواب في أيامي (أو في مدة حياتي) وأتسلطُ عليه وأذلُّه هو وبيته فباد إسرائيل بيدي دائماً. وكان عمري استحوذ على أرض ميدبا واحتلَّها. وعاش هو وابنه أربعين سنة فاستردها كاموش إلى أيامي. أنا بنيت (أو أقمت) بعل معون (معين الآن)، واحتفرت هناك آباراً وأقمت قرياتي (على عشرة أميال من ميدبا غرباً). وكان رجال جاد يسكنون في أرض عطاروت (في جانب جبل عطورس) منذ زمان مديد فحاربْتُ المدينة وافتتحْتُها، وقتلتُ كلَّ رجالها فكان ذلك مشهداً لكاموش ومواب. وأخذتُ من ثمة مذبح دودو (داود) وطرحتُه على الأرض أمام كاموش في قريوت (علَّها قرياتي المار ذكرها). وأسكنتُ هناك رجال ستارون ومقارة (لا يُعرف موقعها). وقال لي كاموش امضِ وافتح نابو (في جانب جبل نبو) على بني إسرائيل، فمضيتُ ليلاً وأقمتُ الحرب عليها من الفجر إلى الظهر فأخذْتُها. وقتلتُ كلَّ رجالها سبعة آلاف رجل ونساءهم واستحييت البنات والعبيد لأنني قدتهم إلى عشتاروت كاموش. وأخذتُ من هناك آنية يهوه (إله العبرانيين) وطرحتها على الأرض أمام كاموش. وكان ملك إسرائيل بني ياسا واحتلَّها عند ما كان يحاربني فطرده كاموش من أمام وجهه، لأنني أخذتُ من مواب مئتي رجل من أحسن الرجال، وأرسلتهم على ياسا فأخذْتُها وضممتها إلى ديون (يظهر منه أنَّ ياسا كانت حذاء ديان)، أنا بنيتُ كوركاه (المار ذكرها) وأسوار يعرين واوفيل وأقمتُ أبوابها وأبراجها، وبنيتُ دار الملك والسجون في وسط المدينة ولم تكن آبار في كوركاه، فأمرتُ الشعب أن يحفر كلُّ منهم بئراً في بيته. وحفرتُ مجاري لجلب الماء إلى كوركاه وأشغلتُ فيها أسرى إسرائيل. أنا بنيتُ عراعر (عراير الآن) ومهدتُ طريق أرنون (النهر المعجب). أنا بنيتُ بيت باموت لأنها كانت خراباً وبنيتُ باصور لأنها كانت... ديون خمسين لأنَّ ديون كلها كانت لأمري، وأكملتُ عدد المئة مع المدن التي ألحقها بأرض مواب وأقمتُ...

وبيت ديابلاتيم وبيت بعل معون وأتيث إلى هناك... وأورونيم كان يسكن فيها... وكاموش قال لي انزل فحارب أورونيم فأنا... وكاموش في أيامنا وعلى... صنع... وأنا...» فهذه ترجمة صفيحة ميشاع ويشار بالنقط المتتالية إلى القطع المفقودة وإليك مثلاً لهذه الصفيحة عن أصلها المحفوظ في متحف اللوفر.

لا جرم أن ميشاع صاحب هذه الصفيحة إنما هو ميشاع ملك مواب الذي جاء في الكتاب أنه عصى على يوارم بن آحاب، وإن الحرب التي تفاخر بأنه أثارها على إسرائيل إنما هي الحرب التي ذكرها الكتاب في سفر أخبار الأيام الثاني (فصل ٢٠). وقد مر ذكرها في كلامنا على يوشافاط فإنه دمر حينئذ هو وحلفاؤه مدن إسرائيل في عبر الأردن وانتهى إلى عين جدي. ولا غرو أن ميشاع لم يشأ أن يخلد في صفيحة ذكر إنخذاله بل ذكر ظفـره كما فعل المصريون والآشوريون في خطوطهم القديمة. ولا يقام نكير على أن الصفيحة مثبتة إثباتاً علمياً آيات كثيرة من الكتاب وتطابقه جوهراً في رواية عمري وآحاب وحرب ملك مواب مع يورام ويوشافاط، وتوافقه في تاريخ مدة ملك عمري وآحاب ابنه. فقد صرح الكتاب بأن عمري ملك إثنتي عشرة سنة، وآحاب ابنه إثنتين وعشرين سنة. وإن زمري نازع عمري الملك فلم يستبد به إلا بعد مدة، فإن جعلنا مدة النزاع ست سنين كما جعلها بعض المحققين كانت مدة ملك عمري وآحاب ابنه أربعين سنة كما في الصفيحة، وأيضاً تكون المطابقة بين الكتاب والصفيحة إن أضفنا إلى سني ملك عمري وآحاب التي هي أربع وثلاثون سنة السنتين اللتين ملك فيهما أحزيا بن آحاب، وجعلنا تحرير مواب من سلطة إسرائيل في السنة الرابعة ليورام بن آحاب فيكون المجموع أربعين سنة.

وجاء في الصفيحة: «وكان رجال جاد يسكنون في أرض عطاروت منذ زمان مديد (وفي ترجمة لانرمان منذ زمان لا يُذكر بدوّه) ... وقال لي كاموش: إمض وافتح نابو على بني إسرائيل». وجاء في الكتاب (سفر العدد فصل ٣٢): «جاء بنو جاد وبنو راويين وكلّموا موسى... وقالوا: إن عطاروت وديون ويعيز... ونابو ومعون هي أرض تصلح للماشية، ولعبيدك ماشية فإن أصبنا عندك حظوة فلتعط هذه الأرض لعبيدك». وقيل بعد ذلك: «فبنى بنو جاد ديون وعطاروت وعروعر... وبنى بنو راويين حشبون وقرياتيم. ونابو وبعل معون». فتأمل بهذا الطباق بين أسماء هذه المدن في الكتاب وفي الصفيحة. ولما كان ما ذكره الكتاب مرّ عليه نحو من

سبعة قرون قبل ميثاع فحق له أن يقول إن بني جاد كانوا يسكنون هذه الأرض منذ زمان مديد أو منذ زمان لا يُذكر بدؤه. على أن قوله أنه بنى هذه المدن يراد به أنه رممها أو جدد بناءها بعد الخراب الذي أوقعه بها عسكر يورام ويوشافاط كما مر. ولا نسه عن الطبايق في اسمي كاموش معبود مواب ويهو إله إسرائيل بين الكتاب والصفحة. وقد حلت لنا هذه الصفحة معضلة أخرى وهي أن آيات المزمور ال ١١٩ والفصل ال ٣١ من سفر الأمثال. موزعة على أحرف الهجاء أي تبتدي كل آية بحرف من الحروف الإثني والعشرين. فقال بعض المنددين بالكتاب لم تكن أحرف الهجاء حينئذ في العبرانية إثني وعشرين حرفاً لأن بعض هذه الحروف وُضع متأخراً، فجاءت هذه الصفحة حاوية الإثني والعشرين حرفاً فأفحمت المنددين.

عد ٣١٠

الحرب بين ملك آرام وملك إسرائيل والمجاعة في السامرة

كان ملك آرام ابن هدد الثاني يحارب يورام ملك إسرائيل، وقد تعسر عليه الظفر. فلجأ إلى الحيلة وفاوض أعوانه في أن يقيم كميناً لملك إسرائيل فيقتله غيلة، فأرسل الإشاع وحذر يورام من العبور في محل الكمين واستجس فتحقق مقال النبي، فاحتفظ بنفسه وعلم ملك آرام وظن أن بين أعوانه من يخونه. فقبل له أن الإشاع النبي يخبر يورام بما يسره أعداؤه، فأرسل خيلاً ومراكب وجيشاً ليقبض على أليشاع ليلاً في دوتان (وهي تل دوتان الآن على نحو إثني عشر ميلاً من السامرة شمالاً). ورأى غلام الإشاع الجيش فصرخ إلى سيده فقال له لا تخف، فإن الذين معنا أكثر من الذين معهم ونزل إليهم الإشاع فأعماهم الرب عن عرفانه. وقال لهم ليست هذه الطريق ولا هذه المدينة، تعالوا ورائي فأسير بكم إلى الرجل الذي تطلبون، فسار بهم إلى السامرة وفتح الرب عيونهم فأبصروا، فإذا هم في وسط السامرة ونهى النبي يورام عن مضرتهم بشيء، بل أصلح لهم بأمره مأدبة عظيمة فأكلوا وشربوا ثم أطلقهم فمضوا إلى سيدهم.

فعدل ابن هدد عن الخيل، وعزم على أن يجاهر ملك إسرائيل بالمحاربة وجيش جيوشه وحاصر السامرة، ورأى ملك إسرائيل عجزه عن المهاجمة فاكتفى أن يحصن

نفسه ضمن أسوار المدينة فحصل جوع شديد حتى بيع رأس الحمار بثمانين من الفضة. وقدرها كلمت بقيمة مئة وثلاثين فرنكاً وقال بعضهم إنَّ المراد برأس الحمار الحمار برئته. وبيع ربع قب (مكيال) من زبل الحمام بخمسة من الفضة عبارة عن ثمانية فرنكات ونيف. ولهم في تفسير هذا الزبل أقوال منها أنَّ المراد به السرقين على ظاهر لفظه وقد اضطربهم الجوع إلى الأقتيات به. وقالوا إنه لا يخلو من مادة مغذية بدليل أنَّ بعض الطائر يأكله ويتغذى به، ومنها أنَّ المراد بزبل الحمام الحبوب التي تُعدّ لقوته كالزوان وغيره، أو التي كان الحمام يجمعها في وكره. وكان الحمام كثيراً في السامرة وعن يوسفوس إنهم كانوا يعتاضون بهذا الزبل عن الملح، والأظهر أنَّ زبل الحمام كان عندهم إسماعاً لنبات كالحماص من طائفة الحمص كانوا يقتاتون به حتى غلا ثمنه، أو اسماً للحبوب تنبت على أصول بعض الأشجار كحب الحمص، وكانوا يأكلونه (عن سنكتيوس عن كلمت في تفسير الآية). وقد اشتدَّ الجوع حتى أكلت النساء أولادهنَّ، ووافت يورام امرأة تشكو جارتها بأنها قالت لها هاتي ابنك نأكله اليوم وغداً نأكل ابني فطبخنا ابنها وأكلناه. وفي اليوم الثاني أخفت الأخرى ابنها فاحتدم الملك ومزق ثيابه، وجعل على بدنه مسحاً من تحت ثيابه وأراد أن يقتل أليشاع لتيقنه أنه كان قادراً على إزالة هذا الضيق بصلاته فلم يُزل. وأرسل الملك رجلاً يقتله وعرف الإشاع ذلك وكان جالساً في بيته، والشيوخ جلوس معه فأخبرهم به، وقال إذا دخل الرسول فاغلقوا الباب وأضعطوه فيه. ثم قال للشيوخ في مثل هذه الساعة من غدٍ يباع مكيال السميد بمئتين. ومكيالاً الشعير بمئتين بباب السامرة. فقال أحد أعوان الملك لو فتح الرب كوى في السماء هل يتم ذلك؟ فأجابه النبي سترى ذلك بعينيك ولكنك لا تأكل منه. وكان أربعة رجال برص يقومون عند مدخل السامرة لمنع البرص من مخالطة القوم فضايقتهم الجوع. وقال أحدهم لصاحبه إن دخلنا المدينة متنا وإن بقينا هنا متنا جوعاً، هلّمَّ ننزل إلى محلة الآراميين فإن أبقوا علينا عشنا، وإلا فلا أكثر من الموت في كلِّ حال. فمضوا غلساً إلى محلة الآراميين فلم يجدوا أحداً، وذلك أنَّ الرب كان أسمع جيش الآراميين أصوات مراكب وخيل وعسكر جرار. فتوهموا أنَّ ملك إسرائيل إستأجر عليهم ملوك الحثيين وملوك المصريين. فقاموا وهربوا عند الشفق وخلوا خيامهم وخيلهم وكلَّ ما كانوا ثمة يملكون. فدخل البرص المحلة وأكلوا وشربوا وأخذوا بعض الغنائم وبادروا إلى المدينة ينادون بما رأوا، فلم يصدّق الملك

إلى أن أرسل من حققوا الخبر. فخرج الشعب وانتهبوا محلة الآراميين وغنموا بما فيها حتى صار مكيال السميد بمثقال ومكيالا الشعير بمثقال كما قال النبي. ووكل الملك على الباب من كان أنكر على النبي صدق نبوته فداسه الشعب ومات. وتمت به نبوة النبي أيضاً (ملوك ٤ فصل ٦ و ٧).

ومرض ابن هدد ربما لانخدال جيوشه، ووافى الإشاع دمشق فقيل له قد أتى رجل الله إلى هنا. فقال الملك لحزائيل وزيره حمّل أربعين جملًا من أجود ما في دمشق هدية، واذهب إليه واسأله هل أبرأ من مرضي؟ ففعل حزائيل وقال له الإشاع امض وقل له لن تبرأ. ثم حدّق نظره إليه حتى بكى فقال حزائيل ما بال سيدي يبكي؟ فقال لأنني علمت بما ستصنعه ببني إسرائيل من السوء، فإنك ستحرق حصونهم وتقتل فتيانهم وتشدّخ أطفالهم، وتشقّ حبالهم، فقال من عبدك الكلب حتى يفعل هذا الأمر العظيم؟ فقال أراني الرب إياك ملكاً على آرام. فانصرف حزائيل ودخل على سيده فقال له ما قال لك الإشاع؟ فقال بشرني بأنك تعيش. وأخذ في الغد قطيفة (وهي دثار مخمل يضعه الإنسان عليه عند نومه) وغمسها بالماء وبسطها على وجهه فمات. فقال بعضهم إنَّ الملك نفسه بسط هذه القطيفة عليه أو أمر ببسطها تبريداً لحرارة الحمى التي كانت تعذّبه. وقال غيرهم إنَّ حزائيل ببسطها عليه بهذه الحجة وشدّها على وجهه حتى قطع الهواء عنه فمات. وهذا هو الظاهر من كلام يوسيفوس. وبعد موت ابن هدد ملك حزائيل مكانه (ملوك ٤ فصل ٨ إلى عد ١٦).

عد ٣١١

يورام ملك يهوذا

ملك يورام بن يوشافاط على يهوذا في السنة الخامسة لملك يورام بن آحاب على إسرائيل. وقد ملك مع أبيه سنة كما يتبيّن من سفر الملوك الرابع (فصل ٨ عد ١٦) حيث قيل وملك يورام ويوشافاط مالك على يهوذا. وإنه ملك ثمانين سنين في أورشليم ثم قال (في عد ٢٥) إنَّ احزيا بن يورام ملك في السنة الثانية عشرة ليورام بن آحاب، فيظهر أنه ملك نحو سنة في أيام أبيه وسبع سنين بعده. وكان كل من ملكي يهوذا وإسرائيل يسميان يورام. وكان يورام ملك يهوذا متزوجاً بعثليا

بنت آحاب وايزابل، فسار في طريق بيت آحاب وصنع السوء. ومن الأحداث المهمة في أيامه خروج الآدوميين من تحت أيدي يهوذا بعد أن كانوا من أيام داود يؤدون الجزية والخراج للملك يهوذا. فقد قتلوا ملكهم الذي كان يخلص الأمانة ليوشافاط وجأهروا بالعصاوة على يورام ابنه. فعبر الأردن وضرب بعض مدنيهم على أنه اضطر أن ينكس يفساً من ردهم إلى الطاعة، فذهبت مهابته، وذلت سيطوته في أعين الآدوميين وغيرهم. فقد قال الكتاب بأثر ما مرّ «وفي ذلك الوقت تمردت لبنة» عليه. وقد كانت مدينتان تسميان بهذا الاسم. إحداهما في نصيب سبط يهوذا ذكرت في سفر يشوع بن نون (فصل ١٥ عد ٤٢). وجاء في سفر أخبار الأيام الأول (فصل ٦ عد ٥٧) أنها جعلت مدينة ملجأ لبني هرون. وقال أوسايوس والقديس إيرونيموس أن موقعها كان في ناحية بيت جبرين، وعن لانرمان أنها المدينة التي تمردت على يورام إذ قال في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٦ عند كلامه في يورام) «في ذلك الوقت أبت لبنة المدينة الكهنوتية الواقعة في سهول يهوذا أن تخضع لهذا الملك الأثيم». ولبنة الثانية جاء ذكرها في سفر العدد (فصل ٣٣ عد ٢٠) بين مراحل بني إسرائيل إذ قيل: «وارتحلوا من رمون فارص ونزلوا بلبة». وعليه فهي في البرية ويظهر من قول يوسفوس (ك ٩ في تاريخ اليهود فصل ٢) إن هذه هي المدينة التي تمردت على يورام إذ قال: «إن حملة يورام على الآدوميين ذهبت بمهابته أمام هؤلاء الشعوب. وجزأت غيرهم على الثورة عليه، فلم يشأ سكان بلاد لاين (كذا يسمي لبنة) أن يخضعوا لسلطته.

ومن فظائع هذا الملك أنه قتل إخوته الستة عن آخرهم مع جماعة من رؤساء إسرائيل منقاداً إلى ذلك بمشورة امرأته عتليا بنت آحاب وايزابل، وربما كان أولئك الرؤساء يقاومونه بإكراهه الشعب على المضى إلى المشارف ليسجدوا للأوثان. وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني (فصل ٢١ عد ١٢): إنه «وردت إليه كتابه من ايليا النبي» وتضاربت الأقوال من مصدر هذه الكتابة لأن ايليا كان قد صعد بالغمام. فمن قائل إن ايليا كان عرف بالروح النبوي ما سيكون من يورام، فاستودع هذه الكتابة تلميذه الإشاع ليلغها إلى يورام حين الحاجة إليها. ومن قائل إن هذه الكتابة من قلم ياهو النبي ابن حناني فغير النساخ اسم ياهو باسم ايليا. ومن قائل إن ايليا ظهر لأحد الانبياء ولقنه هذه الكتابة وأمره أن يمضيها باسمه ويرسلها إلى يورام. ومن قائل إن ايليا كتبها من محل إختفائه وفحواها: «قال الرب إله داود أبيتك

لأجل أنك لم تسر في طرق يوشافاط أبيك وفي طرق آسا ملك يهوذا بل سلكت في طريق ملوك إسرائيل. وحملت يهوذا وسكان أورشليم على أن يفجروا كما فاجر بيت آحاب وقتلت أيضاً إخوتك آل أبيك الذين هم خيرٌ منك. فها هوذا الرب يضرب شعبك ضربة عظيمة مع بنيك وأزواجك وجميع مقتناك ويضربك أنت بأمراض كثيرة، بمرض في أمعائك حتى تتساقط أمعاؤك بسبب المرض يوماً فيوماً.

وقد أثار الرب على يورام الفلسطينيين والعرب الذين بقرب الكوشيين والمراد بهم العرب سكان جنوبي العربية حيث اليمن ومساكن المدينيين الذين يسمون كوشيين كما مرّ، أو الكوشيون حقيقةً وهم سكان الحبشة. وزحفت عساكر العرب إلى مملكة يهوذا وأنجدهم الفلسطينيون فافتتحوها مدنها. واتصلوا إلى أورشليم عاصمتها وانتهبوا كل ما وُجد فيها من المال في بيت الملك. وسبوا بنيه ونساءه فلم يبقَ له إلا يواحاز أصغر بنيه، ويسمى احزيا أيضاً ولم يلبثوا في اليهودية بل قفلوا إلى بلادهم غانمين. وأما يورام الملك فضربه الرب بداء عضال في امعائه حتى خرجت امعاؤه بعد أن قضى سنتين في آلامه ومات غير مأسوفٍ عليه، ولم يُدفن في مقبرة الملوك بل في محلٍ آخر في مدينة داود. وكانت مدة حياته أربعين سنة ملك في ثمانٍ منها. وقال يوسيفوس (ك ٩ ف ٣ من تاريخ اليهود) إنه ملك ثمانين وأربعين سنة وهو لا جرم خطأ من النساخ لأن يوسيفوس ذكر بعد ذلك ما يخالفه (سفر أخبار الأيام الثاني فصل ٢١).

عد ٣١٢

احزيا ملك يهوذا وياهو ملك إسرائيل

قد خلف احزيا أباه يورام وكان عمره يوم ملك إثنتين وعشرين سنة وملك سنة واحدة. وكانت أمه عتليا تدبره فاستسار في طريق بيت آحاب جده لأمه، وكانت في سنة ملكه الحرب بين حزائيل ملك دمشق خليفة ابن هدد الثاني وبين يورام خاله ملك إسرائيل. وخرج احزيا مع خاله لقتال حزائيل في راموت جلعاد (السلط)، والأظهر والأطبق للنص العبراني أن يورام كان قد استردّ راموت جلعاد من ملك دمشق مغتنماً فرصة موت ابن هدد، فحاول حزائيل خلفه استردادها من ملك إسرائيل، فكانت الحرب بينهما هناك وجرح فيها يورام واضطّر أن يعود إلى

قصره في يزرعيل (زرعين) ليعالج من الجراح التي أصابته. وتبعه احزيا ابن أخته ليعوده وبقي ياهو رئيس الجيش محافظاً على راموت، فاستدعى الإشاع أحد تلاميذه، وأمره أن يأخذ قارورة الدهن ويمسح ياهو بن يوشافاط بن نمشي ملكاً على إسرائيل بدلاً من يورام بن آحاب. فمسح تلميذ الإشاع ياهو قائلاً قد مسحك الرب ملكاً على إسرائيل، فاضرب بيت آحاب ولا تبقِ على أحد منه، وانتقم لدماء عبيد الرب وأنبيائه، فخرج ياهو وأخبر قومه بما كان فنادوا به ملكاً. وركب ياهو وأخذ معه فريقاً من الجيش ميمماً يزرعيل، ولما رآه الرقباء أخبروا الملك، فأرسل فارساً للكشف فأمسكه ياهو عن العود وكذلك فعل بالفارسيين الثاني والثالث؛ ولما دنا ياهو من المدينة خرج إليه يورام ملك إسرائيل واحزيا ملك يهوذا فالتقيا به عند حقل نابوت اليزرعيلي. فقال يورام أسلام يا ياهو؟ فقال له أي سلام ما دام فجور أمك ايزابل وسحرها الكثير؟ فردَّ يورام يديه وهرب قائلاً لأحزيا خيانة يا احزيا، فرماه بالقوس فأصابه بين ذراعيه. ونفذ السهم من قلبه فمات في مركبته. وقال ياهو لأحد أعوانه خذه واطرحه في حقل نابوت، واذكر إذ كنت راكباً أنا وأنت معاً وراء آحاب أيه كيف جعل الرب هذا الحمل عليه. وأما احزيا فهرب في طريق بيت البستان فجرى ياهو في أثره وقال: ارموه فرموه وبُجرح واستمَّ هارباً إلى مجدو (اللجون الآن) فمات هناك وحمله عبيده في المركبة إلى أورشليم ودفنوه مع آبائه في مدينة داود.

ثم دخل ياهو يزرعيل وكسخت ايزابل عينيها وزينت رأسها وأشرفت من طاق، ولما دخل ياهو من الباب قالت: أسلام لزمري قاتل سيّده؟ فأمر خصيائه أن اطرحوها فطرحوها، فترشش من دمها على الحائط وعلى الخيل وداستها، ودخل وأكل وشرب، وقال افتقدوا. هذه الملعونة وادفنوها لأنها بنت ملك، فمضوا فلم يجدوا منها إلا جمجمتها ورجليها وكفيها، فعادوا وأخبروه فقال هذا كلام الرب على لسان النبي ايليا إنه في حقل يزرعيل تأكل الكلاب لحم ايزابل. قال كاران (مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٢٠) إنَّ الطاق الذي أشرفت منه ايزابل لم يكن في محل البرج القائم الآن في زرعين، بل كان عند سور المدينة الشرقي من حيث دخل ياهو والظاهر من آي الكتاب أنها أشرفت عليه عند دخوله في باب المدينة وهناك رجم نابوت اليزرعيلي.

وكان لآحاب سبعون ابناً في السامرة فكتب ياهو إلى رؤساء إسرائيل فيها إنَّ

عندكم بني سيدكم وعندكم المراكب والخيول والسلاح، انظروا الأصلح من بني سيدكم وأجلسوه على عرش أبيه وقتلوا عنه. فخافوا جداً وقالوا هوذا ملكان لم يشبنا أمامه فكيف نثبت نحن؟ وأرسلوا قائلين إنما نحن عبيدك وكل ما قلت لنا نفعله، لا نقيم أحداً ملكاً وما يحسن في عينك فافعله. فكتب إليهم كتاباً ثانياً يقول فيه إن كنتم لي ومن المطيعين لأمرى فخذوا رؤوس أبناء سيدكم وتعالوا إليّ في مثل هذه الساعة من غد. فأخذوا أبناء الملك وذبحوا السبعين رجلاً وجعلوا رؤوسهم في سلال ووجهوها إليه. فقال إجعلوا الرؤوس كومتين إلى الغداة وخرج في الغداة وقال لجميع الشعب أنتم أبرياء، هأنذا قد قتلت سيدي الملك ولكن من الذي قتل هؤلاء جميعاً؟ يريد أن الله أمر بقتلهم انتقاماً من آحاب ونسله لأنهم عثوا في إسرائيل وأدخلوا فيه عبادة الأوثان. وقال: اعلموا أنه لا يسقط شيء من كلام الرب الذي قاله إيليا. ثم قتل ياهو جميع الباقين من بيت آحاب في يزرعيل وجميع عظمائه ومعارفه وكهنته حتى لم يبق منهم باق. وانطلق إلى السامرة فالتقى ياثنين وأربعين رجلاً من أقرباء حزيا ملك يهوذا كانوا أتوا ليسألوا عن سلامة ملكهم. فأمر بقتلهم فقتلهم على آخرهم. ثم وافى السامرة وقتل كل من بقي لآحاب فيها، وتظاهر بأنه يريد أن يقدم الذبائح للبعل، واستدعى جميع كهنة البعل وأنبيائه. فاجتمعوا من كل فج في هيكل البعل الذي كان آحاب بناه في السامرة وتحرق أن لا يكون بينهم أحد غير عباد البعل. وأقام على الأبواب ثمانين رجلاً وقال لهم من نجا من هؤلاء فنفسكم بدل نفسه، فضربوهم بحد السيف ولم يفلت أحد منهم. وكسروا تمثال البعل وهدموا بيته وجعلوه مرحاضاً. وكانت هذه الصرامة ضربة لازب لإصلاح فساد إسرائيل ورده عن عبادة الأوثان، وكانت الأيام تبيحها والله أمر بها. إلا أن ياهو ترك عجلي الذهب اللذين أقامهما ياربعام في بيت إيل (بيت اين) ودان (تل القاضي). ووعد الرب ياهو أنه سيجلس من بنيهِ إلى الجيل الرابع على عرش إسرائيل جزاء لأعماله القويمة، لكنه عاقبه عن تركه عجلي الذهب بإثارة حزائيل ملك دمشق الحرب عليهم كما سترى (ملوك ٤ فصل ٩ و ١٠).

جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ١٠ عد ٣٢): «في تلك الأيام ابتدأ الرب يقطع من إسرائيل فضر بهم حزائيل (ملك دمشق) في جميع تخوم إسرائيل» من باشان (باسان) إلى عروعر (عراعر) التي على وادي ارنون (وادي المعجب). واكتفى الكتاب بإعلامنا بهذه الحرب بهذه الآية الموجزة على أن الخطوط المسماة

كشفت لنا عما يظهر منه أنّ ياهو استنجد بسلمناصر ملك آشور على حزائيل ملك دمشق. وكان ذلك خطأ سياسياً وخيم العاقبة، ولم يظن أنّ مداخله دولة قديرة في تلك الأيام تبلغ ما لا يبلغه أعداؤه من المضرة. وقد جاء في نبوة هوشع على ياهو ومن اقتدى به: «قد رأى أفرائيم سقمه ويهوذا ضمارة فانطلق أفرائيم إلى آشور وأرسل (الهدايا أو الجزية) إلى الملك المنتقم لكنه لا يستطيع أن يشفيكم ولا هو يزيل عنكم الضمار» (هوشع فصل ٥ عد ١٣). وقال (فصل ١٢ عد ١): «إنّ أفرائيم يرعى الريح ويتبع السموم... وهم يبنون عهداً مع آشور» ثم (فصل ١٤) «لا يخلصنا آشور... يحمل إلى آشور هدية للملك المنتقم فينال أفرائيم خزيّاً ويخجل إسرائيل من مشورته» فقبل الإكتشافات الحديثة لم يكن مغزى هذه الآيات بيناً لأن الكتاب لم يخبرنا بما كان في عهد سلمناصر. فتضاربت أقوال المفسرين في تفسيرها فيسرت لنا الخطوط السمارية إدراكها إذ أبانت لنا أنّ سلمناصر حارب حزائيل بعيد جلوسه على منصة الملك في دمشق، فقدّم له ياهو حينئذ الجزية. فقد جاء في آثار سلمناصر: «في السنة الثامنة عشرة للملكي عبرت الفرات المرة السادسة عشرة وكان حزائيل ملك سورية اعتمد على قوة جيشه، وألب جنوده جمّاً غفيراً وتحصن في سانيرو في قمة الجبل المقابل للبنان (الجبل الشرقي). فحاربه وكسرتة كسراً تاماً وأبدت بالسلاح ستة عشر ألف من عساكره. وغنمت منه بألف ومئة وإحدى وعشرين مركبة، وأربع مئة وسبعين فارساً مع ذخائرهم وفرّ هو لينجو من البوار، فاتبعته إلى دمشق حاضرة ملكه وحاصرتها، وقطعت أشجارها وسرت إلى جبال حوران ودمّرت مدناً تشد عن العد. وأحرقته وأخذت منها أسرى لا عداد لهم... وفي هذه الأيام أخذت الجزية من صور وصيدا ومن ياهو بن عمري».

وقد سمي ياهو بن عمري لأن عمري هو أصل الدولة الساقطة، فهو أبو آحاب وجد ابنه أحزيا ويورام وهو الذي بنى السامرة، وجعلها عاصمة للملك. ولذلك سمى الآشوريون ملوك إسرائيل أبناء عمري ومملكة عمري. وقد نقشت على مسلة نمرود صورة تمثّل سلمناصر واقفاً وبجانبه رجلان من عظماء مملكته، يحمل أحدهما مظلة، ويقدم الآخر إليه سفراء الملوك حاملين التقادم والجزيات، وبين هؤلاء السفراء رجل يقبل الأرض خائراً أمام الملك، ومن ورائه وفد يقدمون تقادهم للعاهل الآشوري، وفي أعلى المسلة صورة ايلو الإله السامي، وقد نقشت على أسفلها هذه الكلمات «جزية ياهو بن عمري». وصورت على الوجه الثاني والثالث والرابع من

المسلة صور التقادم محمولة على أكتاف إسرائيل أو أكفهم وخط تحتها: «جزية ياهو ابن عمري فضة وذهب وسبائك ذهب وآنية ذهبية وأثاث ملكي وصولجان ليد الملك وعصا من ذهب هذا ما أخذته وقد نُحِطُ على هذه المسلة ذكر حملة أخرى غزا بها سلمناصر حزائيل ملك دمشق في السنة الـ ٢١ للملكه وإليك ترجمة هذا الخط «في السنة الحادية والعشرين للملكي عبرت الفرات المرة الثانية عشرة وزحفت إلى مدن حزائيل وأخذت حصونه واستوفيت جزية صور وصيدا وكوبل (جبيل)» ولم يأت بذكر ياهو حينئذٍ مع إله قد يكون أخذ الجزية منه كما أخذ جزية مدن فينيقية. ومسلة نمروذ هذه محفوظة الآن في المتحف البريطاني، ولها مثال في متحف اللوفر في باريس. ثم مات ياهو بعد أن ملك السامرة ثماني وعشرين سنة ودفن في السامرة وخلفه ابنه يواحاز (ملوك ٤ فصل ١٠).

الفصل السابع عشر

باقي ملوك يهوذا وإسرائيل إلى خراب السامرة

عد ٣١٣

قتل عتليا أبناء النسل الملكي ونجاة يواش

قال الكتاب (ملوك ٤ فصل ١١) إِنَّ عتليا بنت آحاب أم أحزيا (ملك يهوذا) لما رأت أَنَّ ابنها قد مات أهلكت جميع النسل الملكي لتستبد هي في الملك. فأخذت يوشابع ابنة الملك يورام أخت أحزيا يواش ابن أخيها هو ومرضعاً له وأخفته في مخدع الأسرة حيث كان ينام الكهنة في جانب الهيكل فلم يُقتل. وملك عتليا ست سنين وهي لا تدري أَنَّ يواش حي، وكانت يوشابع عمته زوجة ليوياداع رئيس الأُخبار. ولما كانت السابعة استدعى يوياداع روساء مئآت الجنود، وأدخلهم إلى بيت الرب وقطع معهم عهداً واستحلفهم أَنْ يكتُموا السر وأراهم ابن الملك. وأرسل بعض اللاويين يؤهبون الشعب لهذا الانقلاب المهم، ويستدعون باقي اللاويين

والكهنة وروساء أسرات إسرائيل ليتجمعوا في أورشليم يوم سبت، ولعلّه كان في أيام أحد الأعياد الثلاثة السنوية. ولما اجتمعوا أقام يوياداع بعضهم لحراسة أبواب الهيكل، وبعضهم للإحاطة بالملك واستخرج الأسلحة التي كانت في خزانة الهيكل ودفعه إلى المحافظين. وأتى ييواش ومسحه هو وبنوه ووضع التاج على رأسه فصقّ كل الشعب وهتفوا يحيى الملك وأقسموا على طاعته والذب عنه. وسمعت عتليا ضوضاء الشعب ودخلت الهيكل فإذا الملك قائم على المنبر عادة الملوك والرؤساء وأصحاب الأبواق يحيطون به وجميع الشعب يفرحون. فمزقت عتليا ثيابها غيظاً وكمدت وهتفت خيانة، فأمر يوياداع رؤساء المئات أن يخرجوها خارج الصفوف وأن يقتلوا كل من يتبعها. فاخرجوها وقتلوها في طريق مدخل الخيل إلى بيت الملك. وجعل يوياداع الملك والشعب يعاهدون الرب لأنهم لا يعبدون سواه ولا يحيدون عن طرق سننه وقطع عهداً بين الملك والشعب. ودخل الشعب بيت البعل الذي في أورشليم وهدموه. وحطموا مذابحه وتماثيله وقتلوا متان كاهن البعل أمام المذابح، وأنزل رؤساء المئات الملك من بيت الرب إلى بيت الملك فجلس على عرش الملك. وكان يوياداع مدبراً للملك إلى أن شبّ يواش ملوك ٤ فصل ١١ وسفر أخبار الأيام الثاني فصل ٢٣).

عد ٣١٤

يواش ملك يهوذا

ملك يواش وعمره سبع سنين واستمر على منصة الملك أربعين سنة وأحسن المسعى كل الأيام التي كان فيها يوياداع يرشده، واهتم يواش بمرمة ما كان تهدم من بيت الرب. وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني (فصل ٢٤ عد٧): «إن عتليا الأثيمة وبنيتها قد هدموا بيت الله. وبذلوا جميع أقداس بيت الرب للبعليم». فأمر يوياداع أن يوضع صندوق مثقوب في جانب المذبح، وكان الكهنة يضعون فيه جميع الفضة الموردة إلى بيت الرب فرثموا ما كان تهدم من الهيكل. وقد زوج يوياداع يواش يامراتين فولد بنين وبنات. وشاخ يوياداع وبلغ مئة وثلاثين سنة من عمره ومات. فتبدلت حال يواش الذي كان رجلاً واهناً ضعيف العزيمة متقلباً، فاقبل إليه بعد وفاة يوياداع بعض رؤساء يهوذا الأشرار المتملقين، واغروه بأن تركوا الرب وعبدوا العشتاروت والأصنام، فغضب الرب على يهوذا وأورشليم. وبعث

إليهم انبياء يندرونهم فتصاموا عن سماعهم وحمل روح الرب زكريا بن يوياداع فوقف أمام الشعب، وقال كذا قال الله لِمَ تتعدون وصايا الرب إنكم لا تفلحون لأنكم تركتم الرب، فترككم. فتحالفوا عليه ورجموه بالحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب. ولم يذكر يواش الرحمة التي صنعها إليه يوياداع إذ كان له كَأَب. وقال زكريا عند موته: ينظر الرب ويطلبه بدمي.

ولم تمضِ سنة إلا وخرج حزائيل ملك دمشق على مملكة يهوذا فقتل وخرب وافتتح جت (ذكرين). وهم أن يفتت أورشليم فسولت ليواش جبانته أن يجمع كل نفيس في خزائن الهيكل ودار الملك من أيام أجداده، وأن يرسله جزية إلى حزائيل. فانصرف عن أورشليم وعاد إلى دمشق على أنه أرسل في السنة التالية عدداً يسيراً من جنوده لأخذ الجزية تلك السنة، فجيش يواش عسكرياً ينيف أضعافاً على جنود حزائيل فانكسر جيشه أمام أولئك القليلين الذين دخلوا البلاد حتى أورشليم، وقتلوا بعض أكابر يهوذا وأخذوا غنيمة كبيرة أرسلوها إلى حزائيل في دمشق، وأوسعوا يواش إهانات وشتائم وتركوه مصاباً بأمراض عديدة. فلم يحتمل عبيده أنفسهم فتكده بزكريا وإذلاله لهم أمام أعدائهم وتحالفوا عليه وقتلوه ولم يدفنوه في مقابر الملوك. وملكوا مكانه ابنه أمصيا (ملوك ٤ فصل ١٢ وسفر أخبار الأيام الثاني فصل ٢٤).

عد ٣١٥

يواحاز بن ياهو ملك إسرائيل ويواش ابنه

قد مر (عد ٣١٢) أن ياهو ملك في السامرة ثماني وعشرين سنة ومات. فخلفه ابنه يواحاز في السنة الثالثة والعشرين ليواش ملك يهوذا (ملوك ٤ ف ٢٣). وصنع الشر سالكاً في طريق ياربعام بن نباط الذي آثم إسرائيل. فاشتد غضب الرب على إسرائيل، وأثار عليهم حزائيل ملك الآراميين في دمشق وابنه المسمى هدد الثالث فأذلّاهم، وأضعف قوتهم حتى لم يبقَ ليواحاز من جنوده إلا عشرة آلاف راجل وخمسون فارساً وعشرة مراكب. وقد أنبأنا عاموس النبي (فصل ١ عد ٤ و ٣): أن ملوك دمشق داسوا سكان جلعاد بنوارج من حديد قائلاً: «هكذا قال الرب إني لأجل معاصي دمشق الثلاث والأربع لا أردّها لأنهم داسوا جلعاد بنوارج

من حديد فأرسل ناراً على بيت حزائيل فتأكل قصور ابن هدد». ويظهر أن حزائيل أخذ من ملك إسرائيل كل ما ملكه في شرقي الأردن. وقد تاب يواحاز إلى الرب واستعطف وجهه فاستجابه لأنه رأى ضيم إسرائيل، ففرج عنهم وأتاهم مخلصاً، فخرجوا من ضيق الآراميين.

ذهب بعض المفسرين أن المراد بهذا المخلص يواش بن يواحاز، وذهب غيرهم إلى أن المراد أن الرب قيض ليواحاز نفسه بعض الانتصار على الآراميين، فاستراح بنو إسرائيل مدة على أنهم لم يعدلوا عن عبادة عجول الذهب. فعاودتهم المذلة والهوان ومات يواحاز بعد أن ملك في السامرة سبع عشرة سنة. وملك يواش ابنه مكانه في السنة السابعة والثلاثين ليواش ملك يهوذا. وإذا راعيت أنه قيل في (ملوك ٤ فصل ١٣ عد ١) إن يواحاز ملك في السنة الثالثة والعشرين ليواش ملك يهوذا وأنه ملك سبع عشرة سنة، وراعت أنه قيل (في عد ١٠ من هذا الفصل) أن يواش بن يواحاز ملك يهوذا، علمت أن ثمة غلطاً من غفلة النساخ والصواب أما أن يواحاز ملك في السنة العشرين ليواش وأما أنه ملك أربع عشرة سنة لا سبع عشرة، وأما يواش ملك إسرائيل ملك في السنة التاسعة والثلاثين أو الأربعين ليواش ملك يهوذا.

قد ملك يواش بن يواحاز في السامرة ست عشرة سنة وكان حينئذ ملك يهوذا وملك إسرائيل يسميان باسم واحد وهو يواش. وصنع ملك إسرائيل الشر أمام الرب متبعاً طريقة ياربعام بن نباط بعبادة عجول الذهب. وكان حزائيل ملك دمشق قد مات وخلفه ابنه المسمى ابن هدد الثالث بهذا الاسم من ملوك دمشق. وكان واهن القوة جبناً فانتصر يواش عليه واسترد أكثر المدن التي كان أبوه حزائيل انتزعها من يد يواحاز. وقد شجع الإشاع النبي يواش على محاربة ابن هدد، فإن الملك علم أن النبي دنف فمضى إليه عائداً مودعاً باكياً عليه، وهو يقول يا أبي يا أبي يا مركبة إسرائيل وفرسانه فأمره الإشاع أن يأخذ قوساً ويرمي نحو المشرق، فرمى ثلاث مرات وأمسك، فقال له النبي ثلاث مرات تضرب آرام وتنتصر ولو رميت خمس مرات أو ستاً لأبدت آرام. وأعظم انتصارات يواش على ملك دمشق كان في وقعة أفيق (وهي أفيك الآن في الطريق بين دمشق وأورشليم). وقد كفه عن حرب الآراميين غزاة أتوا من مواب يعثون في أرضه وينهبون، وبينما هم يقبرون رجلاً أبصروا الغزاة، فألقوا ميتهم في قبر الإشاع الذي كان الله توفاه، فلما مست جثة الرجل

عظام اليشاع عاش وقام على قدميه فطاردوا الغزاة وهزمهم. وقد انتشبت حرب بين يواش وأمصيا ملك يهوذا لما ستراه، وتلاقى المكان في بيت شمس (وهي عين شمس الآن في غربي أورشليم). فانكسر بنو يهوذا من وجه ملك إسرائيل وفر كل إلى محله، وقبض يواش على أمصيا. وأتى إلى أورشليم ودك أسوارها من باب أفرائيم شرقاً إلى باب الزاوية نحو أربع مئة ذراع. وأخذ كل ما وجده من الذهب والفضة والآنية في بيت الرب وفي خزائن دار الملك، وأخذ بعض وجوه بني يهوذا رهينة كيلا يعود قومهم لمحاربتة، وعاد إلى السامرة وقد أطلق أمصيا ليعود إلى ملكه. ثم مات يواش ودفن في السامرة وخلفه ابنه ياربعام الثاني (ملوك ٤ فصل ١٣ وسفر أخبار الأيام الثاني فصل ٢٥).

عد ٣١٦

أمصيا ملك يهوذا

ملك أمصيا في أورشليم وعمره خمس وعشرون سنة واستمر على منصة الملك تسعاً وعشرين سنة. وصنع ما هو قويم في عيني الرب على أنه لم يزل المشارف بل لبث الشعب يقدّمون الذبائح والبخور في الأماكن المرتفعة، ولما استتب له الأمر قتل قاتلي أبيه وعفا عن أولادهم جرياً على ما جاء في التوراة. أن لا يقتل الآباء بالبنين ولا البنون بالآباء بل يجرى كل امرئ بما جنت يده. وقد أزمع على أن يخضع الأدوميين لسلطة ملك يهوذا التي كانوا قد نبذوها في عهد يورام، فأحصى شعبه بني يهوذا وبنيامين من ابن عشرين سنة فما فوق فكانوا ثلاث مئة ألف منتخبين. واستأجر من بني إسرائيل مئة ألف مقاتل بمئة قنطار من الفضة. قال فيكورو (في معجم الكتاب) إنها تساوي ثمان مئة وخمسين ألف فرنك. وهم أن يزحف إلى الأدوميين، فجاءه نبي لم يسمه الكتاب فقال له أيها الملك لا يذهب رجال إسرائيل معك لأن الرب غاضب عليهم. وإن ذهبوا أسقطك الله في وجه العدو، فقال أمصيا فما أفعّل بمئة القنطار من الفضة التي أعطيتهم؟ فأجابه النبي إن الرب يعطيك أكثر منها كثيراً، فارجع رجال إسرائيل إلى تخومهم فوغرت صدورهم عليه غيظاً. وأخذوا يهبون ويقتلون في طريقهم حتى بلغ عدد القتلى ثلاثة آلاف، فاغضى أمصيا على صنيعهم إلى حين، وغشي بعسكره بلاد أدوم في العربة. وتسعرت نار الوغى بين الفريقين في وادي الملح في جنوبي البحر الميت حيث ضرب داود أو

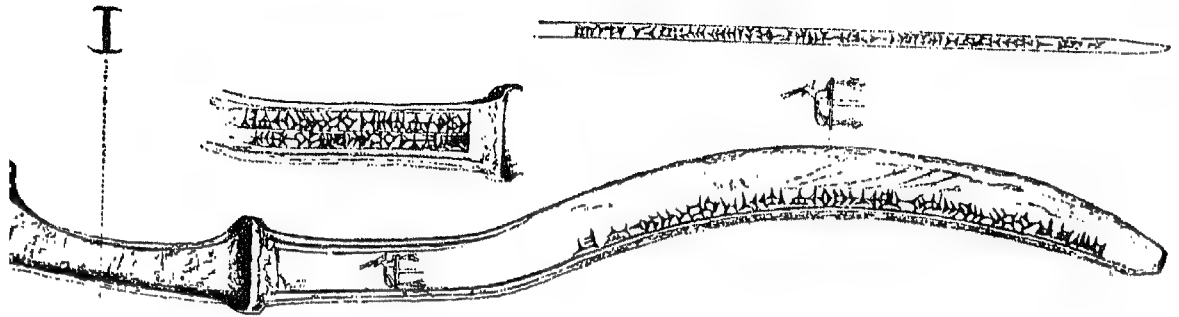
يواب قائد جيشه هولاء الأدوميين. وقتل أمصيا منهم عشرة آلاف رجل وأسر عشرة آلاف ثم طرحوهم من أعلى صخرة فتحطّموا. وافتتح مدينتهم التي سمّاها الكتاب الصخرة، وسمّاها اليونان بعد ذلك بترّا وهي مدينة حجر في بلاد العرب، وغير أمصيا اسمها ودعاها يقتيل أي المفتحة بالله.

وعاد أمصيا من غزوته ظافراً متفاخراً وأحضر معه تماثيل آلهة الأدوميين وسجد لها استرضاءً كي لا تضرّه. فغضب الرب عليه وأرسل نبياً يؤنبه على فعلته، فازدجر النبي وهدده بالقتل فانذره النبي بهلاكه وانصرف عنه. وأرسل أمصيا إلى يواش ملك إسرائيل يقول له تهكماً هلّم نترأى مواجهة وكأنّه يستدعيه للنزال أو الحرب ليقصص من رجاله الذين اعتدوا على بني يهوذا، فأرسل إليه ملك إسرائيل يقول إنّ العوسج (أو الشوك على ما في العبرانية) الذي في لبنان أرسل يقول لأرزه: زوج ابنتك لابني فجازت وحش الصحراء ووطئت العوسج. وفشّر له مثله بقوله إنّك قد ضربت أدوم فطمح بك قلبك إلى من هو أعظم منك فافخر وتلبّث في بيتك، ولا تتعرضنّ للشر فتسقط أنت ويهوذا معك. فلم ينتصح أمصيا وصعد عليه ملك إسرائيل، فكانت بينهما الحرب التي مر ذكرها في الكلام على يواش، وقد أفضت إلى مذلة أمصيا وشعبه، وافتتاح يواش أورشليم ونهبها. ثم مات يواش وعاش أمصيا بعده خمس عشرة سنة ذليلاً خاملاً إلى أن تحالف عليه بعض رجاله في أورشليم. ففر إلى لاكيش (وهي أم القيس الآن في الجنوب الغربي من بيت جبرين وفي غربي عجلون). فأرسل المتحالفون رجالاً في أثره فقتلوه في لاكيش، وحمل على الخيل فدفن مع آبائه في مدينة داود، وأقام بنو يهوذا عزريّا ملكاً مكانه (ملوك ٤ فصل ١٤ وسفر أخبار الأيام الثاني فصل ٢٥).

عد ٣١٧

ياربعام الثاني ملك إسرائيل ويونان النبي

خلف ياربعم يواش أباه في الملك على إسرائيل، وقد استوى على عرش الملك في السامرة إحدى وأربعين سنة، وسلك مسلك ياربعم بن نباط على أنّ الرب قيض له نصراً أو فتحاً على بعض أعدائه شفقةً على بني إسرائيل، إذ لم يشأ أن يحو اسمهم، بل أن يؤدبهم ويرأف بهم. فحارب الآراميين في مملكة دمشق وظهر عليهم، ورد تخوم مملكة إسرائيل لتكون من مدخل حماه إلى بحر الغور أي البحر



صورة سيف بنيرار الأول من اركان ملوك آشور وجد هذا السيف وعليه
اسم هذا الملك في ضواحي ديار بكر

الميت، واسترد بلاد العمونيين والموآبيين إلى مملكة إسرائيل، وأنقذ بني إسرائيل الساكنين في شرقي الأردن من ولاية ملك دمشق ولم يفز ياربعام بهذا النجاح لمجرد قوته، بل لتوفيق الله، بل لأنه تعالى قد قوى حينئذ ملك آشور على مملكة الآراميين في دمشق فأذلّها وأحمد جذوة قوتها. وقد كشفت لنا الآثار الآشورية النقاب عن وجه هذه الحقيقة فقد جاء في آثار بنيرار ملك آشور أنه غزا سورية واتصل إلى شاطيء البحر المتوسط في جهة فلسطين. وإليك ما كتبه على جدار بلاطه «بلاط بنيرار الملك العظيم الملك القدير ملك الشعوب ملك أرض آشور الملك الذي اتخذه آشور ملك الآلهة السبعة ابناً له... ومن جهة الفرات الأخرى أخضعت أرض الحثي (الحثيين) وأرض اهارى (أو أحاري أي شواطئ البحر المتوسط) على اتساعها صور وصيدا. وأرض عمري (أي مملكة إسرائيل)، وبلاد الفلسطينيين حتى البحر الكبير في مغرب الشمس (البحر المتوسط) وافترضت عليهم جزية. وغشيت أيضاً أرض ايميروس (سورية دمشق) لمحاربة مريحا ملك أرض ايميروس وحصرته في دمشق عاصمة ملكه. ودوخته مهابة عظيمة آشور سيدي فترامى على قدمي وجاهر بتذللّه وخضوعه. فأخذت منه ٢٣٠٠ وزنة فضة وعشرين وزنة ذهب و٣٠٠٠ وزنة نحاس و٥٠٠٠ وزنة نحاس وأنسجة صوف وكتان وسريراً من عاج ومظلة من عاج وأموالاً وأثاثاً لا عداد لها. فهذا ما أخذته من دمشق مقرّ ولايته ومن بلاطه».

ولا ذكر في هذه الخطوط لمملكة يهوذا مع أنها ذكرت مدن فينيقية ومملكة إسرائيل في شماليها ومدن فلسطين في غربيها وبلاد الآدوميين في جنوبيها. ويظن أن امصيا كان يلي حينئذ مملكة يهوذا وأنه سالم الغازي. ولم تؤرخ هذه الخطوط غزوة بنيرار لمريحا ملك دمشق وحسب سميت أنها كانت في سنة ٧٩٧ ق.م. على أن تواريخ الآشوريين تجعل غزوة شواطئ البحر المتوسط وبلاد فلسطين لسنة ٨٠٣ ق.م.

إن هذه الخطوط منبئة بآيهان ملك آشور سطوة ملك دمشق وبعلة فوز ياربعام الثاني على الآراميين واسترداده ما قد كانوا أخذوه من مملكته. ويظهر أن بنيرار حالف ملك إسرائيل بعد أخذه الجزية منه. وعليه فقد يكون ياربعام ناصر جيش بنيرار في افتتاح دمشق ونهبها. وربما كان هذا مغزى قول الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٤ عد ٢٨) إن ياربعام استرجع لإسرائيل دمشق. وقد جاءت هذه الخطوط أيضاً مصداقاً لنبوة عاموس النبي إذ قال (فصل ١ عد ٣): «هكذا قال الرب إني لأجل معاصي دمشق الثلاث أو الأربع لا أردّها (أي لا أرد قضيتي أو حكمي عليها) لأنهم داسوا جلعاد بنوارج من حديد، فأرسل ناراً على بيت حزائيل فتأكل قصور ابن هدد واكسر مزلاج دمشق، واستأصل الساكن من بقعة آون والقباض على الصولجان من بيت عدن (هما محلان في دمشق أو جوارها)، ويذهب شعب آرام إلى الجلاء إلى قير»، فقد بدأ بنيرار في إذلال دمشق كما رأيت في أثره وأتم تجلت فلاصر النبوة إذ جلى الآراميين إلى قير كما سترى.

قد كان يونان النبي في أيام ياربعام هذا لأنه جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ١٤ عد ٢٥) أنّ يونان هو الذي تنبأ على رد ياربعام تخوم إسرائيل من مدخل حماة إلى الغور (البحر الميت)، وقد نبأنا الآثار الآشورية لماذا تردد النبي في الذهاب إلى نينوى لانذار أهلها وحاول الهرب إلى ترشيش (ترسيس الآن) ولماذا حزن واغتم؟ إذ لطف الله بهم ولم يخرب مدينتهم كما كان قد هددهم بلسانه، أعني لأن ملوك نينوى وجنودها كانوا يضيّقون على بني إسرائيل ويثقلونهم بالجزيات كما رأيت، وكان النبي يرى اشتداد هذا الضيق على ما هو عليه من الغيرة على شعبه ووطنه. هذا وقد تذرّع جاحدو الوحي بسماع أهل نينوى وملكها انذار يونان ونصائحه للتكذيب بآيات الوحي قائلين كيف يعمل أهل نينوى بنصائح نبي مرسل من غير آلهتهم؟ لكن الآثار القديمة كشفت لنا الستار عن بطلان تنديدهم إذ أبانت لنا آثار كثيرة ان كل مدينة أو شعب كان لهم معبود خاص، لكنهم كانوا يجلبون

آلهة غيرهم ويهيمون قوتها، وكانوا يتحاشون اهانة الآلهة وإن أجنبية لاعتقادهم قدرتها على الإنتقام ممن يعصى أمرها أو ينبذ إنذارها.

قد أثبت روينسون أنّ بنيرار هو الذي كان مالكا في نينوى عند إنذار يونان أهلها لأنّه كان معاصراً لياربعام، الذي كان يونان في أيامه وقد استمر ضابطاً صولجان الملك تسعاً وعشرين سنة. وفي نينوى إلى اليوم آثار دالة على إنذار يونان أهلها. فعلى مقربة من نينوى القديمة تل يسمى تل النبي يونس وإن هو إلا يونان، وإن بعضهم يسمي هذا التل تل التوبة إشارة إلى إنذار يونان بها والتقليد العام والثابت إلى اليوم موجب للتصديق بذلك.

وخلف سلمناصر الثالث بنيرار المار ذكره والظاهر من بعض الآثار الآشورية أنّ سلمناصر هذا ملك من سنة ٧٨٣ إلى سنة ٧٧٣ ق.م. وغشي أنحاء دمشق سنة ٧٧٥ فدفع إليه ياربعام الجزية. على أنّ مجد نينوى أخذ في الإنحطاط في أيام هذا الملك وزيد انحطاطاً في أيام خلفه آشور دانيال الذي استوى على العرش من سنة ٧٧٣ إلى سنة ٧٥٥ ق.م، وعلى اشتغاله بإخماد الثورات عليه في أنحاء عديدة، غزا سورية غزوتين الأولى في بدء ملكه ضرب بها دمشق وحدراك، وهذه المدينة قد ورد ذكرها في الكتاب مرة واحدة في نبوة زكريا (فصل ٩ عد ١) يتهددها النبي بالخراب مع دمشق ولا يعلم موقعها بعينه، ولكن لا بد أن تكون قرية من دمشق لجمع النبي والآثار الآشورية بينهما في الكلام عليها.

والغزوة الثانية حارب بها حدراك وحدها سنة ٧٦٥ ق.م ثم توفي آشور دانيال وخلفه آشور نيرار الثاني ولم يكن في ملكه ما يفخر به ومع ذلك حل على حدراك سنة ارتقائه عرش الملك وهي سنة ٧٥٥ ق.م. وغزا في السنة التالية أرفاد أو أربد التي لم يكن موقعها معروفاً قبل الإكتشافات الآشورية إلا بذكر الكتاب لها في سفر الملوك الرابع (فصل ١٨ عد ٣٤ وفصل ١٩ عد ١٣)، وفي نبوتي أشعيا وأرميا وكان بعضهم يظن أنّ المراد بها أرواد وأن تسميتها أرفاد أو أربد خطأ من النساخ. فأبانت لنا الآثار المسمارية خطأ ظنهم وصحّة رواية الكتاب والأظهر أنّ أرفاد هذه هي المسماة اليوم تل أرفاد على ساعتين غرباً من حلب في شمالي توقات. وقد حصلت ثورة في نينوى سنة ٧٤٦ ق.م أفضت إلى تل عرش آشور نيرار والدولة المالكة، وولي الملك تجلت فلاصر الثاني في ١٣ أيار سنة ٧٤٥ ق.م

على ما روى سميت عن الآثار الآشورية (فيكتورو الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٦٧ إلى ٨٥ طبعة ٥). ومات ياربعام بعد أن ملك ٤١ سنة كما مر. ودفن في السامرة فملك زكريا ابنه مكانه (ملوك ٤ فصل ١٤).

عد ٣١٨

عزريا بن امصيا ملك يهوذا

إنَّ عزريا ويسمى عَزْرِيَا أخذهُ الشعب بعد مقتل أبيه أمصيا وملكوه وعمره ست عشرة سنة، فاستمر على منصّة الملك في أورشليم إثنين وخمسين سنة، وقد طفحت قلوب الشعب سروراً بارتقائه ذروة الملك إذ زالت من بينهم الاحن التي كانت تملكهم في مدّة ولاية أبيه. وانكفأت عنهم المحن التي كان الله أنزلها بهم، وهي زلازل شديدة دُمّرت بيوتاً عديدة، وقحط وانحباس مطر جعل الناس في أشد الضيق، وفاقّة قصوى إلى القوت والماء، وجراد لم يبق أخضر كما يتبيّن من نبوة عاموس النبي. وقد سلك عزريا أولاً طريق الرب محافظاً على سننه إلا أنّه لم ييزل المشارف واستمر بعض الشعب يقدمون الذبائح والبخور في الأماكن المرتفعة. وكان يرشده نبي اسمه زكريا فيصغى لكلامه ويعمل به. وحارب الفلسطينيين واستظهر عليهم وهدم سور جت (ذكرين الآن)، وسور بينة وسماها يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ٩ فصل ١١) يمينه. وقال كاران (مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٥٨) إنّها تسمّى اليوم أيضاً بينة وإنّ موقعها في الجنوب الغربي من الرملة بين يافا شمالاً وأشدود جنوباً. وهدم عزريا أيضاً أسوار أشدود مدينة الفلسطينيين وبنى مدناً في أرض أشدود وفلسطين، ونصره الله على العرب المقيمين بجور بعل وفي الترجمة السبعينية على العرب المقيمين فوق مدينة حجر في بلاد العرب. وروى يوسفوس (في المحل المذكور) إنّهُ ضرب العرب المجاورين مصر فيظهر أنّ المراد بجور بعل عمل ممتد جنوباً في العربية وبلاد أدوم إلى تخوم مصر. وانتصر عزريا على المعونيين أي سكان كعون وهي أمّا معون التي كان داود يختبئ في بريتها أيام مطاردة شاول له، وهي في أطراف جنوبي فلسطين وتسمى اليوم تل معين. وإمّا هي معون أخرى في بلاد العربية على مقربة من فاران على ما ذكر كلمت في تاريخ العهد القديم. وذلّ عزريا العمونيين وفرض عليهم جزية. وحصّن أورشليم وبنى فيها أبراجاً ورّم ما كان قد تهذّم من أسوارها عند انتصار يواش ملك إسرائيل على أمصيا أبيه. وعمل في

أورشليم منجنيقات اخترعها رجال حدّاق ووضعها على الزوايا والأبراج لرمي السهام والحجارة الضخمة. وكان لديه من روساء آباء يهوذا وبنيامين ذوي البأس الفان وست مئة رجل، وتحت أيديهم جيش عديده ثلاث مئة ألف وسبعة آلاف وخميس مئة. وجهّز لجميع جيشه مجاناً ورماحاً وخوداً وذروعاً وقسيّاً وحجارة مقاليح. وبنى أبراجاً في البرية على أطراف ملكه وحفر آباراً كثيرة إذ كانت له ماشية كثيرة في الساحل والسهول وحرثون وكرامون في الجبال، والكرمل لأنّه كان محبّاً الحراثة ويقدرها قدرها. فذاع اسمه عند الملوك مجاوريه إلى مصر، وعظمت قوته واستفحل أمره فتكبر وطمح قلبه.

وادّعى أن يعمل عمل الكهنة في الهيكل أيضاً فدخله يقدّم البخور على مذبح الرب، فقاومه عزريا رئيس الكهنة وقتلّه وثمانون كاهناً قائلين له، أخرج من القدس فليس لك أن تقتتر للرب وإنما ذلك للكهنة، فحنق عزريا وكان في يده مجمرة البخور ولمع البرص على جبهته قدام الكهنة، فأسرع الكهنة في إخراجه من الهيكل لظهور برصه. واضطر أن يخرج لأن الرب ضربه بالبرص وبقي أبرص إلى يوم وفاته. واعتزل في بيت منفرداً وكان ابنه يوتام يدبر الملك ويحكم في الشعب نائباً عنه ومات عزريا وعمره ثمانين وستون سنة، ودفنوه في حقل مقبرة الملوك لا في مدافنهم لأنه أبرص، وخلفه ابنه يوتام (ملوك ٤ ف ١٥ وسفر أخبار الأيام الثاني فصل ٢٦).

عد ٣١٩

زكريا بن ياربعام وشلوم ومنحيم ملوك إسرائيل

إنّ زكريا بن ياربعام الثاني ملك في السامرة بعد موت أبيه للسنة الثامنة والثلاثين لعزريا ملك يهوذا، إلا أنّ ملكه لم يدم إلا ستة أشهر لأنّه صنع الشر أمام الرب. ولم يعدل عن أثم ياربعام بن نباط عبادة عجول الذهب فحالف عليه رجل اسمه شلوم بن ياييش. فقتله أمام الشعب وملك مكانه فانقرضت بزكريا سلالة ياهو الذي وعده الرب إنّه سيجلس علي عرش إسرائيل من بنيه إلى الجيل الرابع وكان وعده منجزاً. أمّا شلوم فلم يملك إلا شهراً واحداً وخرج عليه منحيم بن جادي من ترصة (المسماة اليوم تلوزا شرقي السامرة وشمالي نابلس) فقتله في السامرة وملك

مكانه وعاد منحيم إلى ترصة فأوحد الأهلون أبوابها في وجهه. فضربها والمدن المصابقة لها وأجرى فيها من القسوة والجور ما ترتعد له الفرائص، حتى شق جميع من بها من الحوامل فقتلهن والأجنّة وساس المملكة عشر سنين بمثل هذا العنف عابداً الأوثان، وجارياً في طريق ياربعام بن نباط.

وكان أهل مملكة إسرائيل في أيام ياربعام الثاني قد توفرت ثروتهم وغناهم وعظم ترفهم وطما شرهم كما أنبأنا عاموس النبي الذي كان في تلك الأيام يوب بني إسرائيل على شرهم، ومن ذلك قوله (فصل ٦): «ويل للمتفرين في صهيون والمطمئنين في جبل السامرة... إنكم تستعبدون يوم السؤ وتدنون مجلس العسف، وتضجعون على أسرة من عاج، وتبسطون على حجالكم. وتأكلون الحملان من الغنم والعجول من وسط الملعف وتغنون على صوت العود... وتشربون الخمر بالجمامات وتدهنون بأدهان النفيسة ولا تكتشبون لانكسار يوسف لذلك يبجلون الآن في رأس الجلاء» فلهذا ابتلاهم الله بهذه المظالم ثم بعث ملوك آشور إليهم للإنتقام منهم وإذلالهم وجلائهم أخيراً إلى آشور وبابل كما سترى.

قال الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٥): «وجاء فول ملك آشور على الأرض، فأعطى منحيم لفول ألف قنطار فضة حتى تكون يده معه لإقرار الملك في يده. وضرب منحيم الفضة على إسرائيل على جميع المقتدرين بالغنى أن يؤديوا إلى ملك آشور كل رجل خمسين مثقال فضة. فرجع ملك آشور ولم يبق في الأرض. وقد جاءت الآثار الآشورية مصداقاً لهذه الآيات الكريمة وهاك البيان إن فول هو أول ملك من الآشوريين سماه الكتاب بعلمه الشخصي. والصحيح الآن عند المحققين بعد تدقيقهم في الآثار المسمارية أن تجلت فلاصر الثاني وكان يسمى باسمين (ملو ٤ ف ١٥ عد ١٩ وعد ٢٩). وقد عبر عنه في تاريخ باروز وقانون بنو لمايس وتاريخ أوساييوس بالاسمين. ومما يؤسف عليه أن الآثار المنبئة بأعمال تجلت فلاصر لم تبلغ إلينا كلها سالمة، بل محت الأيام بعضها، وأتلف أسرحدون أحد ملوك آشور بعضها. وما بقي منها سالماً يزيدنا أسفاً على فقدان باقيها وقد ورد في ما بقي من آثار هذا الملك ذكر ستة ملوك ممن ذكرهم الكتاب أعني ملكين من ملوك يهوذا وهما عزريا أو عزيا المار ذكره، واحاز الآتي الكلام فيه، وثلاثة من ملوك إسرائيل وهم منحيم وفاقح وهوشع وملك من ملوك دمشق وهو رصين. وسيأتي الكلام في هؤلاء فقد قال هذا الملك في الصفحة الثالثة من الصفائح الباقية له: «وأخذت

الجزية من كستاسب ملك كوماجان (سورية المجوفة حيث بعلبك وبقاع العزيز). ومن رصين ملك دمشق ومنحيم ملك السامرة وحيرام ملك صور وسييتي بعل ملك جبيل... وأنيال ملك حماه» وقال الكتاب: إنَّ الجزية التي دفعها إليه منحيم كانت ألف قنطار من الفضة. قال فيكورو (في الملح المذكور صفحة ١١١): إنَّ هذه الجزية تساوي من مسكوكات إيماننا نحواً من ثمانية ملايين وخمسة مئة ألف فرنك والخمسين مثقالاً المضروبة على كل رجل تساوي ١٤١ فرنكاً.

وقد أنبأنا ما بقي من آثار هذا الغازي إنَّه غزا سورية غزوات أولها سنة ٧٤٣ ق.م فعبّر الفرات ومرَّ في جبل أمانوس (اللكام) ظافراً. وخيَّم جيشه في جبل قريب من أرفاد (تل أرفاد في أنحاء حلب). واستدعى إليه ملوك سورية كثيرين منهم حيرام ملك صور ورصين ملك دمشق، وكستاسب ملك سورية المجوفة ومنحيم ملك إسرائيل على الأرجح لأنَّ الصفيحة محطَّمة لا تظهر فيها كل الاسماء. وذكره في صفائح أخرى قاضٍ بأنَّه كان بين عداد من لبَّوا الدعوة. وأتى هؤلاء الملوك إليه بعجلات وجمال تقلّ تقادهم صفائح ذهب وفضة ونحاس وحديد ورمصاص وأطياباً وقرون ثيران وأنسجة من صوف وكتان. وكانت تقدمة رصين ملك دمشق «١٨ وزنة ذهب و ٢٠٠ وزنة فضة و ٢٠٠ وزنة نحاس و ٢٠ وزنة طيب. واجتزأ تجلت فلاصر يومئذٍ بهذه التقادم وعاد إلى بلاده ولم يقيم في سورية طبق ما جاء في الكتاب.

وقد ندم ملوك سورية على تذللهم له بعد عودته، فحصنوا أرفاد وثاروا عليه . فهبَّ راجعاً بجحافل سنة ٧٤٢ ق.م وحاصر أرفاد فأبدى أهلها ومخالفوهم آيات البسالة في الدفاع ولم يتهياً له افتتاحها إلَّا بعد سنتين. وأفضى فتحها إلى استسلام ملوك سورية إليه، ثم ألجىء أن يعود إلى بلاده فعاد ملوك سورية يأتمرون بخلع نير طاعته فرجع تجلت فلاصر المرة الثالثة إلى سورية سنة ٧٣٩ ق.م. ويظهر من آثاره أنَّ عزرياً ملك يهوذا كان من جملة المتحالفين حينئذٍ عليه بل كان رئيس عصبته وإنَّ الغازي ضرب جيوش المتحالفين فاستظهر عليهم. ولم يكتف في هذه الحملة بأن يذل مخالفه ويأخذ جزيتهم وتقادهم بل عمد إلى تملك البلاد. فأخذ حماه ووَلَّى عليها أحد قادته، وألحق تسعة عشر عملاً من هذه البلاد بمملكة آشور وجلا كثيرين من أهلها عن بلادهم إلى بلاده. فأخذ من حماه ١٢٢٣ نفساً. ومن غيرها كثيرين أيضاً، وأقامهم في أنحاء عديدة من بلاده.

وكان يقيم النساء في جهة والرجال في أخرى ليبيد فيهم عاطفة جنسيتهم. ودانت له مدن وأعمال أخرى على شاطئ البحر المتوسط وفي جوار لبنان، وخضعت له حدراك المار ذكرها وهي على مقربة من دمشق. فأخضع لأمره أكثر ملوك سورية وزبيدة ملكة العرب ودوَّخ بلادهم وقفل عائداً إلى بلاده (طالع ما مر في عد ٧٤ وعد ١٢١).

أمّا منحيم فبعد أن ولي مملكة إسرائيل عشر سنين في أيام عزريا ملك يهوذا أضجع مع آبائه وخلفه ابنه فقحيا (ملوك ٤ فصل ١٥).

عد ٣٢٠

فقحيا وفاقح ملكي إسرائيل ويوتام واحاز ملكي يهوذا

قد خلف فقحيا منحيم أباه وملك في السامرة سنتين فقط. ولم يعدل عن خطايا ياربعام بن نباط فحالف عليه فاقح بن رمليا أحد قادة جيشه. ودخل عليه في قصره ومعه خمسون رجلاً فقتله وملك مكانه. واستمر على منصة الملك عشرين سنة صانعاً السوء كمن سلفوه، وفي السنة الثانية للملكه قضى أجل عزريا ملك يهوذا، واستقل بالملك ابنه يوتام ودام ملكه ست عشرة سنة. وقد أحسن يوتام المسعى وأصلح شيعاً في بيت الرب. ومنذ أيامه اتفق رصين ملك دمشق وفاقح ملك إسرائيل على أن يأخذا مملكة يهوذا ويقتسماها بينهما، وقبل أن يعملتا باتفاقهما مات يوتام ودفن في مدينة داود وخلفه ابنه.

إن ملوك إسرائيل ويهوذا ودمشق مكان أن يغتنموا فرصة غياب تجلت فلاصر عن بلادهم، للهم شعثهم وإصلاح شؤونهم، وتحصين مدنهم عادوا إلى منازعاتهم الوطنية، وإيهان قوتهم شأن كل قبيلة قضى الله بانحطاطها أو انقراضها. وقد امتاز السوريون في كل عصر بهذه الضغائن والاحن الأهلية، حتى ندر أن يكون لهم مثيل فيها بين القبائل. فقد أنبأنا الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٦) أن قد اتفق رصين ملك آرام وفاقح ملك إسرائيل على محاربة آحاز ملك يهوذا فجيشا الجيش، واعدوا العدد وأتيا فحصرأ أورشليم فلم يقدرأ أن يقهرأ آحاز، ولا أن يفتتحأ أورشليم، بل نكلا بشعب يهوذا وأخذ رصين جمأ غفيرأ أسرى إلى دمشق. وقتل فاقح مئة وعشرين ألفاً في يوم واحد من بني يهوذا. وسبى بنو إسرائيل من إخوتهم مئتي ألف

من النساء والبنين والبنات. وسلبوا سلباً كثيراً ثم أطلقوا الأسرى لتهديد عوديد النبي لهم بغضب الرب (سفر أخبار الأيام الثاني فصل ٢٨).

وحالف رصين وفاقح الآدوميين ورد رصين لهم أيله التي على خليج عقبة، وطرد بني إسرائيل منها وأقام الآدوميين فيها. فأرسل آحاز رسلاً تجلت فلاصر ملك آشور قائلاً أنا عبدك وابنك فاصعد وخلصني من يد ملك آرام ويد ملك إسرائيل القائمين عليّ، وأخذ ما وجد من الذهب والفضة في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك. وأرسلها هدية إلى ملك آشور ولم يصنع لإرشاد أشعيا النبي الذي كان يقول له: «لا يضعف قلبك من ذنبيّ هاتين الشعلتين المدخنتين في اضطرام غضب رصين ملك آرام وابن رمليا، فإنّ آرام وأفرائيم وابن رمليا قد تأمروا عليك بالسوء قائلين لنصعد على يهوذا ونضغطها ونمزقها بيننا ونملك عليها بن طابئيل، لكن هكذا قال الرب لا يقوم الأمر ولا يكون (أشعيا فصل ٧ عد ٤ وما يليه) أما تجلت فلاصر فلبى دعوة آحاز وغشي بعساكره سورية وأخذ بعض مدن فلسطين. وصعد إلى دمشق فأخذها وسبى أهلها إلى قير وقتل رصين.

هذا ما جاء في الكتاب وجاءت آثار تجلت فلاصر مصداقاً له بأكثر تفصيل. فقد كتب على إحدى صفائحه وهي محطمة كسائر آثاره. ولكن الباقي منها واف بيان الغرض قال: «أخذت جنوده... وأبدتهم بالسيف... وسقت مركباته... وكسرت أسلحتهم... وأخذت خيولهم... ورجال حربه حاملي القسي والدروع والحراپ... أما هو ففرّ ليقى نفسه ودخل في باب مدينته الأكبر وقبضت على قادة جيشه أحياء وعلقتهم على صلبان... وحاصرت مدينة دمشق وضايقت عليه كعصفور في قفص ومن أشجار مدينته التي تشد عن العد لم أبق شجرة. ثم ذكر ما فتحه ودّمّه من المدن في أنحاء دمشق وعدد من جلاهم منها. وقال إنّه خرّب ستة عشر عملاً من أعمال سورية واسترسل إلى ذكر شمسة ملكة العرب قائلاً: إنّها كانت تعبد الشمس. على أنّه لم يفتتح يومئذ دمشق بل ترك فريقاً من جنوده محاصراً لها، وزحف بجيشه لافتتاح غيرها. وكتب على صفيحة أخرى محطمة أيضاً أنّه أخضع سيميرا (بين أرواد وطرابلس) وعرقا. «وتوليت مدن جلعاد... وابل معكة التي هي تخم أرض بيت عمري (ملكة إسرائيل)... وأخضعتها على اتساعها لملكة آشور وأقامت قادة جنودي حكاماً فيها. وحنون ملك غزة وانهزم من وجه جنودي إلى مصر فأخذت غزة وغنمت كنوزه وآلهته ونصبت ثمة تمثالي الملكي...»

وأخذت الجزية. وأخضعت سكان أرض بيت عمري وجلوت أوجه قومهم إلى بلاد آشور مع أموالهم وأمرت بقتل فاقح ملكهم وأقمت هوشع بمنزلة ملك عليهم وأخذت منهم عشر وزنات ذهب وألف وزنة فضة. فتأمل ما أتم المطابقة في جوهر الخبر بين ما نقش على هذه الصفائح وبين آيات الكتاب ولاسيما قوله (ملوك ٤ عد ٢٩). «وفي أيام فاقح ملك إسرائيل جاء تجلت. فلاصر ملك آشور وأخذ عيون (تل دين في شمالي مرج عيون). وإبل بيت معكة (إبل). ويانوح (يانوح هناك)، وقادس (قادش) وحاصور (جبل حضيرة في قرب قادس). وجلعاد (السلط) وجميع أرض تقاتلي وجلاهم إلى آشور» (عد ٣٠) «وحالف هوشع بن ايلة على فاقح بن رمليا وضربه وقتله وملك مكانه». ففي الصفيحة ذكر جلعاد وإبل معكة وهي محطمة فيحتمل إن كان في المحل المحطم أسماء باقي المدن التي ذكرها الكتاب، وفي الصفيحة إن تجلت فلاصر أمر بقتل فاقح، وفي الكتاب أن هوشع حالف عليه وقتله. فلا بدع إن كان تجلت فلاصر أغراه بقتله أو أن هوشع علم بغرض الملك الآشوري فجرأه ذلك على قتله، وتفاخر تجلت فلاصر بأنه أمر بقتله.

أما آحاز ملك يهوذا فكان استنجاهه بملك آشور على أعدائه وبالأعلى عليه. وأمسى الدواء داء قتالاً، لأنه اضطر أن يسلم بلاده إلى تجلت فلاصر وأن يخضع لسلطته ويؤدي إليه الجزية كأعدائه، وبعد أن أخضع ملك آشور هولاء الملوك سنة ٧٣٤ و٧٣٣ ق.م عاد إلى دمشق التي كان أبقي جنوده على حصارها، فافتتحها سنة ٧٣٢ ق.م وجلا ثمانية آلاف من سكانها إلى قير. وقتل رصين كما جاء في الكتاب. وقد وجد رولينسون صفيحة آشورية مثبتة قتل تجلت فلاصر لرصين، لكن الصفيحة بقيت في محلها ثم ضاعت مأسوفاً عليها. وقد استدعى تجلت فلاصر الذين دانوا له ليلغهم أوامره ووعيده قبل عودته. فشخصوا إليه صاغرين وأتى آحاز ملك يهوذا معهم. فقد جاء في الكتاب (ملو ٤ فصل ١٦ عد ١٠): «وانطلق الملك آحاز ليستقبل تجلت فلاصر ملك آشور في دمشق». وقد رأينا اسمه في الصفيحة التي دوّن الغازي عليها أسماء من أدوا له الجزية وهاك أسماء بعضهم نقلاً عنها. «جزية كستاجب ملك كوموحا (سورية المجوفة)، سيبيتي بعل ملك جبيل، وبيزيريس ملك كركميش، وأنيال ملك حماه... وماتا بعل ملك أرواد وسالامانو ملك مواب، وميتيتي ملك عسقلون وياهو حازي يهوداي (آحاز ملك يهوذا) وكوموسملك ملك أدوم وحنون ملك غزة. وكانت جزيتهم ذهباً

وفضة وورصاصاً وحديداً وأنسجة بلادهم وخيولهم وحميراً معتادة على حمل النير». ولعل اسم ملك إسرائيل كان في الحال المحطمة من هذه الصفيحة. وكان تجلت فلاصر يسمي نفسه ملك بابل أيضاً كما يظهر مما دَوَّنه على بلاطة. «بلاط تجلت فلاصر الملك العظيم الملك القدير ملك القبائل ملك آشور ملك بابل ملك سومير وأكّد ملك الأقاليم الأربعة». واستمر تجلت فلاصر على منصة الملك سبع عشرة أو ثماني عشرة سنة أي من سنة ٧٤٥ إلى سنة ٧٢٧ أو سنة ٧٢٨ ق.م. ولم ينكف عن الحرب إلّا في السنين الثلاث الأخيرة من عمره، وقد تباهى قبل موته بما كتبه وهو: «انا هو الملك الذي هزمت أعدائي من مشرق الشمس إلى مغربها، ودوخت البلاد، ودانت لي القبائل، وحكمت في رجال الجبال والسهول، وخلعت الملوك، وأقمت نوابي مكانهم». وإلى ملكه يعزى قول حزقيال النبي (فصل ٣١ عد ٣): «هوذا آشور أرزة بلبنان بهيجة الأفنان غيباء الظل شامخة القوام... ارتفع قوامها فوق جميع أشجار الصحراء وكثرت أغصانها وامتدت فروعها من كثرة المياه. في أغصانها عششت جميع طيور السماء، وتحت فروعها ولدت جميع وحوش الصحراء وفي ظلها سكنت جميع الأمم الكثيرة».

قد جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ١٦) إنّ أحاز ملك يهوذا رأى وهو في دمشق مذبحاً لآلهة الآراميين، فصنع مثلاً له وأرسله إلى أوريا الكاهن آمراً أن يصنع مذبحاً مضارعاً لهذا المثل بكل صنعتته، فصنع أوريا المذبح وعاد أحاز من دمشق فقرب عليه الذبائح، والحرقات والبخور، ونقل مذبح النحاس الذي كان في الهيكل إلى جهة أخرى منه وغير بعض بناء الهيكل. وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني (فصل ٢٨) أحاز جرى على طرق ملوك إسرائيل وعمل تماثيل مسبوكة للبعليم وقدم لها الضحايا والبخور في وادي ابن هنوم في جانب أورشليم، وقدم من بنيه محرقة بالنار على عادة الأمم التي طردها الرب من وجه بني إسرائيل، وذبح على المشارف والآكام، وتحت كل شجرة خضراء، ولذلك انزل الرب به المحن المار ذكرها. ومات أحاز وعمره ست وثلاثون سنة ملك ست عشرة سنة منها. ودفن في مدينة داود ولكن لا في مدافن الملوك وملك حزقيا ابنه مكانه، ونرجى الكلام فيه إلى ما بعد الكلام في هوشع ملك إسرائيل الذي ملك في السامرة في السنة الثانية عشرة الملك أحاز ابي حزقيا (ملوك ٤ فصل ١٦ وسفر أخبار الأيام الثاني فصل ٢٨).

عد ٣٢١

هوشع ملك إسرائيل

قد مرّ ان هوشع بن ايله حالف على فاقح ملك إسرائيل وقتله باغراء تجلت فلاصر ملك آشور، فملك هوشع في السامرة تسع سنين وعمل الشر امام الرب ولكن على غير طريقة من تقدمه من ملوك إسرائيل، ولم يبين الكتاب طريق شره ولكن قال علماء اليهود إنّ هوشع لم يكن يمنع بني إسرائيل من الحج إلى أورشليم خلافاً لما صنعه أسلافه. وقال الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٧): «وصعد عليه سلمناصر ملك آشور فكان هوشع عبداً له وكان يؤدي إليه جزية وعلم ملك آشور أنّ هوشع محالف عليه، وقد وجّه رسلاً إلى سؤ ملك مصر ولم يؤدّ الجزية إلى ملك آشور كما كان يفعل كل سنة فقبض عليه ملك آشور وأرسله مكتوفاً إلى السجن، وصعد ملك آشور على الأرض كلها وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين. وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة، وجلا إسرائيل إلى آشور واسكنهم في حلاح وعلى خابور جوزان وفي مدائن مداي» عقاباً لتركهم الرب الذي اخرجهم من أرض مصر وجريهم على سنن الأمم خلافاً لنهييه وزجره.

أما سلمناصر ونسميه سلمناصر أيضاً فلم يكن ما يعرفنا به قبل هذه السنين الأخيرة إلا آيات الكتاب المار ذكرها. وإلا فقرة من تاريخ صور حفظها لنا يوسيفوس (في ك ٩ فصل ١٤ من تاريخ اليهود). أنبأنا بها أن سلمناصر حاصر صور وضيق على أهلها. وقد روينا هذه الفقرة برمتها في عد ١٢٢ في تاريخ الفينيقيين على أن الآثار الآشورية المكتشفة في هذه الأيام. أبانت لنا أن سلمناصر هذا خلف تجلت فلاصر وملك آشور من سنة ٧٢٧ إلى سنة ٧٢٢ ق.م، ولكن لم تنبئنا بعد أكان ذوي قربي تجلت فلاصر أم كان غير أسرته، ولا كيف رقي عرش الملك. وقد وصفه لانرمان بالخامس وفيكورو بالرابع. وقد كُشف في كيونجك وفي أطلال قصر في الشمال الغربي من نمرود صفائح نحاسية نقش عليها اسمه. وجاء في التاريخ البابلي المحفوظة آثاره في المتحف البريطاني: «إنه في ٢٥ شهر تيبست استوى سلمناصر على عرش آشور فذلك مدينة سابارين... وفي السنة الخامسة لسلمناصر في شهر تيبست توفي فكانت مدة ملك سلمناصر على أكد وآشور خمس سنين». ترجم ذلك العالم أوبر وترجمته مثبتة في مجلة جمعية الكتابات القديمة في شهر نيسان إلى حزيران سنة ١٨٨٧ م.

وأما سؤ ملك مصر فقد سمته الخطوط المسمارية سابوشلطنو أي سابي السلطان. وسمته الخطوط المصرية سبوك أو شباك، وفي تواريخ اليونان ساباكو، وفي العبرانية سؤ أو سوه، وهو أول ملوك الدولة الخامسة والعشرين من الدول المصرية. وكان يلي الحبشة أولاً ثم تغلب على مصر لأن المصريين بعد وفاة شيشونك انقسموا إلى ممالك صغيرة عديدة فتغلب عليها ملوك الحبشة.

لكن هذه الممالك ثارت عليهم وخلعت نير سلطتهم إلى أن اخضعها ثانية بيانكي ملك الحبشة الذي كان مالكاً في نباطا. وخلف بيانكي ملك يسمى كشتا لا يُعرف أصله، ولكن يظن أنه كان متزوجاً بآبنة بيانكي على ما روى مسبرو (في تاريخه القديم للمشرق) وبعد موته خلفه ابنه شباك وكان محباً للحرب، ولم يكن لبيانكي على مصر إلا حق السيادة، فاستبد شباك بملكه فيها، فكان وخلفاؤه دولة حديثة في مصر واستمال المصريين إليه بحلمه وحكمته وحسن سياسته وما أجراه من المنافع العامة، فعظم أمره في مصر. ولجأ إليه هوشع ملك إسرائيل مستجيراً به من أعنات سلمناصر له، وإثقاله شعبه بالجزيات.

وعلم سلمناصر باستجارة هوشع قبل أن يجيره شباك فحفّ للتتكيل ببني إسرائيل قبل أن يتسنى لملك مصر إلجأهم. وزحف بجيوشه إلى مملكة إسرائيل فكسر جنود هوشع، وقبض عليه وألقاه في السجن. فلمّ بنو إسرائيل شعثهم وتألبوا في السامرة يدافعون عن أنفسهم مدافعة اليائسين. ولم يستطع الآشوريون أن يفتتحو السامرة إلا في السنة الثالثة بعد حصارها فدكوها دكاً. وجلوا أغنياء بني إسرائيل ووجهاءهم إلى بلاد آشور وماداي وانحاز من بقي منهم إلى اخوانهم في مملكة يهوذا، أو استمروا في مواطنهم يؤدون الجزية صاغرين أذلاء. فانقرضت مملكة إسرائيل عقاباً لتركهم الله وعبادته واتباعهم الأوثان وجريهم على سيئات عابديها. وكان الانبياء أكثروا من انذارهم بهذا الخراب والوبال ومن ذلك قول أشعيا النبي (فصل ٧ عد ٨): «لأن دمشق تكون رأس آرام ورصين يكون رأس دمشق وبعد خمس وستين سنة يحطم أفرائيم (أي مملكة السامرة) فلا يبقى شعباً». وقد تبين من الآثار المسمارية أن سقوط السامرة كان سنة ٧٢٢ أو سنة ٧٢١ ق.م وهذا يطابق ما جاء في الكتاب طباقاً تاماً. وهو يقضي علينا بصحة التاريخ الواردة في أسفار الملوك وسفري أخبار الأيام حيث كان خطأ النساخ ظاهراً (فيكورو في الكتاب والإكتشفات الحديثة مجلد ٤ صفحة ١٢٢ وما يليها طبعة ٥).

من افتتح السامرة وجلاء بني إسرائيل

إن لأهل العلم في تاريخ الآشوريين قولين في من افتتح السامرة وجلاء أعيان مملكتها. فمن قائل أن سلمناصر افتتحها وجلاهم. ومن قائل أن سلمناصر مات قبل افتتاحها، وأن الفاتح هو سرغون خلفه. قال سميت (في تاريخ آشور صفحة ٩١) زعم بعضهم أن الآشوريين سئمت نفوسهم ابطاء الأعمال الحربية في فلسطين وقلة النجاح فيها، فثار الجنود في آشور واختاروا ملكاً سرغون الذي كان قائداً للجيش في فلسطين. قال الأب فيكورو (في المحل المذكور صفحة ١٢٧) ظن سميت وكثير غيره من أهل العلم في تاريخ آشور أن سلمناصر مات قبل افتتاح السامرة. وأن سرغون شدد الحصار عليها وافتتحها. وربما حملهم على هذا الظن الخطأ في تفسير بعض الآثار الآشورية لأن عاصمة إسرائيل افتتحها سلمناصر. وقد اجمع على ذلك مفسرو الكتاب إلى هذه الأيام على أنه إذا ظهر من بعض الآثار نسبة هذا الفتح إلى سرغون، فذلك محمول على أن سرغون كان قائد الجيش، فتفاخر بالظفر ناسباً إياه إلى نفسه. انتهى كلام فيكورو ملخصاً على أنه قد وجد لسرغون اثران منبثان بأخذ السامرة قال في أولهما: «أنا حاصرت مدينة سامريثانا (السامرة) وأنا أخذتها وجلوت ٢٧٢٨ من سكانها. وأخذت منها خمسين مركبة حربية حفظتها لنفسي. وتركت أموالها لجنودي. ووليت عليها نواباً عني وفرضت عليها الجزية التي كانت تؤديها إلى الملك السالف». عن لانرمان مجلد ٤ صفحة ٢٣٨ في تاريخه القديم للمشرق طبعة ٩. وقال في الأثر الثاني: وخطوطه محطمة لكن الباقي منها وافٍ بالغرض. «في بدىء ملكي... حاصرت وفتحت السامرة وجلوت: ٢٧٢٨ من سكانها وحفظت خمسين مركبة لجانيي الملكي. وأتيت إلى مكان من جلوتهم بسكان من البلاد التي كنت ملكتها وفرضت عليهم جزية كجزية الآشوريين (عن فيكورو في المحل المذكور صفحة ١٤٩)». فهذان الأثران يرجحان أن سرغون إنما هو الذي فتح السامرة بما أنه ملك وجلاء بني إسرائيل. على أن ترجيح هذا القول لا يضاد الكتاب في شيء لأنه وإن قال: «وصعد عليه شلمناصر ملك آشور» إلا أنه لم ينسب فتح السامرة والقبض على ملكها وجلاء سكانها إلى شلمناصر بل يحتمل نسبتها إلى غيره إذ عبّر عنه بملك آشور لا بشلمناصر، بل أن في الفصل الثامن

عشر من سفر الملوك الرابع إشارة إلى أن شلمناصر لم يأخذ السامرة بل صعد إليها فقط إذ جاء (عدد ٩): «صعد شلمناصر ملك آشور على السامرة وحاصرها (عد ٣) وأخذوها (أي الآشوريون) بعد ثلاث سنين» لا أخذها في المفرد (قال بذلك أوبر في كتابه في سلمناصر وسرغون صفحة ٧٠٢).

لم يرد ذكر سرغون في الكتاب إلا مرة واحدة في نبوة أشعيا (فصل ٢٠ عدد ١) حيث قال في السنة التي وفد فيها ترتان إلى أشدود إذ أرسله سرجون (أو سرعون) ملك آشور وحارب أشدود وأخذها». ولذلك لم يكن القدماء يعرفونه بل كانوا يظنون أنه أحد الملوك الآشوريين المعروفين سماه أشعيا سرجون. فقال بعضهم إنه سلمناصر سالفه وظنه غيرهم سنحاريب مع أن هذا هو ابن سرغون. ووهم غيرهم أنه أسرجدون مع أنه حفيد سرغون، بل قال بعض علماء هذا العصر أيضاً إن سرغون وسلمناصر واحد بناءً على أن الكتاب قال ان سلمناصر فتح السامرة والآثار الآشورية يتبين منها أن سرغون فتحها فسلمناصر وسرغون واحد. فقالوا قبل الاكتشافات إن سرغون الذي ذكره الكتاب إنما هو سرغون الذي ورد ذكره في الآثار حتى كان رولينسون نفسه ممن قالوا بهذا القول، إلا أنه عاد الآن وجميع أهل العلم بالآثار الآشورية يثبتون أن سلمناصر وسرغون ملكان خلف أحدهما الآخر. ولم تدع الآثار الآشورية ذريعة لإقامة نكير على هذه الحقيقة التاريخية، وما وجد من هذه الآثار في خرشباد أبان لنا تاريخ سرغون. وفصل لنا أعماله، بل وجدت صورته ناتئة على صفيحة يطلق لكل راغب أن يراها في متحف اللوفر في باريس. وقد كشف عن تمثاله في شيتسيو (وهي لرنكا في قبرص) وهو الآن في متحف برلين. وجاء في التاريخ البابلي المحفوظ في المتحف البريطاني ما نصّه «في ١٢ من شهر تيبست (في السنة الخامسة لسلمناصر): استوى سرغون على عرش آشور» فقطع العلماء بأن ذلك من حقائق التاريخ (ملخص عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو في المحل المذكور صفحة ١٣٧ إلى صفحة ١٤٥).

عد ٣٢٣

محال إقامة بني إسرائيل في آشور

قد مر بك آنفاً قول الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٧ عد ٦): «أخذ ملك آشور

السامرة وجلا إسرائيل إلى آشور وأسكنهم في حلاح وعلى خابور نهر جوزان، وفي مدائن ماداي». وقد أعاد الكتاب هذا القول بحروفه في الفصل الثامن عشر من السفر المذكور عد ١١. وقد جاءت الخطوط المسماة مؤيدة قول الكتاب بإثباتها أنّ هذه الأماكن واقعة في بلاد آشور أي في ما بين النهرين. فحلاح هي حلا الآن وموقعها على مقربة من نهر الخابور الأعلى، ومن المحل المسمى رأس العين.

وقد كشف عن جريدة جغرافية آشورية ذكرت فيها حلاح (حلاحو) من جملة مدن ما بين النهرين في جانب راصف وجوزان ونصيبين. (رواه سكردر في كتابه صفحة ١٦٧). وأما خابور فما برج يسمى بهذا الاسم إلى اليوم وهو نهر يصب في الفرات، ومخرج مياهه من عدة ينابيع في الجبل الذي سماه بتولميس واسترابون ماسيوس، ويسمى الآن كرادجاداغ. وقد ورد ذكره في كثير من الآثار المسماة ولاسيما في خطوط لآشور نزيروال.

وجوزان اسم عمل من أعمال بين النهرين ذكره بتولميس، وهو مصاقب لحلاح وفي جانب حران، وجاء ذكره في خطوط لسلمناصر الثاني قال فيها: «وأخذت الجزية من عاسو ملك بلاد جوزان»، وقد مر ذكر اسمها في الجريدة الجغرافية الآشورية المار ذكرها آنفاً وقد أنبأنا الآثار الآشورية أنّه كان في ما بين النهرين مدينة تسمى جوزان سمي العمل باسمها. وأفادتها الآثار الآشورية أيضاً أنّ تجلت فلاصر الثاني أخضع ماداي لمملكة نينوى، وأنّ سرغون نفسه أثار الحرب مرات على الماديين، فلا بدع أن نقل إليها بعض بني إسرائيل الذين جلاهم. وقد حقق الكتاب في سفر طوبيا (فصل ١ عد ١٦) أنّ بعض بني إسرائيل كانوا في راجيس مدينة ماداي، وأنّه كان هناك كثيرون من أقرباء طوبيا.

عد ٣٢٤

أصل من جلاهم سرغون إلى السامرة

قال الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٧ عد ٢٤): «وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوت وعوّا وحماه وسفروائيم، وأسكنهم في مدن السامرة مكان بني إسرائيل. فامتلكوا السامرة واستوطنوا مدنها». وقال سرغون في أثره المار ذكره: «وأتيت إلى مكان من جلوتهم بسكان من البلاد التي كنت ملكتها» فالخبران واحد إلا في

زيادة تفصيل في قول الكتاب على ما جاء في الأثر. على أن آثاراً أخرى مسمارية جاءت مثبتة تفصيل الكتاب أيضاً فقد ظهر من آثار آشورية كثيرة أن سرغون حارب في السنة الأولى للملكه مروداخ بلدان ملك بابل، وانتصر عليه وكتب سرغون نفسه في الآثار المنبئة بتاريخه أنه جلا بعض البابليين إلى فلسطين فقال: (على ما ترجم يوتا في كتابه آثار نينوى مجلد ٥ صفحة ٧٠): «قد ظفرت بمروداخ بلدان الذي كان يلي مملكته بابل وجلوت (العدد محطّم) من السكان، وأقامتهم في أرض الحثيين (سورية وفلسطين)».

ولا يريد ببابل سكان هذه المدينة وحدها بل سكان غيرها أيضاً من المدن المجاورة لها ومنها كوت، فليس من يقيم نكيراً الآن على أن كوت من المدن البابلية. فقد ورد اسمها في كثير من الخطوط المسمارية، ومنها أنه نقش على مسلة سلمناصر: «قدمت ذبائح نفيسة في بابل وبرسيا وكوت». وقال هرموزد رسام بعد اكتشافاته سنة ١٨٨٠ م وسنة ١٨٨١ م إن موقع كوت كان في المحل المسمى اليوم تل ابراهيم على ثلاث ساعات في الشمال الشرقي من بابل. ويظهر أن الكوتيين كانوا أكثر عدداً من غيرهم في السامرة، ولا أقل من أن كانوا أكثر نفوذاً ووجاهة، لأن اليهود كانوا يسمون السامريين كوتيين كما في التلمود. وقال يوسفوس (في ك ٩ فصل ١٤ من تاريخ اليهود): «أن من يسميهم العبرانيون كوتيين يسميهم اليونان سامريين»، لكن يوسفوس وهم أن موقع كوت في وسط بلاد فارس كما وهم غيره من مفسري الكتاب إنَّها كانت واقعة في العراق العربي، أو في إقليم آخر ولم يبق الآن لهذا الخلاف من موضوع.

وأما عوّا فلم يظهر إلى الآن اسمها في الآثار المسمارية، وإن قال كثيرون إنَّها من مدن بلاد الكلدان، وقال بعضهم (على ما في معجم الكتاب لكلمت)، إنَّها في بلاد العرب. وعليه فيكون ورد ذكرها ضمناً في الآثار الآشورية إذ وجد أثر في خرشباد يتبين منه أن سرغون جلا قوماً من بلاد العرب إلى السامرة. وإليك ترجمة هذا الأثر نقلاً عن سميت (في قانون مشاهير الآشوريين صفحة ١٢٨): «أنَّ الثموديين والعباديين والمرسيمانيين والهيابين قبائل بلاد العرب القاصية كانوا يسكنون أرض بحري. ولم يكن الحكماء والجاللون يعلمون شيئاً من أمرهم، ولم يكونوا أدوا الجزية إلى أحد من ملوكنا، فأنا انتصرت عليهم بعون آشور سيدي ونقلت من بقي منهم فأقامتهم في السامرة وأخذت الجزية من فرعون ملك مصر،

ومن شمسة ملكة العرب، وإيتامار ملك سبا الذين كانت مساكنهم على شاطئ البحر وفي أرض... حجارة كريمة وعاجاً... وأخشاباً وأطياباً... وخيلاً وجمالاً. وفي محل النقط خطوط محطمة. وجاء في أثر آخر موجز ما ذكرناه وأنه «أسر كل من بقيوا أحياء وجلاهم إلى أرض ابن عمري» أي السامرة. وأما حماة فقد جاء ذكرها متواتراً في الآثار الآشورية كما رأيت في ما مر وجاء في آثار سرغون نفسه أنه: «في السنة الثانية للملكه حارب ايلوييد ملك حماة وأنه استظهر عليه في رقبة كركر وأنه أخذ منه مئتي مركبة وست مئة فارس». ولم يصرح بأنه جلا بعض قومها إلى السامرة لكنه لمح إلى ذلك في أثر آخر إذ قال إنه جلا بعض من انتصر عليهم إلى أرض حماة التي كان نقل شعبها منها.

وقد تضاربت الأقوال في موقع سفروائيم، فمن قائل إنها كانت في أنحاء حماة ومن قائل إنها كانت في ولاية دمشق. والصحيح الآن إنها مدينة بابلية وقد ورد ذكر اسمها مكرراً في الخطوط المسمارية مسماة سيار أو سيئارا. وتسمى في بعض هذه الخطوط مدينة الفرات لوقوعها على عدوة هذا النهر. وذكرت هذه الخطوط مدينتين تسميان بهذا الاسم تسمى الأولى سيئاراساشمس أي سيارا مدينة الشمس. والثانية سياراسا انونيت أي سيارا مدينة أنونيت وهو معبود لهم، وفي تسمية الكتاب لها سفروائيم بعلامة التثنية إشارة إلى مدينتين بهذا الاسم. وقد عين هرموزد رسام بعد اكتشافاته سنة ١٨٨٠م وسنة ١٨٨١م موقع سيارا في المحل المسمى الآن تل أبي حابا في الجنوب الغربي من بغداد. إن كل ما مر هنا يبين لنا أن الآثار الآشورية مثبتة لآيات الكتاب إثباتاً علمياً يحمل كل مطالع على العجب والشكر لله (ملخص عن فيكورو في المحل المذكور صفحة ١٥٧ إلى ١٦٣).

عد ٣٢٥

معبدات سكان السامرة المجلولين إليها

لم تنبئنا الآثار الآشورية بما كان لمن جلاهم سرغون إلى السامرة، وأنبأنا الكتاب بما كان لهم وبما عبدوا، فأيدت الآثار المسمارية إنشاء الكتاب ببيانها أن ما ذكره الكتاب عن عبادة هولاء السامريين الجدد، إنما كان عبادتهم في مواطنهم. فقال الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٧ عد ٢٦ وما يليه) فأخذت كل أمة تعمل آلهتها

وتضعها في بيوت المشارف التي عملها السامريون، كل أمة في مدينتها التي سكنتها، فعمل أهل بابل سكوت بنوت. وأهل كوت عملوا نرجال، وأهل حماة عملوا أشيما، والعويون عملوا نجاز وترقاق، والسفروائيمون كانوا يحرقون بنبيهم بالنار لادرملك وعنملك إلهي سفروائيم. فطالما أعيت هذه الآيات مفسري الكتاب. وقد زحزحت الآن الآثار الآشورية الظلام الدامس الذي كان مسدولاً عليها، فقد فسر لانرمان كلمة سكوت بنوت بمظال البنات، وقال إنَّ المراد بذلك أعياد كانوا يجتمعون فيها لتكرمة زربانيت إلهة الولادة. وذكر استرابون (ك ١٦ فصل ٨) كيف كان الفرس يحتفون بهذا العيد وأخذ البابليون ذلك عنهم. فقال إنَّ رجالهم ونساءهم كانوا يجتمعون معاً فيصرفون ليلهم ونهارهم بالطرب والملاهي معاقرين الحمرة مدمنين الفحشاء. والإلهة زربانيت هي التي ذكرها باروك النبي ومما قاله فيها (فصل ٦ عد ٤٢): «والنساء يقعدن (في بابل تكرمة لهذه الآلهة) متحزمت بالحبال يتبخرن بالنخالة»، وإذا فعلن الفحشاء تفاخرن بها «وعيرت» إحداهنَّ «صاحبتهنَّ بأنَّها لم تحظْ مثلها ولم يقطع حبلاها»، ورَّبَّما كسر العبرانيون اسم هذه الإلهة زربانيت أو زربانوت فجعلوه في لغتهم سكوت بنوت، على ما رأى هنري رولينسون. ومهما يكن من أمر الاسم فعبادة هذه الإلهة في بابل حقيقة لا خلاف فيها. وفي آثارها أنَّ بختنصر أقام لهذه الإلهة هيكلًا في بابل.

وأما نرجال الذي عبده الكوتيون، فتأويل اسمه الإله الأسد، ولا جرم ان هذا الإله كان معبود الكوتيين في بلادهم، وقد ثبت ذلك بآثار عديدة منها أثر دال على كيفية التلفظ بالكلمات وتفسيرها كتب فيه «إيلو أريو». وفي السريانية **ܐܝܠ ܐܪܝܐ** (ايل أريو) «ايلونيزي كوروا» أي إله سكان كوت. وحقق ذلك سكردر وسميت (في كتابه الموسوم بذكر الماضي مجلد ٥ صفحة ١٠٧)، وكان على أبواب قصور الآشوريين تمثال أسد، وما ذلك إلا كناية عن نرجال الإله الأسد الذي كان تمثاله يقام لحراسة هذه القصور. وأما أسيما الذي عبده أهل حماة في السامرة فلا أثر لاسمه في الآثار الآشورية، ووجهه بينَّ لان أشيما من معبودات السوريين لا الآشوريين، ولا يبعد ان يكون أشمون أحد الهة الفينيقيين، وهو الكبير الثامن عندهم، وكان كناية عن كوكب القطب الشمالي (طالع عد ١٤٦). ولا بدع ان كان أشمون معبوداً في حماة أيضاً. واما نجاز وترقاق معبود العويين فقال بعض الربيين فيهما أنَّ نجاز كان يُمثل بهيئة كلب وان اسمه نجاز ربما

كان أصله من نباح وفي السريانية ^٦أحيم (نبح) أي نبح، ويظهر أنه كان من معبودات سبأ، وقالوا إنَّ ترتاق كان يمثِّل بهيئة حمار ولا أثر في الخطوط المسمارية لهذين المعبودين. وهذا مؤذن بأن العوين لم يكونوا من الكلدان كما مرَّ.

وأما أور ملك وعنملك اللذان عبدهما السفروائيمون وكانوا يحرقون بنينهم تكرامةً لهما فيراد بهما ادار الملك وعانو الملك. وادار وعانو كانا من آلهة البابليين والآشوريين وكثيراً ما وجد اسمهما في الخطوط المسمارية. وقال لانرمان: إنَّ اسم ادار يحتمل ان كان في الأصل بمعنى النار وقد نعت في هذه الخطوط «بالإله الذي ينير القبائل كالشمس». ويعبر أحياناً عن اسمه بصورة خشب للدلالة على النار. وعانو كان من كبار الآلهة في بلاد الكلدان، ونعته الخطوط القديمة «بالقديم وأبي الآلهة وسيد العالم السفلي ورب الظلام وولي الكنوز الخفية». وقال رولينسون إنَّ ادرا ملك كان عندهم كناية عن قوة الذَّكر في الشمس وعنملك عن قوة الأنثى فيها، وعلى القولين كان أهل سيارا أو سفروائيم يعبدون الشمس. وهذا مشعر بأصل عبادتهم السيئة، بأن يضحوا ببنينهم على النار تكرامة لها. وقد كشف رسام المار ذكره في أبي حابا سيارا القديمة عن صفيحة صورت عليها الشمس وأحد ملوك بابل ساجداً لها، ومن جملة ما خط على هذه الصفيحة «مثال الآلهة الشمس الرب العظيم الساكن في هيكل ايار الكائن في سيارا». فأهل هذه المدينة لبثوا في السامرة على عبادتهم للشمس، والتضحية ببنينهم إكراماً لها كما قال الكتاب.

وجاء في الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٧ عد ٢٥ وما يليه) إنَّ المجلوتين إلى السامرة لم يتقوا الرب، فبعث عليهم أسوداً كانت تقتل منهم، فكلّموا ملك آشور قائلين أن الأمم الذين جلوتهم وأسكنتهم في مدن السامرة لم يعرفوا حكم إله الأرض. فأرسل عليهم أسوداً فهي تقتلهم، فأمر ملك آشور أن أبعثوا إليهم واحداً من الكهنة الذين جلوتهم من هناك فيقيم، ويعلمهم حكم إله الأرض. فأثنى واحد من الكهنة الذين جلاهم وأقام بيت إيل (بيت أين) وأخذ يعلمهم كيف يتقون الرب. فكانوا على ذلك يتقون الرب ويعبدون آلهتهم القديمة. وقال كلمت (في تاريخ العهد القديم) إنَّ الكاهن الذي أرسله ملك آشور إلى السامرة لم يكن من كهنة الرب الورعين، بل كان من كهنة إسرائيل الذين يخدمون في المشارف. فتركهم يعبدون آلهتهم إلّا أنه سلمهم توراة موسى مكتوبة بالحروف الكلدانية غير الحروف العبرانية. فتسلموها منه وهي باقية عندهم يتفاخرون بها وهي مثبتة صحة

التوراة اثباتاً قاطعاً للمطابقة التامة بينها وبين التوراة العبرانية (إلا في اختلافات يسيرة)، على ما بين الأمتين من النفرة والشحناء. قال يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ٩ فصل ١٤): إنّ هؤلاء الشعوب الكونيين الذين يسميهم اليونان سامرين قد استمروا إلى الآن (أي ساميرين إلى أيامه) على مذهبهم الديني لكنهم يتقبلون علينا تقلب الأيام، فإن صلحت حالنا قالوا أننا إخوة لهم لأننا نحن وهم من ولد يوسف، وإن جار علينا الدهر قالوا إنهم لا يعرفوننا ولا يلزمهم أن يجيرونا لأنهم أتوا هذه الديار من بلاد قاصية».

عد ٣٢٦

تمة أخبار سرغون في غزواته لسورية

إنّ سرغون بعد أن استظهر على أيلوبيد ملك حماه في وقعة كركر سنة ٧١٩ بعد سنتين من خراب السامرة، سار جيوشه على شاطئ البحر المتوسط ينوي امتلاك سائر البلاد. وقد مر أن هوشع ملك إسرائيل كان قد استجار بشباك الحبشي ملك مصر والحبشة، وحالفه على ملك آشور فابطأ شبك في إنجاده ولم تكسبه هذه المحالفة إلاّ حنق ملك آشور عليه والإسراع في قدومه إلى السامرة. فانتصار سرغون قضى على ملك مصر أن يخرج لمقاومته تداركاً من أن يأخذ بلاده، فزحف بجيوشه إلى فلسطين لإيقاف جنود سرغون عن غزوة بلاده وصحبه حنون ملك غزة. وإليك ما خطّ على جدار خرشباد: «إنّ حنون ملك غزة وسيباضي (كذا يسمي شبك) سلطان مصر، اجتمعا في رابي (وهي رافية المسماة الآن بئر رفح على ٢١ أو ٢٢ ميلاً من غزة جنوباً) (كاران مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٢٣٣) ليصليا عليّ حرباً. واقبلا عليّ فهزمتكما وانكسرت جيوش سيباضي أمام جنودي. وهرب هو فلم يُهتد له على أثر وقبضت بيدي على حنون ملك غزة وافترضت جزية على فرعون ملك مصر». وفي خطوط أخرى أن سرغون أخذ حنون أسيراً إلى بلاد آشور وأنه ضرب قبائل بلاد العرب وجلا بعضهم إلى السامرة (كما مر في عد ٣٢٤).

إنّ انتصار سرغون على سلطان مصر وملك مصر وملك غزة قرضه مملكة إسرائيل، جعل بلاد فلسطين كلها في قبضة يده، ولم يتيسر له لحاق ملك مصر إلى وادي النيل. واكتفى بفرض الجزية عليه وعاد يسعر نار الحرب في أرمينية وبلاد

ماداي من سنة ٧١٨ إلى سنة ٧١٠ ق.م. التي فيها رجع إلى فلسطين وحاضر أشدود (وهي أسدود الآن بين يافا شمالاً وعسقلان جنوباً). وقد ذكر أشعيا النبي هذه الغزوة (فصل ٢٠ عد ١) قائلاً كما مرّ: «في السنة التي وفد فيها ترتان إلى أشدود إذ أرسله سرجون ملك آشور وحارب أشدود وأخذها». وهذا أخبار هذه الغزوة عن آثار سرغون في خرشباد، ولم نكن نعلم منها إلا إشارة أشعيا إليها: «في السنة التاسعة لغزوتي في البلاد الواقعة على شاطئ البحر الكبير (البحر المتوسط وفي تاريخه أن هذه الغزوة كانت في السنة الحادية عشرة للملكه) مضيت إلى فلسطين، وخيمت في أشدود لأن عازوري (أو ازوري) ملك أشدود قسا قلبه، ولم يؤد الجزية، وأرسل رسلاً إلى الملوك الذين حوله أعداء آشور، وصنع القبيح فأزلت ولايته عن الشعوب المجاورين له وأخذت ... (هنا كلمات محطمة). وأقمت أخاه مكانه على ملكه وضربت عليه مكوساً، وجزيات واجبة الاداء في آشور وضربت مثلها على الملوك مجاوريه. لكن رعاياه الخبثاء قسوا قلبهم ولم يؤدوا المكوس والجزية... وعصوا ملكهم وطردوه بدلاً عما صنعه إليهم من الخير... وأقاموا يافان ملكاً عليهم وأجلسوه على عرش مولاهم، مع أنه لم يكن وريثاً لمنصة ملكهم وحصنوا مدنهم للحرب... واحتفروا خليجاً من حولها عمقه عشرون ذراعاً، وأجروا مياه الينابيع إلى أمام المدينة. وشعب فلسطين ويهوذا وأدوم ومواب المقيمون في جانب البحر والذين كانوا يقدمون الجزية، والتقدم لآشور سيدي أبدوا الخيانة ونوى الشعب ورؤساؤه الأشقياء أن يحاربوني. وقدموا إلى فرعون ملك مصر وهو قاصر عن أن ينجيهم وابتغوا محالفته، فأنا الملك الأشرف أقسمت بآشور ومروдах وجيشت جيوش حرسى جميعاً، فعبروا دجلة والفرات في حين فيضانها. وسمع يافان ملكهم الذي كان معتمداً على قوته ولم يخضع لسلطتنا بمسير جيشنا فذلته عظمه آشور سيدي ففر إلى تخوم مصر... (وهنا كلمات محطمة لا يتحصل المراد بها). ولم يدرك أحد أين انهزم فحاصرت مدن أشدود وجيزمو، وأخذتها وغنمت إلهته وامراته وبنيه وبناته وأثاثه. وماله وكنوز قصره مع شعب بلاده وجددت بناء هذه المدن وأقمت بينهم قوماً ممن كنت أخضعتهم في جهات مشرق الشمس. وأقمتهم في وسط شعب آشور ففعلوا حسب مشيئتي».

قد صرح أشعيا في قوله ذكره بأن سرغون لم يحاصر أشدود بنفسه بل أرسل إليها ترتان قائد جيشه. وعليه فقول سرغون: «حاصرت أشدود وأخذتها» مجازي لا

حقيقي إلا أن نقول إنه أرسل ترتان أولاً ثم شخص بنفسه إلى أشدود وقد وجد اسم ترتان في الآثار الآشورية. وأخبار هذه الأحداث مهمة لا لعلاقتها بتاريخ العبرانيين فقط بل لتفسيرها بأتم بيان كثيراً من نبوات أشعيا النبي لا سيما نبوته التي جعل تاريخها سنة ارسال سرغون ترتان لافتتاح أشدود وهي سنة ٧١٠ ق.م. وقد كان للمفسرين كبوات في تفسير هذه النبوات قبل اكتشاف الآثار المار ذكرها ويلزم إصلاح تفسيرهم في ما يلاحظ التاريخ، فالنوازل التي حلت بمدن فلسطين كما رأيت أنفاً تنبأ عليها أشعيا في الفصل الرابع عشر من نبوته مؤرخة في سنة موت أحاز وهي سنة ٧٢٧، كما حققه أهل العلم بالآثار الآشورية أعني قبل حصار السامرة بأربع سنين، وقبل تملك سرغون بست سنين، وقبل انكسار حنون ملك غزة بثمانين سنين، وقبل انكسار حنون ملك غزة بثمانين سنين، وقبل افتتاح أشدود بسبع عشرة سنة. وإليك كلام النبي في نبوته المشار إليها (فصل ١٤): «لا تفرحي يا أرض فلسطين بأن قضيب ضاربك انكسر... أنا مميت أصلك بالجوع وبقيتك تقتل... ولول أيها الباب اصرخي أيتها المدينة قد ذبت يا فلسطين بأسرك لأن قتاماً وافد من الشمال وليس من ينفرد عن عصائبه.

فالقمام الوافد من الشمال كناية عن جحافل سرغون التي أتت من الشمال، وأنزلت البلاء والوبال في مدن فلسطين. ولأشعيا نبوتان أخريان نطق بهما سنة ٧١٠ على الحبشة ومصر. وقد جمع بينهما لأن شبك الحبشي كان يليهما معاً فقال (فصل ٢٠ عد ٤ إلى عد ٦): «كذلك يسوق ملك آشور سبي مصر وجلاء كوش الصبيان والشيوخ عراة حفاة مكشوفة استاهم فضيحة لمصر. فيفزعون ويخزون بكوش رجائهم وبمصر فخرهم». وأكثر صراحة من هذا قوله (فصل ١٩ عد ٤): «وادفع مصر إلى سيد قاس. وملك ذو عزة يتسلط عليهم يقول السيد رب الجنود». فهذه النبوة على مصر والحبشة لم تتم في أيام سرغون وليس سرغون الملك القاسي الذي أشار النبي إليه كما وهم كثير من المفسرين قبل الاكتشافات، بل هو أسرحدون بن سنحاريب وحفيد سرغون أو آشور بانيبال بن أسرحدون. فقد حالت بعض المصاعب دون افتتاح سرغون مصر بعد إخراجه السامرة سنة ٧٢١ ق.م وبعد افتتاحه أشدود سنة ٧١٠ فإنه اضطرب سنة ٧٠٩ ق.م أن يعود إلى الحرب مع مروдах بلدان ملك بابل. ولم يظفر به كل الظفر إلا في سنة ٧٠٨ ق.م، وأراد بعدئذ أن يستريح ويقيم قصره المعروف الآن بقصر خرشباد المكتوب على جداره أكثر تاريخه.

وقد ذكرنا (في عد ١٢٢) ضم سرغون قبرس إلى مملكته نقلاً عن صفيحة وجدت في هذه الجزيرة. وفي سنة (٧٠٤ ق.م سطا على سرغون رجل يسمى بلكاساي فقتله غيلة ربما أخذ بثأر مروداخ بلادان، فقضي من أكمل خراب مملكة بعد أن ملك سبع عشرة سنة. (ملخص عن فيكورو في المجلد المذكور من صفحة ١٤٧ إلى ١٨١).

عد ٣٢٧

سنو ملوك يهوذا وملوك إسرائيل

إذا تتبعنا سني ملوك يهوذا وملوك إسرائيل كما ذكرها الكتاب وجدناها كما ترى في الجدول التالي.

ملوك يهوذا	سني ملكهم	آيات الكتاب	ملوك إسرائيل	سنو ملكهم	آيات الكتاب
راحبعام	١٧	ملو ٣ ف ١٤ ع ٢٠	ياربعام	٢٢	ملو ٣ ف ١٤ ع ٢٠
ايا	٠٣	٠٠ ف ١٥ ع ٢	ناداب	٠٢	٠٠ ف ١٥ ع ٢٥
آسا	٤١	٠٠ ف ١٥ ع ٢٠	بعشا	٢٤	٠٠ ف ١٥ ع ٣٣
يوشافاط	٢٥	٠٠ ف ٢٢ ع ٤٢	ايله	٠٢	٠٠ ف ١٦ ع ٨
يورام	٠٨	ملو ٤ ف ٠٨ ع ١٧	زمري (يوم ٧)		٠٠ ف ١٦ ع ١٥
احزيا	٠١	٠٠ ف ٠٨ ع ٢٥	عمري	١٢	٠٠ ف ١٦ ع ٢٣
عتليا	٠٦	٠٠ ف ١١ ع ٠٣	احاب	٢٢	٠٠ ف ١٦ ع ٢٩
يواش	٤٠	٠٠ ف ١٢ ع ٠١	احزيا	٠٢	٠٠ ف ٢٢ ع ٥٢
امصيا	٢٩	٠٠ ف ١٤ ع ٠٢	يورام	١٠	ملو ٤ ف ٠٣ ع ٠١
عزيا	٥٢	٠٠ ف ١٥ ع ٠٢	ياهو	٢٨	٠٠ ف ١٠ ع ٣٦
يوتام	١٦	٠٠ ف ١٥ ع ٣٣	يواحاز	١٧	٠٠ ف ١٣ ع ٠١
احاز	١٦	٠٠ ف ١٦ ع ٠٢	يواش	١٦	٠٠ ف ١٣ ع ١٠
من مدة					
حزقيا	٠٦	٠٠ ف ١٨ ع ٠١	ياربعام ٢	٤١	٠٠ ف ١٤ ع ٢٣
المجموع	٢٦٠		زكريا شهر ٦		٠٠ ف ١٥ ع ٠٨

ملوك يهودا	سنو ملكهم	آيات الكتاب	ملوك إسرائيل	سنو ملكهم	آيات الكتاب
			شلوم	(شهر ١)	١٣ ف ١٥ ع ١٣
			منحيم	١٠	١٧ ف ١٥ ع ١٧
			فقحيا	٠٢	ملو ٤ ف ١٥ ع ٢٣
			فاقح	٢٠	٢٧ ف ١٥ ع ٢٧
			هوشع	(شهر ٧)	١٠ ف ١٧ ع ١٠
			المجموع	٢٤١	وشهر (٧)

والفينا سني ملوك يهوذا تزيد على سني ملوك اسرائيل ثمانى عشرة سنة وخمسة أشهر لأن مجموع سني ملوك يهوذا ٢٦٠ سنة، ومجموع سني ملوك اسرائيل ٢٤١ وسبعة أشهر وسبعة أيام أيضاً. وقد أجهد العلماء ومفسرو الكتاب نفوسهم في توفيق هذا الخلاف فقال بعضهم إن النساخ ردوا خطأ هذه الثمانى عشرة سنة على سني ملوك يهوذا عند ذكر سني ملك بعضهم فيلزم إصلاح هذا الخطأ الذي وقع مثله متواتراً في الأعداد، ولكن لا يعلم من سني الملوك المعاصرين لاحاب ملك إسرائيل. وقال بعضهم إن الملك انقطع في مملكة السامرة أي لم يكن ملك في إسرائيل مرتين أحدهما بين ملك ياربعام الثاني وملك زكريا مدة نحو من إحدى عشرة سنة. والثانية بين ملك فاقح وملك هوشع مدة نحو تسع سنين. وقد جنح الأب فيكورو إلى القول الأول في كتابه الموسوم بالأسفار المقدسة وانتقاد العقلين لها (مجلد ٤ صفحة ٥٠٥ طبعة ٣). وإلى القول الثاني في كتابه الموسوم بالموجز الكتابي (مجلد ٢ صفحة ٨١ طبعة ٧). ووضع الجدول الآتي للملوك إسرائيل مبيّناً سنة بدء ملك كل منهم قبل التاريخ المسيحي عن علماء أعلام فنترجمه توفيراً للفائدة مغتنين بما في الجدول السابق عن تعيين آيات الكتاب.

سنو ملوك يهوذا وملوك إسرائيل
أسماء ملوك إسرائيل سنو ملكهم بدء ملكهم ق.م
عن باتو كلينتون وينر

اسماء ملوك إسرائيل	سنو ملكهم	باتو	كلينتون	بدء ملكهم ق.م عن وينر
ياربعام الأول	٢٢	٩٧٥	٩٧٦	٩٧٥
ناداب	٠٢	٩٥٤	٩٥٥	٩٥٤
بعشا	٢٤	٩٥٣	٩٥٤	٩٥٣
اياله	٠٢	٩٣٠	٩٣٠	٩٣٠
زمري يوم ٧	٠٠	٩٢٩	٩٣٠	٩٢٨
عمري	١٢	٩٢٩	٩٣٠	٩٢٨
احاب	٢٢	٩١٧	٩١٩	٩١٨
احزيا	٠٢	٨٩٨	٨٩٦	٨٩٧
يورام	١٢	٨٩٦	٨٩٥	٨٩٦
ياهو	٢٨	٨٨٤	٨٨٣	٨٨٤
يواحاز	١٧	٨٥٦	٨٥٥	٨٥٦
يواش	١٦	٨٤٠	٨٣٩	٨٤٠
ياربعام الثاني	٤١	٨٢٤	٨٢٣	٨٢٥
لاملك	١١	٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠
زكريا شهر ٦	٠٠	٧٧٢	٧٧١	٧٧٢
شلوم شهر ١	٠٠	٧٧٢	٨٧٠	٧٧١
منحيم	١٠	٧٧١	٧٧٠	٧٧١
فقحيا	٠٢	٧٦١	٧٥٩	٧٦٩
ناقح	٢٠	٧٥٩	٧٥٧	٧٥٨

٠٠٠	٠٠٠	٠٠٠	٩	لاملك
٧٢٩	٧٣٠	٧٢٩	٩	هوشع
٧٢١	٧٢١	٧٢١	٠٠٠	خراب السامرة
٢٦٠				فمجموع سني ملوك إسرائيل

فيكون مجموع سني ملوك اسرائيل على هذا النحو مئتين وستين سنة كسني ملوك يهوذا. وقد قال بعض المتجددين بطرائق أخرى لتوفيق هذا الخلاف فقال أولد إنّ الصحيح في سني ياربعام الثاني أنها ٥٣ سنة لا ٤١ سنة. وفي سني فاقح انها ٢٩ سنة لا ٢٠ سنة. فيحصل من ذلك زيادة نحو من عشرين سنة. وتتفق بذلك سنو المملكتين ووفق غيره بطرائق أخرى. ومهما يكن من هذا الخلاف فلا يمس صحة الأسفار المقدسة بشيء لأنه من خطأ النساخ، وقلنا مراراً أن ليس على الله أن يعصم كل كاتب من الخطأ، وأن هذه الأعداد يعبر عنها الكتاب بالحروف وهي متقاربة الهيئة فتكون عرضة للخطأ.

الفصل الثامن عشر

سائر ملوك يهوذا إلى الجلاء البابلي

عد ٣٢٨

حزقيا ملك يهوذا

إنّ حزقيا بن آحاز ملك يهوذا خلف أباه راقياً منصة الملك في السنة الثالثة لهوشع ملك إسرائيل أي سنة ٧٢٧ ق.م، وكان عمره حينئذٍ خمساً وعشرين سنة. ومملك ٢٩ سنة وفي السنة السادسة للملكه وهي السنة التاسعة لهوشع ملك إسرائيل أخذت السامرة، وجلا ملك آشور بني إسرائيل إلى بلاد آشور (ملوك ٤ فصل ١٨ عد ١ و ٢ وعد ١٠ و ١١) وكان حزقيا مستقيماً وأرضى الرب متشبهاً بدادود

جده. وكان أول مهامه وأجلها العناية بأمر الدين، وحض شعبه على التمسك بعروته الوثقى، والعمل بسنن الرب ففتح هيكل أورشليم الذي كان مقفلاً في أيام أبيه. وأزال المشارف وحطّم الأنصاب، وقطع الغابات وكسّر تماثيل الآلهة الفينيقية. ودمّر هياكلها بل اتّصل إلى أن سحق الحية النحاسية التي كان موسى أقامها في البرية، لأن بني إسرائيل كانوا حينئذٍ يقدمون لها البخور ويعبدونها عبادة وثنية خلافاً لما أمر الرب موسى عند صنعها. وكان الرب مع حزقيا وحيثما توجه كان يتصرّف بحكمة، واحتفى بعيد أول فصح وقع في أيام ملكه بمزيد التجلة. فأرسل رسائل ووفوداً إلى جميع أنحاء مملكته وإلى بني إسرائيل أجمعين من بئر سبع إلى دان ليأتوا إلى قضاء فصح الرب في أورشليم، إذ حالت عليهم أحوال ولم يقضوه حق قضائه. فانطلق الوفود من مدينة إلى أخرى يحضون الشعب على العود إلى الله وهيكله ليصرف عنهم حدة غضبه، فازدري بعضهم بالوفود وسخروا منهم وخشع جماعة من أسباط أشير ومنسا وزابلون، وجاءوا إلى أورشليم، وكان بنو يهوذا بقلب واحد على العمل بأمر الملك والرؤساء. وقد تقدّس الكهنة واللاويون وقدموا الذبائح والمحرقات واحتفى الشعب بعيد الفطير في أورشليم سبعة أيام بوافر الوقار والبهجة، وأضافوا إلى أيام العيد سبعة أيام أخرى. وأدّب الملك للجماعة ذابحاً كثيراً من ثيرانه وشياهه. وفعل الرؤساء مثلما فعل الملك وكان الفرح عظيماً لم يكن مثله منذ أيام سليمان. وقد انقضى هذا العيد قبل خراب السامرة ولم يكن هوشع ملك إسرائيل يمنع مسوديه الإتيان إلى هيكل أورشليم كغيره من أسلافه وقد مرّت الإشارة إلى ذلك في الكلام عليه. وأعاد حزقيا الملك نظام خدمة الكهنة واللاويين في الهيكل وأجرى عليهم الأرزاق ليعكفوا على خدمة الرب والهيكل. وأعطى حصّة من ماله للمحرقات وذاع ذلك فاقتدى به كثير من بني إسرائيل. فقدموا من بواكير الحنطة والخمر والزيت والعسل شيئاً كثيراً. وجاءوا بالعشور وافرة، وكان أشعيا النبي يرشد الملك إلى كل ذلك.

قد مرض حزقيا الملك فوافاه أشعيا النبي يقول له أوصي لبيتك لأنك تموت ولا تعيش فبكى بكاءً شديداً وصلى إلى الرب قائلاً، أذكر يا رب كيف سلكت أمامك بالحق وسلامة القلب، وكيف صنعت الخير أمامك. فأوحى الرب إلى أشعيا أن يعود إلى الملك ويقول له إنّه سمع صلاته ورأى دموعه وإنّه سيسقى، وفي اليوم الثالث يصعد إلى الهيكل، وإنّه سيزيده على أيامه خمس عشرة سنة، وينقذه وأورشليم من

شر ملك آشور. فعاد أشعيا وبلغه ما قال الرب ووضع قرص تين على قرحه فبرأ، ولم يكن هذا القرص على الأظهر شافياً القرح بنفسه بل كان إشارة إلى الآية الربانية كوضع الإشعاع الملح في المياه المرة فحلت، وكصب إيليا الماء حول المذبح حتى لفحته النار المنحدرة من العلاء. وقد التمس حزقيا من النبي آية يحقق أن الرب يبرئه فقال أشعيا هذه آية لك من قبل الرب «أيتقدم الظل عشر درجات أم يرجع عشر درجات فقال حزقيا أما تقدم الظل عشر درجات فأمر يسير ولكن ليرجع الظل إلى الوراء عشر درجات فهتف أشعيا النبي إلى الرب فرد الظل في الدرجات التي نزلها في درج آحاز عشر درجات، إلى الوراء». ذهب كثيرون من العلماء إلى أن المراد بدرج آحاز درج قصر حزقيا الذي كان أبوه آحاز بناه، وكان في أعلاه ابرة يستدل بظلها على ساعات النهار. وقد سخر فولتر من حزقيا ومن قول الكتاب إن تقدم الظل عشر درجات أمر يسير مع أن تقدمه ورجوعه سيان في منافاة شرائع الطبيعة. فنسلم له بأن حزقيا لم يكن فلكياً بل تكلم كعمامة أهل أيامه الذين ألفوا أن يروا الظل يتقدم دائماً ولم يرجع قط. وكذلك نسلم له بأن رجوع الظل إلى الوراء ينافي سنن الطبيعة لكننا لا ننسبه إليها، بل إلى قدرة باري الطبيعة وهو على كل شيء قدير، ولو كان هذا الرجوع ممكناً بقوة الطبيعة لما أثبت لحزقيا شيئاً ولا كانت الآية آية وجميع المؤمنين بالله يعتقدون أنه تقدير على صنع الآيات، وخرق شرائع الطبيعة وإن كل ما شاء الرب صنع ولا تعوزه الوسائل لإرجاع الظل عشر درجات. ولم يصرح لنا الكتاب بهذه الوسيلة ومن كذب بوجود الله فلا بدع أن يكذب بآياته نعوذ به من شر المارقين.

وقال الكتاب (ملوك ٤ فصل ٢٠ عد ١١): «في ذلك الزمان أرسل بروداك بلادان بن بلادان ملك بابل كتباً وهدايا إلى حزقيا لأنه سمع أن حزقيا مريض، ففرح بهم حزقيا وأراهم جميع بيت نفائسه، وفضته وذهبه وأطبابه، ودهنه الطيب وبيت أنيته وجميع ما في خزانته». فوفد إليه أشعيا يكتبته على ذلك وتنبأ له أنها ستأتي أيام يؤخذ فيها كل ما في بيته مما أدخره آباؤه إلى بابل. ويؤخذ من بنيهِ الذين يلدهم فيكونون خصياناً في قصر ملك بابل. قد نسب الملحدون نبوات انبياء إسرائيل إلى حذقهم، ومعرفتهم لغوامض السياسة، ولكن أي حذق يتصل إلى عرفان ما تخالفه الظواهر كلها ولا يرى فيه وجه لاحتمال وقوعه كنبوة أشعيا هذه على جلاء بني يهوذا إلى بابل، مع أن مملكة بابل كانت حينئذٍ منحطة يهددها في كل

فترة ملوك آشور بقوتهم الجبارة وجيوشهم الظافرة بل كان بعضهم أذل بابل، ودانت لهم ومع هذا أثبت النبي قبل ١١٤ سنة أنَّ هذه المملكة الدليلة سوف تقوى على مملكة آشور وتظفر بمملكة حزقيا الزاهرة يومئذ وتجلو سكانها إلى بلادهم. وبمثل ذلك ميخا النبي الذي كان معاصراً لأشعيا كما يظهر من نبوته (فصل ٤ عد ١٠).

أما برداك بلادان الذي ذكره الكتاب هنا فهو مروداخ بلادان ملك بابل الذي مر ذكره مرات وسماه أشعيا (فصل ٣٩ عد ١) مروداك. وقد تكلم فيه العلامة الكردينال ويزمن في السادسة من خطبه في العلامات بين العلم والدين الموحى فقال: «إنَّ مملكة آشور كانت يومئذٍ عزيزة زاهية راقية ذرى مجدها، ولم تكن بابل إلا خاضعة لسوددها، فإن كان بروداك أو مروداخ ملك بابل فكيف اجترأ أن يرسل وفداً لتهنئة ملك يهوذا وهو محارب لملك آشور سيده» إلى أن يقول الكردينال العلامة إنَّه وجد فقرة لباروز حفظها أوساييوس في التاريخ الأرمني الذي نشره (مجلد ١٩ من مكتبة الآباء اليونان عمود ١١٨ من طبعة الأب مين) قيل فيها «ومن بعد وفاة أخي سنحاريم (سنحاريب) ملك هاجيسانو على البابليين، ولكن لم تنقض على ملكه ثلاثون يوماً إلا وقتله مروداخ بلادان. وقبض على صولجان الملك ستة أشهر فتلَّ عرشه رجل اسمه اليبوس، وملك مكانه في السنة الثالثة للملك. خرج سنحاريب بجحافل على البابليين فاستظهر عليهم وقبض على اليبوس وأفراد أسرته. وجلاهم إلى بلاد آشور وبسط ولايته على البابليين وأقام عليهم ملكاً ابنه أسرحدون وعاد ظافراً إلى آشور». على أنَّ الخطوط الآشورية أزلت كل أشكال في أمر مروداخ بلادان فقد ذكره تجلت فلاصر في الخطوط التي نقشها على قصره، ومما قاله فيها إنَّ مروداخ بلادان بن ياكين ملك البحر (يريد بلاد الكلدان السفلى لمجاورتها خليج العجم. ولم يكن في مدة أسلافي أدَّى إليهم شيئاً من الجزية ولا قبل أقدامهم. فراعته عظمة آشور سيدي ومثل أمامي في مدينة سيبا وقبل قدمي» وعدد ما قدَّمه له من الجزيات. وكان خضوع مروداخ لتجلت فلاصر سنة ٧٣٠ أو سنة ٧٣١ ق.م عن سميت (في تاريخ تجلت فلاصر). وجاء في آثار سرغون ذكر مروداخ ملك بابل وقد حاربه سرغون سنة ٧٢٠ ق.م ويظهر أنَّ هذه الحرب انقضت بصلح من شرائطه أن يبقى مروداخ بلادان ملكاً في بابل. على أنَّ سرغون أضرم نار الحرب ثانية سنة ٧٠٩ وسنة ٧٠٨ ق.م وانتزع الملك منه وجمع بين

تاجي آشور وبابل. على أنه بعد وفاة سرغون تنازع كثيرون ملك بابل مدة سنتين ويظهر أن مروداخ عاد حينئذ إلى عرش بابل فتبوأه ستة أشهر كما جاء في فقرة باروز المذكورة آنفاً. وقد كشف في بابل في هذه السنين عن صحيفة كتب عليها ما يثبت هذه الفقرة وهو: «أن رجلاً اسمه مروداخ زوكيرسومي ملك في بابل مدة شهر ثم ملك فيها مروداخ هابل ايدينا (مروداخ بلادان) تسعة أشهر». وفي آثار سنحاريب ما يثبت رواية باروز وأوسابيوس ويحقق آيات الكتاب تحقيقاً علمياً. فقد جاء في أثره المعروف بعمود بلينو «في بدء ملكي انتصرت تجاه مدينة كيش على مروداخ بلادان ملك كردويناس (بابل)، وعلى جيوش عيلام. فغادر ساحة الحرب وانهزم منفرداً... فملك يدي في ساحة الحرب من المركبات والخيول والبغال والحمير والجمال والغنم. ودخلت قصره في بابل بملء المسرة وفتحت خزائنه وأخذت منها ذهباً وفضة وآنية ذهبية وفضية وحجارة كريمة وأشياء ثمينة... واستعبدت امرأته ونساء قصره والعمال الذين كانوا يخدمون بحضرته وكل ما كان يملكه. والظاهر من كل ما مرّ أن مروداخ بلادان بعد أن تَلَّ سرغون عرش ملكه في بابل عاد إليه بعد وفاة سرغون، وفي تلك الفترة أرسل وفده إلى حزقيا ملك يهوذا يهنئه بصحته ويرغب في محالفته له على سنحاريب عدو كليهما. وقد يكون وفده اهتم بعقد محادثات مع غير حزقيا من ملوك سورية وفينيقية وربما كان هذا ما حمل سنحاريب على غزوته سورية كما ترى.

عد ٣٢٩

حملة سنحاريب على حزقيا ملك يهوذا

إن حزقيا كان معاصراً سلمناصر وسرغون وسنحاريب ملوك آشور، وشهد حصار السامرة وافتتاحها وجلاء أهل مملكته وخراب مدن فلسطين، ولم يسطر سلمناصر ولا سرغون عليه لأن اباه احاز كان محالفاً لملك آشور. ولكن أمست يهوذا في أيامه يحتاطها الآشوريون كحلقة من حديد. فكان في شماليها من جلاهم ملك آشور إلى السامرة، وفي غربتها مدن فلسطين التي دمرها سرغون وأقام عماله فيها، وفي جنوبها العرب الذين دانوا لسرغون، وفي شرقيها مملكة سورية، التي لم يبق منها ملك آشور إلا الاسم على أن هذا الموقف الحرج لم يزع حزقيا بل ثبت واثقاً بالله مفضلاً الإعتصام به، على كل من لجأ إلى دولة أجنبية، عاملاً

يأمر أشعيا النبي. وانبأنا الكتاب (ملوك ٤ فصل ١ عدد ٧) إنه: «تتد على ملك آشور ولم يتعد له». ولا نعلم متى كان هذا التمرد والأظهر أنه اغتنم فرصة موت سرغون سنة ٧٠٥ ق.م. كما اغتنمها غيره ممن كانوا يؤدون الجزية إلى ملك آشور فأبى أداء الجزية لسنحاريب وزاد على ذلك بالإحتفاء رسل مروداخ ملك بابل. فاحتدم سنحاريب غيظاً على حزقيا وزحف بجيوشه إلى سورية.

وذكر الكتاب حملة سنحاريب هذه قبل مرض حزقيا ولذلك زعم وقبل وفادة ملك بابل إليه ولكن الأظهر والأمثل أن مرض حزقيا والوفادة إليه كانا قبل الغزوة. ويؤيده أن خزائن حزقيا كانت عند وفود رسل ملك بابل إليه مملوءة من الذهب والفضة. والآنية الثمينة فلم يكن إذاً استفرغها بتقدمة ما كان فيها لسنحاريب قبل الحرب والآثار الآشورية والبابلية قاضية بأن وفادة ملك بابل إلى حزقيا كانت قبل حملة سنحاريب على سورية، ولذا قدمنا ذكر غزوة سنحاريب خلافاً لوضع الكتاب لهما.

أما سنحاريب فهو ابن سرغون وقد خلف أباه في ١٢ آب لسنة ٧٠٥ وفي آثاره كلام مشبع في بني إسرائيل أكثر مما ورد في آثار اسلافه فقد كشف سنة ١٨٣٠ عن صحيفة من خرف ذات ستة اوجه في نينوى عند رجل اسمه تيلور، ولذلك تسمى هذه الصحيفة تيلور وهي الآن في المتحف البريطاني قد دُون عليها سنحاريب اخبار حروبه من سنة ٧٠٤ إلى سنة ٦٨٤ ق.م في اربع مئة وثمانين سطراً. تفاخر فيها بانتصاره في وقائع كثيرة وبكم عن ذكر انخذه مما انطوت اخبار السنين الأولين لسنحاريب. وقد كشف عن تمثاله في نينوى وهو اليوم في لندره يمثل جالساً في فلسطين عند مدينة لاكيش (أم لقيس الآن) على عرش ثمين محمول بين أربعة من أكابر رجاله، ومنتشاً بأفخر الملابس، ودقنه مرسله وشعره طويل محكم الجدل وفي أذنيه حلقتان بهيئة صليب، وفي يده سوار ثمين ويمناه مرفوعة إلى فوق. وقد قبض بها على حربة وفي يسراه قوس يسندها إلى مقدم عرشه وهيئة وجهه، ناطقة بأنه غاز قاس جبار لا رحمة في قلبه. فمن رأى تمثاله درى ما كان أعظم حنقه عند سماعه أن ملكاً صغيراً في سورية أبى أن يؤدي إليه وأن يتحالفا على مناصبته.

على أنه لم يشأ أن يحمل على ملك يهوذا قبل أن يذل مروداخ بلادان لئلا

يترك عدواً من ورائه، فحارب ملك بابل وهزمه وشتت شمل قومه كما رأيت آنفاً، وأوغر حروباً في شرقي مملكته وجنوبيها لا يهمنها الكلام فيها. وبعد أن أمّن تخوم مملكته شرقاً وجنوباً. أمّ سورية ينوي أخضاع ملوكها والتوصل إلى مصر. وكانت غزوته هذه سنة ٧٠١ ق.م خلافاً لما رأيته عامة المفسرين والمؤرخين قبل الإكتشافات من أن هذه الغزوة كانت بين سنة ٧١٤ ق.م وسنة ٧١٠ لأن عمود بليانو المار ذكره كتب عليه سنة ٧٠٢ ق.م ولا ذكر فيه لها فإذا كانت بعده أعني سنة ٧٠١ ق.م وقد انبأنا الآثار المسمارية بأسباب أخرى لهذه الحملة (خلا الأسباب التي ذكرها الكتاب) وهي أن ملك صيدا وعسقلان وغيرهما لم يكتفوا بخلع نير الطاعة لملك آشور بل حالفوا ملك مصر عليه. ويظهر أن هذه المخالفة كانت بعد وفاة سرغون وأن المتحالفين لم يتسنّ لهم أن يضموا إليهم سائر ملوك سورية، بل أثر ملوك عمون ومواب وادوم الحيدودة، ومالاً ملوك ارواد وجبيل وأشدود الآشوريين وجاهر ملك عقرون بمحازبته لملك آشور خلافاً لرأي قومه فثاروا عليه وأسلموه إلى حزقيا ملك يهوذا ليسجنه في أورشليم.

و«إليك ما قاله الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٨) في حملة سنحاريب هذه (صعد سنحاريب ملك آشور على مدن يهوذا المحصنة وأخذها. فبعث حزقيا ملك يهوذا إلى ملك آشور في لأكيش (ام لقيس في الطريق المؤدي من أورشليم إلى غرة) وقال أنه قد خطئت فانصرفت عني ومهما تضرب عليّ انفضه إليك، فضرب ملك آشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة قنطار فضة وثلاثين قنطارا ذهب. فأدّى إليه حزقيا جميع الفضة التي وجدت في بيت الرب وفي خزائن بيت الملك. ونزع حزقيا الذهب عن أبواب الهيكل وعن الدعائم التي كان قد غشاها حزقيا ملك يهوذا ودفعه إلى ملك آشور» فلم يرضَ سنحاريب بذلك وحده بل طلب أن يدخل إلى أورشليم. ولذلك «أرسل ملك آشور ترتان وربساريس وربشاقا من لأكيش إلى الملك حزقيا بجيش عظيم».

والأظهر ان الاسماء الثلاثة المذكورة ليست اعلاماً شخصية بل اسماء مقامات في الجندية، فترتان يراد به القائد العام في الجيش وقد ورد مرات آثارهم بهذا المعنى. وربساريس يراد به الحصيان أو رئيس الحرم. وربشاقا معناه رئيس كبير في الجيش. وقال سكردر: إن الكلمة منحوتة من لفظة راب ومعناها العظيم والكبير ولفظة شاق أو ساك ومعناها الرأس والرئيس. ولما بلغ هؤلاء القواد إلى أورشليم

أرسل حزقيا ثلاثة رجال من حاشيته» فقال لهم ربشاقا: قولوا لحزقيا هكذا يقول الملك الكبير ملك آشور ما هذا الإنكال الذي اتكلت قد قلت ليس إلا كلام شفتين لي مشورة واقتدار على الحرب والآن فعلى من اتكلت حتى تمردت عليّ انك اتكلت على عكاز هذه القصبية المروضعة على مصر التي من اتكأ عليها نشبت في كفه وثقبتها. هكذا فرعون ملك مصر لجميع الذين يتكلمون عليه... والآن الحم القتال مع سيدي ملك آشور وأنا أقدم لك ألفي فرس ان استطعت أن تجد لها فرساناً. وأنتى لك أن تردّ وجه قائد واحد من عبيد سيدي الصغار وتتكلم على مصر لأجل مراكب وفرسان. والآن أتراني بمعزل عن الرب صعدت إلى هذا المكان لأدمره. الرب قال لي: اصعد على هذه الأرض واخربها» فقال له رجال حزقيا الملك كلم عبيدك باللغة الآرامية فإننا نفهمها ولا تكلمنا باليهودية (العبرانية) على مسامع الشعب القائمين على السور. فقال لهم ربشاقا: «أعلمه إلى سيديك وإليك بعثني سيدي لأقول هذا الكلام أليس إلى الرجال القائمين على السور» ليدركوا شر العقابة ويظهر من ذلك أن عمال الدول كانوا في تلك الأيام يتعلمون بلغات غيرهم كما في أيامنا، واللغتان الآرامية والعبرانية اختان من أصل واحد أو اشتقت احدهما من الأخرى. ثم وقف ربشاقا ونادى بصوت عظيم باليهودية محذراً الشعب من أن يسمعوا لحزقيا، بأن يتكلموا على الرب لأن الرب لا ينجيهم وقال: «أعمل آلهة الأمم أنقذوا كل واحد أرضه من يد آشور أين إله حماه وأفراد أين إله سفروائيم وهيناع وعوة (مر الكلام في مواقع هذه المدن) ألعلمها نجيا السامرة من يدي، وطلب إليهم أن يعقدوا صلحاً مع ملك آشور فيأخذهم إلى مثل أرضهم أرض حنطة وخمر وكروم وزيت وعسل. فسكت الشعب ولم يجب ربشاقا بكلمة وسمع الملك فزق ثيابه ولبس مسحاً ودخل بيت الرب وأرسل يخبر أشعيا بما كان من الضيق والزجر والتجديف على الرب. فأجابه أشعيا مشجعاً إياه أن لا يخاف تهديد ملك آشور ولا يبالي بتجديف قواده على الرب.

أما قواد سنحاريب فلما يمسوا من استسلام حزقيا وأهل أورشليم إليهم، عادوا إلى ملكهم ليسألوه عما يشاء فوجدوه قد رحل من لأكيش، ويقاتل أهل لبنه ولم يتعين موقع هذه المدينة إلى اليوم، والراجح أنه كان في الشمال الغربي من بيت جبرين وفي الشمال الشرقي من لأكيش في المحل المسمى الآن تل الصافي (فيكورو مجلد ٤ صفحة ٢٣٤ من الكتاب والاكتشافات). ثم قيل لسنحاريب أن ترهاقة

ملك كوش (أي ملك الحبشة) قد خرج ليقاتله فلكلا يتقوى حزقيا إذا بلغته هذه الأخبار أرسل إليه رسلاً، ورسالة يعيد فيها تهديده وتذكيره بما صنع هو وأسلافه بالقبائل التي أبت الخضوع لهم، ولم تنجهم آلهتهم فأخذ حزقيا الرسالة وقرأها وصعد إلى بيت الرب، وبسطها قدمه مصلياً خاشعاً إليه ليخلصه وشعبه من يد سنحاريب.

فأرسل أشعيا النبي يقول للملك من قبل الرب انه سمع صلاته وأنه سينتقم من سنحاريب الذي ترفع، وجدف على الرب قائلاً إنه بكثرة مركباته صعد إلى قمم الجبال، وأواخر لبنان قاطعاً أرفع ارزه وخيار سروه، وداخلاً المنزل في أقصاه وغاية كرمه، وأنه سيجعل خزامة في أنفه وشكيمة في شفتيه، ويرده في الطريق التي جاء منها وجعل النبي للملك علامة لهم في تلك السنة يأكلون زريعة، لأن عساكر سنحاريب كانت أخربت البلاد. وقطعت أشجارها وفي السنة الثانية يأكلون خلفه لأنها سنة سبتية لا يباحون أن يزرعوا ويأكلون ثمارها لاستتباب الراحة. وحقق له من قبل الرب أن سنحاريب لا يدخل أورشليم ولا يرمي إليها سهماً ولا ينصب عليها مترسة، وكان في تلك الليلة أن خرج ملك الرب وقتل من جيش آشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفاً، فاضطر سنحاريب أن يقفل راجعاً إلى نينوى ويقيم فيها. وفيما هو ساجد في بيت نصرورك الهه قتله أدرملك وشرآصار ابنه بالسيف وهربا إلى أرض أراراط (أي أرمينية)، وملك أسرحدون ابنه مكانه. فهذه خلاصة ما جاء في الكتاب (ملوك ٤ فصل ١٨ و ١٩ وفي سفر أخبار الأيام الثاني فصل ٣٢). قال بعض مفسري الكتاب إن قتل جنود سنحاريب كان بوباء أرسله الله عليهم، وقال آخرون إن الرب أوهمهم أن الأعداء أدركوهم فاقتتلوا وقتل بعضهم بعضاً.

ودونك ما جاء في آثار سنحاريب مصداقاً لقول الكتاب فقد كتب سنحاريب أخبار حملته هذه في صفيحته ذات الأعمدة أو السطوح الستة المعروفة بصفيحة تيلور. وذكر في العمود الثاني منها أخبار ما صنعه في صور وصيدا وعكا وغيرها من مدن فينيقية وبلاد العمونيين والموآبيين والأدوميين. وقد ترجمنا كلامه فيها في عد ١٢٣ عند كلامنا في الفينيقيين ونتم هنا ترجمة باقي كلامه: «وأما زدقا ملك عسقلون فلم يخضع عنقه لنيري فأخذت الهة بيت أبيه. وقبضت عليه وجلوته وامراته وبنيه وبناته وإخوته، وأسرة بيت أبيه إلى آشور، وأقمت سرلوداري بن روكتني ملكهم القديم والياً على شعب عسقلون. وفرضت عليه جزية بياناً لخضوعه

لعظمتي وأخلص في الطاعة لي. وتتبع غزوتي فمشيت على بيت داغون (المعروفة الآن بيت دجن أو دجان بين اللد وبينه اعلام الأماكن وكاران مجلد ١ في اليهودية صفحة ٣١). ويوبا (يافا) وبني برق (مدينة في نصيب سبط دان ورد ذكرها في سفر يشوع فصل ١٩ عد ٤٥). وحازور (المعروفة اليوم بيازور أو ياسور في أنحاء عسقلان) (كاران مجلد ٢ في اليهودية صفحة ٦٧) وأما مدن زدقا (ملك عسقلان) الذي أبى الطاعة لي فافتحتها وأخذت سكانها أسرى، وأما روساء أمكرون (الصحيح أنها عفرون وهي المسماة في أيامنا عاقر وقد مر الكلام فيها) ووجهاؤها وشعبها الذين كانوا قد كبلوا ملكهم بادي بالحديد لأنه أخلص في الطاعة والأمانة لآشور وأسلموه إلى حزقيا هو يهوداي (أي إلى حزقيا ملك يهوذا). فألقاه في السجن. أولئك تولى الرعب قلوبهم وأتى لإنقاذهم ملوك مصر وعساكر ملوك ملوحي (بلاد الحبشة أو مصر السفلى)، ومركباتهم وخيولهم، وقد حشدوا جيوشاً لا عداد لها، وصفوا صفوفهم لإيقاد نار الحرب عليّ تجاه مدينة التاقور^(١) وهيجوا جنودهم للقتال، أما أنا فاتكلت على آشور سيدي وحاربتهم وظهرت عليهم وقبضت يدي نفسها على رئيس مركبات مصر وعلى بنيه وعلى رئيس مركبات ملوك ملوحي، وأخذتهم أحياء في معمة الحرب وضربت مدينة التاقور وتمنه (وهي تبة الآن) وفتحتهما وغنمت ما كان فيهما».

وقال في العمود الثاني: «زحفت إلى مدينة أمكرون (عقرون) فقبضت على الرؤساء والوجهاء الذين تسببوا في الثورة وفتكت بهم، ووضعت جثثهم بعضها فوق بعض على أسوار المدينة. وأخذت من ظلم أو اعتدى من سكان المدينة أسرى، وأمرت باستبقاء باقي السكان الذين لم يشتركوا في العصاوة، ولم يقدموا على شيء يؤخذون به. وأما بادي ملكهم فأخرجته من وسط أورشليمو (أورشليم). واجلسته على عرشه وفرضت عليه شيئاً من الجزية بياناً لسيادتي. وأما حزقيا ملك يهوذا الذي أبى الخضوع لي فأخذت ستاً وأربعين من مدنه المحصنة عدا القرى والمزارع التي لا تعد بعد أن حاربتها بالبتوس (أداة للحرب غير معروفة) ... وأخذت منهم مئتي ألف ومئة وخمسين نفساً رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً. وغنمت خيلاً

(١) يظهر أنّ هذه المدينة هي التقية التي ورد ذكرها في سفر يشوع (فصل ١٩ عد ٤٤) بين مدن سبط دان وقال فيكورو (مجلد ٤ صفحة ٣٠٨ من الكتاب والإكتشافات) إنه لم يعين أحد الجغرافيين موقعها ويظهر من هذا الأثر الأشوري إنها كانت في ناحية عاقر الان في الطريق على شاطئ البحر

وبغلاً وحميراً وجمالاً وبقراً وغنماً لا عداد لها. وهو نفسه (اي حزقيا) أسى محبوساً كعصفور في قفص في أورشليم عاصمة ملكه، وأقام أبراجاً حولها ومنع خروج الناس من بابها الكبير، فأخذت من وسط مملكته المدن التي جلوت سكانها وسلمت هذه المدن إلى ميتنتي ملك أشدود وبادي ملك امكرونا (عقرون). واسميسيل ملك غزة فانقصت مملكته وزدت على جزيتهم القديمة ان يؤخذ قسم من حاصلاتهم كل سنة بياناً لخضوعهم لسلطنتي. وهو حزقيا أخذ فيه الرعب كل مأخذ من شدة سطوتي كما تولى الجزع العرب وجنوده، والشعب الذين كان حشدهم للمدافعة عن أورشليم عاصمة ملكه. فأدّى إليّ جزية ثلاثين قنطاراً من الذهب وثمانى مئة قنطار من الفضة والمعادن الثمينة... ومن العاج لعمل عرش، ومن جلود البقر وقرون الثيران، ومن خشب الكال (لا يعرف ما هو) والأبنوس فتلك كنوز ثمينة. وقد أرسل إليّ إلى نينوى عاصمة سلطنتي بناته ونساء قصره ومغنياته. وبعث إليّ وفده لإداء جزيته وإبداء خضوعه». وفي أثر آخر لسنحاريب معروف بصفحة القسطنطينية خلاصة أخبار هذه الأحداث بأوجز عبارة: «أما لولى ملك صيدون فأخذت ملكه وأقامت توبعل على عرشه، وفرضت عليه جزية ورغمت على الخضوع لسلطتي الإقليم الفسيح أرض يهوذا وملكها حزقيا». وفي المتحف البريطاني أثر آخر منبئ بهذه الأحداث قل ما يختلف عما رويناه، وفيه صفحة نقش عليها سنحاريب صورة حصاره لمدينة في فلسطين تمثل وضعه جثث القتلى بعضها فوق بعض على الأسوار وسوقه أهلها أسرى طبق كلامه الذي رويناه.

فمن تبصر في ما كتبه سنحاريب وما ورد في الكتاب ألفى الروايتين اتفقتا في أمور عديدة حتى في أسماء نحو من ثلاثين مدينة، بل لا يكاد يظهر فرق في الأخبار المختصة ببني إسرائيل إلا في أمرين أحدهما إنخذال سنحاريب بقتل جنوده بأمر الرب. وهذا لم يكن لسنحاريب أن يذكره لثلا يخلد ذكر انخذاله وحذا في ذلك حذو غيره من الغزاة المصريين والآشوريين. وثانيهما جعله قناطير الفضة التي قدمها له حزقيا ثمانى مئة قنطار. وقال الكتاب إنَّها ثلاث مئة قنطار ولهذا الاختلاف وجه وهو أنَّ قنطار الفضة عند العبرانيين كان يساوي قنطارين وثلاثي القنطار عند البابليين، فالثلاث مئة قنطار التي ذكرها الكتاب كانت تساوي عند الآشوريين ثمانى مئة قنطار فلا خلاف.

وقد صدق في ما قال أنه ضيق على حزقيا وجعله كعصفور في قفص،

والكتاب أشار إلى ذلك لكنه لم يقل أنه كسر هذا القفص، وأخذ حزقيا منه بل قال إن هذا القفص أصبح حصناً حصيناً بوجهه، وأن حزقيا بنى حوله أبراجاً أخرى، وكلامه قاضٍ عليه أنه لم يعتمد مضايقة حزقيا، وأخذ الجزية منه فقط بل أن ينتزع ملكه منه ويولي آخر عليه كما فعل في صيدا وعسقلون وغيرهما. وجل ما قاله إنه أخذ بعض مدنه وأكرهه على تخليّة سبيل بادي ملك عقرون، فغاز جبار مثله وجنود مظفرة كجنوده. وأخذ كل البلاد المحيطة بأورشليم من كل صوب وأوقعوا الرعب في قلوب سكان سورية أجمعين، لم يكونوا ليعفوا كرمياً عن فتح أورشليم وهي جل الغرض من حملتهم، ولم يكن لحزقيا ومن حشد في أورشليم من القوة البشرية ما يكفي لرد غارة مثل هذه الجحافل الظافرة، فلا بد إذاً من أن كان انتكاصهم عن أورشليم بقوة غير بشرية، وبالغ سنحاريب أو كذب بقوله إن حزقيا أرسل له الجزية مع وفيد إلى نينوى بعد الحرب. والصحيح أن حزقيا أرسل له ذلك وهو حال في لاكيش، وقبل أن يرسل قواد جيشه لتهديد حزقيا في أورشليم.



وهذا ظاهر لا من الكتاب وحده بل مما كتب تحت تمثاله المذكور آنفاً، وهو «سنحاريب ملك قبائل آشور جالس على عرش رفيع وتقدم أمامه التقدم في لاكيش». وسمات الجائين أمامه يقدمون التقدم وهيئاتهم تبين أنهم يهود حقاً.

ولنا في آثار آشورية أخرى ما يستلمح منه انخزال سنحاريب وذعره بعد حملته على حزقيا تصديقاً لقول الكتاب. فقد تبين من تلك الآثار أن العيلاميين سطوا كثيراً في تلك المدة على تخوم آشور الجنوبية وأنى كان لهم أن يتجاسروا على مثل ذلك لولا عود سنحاريب مدحوراً من اليهودية.

وقد حقق أوهر في مذكرات قدمها لجمعية الخطوط القديمة في لندرا سنة ١٨٦٩ م نقلاً عن آثار آشورية أن سنحاريب لم يعد إلى سورية بعد انخزاله مع بقائه في الملك بعد ذلك الانخزال ثماني عشرة سنة، مع أن شرفه وشراسته خلقه كانا يحملانه على ذلك، فلم يكفه عنه إلا ذعره من إله أورشليم. وقد وجد في حطام المؤرخين القدماء ما يثبت قول الكتاب في قتل جنود سنحاريب، فروى يوسيفوس (في ك ١٠ فصل ٢ من تاريخ اليهود) فقرة من كلام باروز الذي كتب تاريخ الكلدان قال فيها: «إن سنحاريب وجد بعد عودته من مصر أن عسكره باد منه مئة وخمسة وثمانون ألفاً بوباء أنزله الله بهم في الليلة الأولى بعد أخذهم في حصار أورشليم بقيادة ربشاقا. فتولاه الرعب من أن يباد باقي جنوده فعاد مسرعاً إلى نينوى عاصمة ملكه، وبعد مدة قتله ابنه ادرملك وسلنار في هيكل أراك إلهه فساء الشعب عملهما. وطردوهما فهربا إلى أرمينيا وخلفه ابنه الأصغر أسرحدون» ولا حاجة إلى القول بأن هذه الفقرة ناطقة بمطابقتها لنص الكتاب. وروى هيرودت أبو التاريخ (في كتابه الثاني صفحة ١٤١ من طبعة سنة ١٨٠٢ م: «إن سنحاريب ملك العرب والآشوريين عزم أن يحارب مصر بعسكر جرار، فلم يشأ رجال الحرب أن يتجنّدوا لوطنهم. وارتهك شاتوس الخبر (حاكم مصر حينئذ) واعتزل في الهيكل باكياً أمام تمثال الإله من جرى الحال التعيسة المقبلة عليه. وفيما هو ينتحب نام واعتقد أنه يرى الإله ظهر له مشجعاً ومحققاً أنه إذا مشى لمناسبة العرب فلا يحل به سوء، وإن الإله نفسه يكون له منجداً فاكسبته الرؤيا ثقة وثقى، فأخذ شاتوس من قومه كل من أراد خيراً ومضى بهم فحل في بالوز (فرما الآن طالع عد ١٠٠) التي هي مفتاح مصر، ولم يكن جنوده إلا من التجار والعملة والسوق ولم يصحبه أحد من المحنكين بالحرب، وعند وصوله بعسكره هذا إلى بالوس ظهرت فيران بكثرة

عجيبة في معسكر الأعداء. فقرضت أوتار آلات حربهم فأصبح العرب أعازل لا سلاح لهم. فانهزموا وأباد المصريون أكثرهم ويشاهد اليوم في هيكل فلكان (في مصر) تمثال من حجر يمثل هذا الملك وعلى يده فارة كتب عليها: «تعلم أياً كنت عند نظرك إليّ أن تحترم الآلهة» انتهى ما كتبه هيرودت نقلاً عن كهنة مصر بعد نحو من ثلاثة قرون من أيام الواقعة، وهو على مخالفته لنص الكتاب في بعض أحواله لا ينكران مسنده. ما رواه الكتاب عما أصاب عسكر سنحاريب انتحله المصريون وعزوه إلى قوة آلهتهم فكانت الرواية مشوشة والحدث واحد.

وقد روى الكتاب أنّ سنحاريب «وفيما هو ساجد في بيت نصروك إلهه قتله أدرملك وسرّاصر أبناه». وقد جاءت الآثار الآشورية محققة أنّ نصروك كان معبود سنحاريب فقد جاء في أحد خطوطه المسمارية: «بالآذان المفتوحة التي وهبها لي نصروك». وهذا يبين لنا لماذا أضاف الكتاب نصروك إلى ضمير عائد لسنحاريب بقوله: «نصروك اله» وقد فسر سكردر نصروك بمعنى موزع النعم أو الوهاب، وفُسر أوبر الكلمة بمعنى من يشدد عقود الزواج. ولم تصرح الخطوط المسمارية بمقتل سنحاريب ولعله لفظاعة قتل الابنين أباهما. على أنّ في موجز تاريخ باروز وفي التاريخ البابلي رواية مقتله كما رواها الكتاب فقد جاء في التاريخ البابلي: «في ٢٠ من شهر تبيت قتل سنحاريب ملك آشور ابنه في ثورة وكان سنحاريب ملك في آشور أربعاً وعشرين سنة» (رواه أوبر عن التاريخ البابلي الكائن في المتحف البريطاني). وفي موجز تاريخ باروز اسم القاتلين، وإن بابدال بعض الحروف في اسم أحدهما كما رأيت آنفاً في فقرته. زعم بعضهم إنّ سنحاريب لم يعيش إلا قليلاً بعد عوده من فلسطين إلى نينوى، واحتجوا له بما جاء في سفر طوبيا (فصل ١ عد ٢١ وما يليه) «ولما قفل الملك سنحاريب من أرض يهوذا هارباً من الضربة التي حاقه الله بها بسبب تجديفه. وطفق لحنقه يقتل كثيرين من بني إسرائيل كان طوبيا يدفن أجسادهم فسمى ذلك إلى الملك فأمر بقتله. وضبط جميع ما له فهرب طوبيا بولده وزوجته عارياً واختبأ لأن كثيرين كانوا يحبونه، وكان بعد خمسة وأربعين يوماً أن قتل الملك ابنه فعاد طوبيا إلى منزله ورد عليه كل ماله». على أنّه قد تبين من الخطوط المسمارية ان سنحاريب عاش بعد عوده من فلسطين إلى نينوى ثماني عشرة أو تسع عشرة سنة كما مرّ. وعليه فالخمس والأربعون يوماً التي ورد ذكرها في سفر طوبيا يحسب بدؤها من يوم أمر سنحاريب بقتل طوبيا لا من يوم مآبه من فلسطين.

وبقي ان نقول شيئاً في ترهاقة الذي سماه الكتاب ملك كوش أي الحبشة فهو الثالث من الدولة الحبشية التي تولت مصر، ولم يكن في بدء أمره ملكاً على مصر بل على الحبشة، لأنه عد مصر بين البلاد التي افتتحها في خطوطه التي نقشها على جدار هيكل تاب (طيبة). وقال روجه: (في كلامه على آثار هذا الملك صفحة ١٦) انه قد كتبت تحت تمثاله الكائن الآن في متحف القاهرة اسماء الشعوب الذين استظهر عليهم وهم الساسو أي العرب. والحاثا أي الحثيون والأرواديون والكالتي أي الفينيقيون وآشور عدوه خاصة. وقال إنه يظهر ان حرب ترهاقة مع سنحاريب كانت قبل تبويته عرش مصر لأنه لم يل مصر إلا سنة ٦٩٢ ق.م. كما يظهر من الآثار المصرية ويلزم بمقتضاها ان تكون حملته على سنحاريب سنة ٧٠١ ق.م طبق ما جاء في الآثار الآشورية عن حملة سنحاريب على سورية وذلك مصداقاً لتسمية الكتاب ترهاقة ملك كوش وعدم تسميته بفرعون.

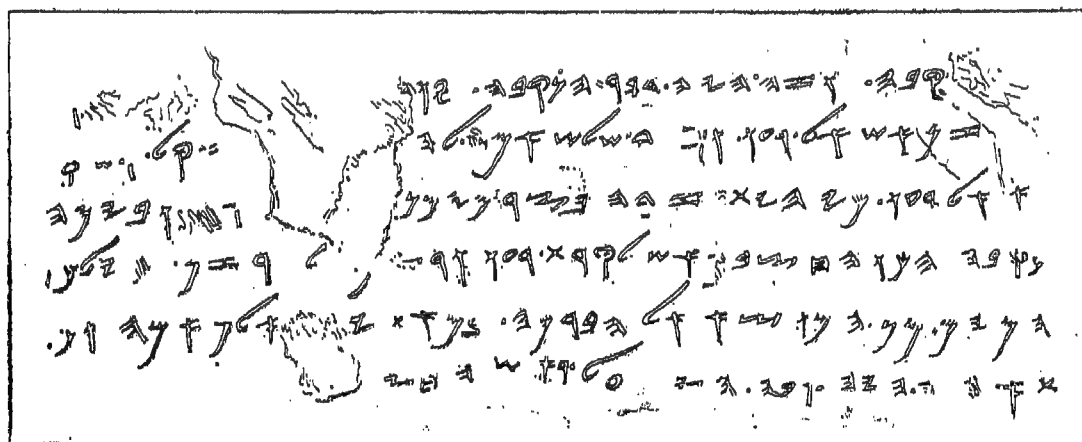
عد ٣٣٠

اجراء حزقيا الماء إلى اورشليم ووفاته

جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ٢٠ عد ٢٠) «وبقية أخبار حزقيا وكل بأسه وإنشاؤه البركة والقناة وادخاله الماء إلى المدينة مكتوبة في سفر أخبار الأيام». وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني (فصل ٣٢ عد ٢ وما يليه): «فلما رأى حزقيا ان سنحاريب قد وفد قاصداً محاربة اورشليم عقد مشورة مع رؤسائه وجابرتهم في سد مياه العيون التي في خارج المدينة، فوافقوه فاجتمع شعب كثير وسدوا جميع العيون والنهر الفائض في وسط الأرض قائلين لِمَ يأتي ملوك آشور ويجدون مياهاً غزيرة؟» إلى ان قال (في عد ٣٨): «وحزقيا هو الذي سد مجرى الماء الأعلى في جيحون، واجراه أسفل إلى غربي مدينة داود». واليك الاكتشاف المهم الذي قيضه الله في هذا العصر.

إنَّ شباناً كانوا في صيف سنة ١٨٨٠ م يلعبون في بركة شيلوفا خائضين الماء في القناة الموصلة الماء إليها فسقط أحدهم في الماء، وشعر بعلامات كحروف منقوشة في الجانب الجنوبي من القناة الصخرية، وكان الشاب تلميذاً لمهندس جرمانى مقيم في اورشليم اسمه شيك، فقص على استاذة ما رآه فمضى إلى هناك

وأجهد نفسه في أخذ مثال لتلك الحروف وعرضه على أهل العلم بالآثار القديمة. ثم زار سايس وكندر وغيرهما من العلماء الجوالين محل الاكتشاف، فظهر لهم ان الماء جار من ينبوع المعروف اليوم بعين العذراء في خارج أورشليم. وفتحت له قناة في الصخر الصلد لإجرائه إلى داخل المدينة التي كانت وقشيد ممتدة إلى بركة شيلوحا، والقناة تزيد ٥٢٨ متراً على ما كان يلزم ان تكون لو وجد يومئذ مهندسو عصرنا، إذ فيها تعاريج كثيرة لم تكن لازمة. أما الكتابة فهي باللغة العبرانية لكنها كتبت بالحروف الفينيقية وقد ترجمها كثيرون ونحن نثبتها هنا أخذاً عن ترجمة فيكورو (في الكتاب والاكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٢٢٧ طبعة ٥) «النقر. هوذا تاريخ النقر لما كان العملة ينقر أحدهم بالمنقار قبالة رفيقه، وقد بقيت ثلاثة أذرع (لم تنقر) سمع صوت رجل ينادي رفيقه لأنه حصل غلط في نقر الصخر من الجانب الأيمن. وفي يوم الفتح كان العملة يضربون منقاراً (بيك) إلى منقار الواحد قبالة صاحبه. فجرت المياه من ينبوع إلى البركة في طول الف ومئتي ذراع، وكان ارتفاع الصخر ذراعاً واحدة فوق رؤوس العملة» انتهى. ومما يؤسف عليه ان هذه الخطوط لم تؤرخ ولكن يترجح كثيراً انها كانت في أيام حزقيا، وعليه فتكون مصداقاً لأي الكتاب التي ذكرناها. واليك في جانبه مثلاً لهذه الخطوط عن أصلها.



صورة الكتابة العبرانية المخطوطة على عين شيلوحا في أورشليم

ثم توفي حزقيا وعظم شعبه الاحتفاء بدفنه، وقبر في مقبرة ملوك يهوذا سنة

٦٩٦ ق.م على ما روى فيكورو في المحل المذكور (صفحة ٢٤٩)، لأنه ملك تسعاً وعشرين سنة. وفي السنة السادسة للملكه خربت السامرة (ملوك ٤ فصل ١٨ عد ١٠) وقد خربت سنة ٧٢١ أو سنة ٧٢٠ فتكون وفاته سنة ٦٩٦ ق.م كما مر.

عد ٣٣١

منسا بن حزقيا ملك يهوذا

خلف منسا أباه حزقيا على منصة الملك وعمره اثنا عشرة سنة وملك خمساً وخمسين سنة في أورشليم وقد صنع الشرّ وعبد أصنام الكنعانيين وغيرهم، وأعاد بناء المشارف التي كان أبوه قد محققها، وأقام مذابح للبعل ونصب غابةً كما فعل آحاب. وسجد لجميع جند السماء أي للكواكب والنجوم وعبدها، وبنى لها مذابح في دار بيت الرب. وأقام تمثالاً لعشتاروت وأجاز ابنه في النار تكريماً للملوك معبود الموابيين. ورصد الأوقات وتفاعل واستخدم أصحاب جانٍ وعرافين إلى غير ذلك من المعاصي. قال لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه القديم للمشرق صفحة ٢٩٩ طبعة ٩): إنَّ العصبية المناصبة للدين كان حزقيا كبجها لكنه لم يستأصلها فاستحوذت على ابنه الملك الشاب. وحملته على هذه المعاصي وعلى الانتقام من الانبياء ورجال الله، فلم يصغَ لنصائح اشعيا وغيره من الانبياء، وازدرى تهديدهم ووعيدهم بأنَّ الرب جالب على أورشليم ويهوذا شراً كل من يسمع به تطلُّ أذناه، وإنه سينزل بأورشليم وملكها ما أنزله بالسامرة وآحاب، ولم يكن تهديد الانبياء إلاَّ ليزيد منسا حنقاً فسفك دمًا ذكياً كثيراً جرّداً. ولقد عبّر الكتاب عن كثرته بأنه ملأ أورشليم من الجانب إلى الجانب (ملوك ٤ فصل ٢١).

وقد اتفق تقليد اليهود وأقوال كثير من الآباء والعلماء على أنَّ منسا أمات اشعيا منشوراً بمنشار من خشب لزيادة التبريح به. وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني (فصل ٣٣ عد ١٠): «فكلم الرب منسا وشعبه فلم يسمعوا. فجلب الرب عليهم قواد جيش ملك آشور، فأخذوا منسا في الأصفاد وأوثقوه بسلسلتين من نحاس وأخذوه إلى بابل. ولما كان في الضيق التمس وجه الرب إلهه... وسمع لتضرعه وردّه إلى أورشليم إلى ملكه فعلم منسا أنَّ الرب هو الإله». ويظهر من الآيات التالية أنَّ منسا بعد عودته إلى ملكه أحسن مسعاه وأزال التماثيل التي كان نصبها

لآلهة الأمم، وهدم المذابح التي كان عملها في بيت الرب. ورَّم مذبح الرب وذبح عليه ذبائح سلامة وشكر. وأمر يهوذا أن يعبدوا الرب إله إسرائيل إلا أن الشعب ما زالوا يذبحون على المشارف. ولكن للرب إلههم فلم تكن ثم عبادة وثنية، لكن ذلك مخالف لوصية الرب أن يذبحوا في هيكل أورشليم. وروى يوسفوس أن منسا استمر على مسعاه الحسن إلى مماته.

قال الأب فيكورو (في الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٢٦٥) لا نص في الكتاب أقيم النكير على صحته في هذه الآيات مثل آيات سفر أخبار الأيام التي أنبأنا بأسر منسا ملك يهوذا إلى بابل. وقد حسبها الملحدون محض تخيُّل، وهم محتجين بأن ليس في سفر الملوك خطة تُنبئ بهذا الأسر، وبأن التاريخ مثبت إنه لم يكن للملك آشور في سورية شيء من السؤدد أو السطوة في الحقبة التي بين سنة ٧٠٠ وسنة ٦٥٠ ق.م، والتي كان فيها منسا وقالوا: أتَّى يصدَّق أن ملك آشور يجلو منسا إلى بابل لا إلى نينوى مدينته، وبابل كانت متحفزة في كلِّ فرصة للثورة على نينوى. وملكها كان عقد محالفة مع حزقيا أبي منسا على ملك آشور. على أن ما لا يريد الملحدون تصديقه تفحهم بصحبته الآثار الآشورية نفسها قاضية عليهم بالجهل أو المكر. فقد رويانا في كلامنا في الفينيقيين (عد ١٢٤) ما كتبه اسرحدون على إحدى صفائحه من أنه ضرب صيدا وأهلك سكانها ودمر أسوارها ومنازلها وقبض على ملكها وجلا جمعاً غفيراً من سكانها إلى آشور. وقد عدَّ في صفيحة أخرى الملوك الخاضعين له في سورية فقال: «بعل ملك صور منساملك يهوذا قدموه ملك أدوم» إلى غيرهم وكتب ابنه آشور بانيال في حملته الأولى على مصر (اسطوانة أولى عمود أول على ما ترجم سميت في تاريخ هذا الملك صفحة ١٧): «سرتُ إلى مصر والحبشة فالتقاني في طريق غزوتي إثنان وعشرون ملكاً يملكون على شاطئ البحر وفي وسطه (كقبرص)، وجميعهم يؤدون الجزية إليَّ، ومثلوا بحضرتي وقبَّلوا قدميَّ». وعدَّد (في الأسطوانة الثالثة) أسماء هؤلاء الملوك فكان منهم «بعل ملك صور ومنسا ملك يهوذا» وقال إنَّ سما سوموقين قيل بابل كان ثار عليه وحازبه ملوك فينيقية وفلسطين وحوران وبلاد العرب. ومنهم منسا ملك يهوذا وكان سما سوموقين أخاً لآشور بانيال وكان نصبه قبلاً في بابل فسوّلت له نفسه أن ينتزع الملك من يد أخيه الأكبر ويستبد به، فهبَّ آشور بانيال، لمناسبة أعدائه وكتبهم. ودونك ما كتب (في الاسطوانة الأولى عمود

٢ كما روى سميت في تاريخه صفحة ١٥٤ و ١٥٥): «وسما سوموقين أخخي الصغير لم يخلص لي في الطاعة وأثار عليّ رجال أكد (بابل) وبلاد الكلدان، وآرام وشاطئ البحر (يريد البحر المتوسط أي فينيقية وفلسطين مع مملكة يهوذا) من أكابا (علّه خليج عقبه المعلوم) إلى بابساليتمو (لعلّ المراد أطراف مصر أو أطراف مملكة آشور) وكان هؤلاء جميعاً يؤدون إليّ الجزية. ويدلون لي وأومانيكاس الآبق الذي دان عنقه لنير سؤدددي وكنث ملكته في عيلام وملوك الكوتي (الحثيين)، وسورية والحبشة (يريد مصر والحبشة معاً) الذين كانوا في قبضة يدي بأمر آشور وبتليس (الالهين) فهؤلاء جميعاً ثاروا. وأتمروا معه (أي مع أخيه) عليّ». وقال في أثر آخر (ذكره سميت صفحة ١٦٩): «ثاروا عليّ (أي من ذكرهم أنفاً) فأخضعتهم كما أمر آشور وبتليس وسائر الآلهة الذين عليهم أتكلت وكذنت أعناقهم بنير آشور الذي كانوا خلعه ونصبت عليهم نواباً... طوع يدي... وفرضت عليهم جزية على أرضهم قدرأ معيناً لا ينقص منه شيء واجب الأداء لسلطنتي» ولا غرو إن كان منسا من هؤلاء الملوك الذين أذلّهم آشور بانيبال وقد أخذه قواد جيشه مكبلاً بالحديد إلى بابل والوجه في أخذه إلى بابل لا إلى نينوى ظاهر مما مرّ ولا يُخفى إلّا على أعين الملحدّين فأشور بانيبال كان حينئذٍ في بابل مخمداً ثورة أخيه. وأراد أن يظهر للثائرين كيف يجزي من يهوون خلع نيره. ولا حجة للملحدّين بخلو سفر الملوك الرابع عن خبر أسر منسا مع إثباته في سفر أخبار الأيام الثاني، فإنّ كثيراً من الأحداث ذكرت في أسفار الملوك أو في سفر أخبار الأيام ولم تذكر في كليهما معاً. وقد إستشكل الملحدّون أن يأخذ آشور بانيبال منسا مكبلاً بالحديد ثم يعيده إلى عرشه. ولا إشكال فإنّ آشور بانيبال نفسه صنع كذلك مع نكو أو نخو ملك سايس في مصر. وذكر التكبيل بالحديد مستفاض في تواريخهم. فقد كتب آشور بانيبال في إحدى اسطواناته (ذكره سميت في تاريخه صفحة ٤٣) «سر لوداري ملك زيهينو (لعلّهما فرما في مصر) ونخو ملك منف قبضوا عليهما وأوثقوهما بسلاسل من حديد، وكبّلوا أيديهم وأرجلهم بقيود من حديد» وقال (في اسطوانته الأولى عمود ٣) دومان وسمكون ملكا كمبول عدوا سلطنتي غللت ايديهما وارجلهما بسلاسل متينة من حديد» فكلّ ما مرّ يبيّن ما أبطل مزاعم الملحدّين، وما يأتي يزيد في إثبات آي الكتاب وتوفّر به الفوائد التاريخية.

عد ٣٣٢

حملات اسرحدون وآشور بانيبال على سورية ومصر في عهد منسا ملك يهوذا

لما كان منسا ملك يهوذا قد استمر على منصبة الملك خمساً وخمسين سنة كانت حملات اسرحدون وآشور بانيبال على سورية ومصر في أيامه. وأثرنا أن نثبت أخبار هذه الحملات لما فيها من الفوائد في تاريخ سورية ومن البيان لآيات الكتاب. فقد جاء في الفصل التاسع عشر من سفر الملوك الرابع (عد ٣٧) إن سنحاريب قتله ابنه ادرملك وشراًصر وملك اسرحدون ابنه مكانه. وقد كشف عن فلذة من أجر في نينوى كتب عليها آشور آح ايدين (هو أصل اسم اسرحدون وتأويله آشور أعطى أختاً) ملك بلاد آشور ابن سنحاريب ملك آشور. وعن الآثار الآشورية إنه خلف أباه سنة ٦٨١ ق.م. وبقي على منصبة الملك إلى سنة ٦٦٨ أي إنه ملك ثلاث عشرة سنة. ويظهر أنه لم يكن في نينوى عندما قتل أخواه أباهما فنازعهما الملك. وكانت بينهم حرب عوان على ضفة الفرات العليا فاستظهر عليهما واستبد بالملك، وصرف عزمته أولاً في استتباب الراحة في ما بين النهرين، وفي استرداد الأقاليم التي خسرها أبوه بعد انتكاصه مدحوراً من فلسطين. وكان أحد ابناء مروдах بلادان إدعى الاستقلال في بابل وشاطئ الخليج العجمي. فزحف إليه اسرحدون بجيوشه ففر مدحوراً، ولجأ إلى ملك عيلام فقتله تحزراً من حنق اسرحدون عليه. وكان له أخ يئس من النجاح فوفد طائعاً إلى نينوى فعفا عنه اسرحدون، وأمره على البلاد الواقعة على خليج العجم (لانرمان مجلد ٤ من تاريخه القديم صفحة ٣٢٤). وبعد أن أتمن اسرحدون ما بين النهرين حمل بجيوشه على سورية لأنه بلغه أن ملك ضبيدا وغيره عصوا عليه. فدثر صيدا واستحوذ على غيرها من مدن سورية كما ذكرنا في تاريخ الفينيقيين (عد ١٢٤) نقلاً عن آثاره، وجلا قوماً من السوريين إلى آشور، وقوماً من أنحاء أخرى إلى فلسطين. وهؤلاء هم الذين نراهم قالوا لزربابل ورؤساء الآباء بعد العود من الجلاء: «نحن نبني معكم (الهيكل الجديد) لأننا نطلب إلهمكم مثلكم، ونحن نذبح له من أيام اسرحدون الذي صيرنا إلى هنا» (عزرا فصل ٤ عد ٢).

وكان ترهاقة ملك الحبشة الذي حارب سنحاريب قد تغلب على مصر وانبسط

حكمه فيها. وسُمِّي نفسه ملك الحبشة ومصر. فزحف اسرحدون بجحافلِه إليه يبغي إنتراعه من ملكه والولاية على مصر. وعرف ترهاقة بمسيره إليه فأسرع بإرسال جيشه إلى فلسطين تداركاً للنازلة قبل حلولها. فالتقى الجيشان في ضواحي عسقلان على ما يظهر من أحد آثار اسرحدون، فاستظهر ملك آشور على ترهاقة، وشَتَّ جنوده واستدرك ملك مصر النجاة بالفرار. فدخل الغازي مصر في طريق دمياط، واستحوذ على منف وتاب (طيبة). وأخذ تماثيل الآلهة والآلهات وملابس الكهنة الثمينة وحلي نسائهم وأرسلها إلى هياكل آشور. وقسم مصر إلى اثنتين وعشرين ولاية وافترض على كلٍّ منها جزية مقدَّرة. وجعل نكو أو نخو الأول ملك سائس رئيساً على هذه الولايات فكان أول ملك من الآشوريين سَمي نفسه ملك مصر والحبشة. وكانت هذه الأحداث في سنة ٦٧٢ ق.م. واليك ما كتبه آشور بانيبال ابن اسرحدون في غزوة أبيه هذه: «ترهاقة ملك مصر الذي خذله أبي الذي ولدني اسرحدون ملك آشور وولي بلاده لم يحترم سطوة آشور وإستار وكبار الآلهة أربابنا. واعتمد على قوَّته وثار على الملوك والحكام الذين كان أبي الذي ولدني أقامهم في مصر ليفتك بهم. وينتهب أموالهم ويستحوذ على مصر ودخل منف، وأقام فيها بعد أن كان أبي الذي ولدني أخذها وأضافها إلى تخوم بلاد آشور». وقد كان نخو رئيس حكام مصر سليل أسرة لها حقُّ الملك في مصر. فازدلف إلى اسرحدون آملاً أن يكسبه ذلك قوة على ترهاقة الملك الحبشي فتعود ولاية مصر يوماً إليه وكان بينه وبين ترهاقة وقائع حققت لنا نبوَّة اشعيا حيث قال (فصل ١٩ عد ٢ وما يليه):

«وأسلح مصر على مصر فيقاتل الإنسان أخاه والرجل صديقه مدينة مدينة ومملكة مملكة... وادفع إلى يد سيد قاس. وملك ذو عزة يتسلَّط عليهم يقول السيد رب الجنود... قد سفه رؤساء صوعن (تانيس عند قدماء المصريين وسان الآن). وغوى رؤساء نوف (منف) وأضل مصر وجوه اسباطها... في ذلك اليوم يكون طريق من مصر إلى آشور فتأتي آشور إلى مصر ومصر إلى آشور» فتَمَّت نبوَّات اشعيا بما مرَّ وبما سيأتي عن غزوات آشور بانيبال. وعند عودة اسرحدون من غزوته في مصر مرَّ بسورية فالتقاء ملوكها ومنهم منسا ملك يهوذا مبدين أدلة خضوعهم لسلطته. ونقش مثاله على معبر نهر الكلب بين تماثيل غزاة بلادنا كما مرَّ في عد ١٢٤. وقد كتب على صفيحة من أجر: «أنا اسرحدون الملك العظيم الملك القدير ملك القبائل ملك بلاد آشور وسيد بابل ملك سومير وأكَّد ملك ملوك مصر

وتيبائس (الصعيد) والحبشة أنا بنيت قصر تريس لسكنى آشور بانيبال ابن الملك العظيم».

أما آشور بانيبال فكان أبوه اسرحدون أشركه في الملك ثم استبدَّ به بعد وفاته سنة ٦٦٨ ق.م وكان محباً للعلم والعلماء حبه للحرب ورجاله وقد ترك آثاراً عديدة مهمة وهو الذي جعل العلماء يضعون الأصول النحوية للغتهم والنشرات التاريخية والمراقبات الفلكية. وأكثر الكتب الخزفية التي وُجدت في المكتبة التي كشف عنها لا يرد وغيره في نينوى وقدما الإشارة إليها في صدر هذا الكتاب. ومنذ استبداده بالملك اضطرَّ إلى إيقاد نار الحرب على مصر، فإنَّ ترهاقة عاد بعسكر جرَّار إلى مصر واستحوذ ثانية على تاب ومنف فجيَّش آشور بانيبال جيوشه وهبَّ مسرعاً إلى مصر. ومَرَّ بسورية فالتقاه ملوكها وملوك قبرص وكانوا إثنين وعشرين ملكاً منهم منسا ملك يهوذا كما مرَّ. وقدموا له الجزى والهدايا فسار لا يلوي إلى أن التقى بجيوش ترهاقة عند كربانيت فضربهم. وتفرَّقوا شذر مذر. وفرَّ ترهاقة فوطد آشور بانيبال سلطته في مصر وزاد على حاميته فيها وعاد إلى نينوى. فتحالف حكام مصر الوطنيون ونحو رئيسهم على خلع ولاية آشور عنهم، واستدعوا ترهاقة لإنجادهم، فلبَّى دعوتهم على أنهم كانوا من الخاسرين، لأنَّ الحامية الآشوريين تقوَّوا عليهم. وقبضوا على نحو وحاكمين آخرين وأرسلوهم مكبلين بالحديد إلى نينوى، ولم ينكف ترهاقة عن القتال وافتتح مرة أخرى تاب ومنف، لكنه على ما يقال حلم حلماً وقَّفه عن مسيره وعاد إلى الحبشة ومات.

وأما آشور بانيبال فأفرط في الحلم وردَّ نحو إلى ولايته في مصر مكرماً معزراً، وأنحفه بمنح وهدايا نفيسة فكان ذلك وبالاً، لأنَّ المصريين ما عثموا أن عادوا ثائرين على الآشوريين. فإنَّ رجلاً اسمه أردمان ابن امرأة ترهاقة أو ابنه على رواية أخرى وثب على تاب فاستحوذ عليها، وظفر بالآشوريين على أسوار منف وقبض على نحو فقتله. فاستشاط آشور بانيبال غيظاً وآلى أن يقرض ملوك الحبشة والمصريين ويقطع دابرهم كيلا يبقى منهم من يجترئ على العدو إلى مطامعهم. وزحف بجيوشه الجرازة إلى مصر ماراً بسورية فلم يلقَ فيها إلَّا التجلَّة والخضوع. وإليك ما كتبه في حملته الثانية إلى مصر (اسطوانة ١ عمود ٢ نقلاً عن سميت في الإكتشافات الآشورية صفحة ٣٢٨): «في حملي الثانية سيَّرت جوشي إلى مصر والحبشة. ولما علم أردمان بدتو غزاتي وإني عبرت تخوم مصر غادر منف وانهمز إلى

تاب لينجو بنفسه. فمثل أمامي الملوك والرؤساء والحكام الذين كنت نصبتهم في مصر وقبّلوا قدمي. فتتبع الطريق الذي سلكه أردمان وانتهيت إلى تاب المدينة الحصينة. ولما رأى دنو جيوشي الظافرة من تاب فرّ منها إلى كيكيب (في أطراف الصعيد). فملك يدي هذه المدينة (تاب) بكل ما فيها خدمة لآشور وإستار وأخذت منها ذهباً وفضة وحجارة ثمينة، وأثاث قصره وكل ما حواه من ملابس كتان وصوف، وخيولاً عظاماً، وعبيداً ذكوراً وأنثاء. وكانت هناك مسلتان مغشأتان بنقوش بديعة ووزنهما خمسة وعشرون ألف وزنة (أو قنطار). وقد أقيمتا أمام باب هيكل، فانزعتهما من محلّهما ونقلتهما إلى آشور، فحرزت من تاب غنيمة كبرى لا يعادلها ثمن». وكان افتتاح تاب هذا لسنة ٦٦٤ أو سنة ٦٦٣ ق.م (على ما روى اوبر في مذكرته المار ذكرها).

وقد حمل آشور بانيبال حملة ثالثة على صور وحاصرها سنين إلى أن ظفر بها. وأدّى ملوك سورية الجزية إليه صاغرين كما مرّ في عد ١٢٥، وله حملات أخرى على غير مصر وسورية لا نحفل بذكرها لأنها خارجة عن غرضنا. على أننا لا نشاء أن يفوت قراء كتابنا أنّ الآثار المسمارية المنبئة بحملة آشور بانيبال الثانية على مصر، قد أكسبتنا حلّ معضلة في الكتاب توفرت وتضاربت بها أقوال مفسريه، وهي إنّ نحوم النبي تنبأ على خراب نينوى بكلام فصيح بليغ ولم يؤرّخ نبوّته، وذكر مدينة سماها نوامون قائلاً إنه نصيب نينوى ما أصابها. فاختلف المفسرون في تاريخ نبوة نحوم، وفي أي عصر كان هو، وأين هي نوامون. فذهب نيكوفوروس إلى أنّ نحوم كان في أيام فاقح ملك إسرائيل، وذهب يوسيفوس إلى أنه كان في آخر مدة يواتام. وفي سدر علام ربا (من كتب اليهود) أنه كان في أيام منسا ملك يهوذا إلى غير ذلك من الأقوال، ولم يتفق المتأخرون على ما اختلف فيه المتقدمون إلى أن قصت آثار آشور بانيبال في هذا المبحث وحلّت المعضلة. ودونك ما قاله نحوم النبي (فصل ٣ عد ٧ وما يليه) مخاطباً نينوى: «فكلّ من يراك يعرض عنك ويقول قد دُمّرت نينوى فمن يرثي لها ومن أين أطلب لك معزّين. هل أنت خير من نوامون الساكنة بين الأنهار (في النص العبراني «في وسط النهر وهو النيل»). التي حولها المياه ومرتستها البحر وأسوارها المياه. كوش ومصر قوتها ولا نهاية لها وفوط ولويم في نصرتك. فهي أيضاً ذهبت إلى الجلاء مسببة وأطفالها أيضاً حُطّموا في رأس كل شارع وعلى كرامها ألّفوا القرع وجميع عظمائها أوثقوا بالقيود».

فالقديس ايرونيموس ترجم نوامون باسكندرية في الترجمة اللاتينية العامة، وهو لا يجهل أنّ هذه المدينة سُميت اسكندرية نسبةً إلى اسكندر بعد نحوم بقرون، لكنه كان يظنّ أنّ نوامون كانت في المحل الذي بنيت فيه اسكندرية بعد ذلك، إلى أن جاءت آثار آشور بانيبال مصرّحة بأنّ نوامون إنما هي تاب عاصمة مصر العليا لأنها سمّتها نوا وتُلَفِظ نو أو نا ونحوم النبي زاد على اسمها اسم معبود أهلها. وهو آمون فصارت نوامون. والمعنى نو مدينة الإله آمون، وليس من يقيم نكيراً على عبادة آمون في تاب. والأوصاف التي وصف النبي نوامون بها تنطبق خير إنطباق على تاب. فإنها كانت يومئذ المدينة الوحيدة القائمة في وسط المياه لبنائها على ضفتي النيل. وهي التي كان بنصرتها كوش أي الأحباش واردمان الملك الحبشي. وكان فوط أي المصريون ولوبيم أي اللييون في جيوش اردمان المذكور الذي انتصر عليه آشور بانيبال كما رأيت في كلامه. وذكر اوير أثراً آخر لهذا الملك وبما قاله فيه إنّ جنوده «تولّوا هذه المدينة برمتها ودمروها تدمير طوفانٍ مقتلع». وكل ذلك مصداق لكلام نحوم. وقد مرّ أنّ حملة آشور بانيبال هذه على تاب كانت سنة ٦٦٤ أو سنة ٦٦٣ ق.م. وعليه فنحوم كتب نبؤته بعيد ذلك وهو كان في أيام منسا ملك يهوذا (ملخص عن الكتاب والاكتشافات الحديثة لفيكورو مجلد ٤ صفحة ٢٥٩).

عد ٣٣٣

قتل يهوديت اليفانا في أيام منسا الملك

إنّ ما ذكره الكتاب في سفر يهوديت برمته إنما كان في أيام منسا ملك يهوذا وآشور بانيبال ملك آشور. ويظهر أنّ الأحداث المحكي عنها في هذا السفر جرت بينما كان منسا مجلّواً إلى بابل. وهي أحداث تاريخية لا تخيلية كما وهم بعض الملحدّين، ولا رمزية أو نبوية كما زعم بعض العلماء، فلنخصّ في هذا العدد ما ورد في السفر المذكور ولنلحقه في العدد التالي بما جاء في الآثار مؤيداً له، وإليك خلاصة هذا السفر. «كان ارفكشاد ملك الماديين أخضع أمماً كثيرة لسلطانه وأنّ نبوكدنصر ملك آشور الذي كان مالكاً على نينوى المدينة العظيمة، حارب ارفكشاد فظفر به. فعظّم نبوكدنصر وسمت نفسه فراسل جميع سكان قيليقية ودمشق ولبنان والأمم التي في الكرمل وقيدار وسكان الجليل في صحراء يزرعيل (مرج ابن عامر)

الواسعة. وجميع من في السامرة وعبر الأردن إلى أورشليم وفي جميع أرض يسي إلى حدود الحبشة. فأبى جميعهم (طاعته) إتفاقاً وردّوا الرسل خائبين وطردهم بلا كرامة. فاستشاط نبوكدنصر غضباً وحلف لينتقم من سكان تلك البلاد (فصل ١). فاستدعى اليفانا قائد جيشه وأمره أن يخرج على جميع ممالك الغرب ولا يشفق على من استهانوا بأوامره فأخذ اليفانا مئة وعشرين ألف راجل، وإثني عشر ألف فارس ولما جاوز تخوم آشور، انتهى إلى جبال النجمة العظيمة التي إلى يسار قيليقية. وزحف إلى جميع قلاعهم وتسلم كل الحصون وفتح مدينة بلوطة. ونهب جميع بني ترشيش (نرسيس) وبني إسماعيل الذين حيال البرية (ثم حمل اليفانا حملة أخرى على سكان شرقي الفرات أشار الكتاب إليها بقوله) ثم عبر الفرات وأتى إلى ما بين النهرين وقهر جميع ما هناك من المدن المشيدة من وادي ممرا (وهو خطأ من النساخ صوابه نهر خابور كما في بعض الترجمات) إلى البحر (خليج العجم). (ثم أرسله ملكه لحملة أخرى على العرب قال الكتاب فيها) واستولى على حدودها من قيليقية إلى تخوم يافت التي إلى الجنوب (من بلاد العرب)، وأسر جميع بني مدين (المراد بهم العرب الرحّل لأنه جاء في النص اليوناني: «وأحرق خيامهم»). وغنم كلّ ثروتهم. وبعد ذلك انحدر (من بلاد العرب) إلى صحارى دمشق في أيام الحصاد. وأحرق جميع حقولهم وقطع كلّ أشجارهم وكرومهم. فوقع رعبه على جميع سكان الأرض (فصل ٢). فأرسل إليه ملوك سورية ولوبية وقيليقية مستسلمين إليه واستقبلوه بالأكاليل والمصابيح راقصين بالطبول والنايات، فلم يمكنهم أن يلبثوا قساوة قلبه، فإنه دثر مدنهم وقطع غاباتهم وأتى الأدوميين وأخذ مدائنهم وأقام هناك ثلاثين يوماً ليجمع كلّ قوة جيشه (فصل ٣).

وسمع بنو إسرائيل فخافوا جداً من وجهه وأرسلوا يُعلمون إخوانهم في كلّ جهة. وكتب ألياقيم الحبر (هذا مُشعر بأنّ ملكهم لم يكن حينئذٍ بينهم بل في بابل) إلى جميع الساكنين قبالة يزرعيل (مرج ابن عامر) وإلى جميع الذين يمكن الغازي أن يجوز في أراضيهم أن يضبطوا مراقي الجبال، ويحفظوا المضايق التي بينها وصرخوا إلى الرب خاشعين بالصوم والصلاة. ولبس الكهنة المسوح وطرخوا الأطفال أمام هيكل الرب (فصل ٤). وعرف اليفانا باستعدادهم للقتال فاستشاط غضباً. واستعلم من رؤساء بني مواب وعمون عن حال بني إسرائيل ومدنهم. فقصّ عليه احيور قائد بني عمون أخبار بني إسرائيل منذ نشأتهم في ما بين النهرين إلى أيامه.

واختتم كلامه بقوله إن لم يكن الآن لهذا الشعب إثم أمام إلههم فلا طاقة لنا بهم لأن إلههم يدافع عنهم. فغضب عليه اليفانا وهم رؤساء جيشه بقتله. وأمر اليفانا أن يقبضوا عليه ويسلموه إلى أيدي بني إسرائيل حتى إذا كان ما قاله صحيحاً نجاً. ولأجل عمل سيفه به فأخذ جنود اليفانا وربطوه على شجرة في قرب معسكر بني إسرائيل الذين حلّوه من وثاقه، وقصّ عليهم ما كان له فعزوه وأكرموه وأقام بينهم وواظبوا هم على الصلاة والخشوع لله (فصل ٥ و ٦).

وزحف اليفانا بعسكره ومن استصحبهم من الأقاليم والمدن. وجاءوا من جانب الجبل إلى القمّة المشرفة إلى دوتان (المعروفة الآن بتل دوتان في الشمال الغربي من سانور والجنوب الغربي من جنين كاران مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٢٠ وكتاب الأعلام). ومن الموضع المسمى بلما (رّجج كاران مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٤٧) إنها تسمى اليوم خربة بلعمه على مقربة من دوتان، وكذا في كتاب الأعلام (الكتائية) إلى قليمون التي قبالة بزريعل (وتعرف الآن بتل كليمون في طرف مرج ابن عامر على طريق عكا كاران مجلد ٢ في السامرة صفحة ٢٤٣). وأقام أرساداً على الينابيع التي كان أهل مدينة بيت فلولى يستقون منها (وقد أثبت كاران براهين عديدة في مجلد ١ في السامرة صفحة ٣٤٦ إنّ بيت فلولى هي المسماة الآن سانور^(١)) آملاً أن يُكره بهذه الوسيلة بني إسرائيل على الإستسلام إليه. فجفّت مياه الآبار والحياض بأسرها فصرخ الشعب إلى الله خاشعين وهمّوا بأن يستسلموا إلى اليفانا (فصل ٧). وسمعت بهذا امرأة أرملة اسمها يهوديت من سبط رأوبين بدیعة الجمال متّقية الله؛ ولم يكن أحد يقول عليها كلمة سوء، فاستدعت إليها

(١) ان العالم ربواسون يذيع في هذه الايام في المجلة الموسومة بمجلة الارض المقدسة فصلاً في تحقيق صحة سفر يهوديت بالاثار الاشورية وقد تكلم في هذه المدن في نشرتها الصادرة في ١٥ حزيران سنة ١٨٩٤ فقال ان بيت فاوى كانت في المحل المسمى اليوم المدينة الطويلة على مقربة من حطّين او قرن حطّين في غربي بحيرة طبرية وان دونان لم تكن في المحل المعروف في أيامنا بتل دوتان بل في محل حطّين الان وان بلما إنما هي التي سماها الكتاب إبل بيت معكة وان هذه لم تكن في نواحي بانياس بل في نواحي بحيرة طبرية وان قليمون كان موقعها في المحل المعروف واليوم بكفر كاما فقد ذهب إلى أن عسكر اليفانا عبر الاردن في المحل المعروف بجسر بنات يعقوب فجعل مواقع هذه المدن في تلك الجهة بين صفد شمالاً وبحيرة طبرية جنوباً وأقام على كلامه أدلة يضيّق هذا المقام عن استقراؤها وبيان قدرها.

شيوخ قومها، وذكّرتهم بآيات الله مع ابنائهم وحزّضتهم على الاعتصام بالله. وكشفت لهم عن عزمها أن تفعل شيئاً بأمر الله لنجاة شعبه. وسألته أن يصلّوا لله ليؤيد ما عزم عليه، ولا يفصحوا عما قصدت (فصل ٨).

ودخلت يهوديت مخدعها ولبست مسحاً وألقت رماداً على رأسها وخرّت أمام الله خاشعة تستميحه الأيد والعون على خلاص شعبه (فصل ٩). ثم خرجت ودعت وصيفتها ونزعت عنها ثياب أرمالها واستحمّت وأدهنت بأطياب نفيسة، ولبست أفخر ملابسها. وتحلّت بحلّالها وحملت جارياتها زق خمر وإناء زيت ودقيقاً وتيناً يابساً وخبزاً وجبناً، وخرجت من باب المدينة منطلقة نحو معسكر العدو، وعند تبلّج النهار لقيتها طلائع الآشوريين وسألوها عن أمرها فقالت أنا بنت للبرانيين هربت من بينهم لأنني أيقنت أنهم سيكونون غنيمة لكم، وقلت إنني أنطلق إلى الأمير اليفانا لأخبره بأسرارهم، وأدله على مداخل المدينة ليظفر بهم، ولا يقتل رجل من جيشه. فأخذوها إلى خيمة اليفانا وأخبروه بأمرها. ولما دخلت عليه إصطيد لساعته بعينها (فصل ١٠). ولأطفها وأكرمها وسألها لِمَ أثرت الحجى إليه، فأجابته ليحي نبوكدنصر ملك الأرض ولتحي قوته التي فيك لتأديب جميع النفوس الغاوية، لأنّ ذكاء عقلك قد شاع في جميع الأمم، وحسن سياستك ذائع في جميع الأقاليم. وأخذت تقصّ عليه أخبار الضيق المكتنف قومها من حاجتهم إلى الماء والقوت، وإنهم يعلمون أنهم أسخطوا إلههم فحلّ رعبهم فيهم. وإنها هربت لذلك من عندهم وقد بعثها الرب إليه لتخبره بهذا، وقالت أنا أمتك أعبد الله حتى الآن عندك أيضاً وأخرج وأصلّي إلى الله فيقول لي متى يردّ عليهم خطيئتهم، فأجىء وأخبرك بذلك حتى آخذك إلى وسط أورشليم ولا ينبج عليك كلب. فحشّن هذا الكلام عند اليفانا وعبيده وكانوا يتعجّبون من كلامها وجمالها (فصل ١١).

فأمر اليفانا أن يدخلوها موضع خزانته وأن تُعطى مأكلاً من مائدته. فقالت لا أستطيع أن أكل مما أمرت. فقال إذا فرغ ما أتيت به فماذا نصنع بك؟ قالت: تحيا نفسك يا سيدي لا يفرغ ما أتيت به حتى يصنع الله بيدي ما في خاطري. فأدخلها عبيده الخيمة التي أمر بها، وسألت إن يُرخص لها لتخرج قبل الصباح لتصلّي إلى الرب وتعود. فأوصى أصحاب مخدعها أن يأذنوا لها، وكانت تخرج ليلاً إلى وادي بيت فلولى، وتغتسل في عين الماء وتصلّي إلى الله أن يرشد طرقها لتخلص شعبه، ثم تعود إلى خيمتها طاهرة. وكان في اليوم الرابع أن صنع اليفانا

عشاءً لعبيده، وقال لخصيه انطلق واقنع تلك العبرانية أن ترضى بالإقامة معي طوعاً. فقالت يهوديت من أنا حتى أخالف سيدي. وتزيّنت بملابسها ودخلت فوقفت أمامه، فاضطرب قلبه وبالغ في اكرامها. فأخذت وأكلت وشربت مما كانت أمتها هيأته لها. ففرح اليفانا وشرب من الخمر أكثر مما شرب في حياته (فصل ١٢). وأضجع اليفانا على سريره نائماً لشدة سكره، وأغلق الخصي باب الخدع، وجميعهم ثقلوا من الخمر. فأمرت يهوديت جاريتها أن تقف خارجاً أمام الخدع وهي وقفت تصلي أمام السرير ليمنّ الله عليها بالقوة. ثم استلّت خنجره وأخذت بشعر رأسه، وضربت عنقه مرتين فقطعت رأسه، ووضعت جارتها، في مزود، وخرجتا على عادتهما كأنهما خارجتان للصلاة واجتازتا المعسكر. وانتهتا إلى باب المدينة، ونادت يهوديت الحراس ففتحوا أبواب المدينة. ودعوا شيوخها فاجتمع الناس حولها من أصغرهم إلى أكبرهم. وصعدت إلى أعلى موضع تخطب فيهم مبيّنة قوة الله وتخليصه من يتكلّ عليه. وأخرجت رأس اليفانا من المزود، وأرثتهم إياه، فسجدوا بأجمعهم للرب، واستمدوا لها بركته (فصل ١٣). وقالت لهم علقوا هذا الرأس على أسوارنا، ومتى طلعت الشمس فليأخذ كل واحد سلاحه، واطهروا كأنكم تقصدون المجابهة فينبّه الحرس رئيسهم فيجدونه قتيلاً، ويقع عليهم الذعر ويهربون فاسعوا على أعقابهم آمنين. فيسحقهم الرب تحت أرجلكم وهكذا كان. فإنّ الآشوريين لما رأوا قائدهم مقطوع الرأس مخضباً بدمه تولّاهم الذعر فولّوا هاربين. وقتل بنو إسرائيل كلّ من أدركوه منهم وغنموا ما تركوه. واحيّر لما رأى ما كان آمن بالله واختن. وانضمّ إلى ذويه إلى بني إسرائيل. وأتى يواقيم الخبر من أورشليم مع جميع شيوخها إلى بيت فلولى وباركوا يهوديت قائلين أنت مجد أورشليم وفرح إسرائيل وفخر شعبنا (فصل ١٤ و ١٥). وهي أنشدت النشيد المثبت في الفصل السادس عشر من هذا السفر.

فهذه خلاصة سفر يهوديت وقد توفرت الأقوال في كتابه فعزاه القديس ابرونيموس إلى يهوديت نفسها، وفولف إلى احيور العموني وبعضهم إلى يواقيم أو الياقيم الخبر، وكلمت إلى يشوع بن يوصادق رفيق زربابل عند العود من سبي بابل وغيرهم إلى غير هؤلاء. والأظهر أنه كتب في أميد قريب من وقوع هذه الأحداث لما فيه من التفصيل الذي كان لا يستطيع لو كرّث عليه السنون.

عد ٣٣٤

ما جاء من الآثار الآشورية مؤيداً أخبار سفر يهوديت

إنَّ الأحداث المروية في سفر يهوديت كانت بعد خراب السامرة، ودليله أن لا ذكر لملك فيه، وبيت فلوى كانت من مملكة السامرة بل نرى مرجع الأمر فيها إلى أورشليم، والياقيم الخبر يأمر بضبط أعالي الجبال والاحتفاظ على المضائق. وقد مرَّ أنَّ من بقي من اليهود في مملكة السامرة انضموا إلى إخوانهم في مملكة يهوذا؛ ثم إنَّ هذه الأحداث جرت في حين لم يكن فيه ملك في أورشليم؛ ولا نعلم خلّوها من ملك في تلك الحقبة إلا في مدة جلاء منسا إلى بابل. ويلزم أيضاً أن تكون جرت قبل السبي البابلي، وقبل سقوط نينوى لأنه جاء في هذا السفر (فصل ٤ عد ٢) إنَّ اليهود خافوا أن يفعل اليفانا «بأورشليم وبهيكل الرب كما فعل بسائر المدن وهياكلها». ويلزم منه أن يكون الهيكل حينئذ قائماً وأورشليم في منعته، فيتعيَّن على كلِّ ما مرَّ أنَّ هذه الأحداث جرت في أيام منسا ملك يهوذا وآشور بانيبال ملك آشور. وإذا رأينا سفر يهوديت سماه نبوكدنصر فذلك محمول إما على أنَّ آشور بانيبال إتخذ لنفسه هذا الاسم بعد استيلائه على بابل اقتفاءً بملوكها؛ وإما على أنَّ النساخ غيَّروا اسمه خطأ، لأنَّ هذا السفر وصفه «بملك آشور الذي كان مالكا على نينوى العظيمة». ثم إنَّ آثار آشور بانيبال المسمارية أنبأتنا بكثير مما ورد في سفر يهوديت وأثبتته. فقد رأيت في آثاره أنه أخضع مصر وصور، وأدَّى الجزية إليه إثنتان وعشرون ملكاً في سورية وقبرص، وإنَّ أخاه سماسوموقين قيل بابل قد عصاه، وأثار عليه القبائل الخاضعة له. فقهرهم بنفسه وبقوَّاد جيوشه وكل هذا ينطبق خير انطباق على ما جاء في سفر يهوديت عن عظمتهم وعن ردِّ رسله خائبين من قيليقية ودمشق ولبنان وفلسطين. فيظهر أنَّ هذا كان عندما تمرَّدوا عليه بإمداد أخيه وهو الراجح، أو عندما رأوه متشاغلاً بمحاربة الماديين التي ذكرها في أسطوانته الأولى عمود ٣ و ٤ وقال إنه حمل حملته الرابعة على ملك الميتين احساري من العيلاميين وعلى رئيس الماديين بيرزهدري وإنه ظفر بهما. ودُمِّر مدنها وأخذ غنائم كبيرة من بلادها وهذا يطابق ما جاء في سفر يهوديت عن ظفره بارفكشاد في أرض عيلام وإن اختلف الاسم.

وقد ورد في سفر يهوديت أنَّ سكان قيليقية كانوا من جملة من ردوا رسله

خائين (في اسطوانته الأولى عمود ٢ كما رواه سميت في تاريخه): «سودازرمي ملك قيليقية الذي لم يكن دان للملوك آبائي، ولم يطعمهم، أحضر ابنته التي ولدها مع كثير من التقادم إليّ في نينوى لتكون زوجة وقبّل قدمي». وجاء في سفر يهوديت في الترجمة اليونانية ذكر ليديا أيضاً، وكانت في محل ولاية ازميز الآن. ودونك ما كتبه آشور بانيبال (في الأسطوانة المذكورة عمود ٣) ملخصاً: «إنّ جيحس ملك ليديا الذي لم يسمع آبائي باسمه ساقه صيت قدرتي العظيمة إلى أن يرسل إليّ وفداً ويتبعني مصادقتي. وكان يرسل وفده كلّ وقت إلى أن انقطع عني بغتة، واحتقر إرادة آشور، واعتمد على قوته، وأرسل جنوده لانجاد بساميتيك ملك مصر الذي كان خلع نير ولايتي. فسمعت بذلك وتضرّعت إلى آشور وإستار أن يُجندل أمام أعدائه السيميريين وأن يأخذوا جثته، فاستجابني آشور وطرحت جثته أمام أعدائه وأخذوا عبيده أسرى». ومن هذا يظهر أيضاً اعتصاب أهل ليديا مع المصريين وسكان آسيا الغربية على آشور بانيبال كما جاء في سفر يهوديت.

وقد جاء في سفر يهوديت على ما في النسخة اليونانية: «واستولى (اليفانا) على تخوم قيليقية وقتل بحدّ السيف كل من قاومه حتى بلغ أرض يافت التي في الجنوب قبالة بلاد العرب. وأسر جميع بني مدين (العرب الرّجل) وأحرق خيمهم وغنم كلّ ما كان في حظائر ماشيتهم». وهاك ما كتبه آشور بانيبال في تاريخه (اسطوانة ١ عمود ٦) ملخصاً: «في حملتي التاسعة سيّرت جنودي على فيتح ملك العرب لأنه بعد أن كان يؤدي الجزية إليّ انكفّ عن ذلك وحالف غيره من الملوك. وسيّروا عساكرهم لانجاد سماسوموقين أخي الثائر عليّ وثار معه رجال بلاد العرب. فبأمر آشور أدخلت جيوشي إلى بلاد عزران وحيرة تكازا (في بلاد العرب). وإلى أدوم وجوار يبرود وبيت عمون وعمل حوران ومواب والصحارى وعمل صوبة». وكتب في العمود الـ ٧: «قتلت ما لا عداد له من محاربيه وأكملت كسر جنوده. وأهلكت بحد السيف رجال العرب وكلّ من صحبوه وأما هو فانهزم من وجوه جنود آشور متوغلاً في البلاد إلى أرض النبطيين. وأحرق خيامهم ومنازلهم ومقتناهم». وكتب في العمود الـ ٨ «فأكمل جنودي قهر رجال العرب وأبادوا كل من ناصرهم بحدّ السيف وأحرقوا خيامهم ومنازلهم. وأخذوا من البقر والغنم والحمير والجمال والرجال ما لا عداد له، ونهبوا ودثّروا كلّ ما في البلاد على اتساعها.

وجاء في سفر يهوديت ما مرَّ أنَّ اليفانا «انحدر من صحارى دمشق في أيام الحصاد. وأحرق جميع حقولهم وقطع كلَّ أشجارهم وكرومهم». وفي إحدى اسطوانات آشور بانيبال (على ما روى سميت في تاريخه صفحة ٢٧١) بعد كلامه في ما غنمه من العرب قال: «جعلته يأخذ طريق دمشق» أي دمشق وذكر في الاسطوانة الأولى في العمود ال ٥ القبائل التي ردَّها خاضعة لسلطانه فقال إنها: «رجال الكلدان والآراميون والعموديون» والحاصل أنَّ سفر يهوديت والآثار الآشورية متطابقة في ذكر القبائل التي غزاها آشور بانيبال بقائد جيشه وفي نوع المعاملة التي عاملها بها من قتل، وإحراق خيام، ونهب مواش. وقطع أشجار. والبلاد التي ذكرتها الآثار والكتاب واحدة، والعصر الذي كانت فيه هذه الأحداث واحد. فأئني يباح إنكار صحة هذا السفر وأين السبيل إلى التأكيد بآياته؟ ولا نطمح أن نرى في آثار آشور بانيبال ذكر فتك يهوديت بقائد جيشه، فلم يعتد أحد من الغزاة القدماء أن يخلد ذكر خزيه وحطته، ومع هذا بقي لنا ما نستلمح منه فشل آشور بانيبال. فبساميتيك ملك مصر كان ألدَّ أعدائه، وقد عاقب من تشيع له من الملوك ولا نرى في آثاره خطة مؤذنة بأنه قهره أو ردَّه إلى طاعته، ولا وجه لذلك إلا أنَّ آشور بانيبال كانت حمية الشبيبة خمدت فيه، ووهنت عزمته عن أن يجدد حملاته على مصر. فوكل فيها إلى اليفانا قائد جيشه فقطعت امرأة عبرانية رأسه، وتشتت جنوده فلم ينل ما ابتغى من تذليل ملك مصر، بل استقلت إذ ذاك مصر عن ولاية آشور.

على أنه لم يوجد إلى اليوم اسم اليفانا في الآثار الآشورية، لكن صحة الرواية لا تتوقف على الاسم، والإعلام عرضة للتغيير، والنص العبراني في سفر يهوديت مفقود وبين ترجماته تباين واختلاف لا سيما في الاعلام والنسخة اللاتينية العامة تسمي اليفانا هولوفرن، فلا عبرة بالأسماء عند تطابق الحوادث. انتهى ملخصاً عن الكتاب والإكتشافات الحديثة لفيكورو (مجلد ٤ من صفحة ٢٧٥ إلى ٣٠٥ طبعة ٥).

لم نفرغ من كتابة ما مرَّ إلا وطالنا في المجلة الموسومة بمجلة الأرض المقدسة الفصول التي يذيعها فيها الأب العالم ربواسون في تحقيق صحة سفر يهوديت. فألفيناه يثبت في نشرتها الصادرة في ١٥ ايلول سنة ١٨٩٤ م ترجمة الصفائح التي وُجدت في كوينجك على مقربة من الحبل المسمى النبي يونس، حيث كانت نينوى

القديمة على مذهبه. وهذه الصفائح أو الاسطوانات انطوت على أخبار محاربة آشور بانيال للعرب. وفي إحداها يقول آشور بانيال ما ملخصه: «إن سير جيشه على فاتح (أو فيتح) ملك العرب الذي كان قاومه مع جيش النبطيين. فساروا متجشمين أعظم المشاق في أرض العطش والموت إلى أن بلغوا بلاد ماس البعيدة مئة كسبو ككارو عن نينوى وإن هذه البلاد في جوار دمشق» أي دمشق فيقول ربواسون: إن بلاد ماس إن هي إلا بلاد باسان بإبدال الباء من الميم، وهذا كثير في آثارهم. واستدل على ذلك من أن هذه البلاد مجاورة لدمشق لأنها تمتد إلى جبل حرمون وهو جبل الشيخ القريب من دمشق، ومن أنها كانت من مساكن النبطيين حلفاء ملك العرب كما في الآثار، ومن أن كسبو ككارو يراد به مقياس الأرض، وإن كل كسبو كناية عن ستة كيلومترات، فيكون مجموع المئة كسبو ست مئة كيلومتر. والمسافة بين نينوى في الطريق الذي سار فيه الآشوريون وبين أطراف بلاد باسان إنما هو نحو ٦٦٠ كيلومتراً وهو قريب مما ذكر في الأثر. وفي نشرة هذه المجلة الصادرة في ١ ت ١ سنة ١٨٩٤ م. ذكر ربواسون عن هذا الأثر أن جيش الآشوريين حل في كوراسيتي وكيدراي. وقال ماكوراسيتي إلا كرسا أو جرجسا القديمة، وموقعها على ضفة بحيرة طبرية شرقاً (وبها سُميت هذه البحيرة بحيرة المجرسيين أو بحيرة جناش). وما كدراي إلا كادارا وهي المسماة الآن أم قيس لا تبعد عن طرف بحيرة طبرية من جهة الجنوب. ومن ذلك يستفاد أن جيوش آشور بانيال حلت في جانب بحيرة طبرية عند مهاجرتهم وتضييقهم على بني إسرائيل طبق ما جاء في سفر يهوديت.

عد ٣٣٥

وفاة منسا وخلافة آمون ابنه له

توفي منسا للسنة الخامسة والخمسين من ملكه ودُفن في بستان بيته. وملك آمون ابنه مكانه وكان عمره حين ملك اثنتين وعشرين سنة. وكان على شاكلة أبيه قبل توبته فإنه عبد الأصنام التي عبدها أبوه وسجد لها. وترك الرب إلهه صانعاً الشر فتحالف عليه عبيده وقتلوه في بيته بعد أن ملك سنتين ودُفن حيث دُفن أبوه. فثار الشعب على قاتليه وفتكوا بهم وأقاموا ابنه يوشيا ملكاً مكانه، فكان تمليك آمون سنة ٦٤١ ومقتله سنة ٦٣٩ ق.م على أصح الروايات. ولا يظهر أنه كان

مدة ملكه أحداث مهمة لأن آشور بانيبال بعد تشتيت جنوده في فلسطين خدمت جمرة سطوته في سورية، وطُفئت في مصر كما روى مسبرو في تاريخه القديم لشعوب المشرق (صفحة ٤٣٨ طبعة ٢) قائلاً إن مصر عادت مستقلة ولا غرو إن ذلك كان في مدة ثورة سمسوموقين على آشور بانيبال أخيه... وكانت حروب آشور بانيبال مع العيلاميين أوهنت قواه، فتخلّى عن حق سيادته على مصر. وقد قضى أجل آشور بانيبال سنة ٦٢٦ ق.م كما روى فيكورو عن سميت (في تاريخ آشور صفحة ١٧٧).

عد ٣٣٦

يوشيا بن آمون ملك يهوذا

ملك يوشيا في أورشليم وعمره ثماني سنين وكان ملكاً صالحاً، ومضى على كل طرق داود جده ولم يعدل عنها يمينه ولا يسرة. ويظهر أن احتفاف الكهنة والانبياء حوله أكسبه الفضيلة للدين والغيرة عليه. فقد أخذ مد شُبّ يطهر أورشليم وسائر مملكته من المشارف والغابات والمنحوتات والمسبوكات. فقوضوا أمامه مذابح الآلهة الكاذبة وحطموا تماثيلها وسحقوها. وذروا رمادها على وجه قبور من كانوا يذبحون لها. وفي السنة الثامنة عشرة لملكه عني بترميم ما تهدّم من بيت الرب، وبعث إلى حلقيا عظيم الكهنة أن يحسب الفضة التي أوردت إلى بيت الرب مما جمعه حفظة أعتاب الهيكل من الشعب. وأن يسلمها إلى متولّي العمل ليدفعوها إلى النجارين والبنايين وصنّاع الحديد والنحاس، ولشراء أخشاب وحجارة منحوتة وكان كذلك. وبينما كان حلقيا يبحث عن الفضة في بيت الرب وجد سفر توراة الرب بخط موسى (ملوك ٤ فصل ٢٢ عد ٨ وسفر أخبار الأيام الثاني فصل ٣٤ عد ١٤) فدفعه إلى شافان الكاتب الذي كان الملك أوفده إليه. ولما تلاه الكاتب على مسمع الملك مرق ثيابه لفرط ما خالف آباؤه ما كُتب في هذا السفر، ولما يستوجه شعبه من العقاب لتقاعدهم عن العمل به.

قال فولتير: «إن كتاب السنّة كان أمسى عند اليهود نادراً جداً حتى لم يتجد منه في أيام يوشيا إلا نسخة واحدة. وقال أيضاً: «قد حقّق الكتاب نفسه إن أول نسخة معروفة من هذا الكتاب وُجدت في أيام يوشيا، وإن هذه النسخة الوحيدة

أتى بها شافان الكاتب إلى الملك». فهو ملحد طياش يطيش أسهمه على غير رويّة، فأسفار موسى كانت دستوراً للعمل في أيام داود وسليمان وآسا ويوشافاط ويواش وأمصيا وحزقيا حتى أيام يوشيا نفسه قبل وجدان هذا السفر. وقد رأينا الكهنة وعظماء المملكة في أيام يوشافاط يطوفون في المدن والقرى وكتاب السنّة في أيديهم يُخضعون الشعب على العمل بموجبه. ونراه في أيدي الحكام في أورشليم وغيرها دستوراً يقضون بحسبما دوّن فيه، بل رأينا آحاب الأثيم لم يتمكن من إحتلاس كرم نابوت لا باتهامه بمعصية يقضي الكتاب بالجزاء عليها بالموت رجماً، وهي التجديف على الله. ونرى الانبياء يذكرون الشعب والملوك أيضاً بما جاء في هذا الكتاب. ألم يكن لهؤلاء الانبياء غيرة على حفظه أو إستشهدوه ولا وجود له أحرص الله الملحدين. وأما ما هو السفر الذي وجده حلقياً وأرسله إلى يوشيا الملك! فقال فيه كلمت في تاريخ العهد القديم يظهر جلياً أنّ أحد الكهنة أخفى هذا السفر القديم المخطوط بيد موسى حيث وجده حلقياً، لئلا تعبت به أيدي الملوك الأشرار الذين رفعوا من الهيكل تابوت العهد. وكان بجانبه السفر الذي قال فيه موسى (تثنية فصل ٣١ عد ٢٦):

«خذوا سفر هذه التوراة واجلوها إلى جانب تابوت عهد الرب إلهكم فيكون ثم عليكم شاهداً». وكلّ القرائن التي وردت في الكتاب في شأن وجدان هذا السفر تثبت ما وُجد حينئذٍ إنما هو الفصول ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ من سفر التثنية، لأنّ هذه الفصول الأربعة إنما هي التي أمر موسى أن توضع في جانب تابوت العهد. وهي تشتمل على تهديد الله ولعنه كلّ من يخالف سنّته وبركاته، ووعوده لكلّ من يعمل بها وكلّ من قرأها، وتدبر ما بها. لا جرم أن تنشئ فيه التأثير الذي شعر به يوشيا، لا أنه كان يجهل سنّة الله التي لا بدّ أن يكون الكهنة والانبياء المحتفون حوله أطلعوه عليها. وزاد تأثره أنها كانت مخطوطة بيد موسى نفسه كما إذا عثرنا على الإنجيل الذي خطّه يد متى أو يد يوحنا. ويؤكد ذلك قول الكتاب بعد ذلك أنّ يوشيا جمع إليه جميع يهوذا وأورشليم. وصعد بهم إلى بيت الرب فتلا على مسامعهم جميع كلام سفر الميثاق الذي وُجد في بيت الرب، فإذا لم يكن ما وُجد أسفار موسى كلها ولا سفر كامل أيضاً إذ لا يمكن تلاوة ذلك في وقت واحد. إنّ يوشيا بعد تلاوة هذه الفصول عاهد الرب أنه وشعبه لا يخلقون وصاياهم ويعملون بسنّته وأعاد الشعب هذا العهد. وأمر الملك أن يُخرجوا من الهيكل كلّ ما

أُدخِل فيه تَكرمةً لبلع وعشتاروت وأجناد السماء. وأحرقه في خارج أورشليم واستأصل كهنة الأصنام الذين أقامهم ملوك يهوذا ليقترؤا على المشارف ونجس هذه المشارف، والمعبد الذي كان في جانب أورشليم للملك معبود بني عمون حيث كان الرجل يجيز ابنه أو بنته في النار إكراماً لهذا المعبود. وأزال المعابد التي كان سليمان أقامها لآلهة الصيغونيين والموآبيين والعمونيين. ومضى إلى بيت إيل فقوّض المذبح والمعبد اللذين كان ياربعام بن نباط أقامهما وأحرق كل ما كان هناك. وأبصر قبراً في الجبل فبعث وأخذ العظام منها وأحرقها على المذبح ونجسه. وتمت بذلك نبوة رجل الله الذي كان أتى من اليهودية إلى بيت إيل قبل نحو ثلاث مئة سنة لينذر ياربعام بن نباط وقال: «يا مذبح يا مذبح! كذا قال الرب: هوذا سيولد لبيت داود ابن يسمى يوشيا وهو سيذبح عليك كهنة المشارف الذين يقترؤن عليك وتُحرق عليك عظام البشر» (ملوك ٣ فصل ١٣ عد ٢). ورأى الملك جثوة وقيل له إنها قبر الرجل الذي جاء من يهوذا وتنبأ على ما أنت الآن فاعل. فقال دعوه لا يحركن أحد عظامه. وأزال أيضاً جميع المشارف التي كانت في مدن السامرة وذبح كهنتها على مذابحها، وأحرق عظام الناس عليها. فالكفر والخلاعة والفظائع التي أقدم عليها بنو إسرائيل في ذلك الحين كانت تستلزم هذه الوسائل الهائلة للارعواء عنها. ثم عاد يوشيا إلى أورشليم وأمر جميع الشعب بعمل فصيح قال الكتاب فيه (ملوك ٤ فصل ٢٣ عد ٢٢): «لم يُعمل فصيح منذ أيام القضاة... ولا في أيام جميع ملوك إسرائيل وملوك يهوذا مثل هذا الفصح الذي عُمل للرب في السنة الثامنة عشرة لملك يوشيا في أورشليم». وقال الكتاب (هناك) في مديح يوشيا: «لم يكن قبله ملك مثله لأنه أقبل إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قدرته بحسب كل توراة موسى ولا قام بعده مثله.

واستراح بنو إسرائيل في ملك يوشيا زهاء ثلاثين سنة لأن آشور بانيبال كان أعني بالحروب التي أثارها عليه الماديون والكلدان. وابنه آشور دليلي الذي خلفه بعد موته (أو بعد موت ملك آخر على رواية) كان واهن القوة خامد العزم ولم يوجد في آثاره إلا فلذات من خِزف كُشف عنها في قصر صغير بناه في كالح (نمرود الآن) يقول فيها عن نفسه إنه: «ملك الشعوب ملك بلاد آشور ابن آشور بانيبال بن اسرحدون وإنه بنى هذا القصر لنفسه» وفي أيامه لم يكتفِ المصريون بخلع نير الطاعة للآشوريين بل عمدوا إلى إفتتاح بلادهم. وهذا ما أشار إليه الكتاب

بقوله: «وفي أيامه (أي أيام يوشيا) صعد فرعون نكو ملك مصر على ملك آشور إلى نهر الفرات فذهب الملك يوشيا وألتقاه فقتله في مجدو (لجون) عندما تراءيا» (ملوك ٤ فصل ٢٣ عد ٢٩). وجاء في سفر أخبار الأيام الثاني (فصل ٣٥ عد ٢٠ وما يليه): «صعد نكو ملك مصر لقتال الكركميش (مدينة الحثيين المعروفة) عند الفرات فخرج عليه يوشيا فوجه إليه رسلاً يقول ما لي ولك يا ملك يهوذا أنا لست عليك اليوم بل علي بيت حربي لأن الله أمرني أن أبادر فدع مقاومة الله الذي معي لئلا يهلكك فلم يحول يوشيا وجهه عنه بل تشدد لمحاربتة... وجاء للقتال في وادي مجدو فرمت الرماة نحو الملك يوشيا فقال الملك لعبيده أنقلوني فإني قد أثخن بالجراح فنقله عبيده من المركبة. ووضعوه في مركبة أخرى كانت له وجاءوا به إلى اورشليم فمات ودُفن في مقابر آبائه ففاح جميع يهوذا وأورشليم على يوشيا ورثى ارميا يوشيا» وقد ملك إحدى وثلاثين سنة في اورشليم.

إن نكو الذي ذكره الكتاب هنا هو غير نكو الذي جاء ذكره كما رأيت في آثار آشور بانيبال، وكان ملك منف وسائس لأن نكو هذا إنقضى ملكه سنة ٦٦٤ ق.م، فلا يمكن أن يكون في أيام يوشيا الذي رقي منصة الملك سنة ٦٣٩ إلى سنة ٦٠٨ ق.م. ونكو الثاني ابن بساميتيك ملك في مصر من سنة ٦١١ إلى سنة ٦٠٥ ق.م. ولكن على من حمل نكو الثاني أعلى ملك نينوى الآشوري أم على ملك بابل؟ فحلّ هذه المسألة مناط بتحقيق تاريخ السنة التي سقطت نينوى فيها. فقال ابيدان وسنشلوس المؤرخان القديمان: إن دمار نينوى كان سنة ٦٢٥ ق.م وعليه فحملة نكو الثاني كانت على نابوبلاصر ملك بابل، وهو أبو بختنصر. ولكن الظاهر مما أورده اوساييوس والقديس ايرونيوموس إن خراب نينوى كان لسنة ٦٠٦ أو سنة ٦٠٥ ق.م. وعليه فحملة نكو سنة ٦٠٨ كانت على ملك آشور وإلى اليوم لم يُكشف على أثر يبين ما كان في أيام نينوى الأخيرة. والظاهر أنّ حالة مملكة آشور لدن موت آشور بانيبال على جرف هار. فكان بساميتيك ملك مصر أبو نكو محاصراً اشدود في فلسطين، وكان أهل بابل عصوا ملك آشور والماديون يعدون المعدات لحربه فمن خلف آشور بانيبال سار بجيشه على الماديين. وأمر بنو بلاصر على جيش سيّره لإخضاع بابل فنجح أمير هذا الجيش نجاحاً أكسبه أن يُسمى قيل بابل. فساس هذه البلاد بحكمة خمس عشرة سنة حتى إذا رأى من نفسه القوة حاول أن يخلع سيادة نينوى عليه، وتدرّع لذلك بدرية أن طلب ما لا يمكن أن

يعطاه. ولما ردَّ سؤاله حالف نكو ملك مصر وشياكسر ملك الماديين، وأثار حرباً عواناً على نينوى نحو سنة ٦١٠ ق.م وزحف نكو في ربيع سنة ٦٠٨ ق.م إلى آسيا في الطريق الذي استطره أسلافه وكان يؤمل أن يجتاز فلسطين دون مقاومة. ولكن لم يفسح له مرج ابن عامر إلاّ التقاه يوشيا ملك يهوذا ليقطع الطريق عليه عند مضيق مجدو (اللجون) حفظاً للأمانة لملك آشور الذي كان تحت سيادته أو طمعاً بتعظيم اسمه إذا انتصر على ملك مصر.

فاضطربت نار الوغى فقتل يوشيا كما رأيت وتشتت جيش بني إسرائيل ولم يحفل نكو بما سيكون منهم، بل سار مسرعاً وانتهى إلى قادس في جانب بحيرة حمص، ثم إلى كركميش. (قد ذكرنا تاريخها وأبنا موقعها في عد ٧١) فاستحوذ نكو عليها وعلى كل ما كان في غربي الفرات. وافتتح الماديون والبابليون نينوى ودُمرها ولم نظفر إلى اليوم بأثر منبئ بما كان عند افتتاحها. ولكن جاء في كتب المؤرخين القدماء أنّ حصارها استمرّ سنتين، وبشر فتحها طغيان ماء دجلة حتى أسقط جانباً من أسوارها. فيئس ملكها وأحرق نفسه ونساءه وكنوزه في قصره، وقُسمت أملاكها، فكان الحظ الأكبر منها لملك بابل. وصحّ في نينوى ما تنبأ عليها نحوم النبي (في الفصلين الثاني والثالث من نبوته) ومما قاله فيها ويلٌ لمدينة الدماء الممتلئة بأسرها كذباً وخطفاً قد انفتحت أبواب الأنهار وانحلّ القصر فكلّ من يراكِ يعرض عنك ويقول قد دُمرت نينوى.

عد ٣٣٧

يوحاز والياقيم ابنا يوشيا ويوخانيا ملك يهوذا

بعد أن دفن الشعب يوشيا ملكوا يوحاز ابنه مكانه وكان عمره حين ملك ثلاثاً وعشرين سنة، وصنع الشرّ في أعين الرب لكنه لم يملك إلاّ ثلاثة أشهر. فالظاهر أنّ نكو غضب لتمليك يوحاز وهو الأصغر وإيثاره على الياقيم أخيه الأكبر لأنه كان ناصحاً لأبيه والشعب كيلا يعترضوا ملك مصر في طريقه. فأرسل فريقاً من جنوده فكثّف يوحاز وأخذه إليه وهو في ربله من أرض حماه (وتسمى اليوم أيضاً بهذا الاسم) إما قبل أن يصل إلى كركميش وإما بعد عوده منها وهو الأظهر. وأخذه معه أسيراً إلى مصر حيث مات وغرّم بني إسرائيل مئة قنطار فضة وقنطار

ذهب. وأقام الياقيم أخاه الأكبر ملكاً في أورشليم، وغيّر اسمه مسمياً إياه يوياقيم (ملوك ٤ فصل ٢٣) وكان ذلك لسنة ٦٠٧ ق.م. وقد تكلم حزقيال في يواحاز فقال (فصل ١٩ عد ٢ وما يليه): «قل كيف أمك اللبوة ربضت بين الأسود ربت جراًؤها في وسط الأشبال وأعلت واحداً من جرائها فصار شبلاً وتعلم افتراس الفريسة وأكل الناس، فسمعت به الأمم فأخذ في هؤتهم فقادوه بيرة إلى أرض مصر» وقال فيه ارميا (فصل ٢٢ عد ١٠): «لا تبكوا على الميت (يوشيا) ولا ترثوه بل ابكوا بكاءً عليّ الذاهب الذي لا يرجع من بعد ولا يرى أرض ميلاده... بل في الموضع الذي أجليّ إليه هناك يموت».

وكان يوياقيم ابن خمس وعشرين سنة حين ملك، وملك إحدى عشرة سنة في أورشليم، وصنع الشر. وكانت باكورة أعماله أنه ضرب ضريبة على الشعب ليفي نكواً الغرامة التي فرضها على مملكة يهوذا. ولم يقتصر على ذلك بل أثقل شعبه بضرائب أخرى، وأدخل عليهم نظام التسخير ليقم أبنية يتفاخر بها وشعبه في أسوأ الأحوال. وهذا مستفاد من قول ارميا فيه (فصل ٢٢ عد ١٣): «ويل لمن يبني بيته بغير عدل وغرفة بغير حق. ويستخدم قريه بلا أجر ولا يوفيه عن عمله. ويقول ابن لي بيتاً وغرفاً فسيحّة ففتح له كوى وسقف بالأرز ودهن بالمرّة أ يكون ملكك بأن تفاخر بالأرز». وقد اضطهد الانبياء فأبى اوريا بن شمعي من قرية يعريم (قرية أبي غوش) تنبأ على خراب أورشليم. فطلب يوياقيم أن يقتله ففرّ إلى مصر فأرسل الملك في طلبه وأتوه به فقتله بالسيف وطرح جثته في قبور عامة الشعب (ارميا فصل ٢٦ عد ٢٠). ولم ينج ارميا النبي من اضطهاده لأنه بعد أن كتب نبوآته أراد إذاعتها على الكهنة والرؤساء. ولما سمع الملك بها ألقاها بيده في كانون النار، وعزم أن يقتل ارميا وباروك تلميذه ففرّا واختبأ وعاود النبي كتابة نبوآته بأكثر تفصيل (ارميا فصل ٣٦).

وفي السنة الرابعة للملك يوياقيم همّ نبوبلاصر ملك بابل أن يسترد أعمال سورية التي كان نكو ملك مصر تولّاها، وقال بعضهم إن نكو كان باقياً في كركميش. وقال غيرهم وقولهم أوجه إنه كان عاد إلى مصر وترك حامية في كركميش. ولما كان نبوبلاصر أسى شيخاً لا طاقة له على تجشّم مشاق هذه الحملة، أو كان متشغلاً بحروب أخرى عهد إلى ابنه نبوكدنصر (الذي يسميه العرب بختنصر) بقيادة جيشه في سورية. فكانت بين الجيشين المصري والبابلي وقعة كبرى في

كرشميش انكسر بها المصريون، وولّوا مدبرين، وتركوا كلّ ما ملكوا في سورية: فتتبع الكلدان آثارهم ولم يجتريء أحد من ملوك سورية أن يقاومهم، بل أقروا بسيادة بختنصر وأدّوا الجزية إليه صاغرين وكان منهم يواقيم ملك يهوذا (على ما روى سميت في كلامه في بابل صفحة ١٥٦). ولم يتعرّض بختنصر لهؤلاء الملوك في ملكهم بل استمرّ حينئذ سائراً إلى مصر قاسماً جيشه إلى قسمين سير أحدهما في الطريق البحري والثاني في عبر الأردن وبلاد العمونيين والموآبيين. وقال الكتاب (ملوك ٤ فصل ٢٤ عد ٧) في ذلك: «ولم يعد ملك مصر يخرج من أرضه لأنّ ملك بابل أخذ من نهر مصر (المراد وادي العريش الفاصل بين فلسطين ومصر) إلى نهر الفرات جميع ما كان لملك مصر». وبين كان بختنصر محاصراً تخوم مصر أتاه نعي أبيه فخاف أن يدخل دعياً على عرشه فعقد عهدة مع ملك مصر، وعاد مسرعاً إلى بابل فضبط الصولجان سنة ٦٠٤ ق.م واستمرّ متسلماً منصبه الملك ثلاثاً وأربعين سنة أي إلى سنة ٥٦١ ق.م. وهو أشهر ملوك بابل التي جعلها من غرائب العالم، وقد كشف عن خطوط كثيرة له يتفاخر بها بإقامته الدور والقصور وبتصويره بابل أجمل العواصم، وندر ما وجد له من الخطوط المنبئة بحملاته وحروبه.

إنّ بختنصر عاد للسنة الثانية من ملكه إلى سورية ليطفئ جذوات الثورة التي كان المصريون ينفخون فيها على ما يظهر. فدخل حينئذ مملكة يهوذا وفتح أورشليم وأخذ بعض آية الهيكل، وكان أزمع أن يأخذ يواقيم أسيراً إلى بابل، فبدا له أن يبقيه في أورشليم خاضعاً له يؤدي إليه الجزية. لكنه جلا يومئذ إلى بابل شبان شرفاء مملكته. وكان منهم دانيال وحنانيا وميشائيل وعزريا ليكونوا رهائن على إخلاص يواقيم في الطاعة له، وكان ذلك سنة ٦٠٢ ق.م. ولم تنقض ثلاث سنين إلّا عاد يواقيم يحاول التملّص من الخضوع لبختنصر بإمداد ملك مصر وإيتوبعل ملك صور. فهبّ إليه بختنصر سنة ٥٩٩ ق.م وأطلق شرادم من فرسانه تسطوا على الناس وتخرب في البلاد. ولكن لم يبلغ الغازي إلى أورشليم قبل أن تدرك المنية يواقيم ولا يُعلم كيف مات، بل أنبأنا ارميا النبي أنه مات غير مأسوف عليه ودُفن مهاناً. فقال (فصل ٢٢ عد ١٨): «هكذا قال الرب ليواقيم بن يوشيا ملك يهوذا إنه لا يُلطم عليه آهأ يا أخي أو آهأ يا أختي ولا يُلطم عليه آهأ واسيداه أو آهأ واجليلاه. بل يُطمر طمر الحمار وهو ممزّق مطروح بعيداً عن أورشليم». وقال (في فصل ٣٦ عد ٣٠): «وتكون جثته مطروحة للحرّ في النهار والقرس في الليل»

وقال يوسفوس (ك ١٠ فصل ٨ من تاريخ اليهود): إنَّ بختنصر «قتله ومعه زهور شبان المدينة وأمر أن تُطرح جثته خارجاً عن أورشليم لا يأويها أحد في التراب». ورأى بعض المحققين أنَّ دون تصديق مقال يوسفوس مشكلات ولكن حققته المجلة الموسومة بالتمدن الكاثوليكي (في إحدى نشراتها الصادرة في تشرين الآخر سنة ١٨٨٢ م) في مقالة موسومة «بمهام بختنصر وحروبه الأولى». وقد خلف يواقيم ابنه يوخانيا ويسمى يواكين أيضاً ولم يقوَ الملك الجديد على الدفاع عن أورشليم زماناً طويلاً، بل أرغم أن يُسلم نفسه وأسرته وأمواله إلى ملك بابل. ولم يملك إلا ثلاثة أشهر وعشرة أيام، فأخذه بختنصر أسيراً إلى بابل وجلا معه عشرة آلاف من رؤساء أورشليم وكبرائها ولم يُبقَ من سكانها إلا الفقراء وأخذ جميع كنوز بيت الرب وبيت الملك. وكسر جميع آنية الذهب وأقام متنيا عمَّ يواكين ملكاً مكانه وسماه صدقيا. وكان ذلك سنة ٥٩٨ ق.م ومنها يتبدى تاريخ الجلاء البابلي الذي استمرَّ سبعين سنة. وأقام يواكين في بابل مسجوناً سبعاً وثلاثين سنة إلى أن توفي بختنصر. وخلفه ابنه أويل مروداك فأطلقه من السجن، وأكرم مثواه وكان يتناول الطعام على مائدته. (ملوك ٤ فصل ٢٥ عد ٢٧).

عد ٣٣٨

صدقيا ملك يهوذا

إنَّ صدقيا الذي أقامه بختنصر ملكاً في أورشليم كان عمره إذ ذاك إحدى وعشرين سنة، وملك إحدى عشرة سنة وصنع الشرَّ أمام الرب. ولما كان شاباً تلاعبت فيه أهواء الأغراض ففعلت سقوطه عن عرشه، وانقراض مملكة أورشليم. فإنَّ بختنصر ألجئ حينئذٍ إلى محاربة الماديين لأنَّ شياكسر ملكهم الذي كان حمى بختنصر مات فخلفه ابنه استياج، وكان يريد سؤاً بمملكة بابل فاغتنم ملوك يهوذا ومواب وعمون وأدوم وصور فرصة هذا الخصام وحاولوا العود إلى إستقلالهم. فأصلح بختنصر شؤونه مع الماديين، وهبَّ للانتقام من ملوك سورية وكتب مطامعهم، فعاد إلى سورية مرةً أخرى سنة ٥٩٠ ق.م وقسم جحافله قسمين سيَّر أحدهما إلى صور (كما مرَّ في عد ١٢٧) والثاني إلى أورشليم، ولما رأى صدقيا أنَّ لا قدرة له على مصافتهم في خارج الأسوار، دخل المدينة فحاصرها البابليون شديد الحصار. وكان خفرع ملك مصر قد وعد ملوك سورية وصدقيا أن ينجدهم إذا أئتتهم جنود بختنصر. فأرسل جيشاً مصرياً إلى جنوبي فلسطين فترك الكلدانيون

فريقاً من جيشهم على أورشليم، ومضى فريق آخر منهم لقتال المصريين. قال لانرمان (مجلد ٢ من تاريخه القديم صفحة ٤٠٢ طبعة ٩) لا نعلم ما كان بين الجيشين المصري والبابلي فمن قائل إن المصريين عادوا دون قتال، ومن قائل إن البابليين هزمهم. ثم تألبوا على أورشليم فدافع أهلها دفاع الأبطال ثمانية عشرة شهراً إلى أن برّح بهم الجوع، إذ لم يبق في المدينة ما يقتاتون به. فثغروا أحد أسوار المدينة وهرب صدقيا وجميع رجال الحرب ليلاً في طريق الغور إلى جهة الأردن. فتنبّع جيش الكلدان أثرهم فأدركوا صدقيا في صحراء أريحا وقد أرفض الجمع عنه فأخذوه وأولاده وبعض الرؤساء إلى ملك بابل في ريلة (المعروفة اليوم أيضاً بهذا الاسم)، فذبح بني صدقيا أمام عيني أبيهم وقتل غيرهم من الرؤساء وفقاً لعيني صدقيا. كما فعل كثير من ملوك آشور وغيرهم بأعدائهم، وقد وجدت آثار تمثل ملوكاً يلقأون بأيديهم عيون أسراهم. ثم أوثق بختنصر صدقيا بسلسلتين من نحاس وأخذ به إلى بابل وجعله في بيت الحرس إلى مماته.

وقد عاد نبوزرادان أمير جيش بختنصر فأحرق في أورشليم بيت الرب وبيت الملك ويوت كبرائها. وهدم أسوارها وانتهب كل أنية الهيكل وكلّ النحاس الذي كان في الأعمدة، وبحر النحاس كسره الكلدانيون، وحملوا نحاسه إلى بابل، وكل ما كان ثمة من ذهب أو فضة أخذه رئيس الشرط ومن نجا من الأهلين من السيف أسره وأرسله إلى الملك في ريلة، ولم يترك من سكان مملكة يهوذا إلا كرامين وفلاحين. ولم يشأ بختنصر أن تبقى اليهودية مملكة بل جعلها ولاية من ولاياته، وولّى رجلاً اسمه جدليا بن احيقاص عليها وأقام جدليا في المصفاة (شعفات على الأظهر في شمالي أورشليم). وفي الشهر السابع لملكه فاجأه إسماعيل بن نتنيا من النسل الملكي وعشرة رجال معه فقتلوه، وضربوا اليهود والكلدانيين الذين كانوا معه في المصفاة. ويظهر من كلام ارميا النبي (فصل ٤٠ عد ١٤) أنّ بعليش ملك بني عمون حمل إسماعيل على قتل جدليا. وإنّ بعضهم حدّره من ذلك وطلب إليه أن يأذن له في قتل إسماعيل فلم يصدّق ولم يأذن. وخاف اليهود من وجه الكلدانيين فارتحل جم غفير ممن لبثوا في اليهودية إلى مصر (ملوك ٤ فصل ٢٥). وأخذوا أرميا النبي معهم مكرهاً (ارميا فصل ٤٣ عد ٦). وهكذا أمسى السواد الأعظم من بني إسرائيل في بلاد الكلدانيين وجماعة منهم في مصر والأدلاء منهم في فلسطين. فنتكلم الآن في من ارتحلوا إلى مصر ثم في من أجلوا إلى بلاد الكلدانيين.

مَن ارتحلوا من بني إسرائيل إلى مصر وحملات بختنصر عليها

اجتمع بنو إسرائيل بعد مقتل جدليا إلى ارميا النبي الذي كان أخذ بين المجلوسين. فأوصى بختنصر قائد جيشه أن لا يُنزل به شراً بل يصنع إليه كل ما شاء. فأطلقه القائد ولاطفه وأرسله ليقم مع جدليا (ارميا فصل ٣٩ و ٤٠). فرغب إليه بنو إسرائيل أن يصلي إلى الرب ليلهمهم ما يصنعون، فصلى ارميا وعاد قائلاً لهم: «هكذا قال الرب لا تخافوا من ملك بابل الذي أنتم منه خائفون... فإنني معكم لأخلصكم وأنقذكم منه... وإن ثبتتم وجوهكم لتذهبوا إلى مصر وذهبتم لتتغربوا إلى هناك فالسيف الذي تخافون منه يدرككم هناك في أرض مصر، والجوع الذي تخشون منه يتعقبكم هناك في مصر وهناك تموتون». (ارميا فصل ٤٢ عد ١١ وما يليه). فلم يستمعوا كلامه بل أخذوا بقية يهوذا من الرجال والنساء والأطفال وبنات صديقا الملك اللواتي كنَّ بقين في اليهودية مختبيات. وأكرهوا ارميا وباروك تلميذه إلى المسير معهم. ولما انتهوا إلى تحفيس قال الرب لارميا: «خذ بيدك حجارة كبيرة واطمرها في الملاط في موضع التلحين (الموصوف باللبن) الذي عند مدخل بيت فرعون في تحفيس على عيون رجال من اليهود وقل لهم هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل هأنذا أرسل وأخذ نبوكدنصر (بختنصر) ملك بابل عبيدي وأجعل عرشه فوق هذه الحجارة التي طمرتها ويسط ديباجه من فوقها فيقتل ويضرب أرض مصر» (ارميا فصل ٤٣ عد ٩ وما يليه). وكان ارميا يوتخ بني إسرائيل ويهددهم لتركهم في مصر عبادة الرب، وتعبدتهم لملكة السماء التي يعبدها المصريون. وينذر بما سيحل بالمصريين وبهم من الرزايا. وقد قال (في فصل ٢٤ عد ٣٠): «هكذا قال الرب هأنذا أجعل فرعون خفرع ملك مصر في أيدي أعدائه وطالبي نفسه كما جعلت صديقا ملك يهوذا في يد نبوكدنصر ملك بابل عدوه وطالب نفسه». فهذه النبؤات قد تمت لأن بختنصر حمل على مصر ونكل بأهلها وببني إسرائيل الذين ارتحلوا إليها أشد التنكيل. وأمات كثيرين بحد السيف وقهر خفرع ملك مصر وجلا منها جمّاً غفيراً إلى بابل، وقد يكون منهم بعض اليهود الذين فرتوا من وإلى مصر. ودونك ما جاءت به الآثار مصداقاً لأقوال الكتاب، إن العالم فلاندر باتري الإنكليزي قد غني سنة ١٨٨٦م باكتشافات في تحفيس القديمة المعروفة اليوم بتل

دفنه في مصر السفلى. فوجد هناك ثلاث خرابات تقرب إحداهن من الأخرى، وبينها بقايا أسس مؤذنة بأنه كان هناك مدينة مهمة جداً. وظهر له أن إحدى هذه الخرابات كانت قصراً فسيحاً مشرفاً على السهول الواقعة هناك، وقد طرب وعجب عندما أخبره سكان تلك الناحية أنهم يسمون ذلك المحل «قصر بنت اليهودي» فكأن خفرع ملك مصر أنزل في هذا القصر بنات صدقيا الملك صديقه عند ارتحالهن مع قومهن إلى مصر كما مرّ. فحفظ هذا الاسم بالتقليد وقد حققت الآثار التي كشف عنها باتري هناك أن هذا القصر بناه بساميتيك الأول ملك مصر سنة ٦٦٥ أو سنة ٦٦٦ ق.م.

وُجد في أحد المخادع خاتماً منقوشاً عليه اسم خفرع ملك مصر. وقد عُثر في خارج القصر على عرصة طولها نحو ثلاثين متراً، وعرضها ثمانية عشر مرصوفة بالآجر، وليس هناك أثر للخدع أو سقف بل هي كالمصاطب التي يقيمها عامة الناس أمام بيوتهم، ويطلونها بالملاط. وقد عبّر عن هذه العرصة بالعبرانية «مِلِط مالن». فصاحب الترجمة اللاتينية العامية لم يجد كلمة واحدة تؤدي المعنى المقصود، فعبر عنه بكلمات فقال في كلام ارميا: «تُخذ بيدك حجارة كبيرة واطمرها في المغارة التي تحت حائط اللبن عند باب بيت فرعون في تحفيس». وفي ترجمة الآباء اليسوعيين العربية الملاط وموضع التلبين كما رأيت وعلى كل قراءة. فهذا المحل الذي كان اللبن فيه كان عند باب بيت فرعون، وهناك يكون بختنصر قد بسط ديباجه كما قال النبي. وقد بحث باتري عن الحجارة التي طمرها ارميا فوجد هناك حجارة غير منحوتة، ولكن لا وسيلة للحكم بأنها الحجارة التي طمرها النبي إذ لم تكن لها سمة تميزها. ومهما يكن من أمرها فليس من يقيم نكيراً على أن اكتشاف هذا القصر في تل دفنة التي هي تحفيس؛ وما عُثر عليه فيه من الآثار مؤذن بصحة ما جاء في الكتاب. ولذلك قالت جريدة التيمس في نشرتها في ١٨ حزيران سنة ١٨٨٦ م «لا يخلو من فائدة كبرى أن يعلم الجمهور ولا سيما الإنكليز الذين يكتبون على مطالعة الكتاب المقدس أن عالماً إنكليزياً كشف عن خرابات قصر في مصر حيث وقف ارميا النبي وتنبأ، وحيث وجدت بنات الملك صدقيا ملجأ عند فرعون خفرع وحيث نصب بختنصر عرشه وبسط ديباجه الملكي لما غشي مصر». وقد تنبأ حزقيال أيضاً على حملة بختنصر على مصر فقال (فصل ٢٩ عد ١ وما يليه): وكانت إليّ كلمة الرب قائلاً: يا ابن البشر اجعل وجهك نحو فرعون

ملك مصر وتبأ عليه وعلى مصر كلها... هأنذا عليك يا فرعون ملك مصر التّين العظيم الرابض في وسط أنهاره الذي قال إنّ نهري هو لي وأنا صنعت نفسي لاني سأجعل حلقة في فكك... فيعلم جميع سكان مصر أنني أنا الرب ذلك بما أنهم كانوا عصا من قصب لآل إسرائيل فإذا أمسكوك بالكف تشققت فمزقت منهم الكتف كلها. وإذا اعتمدوا عليك انكسرت فزعرعت منهم الحقوين كليهما. ولذلك هكذا قال السيد الرب: هأنذا أجلب عليك السيف فاقرض منك البشر والبهائم... فاجعل أرض مصر قفاراً خربة مستوحشة من مجدول إلى أسوان وإلى تخم كوش... يا ابن البشر إنّ نبوكدنصر ملك بابل قد استخدم جيشه خدمة عظيمة على صور... ولم تكن له أجرة ولا لجيشه من جهة صور لذلك هأنذا أعطي نبوكدنصر ملك بابل أرض مصر. فيأخذ جمهورها ويسلب سلبها وينهب نهبها فيكون ذلك أجرة لجيشه». فقد أنكر قبلاً بعض الملحدّين صحة ما جاء في هذه النبؤات مستمسكين بأن هيرودت وديودر الصقلي لم يأتيا بذكر حملة بختنصر على مصر. وأما الآن فلم يبق من سبيل إلى هذا الانكار والآثار المصرية والكلدانية ناطقة بتكذيب الملحدّين فقد كُشف في مصر عن تمثال لرجل شريف مصري اسمه نسهور، وعليه خطوط مؤذنة بأن هذا الرجل كان والياً في جنوبي مصر وقد عهد إليه أن يدرأ المجاورين له عن السطو على هذه الناحية. وقد أتم ما عهد إليه به وكان مقيماً في اللفتين (جزيرة في النيل تجاه أسوان) بمنزلة ملك إلى أن يقول عن نفسه: «أقمت تمثالي تخليداً لذكري فلا يزول من الهيكل لأنني عُنت بمعبد الآلهة عندما أراد جنود الأجانب أن يدمروه وهم جنود العمو (الساميين) شعوب الشمال شعوب آسيا التعساء... الذين أرادوا السوء بنا وعزموا أن يغشوا الأرض العليا (مصر العليا) ويدمروا البلاد ولم يخافوا جلالة الملك حق مخافته. وأتموا ما عقدوا عليه نيتهم لكنني لم أدهم يتصلون إلى تاكان (عمل في جوار الشلال الأول) بل جعلتهم يقتربون من المحل الذي كانت جلالتهم حلت فيه فدبرت عظمته على إنكسارهم». والحاصل من هذه الخطوط أنّ جنود الآسيانيين الساميين (كما هم الكلدان) حملوا على مصر في أيام ملكها خفرع وتوغلوا فيها إلى مصر العليا حيث كان نسهور فلم يدعهم يجتازون الشلال الأول حيث كان الملك فرّ فردّهم على أعقابهم، على أنهم أتموا نبؤة حزقيال بأن بلغوا إلى الحدّ الذي وضعه النبي بقوله إنّ بختنصر ينهب ويسلب في مصر ويجعلها خراباً إلى أسوان وإلى تخم كوش.

وقد وُجد في بابل صفيحتان مشعرتان بجملة بختنصر على خفرع ملك مصر وعليهما خطوط مصرية، فالأولى تمثل رجلاً يعارك أسداً وبجانبه رجل يسجد لصورة الملك مكتوباً عليها خفرع يحميه فتاح (أحد آلهة المصريين). والثانية تمثل رجلاً ساجداً ومن ورائه قرد وعليها اسم خفرع أيضاً ويُظن أن الصورتين نقشهما بعض الأسرى في بابل إبان الحرب بين بابل ومصر. ولا أقل من أنهما مشعرتان بما كان بين البلدين في أيام بختنصر وخفرع. وقد كُشف عن صفيحة أخرى لبختنصر كُتب عليها أخبار إحدى غزواته إلى مصر وهي الآن في المتحف البريطاني محطمة، ولكن يمكن أن يُقرأ فيها ما يأتي: فبختنصر بعد أن يشكر الآلهة على ما قِيضت له من النصر يقول «في السنة ٣٧ لنبوكدنصر ملك الأرض: ذهبك إلى مصر للحرب فجمع أماسو (اماسيس) ملك مصر جيوشه وسيّر عساكره... جزية في وسط أرض مصر ١٥٠٠٠ ٠٠٠ جندي وخيول ومركبات». فسنة ٣٧ لبختنصر توافق سنة ٥٦٨ ق.م وكان ملك مصر حينئذٍ اماسيس الذي رقي منصة الملك بعد سقوط خفرع عنها؛ وعليه فحملة بختنصر هذه على مصر غير حملته السابقة على خفرع، لكن الحملتين تؤيدان صحة نبؤات ارميا وحزقيال، فالظاهر أن بختنصر بعد رفعه الحصار عن صور دخل ظافراً وتتبع أثر خفرع إلى أسوان، ولكن بعد أن انتهى إلى الشلال الأول اضطر أن يعود إلى الوراق، وبعد مضي ثلاث سنين أو أربع عاد إلى مصر فقهر أماسيس وفرض جزية على بلاده. وقد ذكرنا في تاريخ الفينيقيين حملته على صور وتحملها مضض الحصار ثلاث عشرة سنة (طالع عد ١٢٧) وقد نقش بختنصر صورته على أحد الصخور في معبر نهر الكلب كغيره من غزاة بلادنا. وأما ارميا الذي أخذ إلى مصر فقال بعض الآباء إن اليهود الذين انحدروا إلى مصر رجموه لأنه لم يكن ينكف عن توبيخهم على تركهم الرب وعبادة آلهة المصريين. وقال بعض الربيين: إنه عاد إلى اليهودية ومات فيها وذهب آخرون إلى أنه مضى إلى بابل ومات هناك.

عد ٣٤٠

سنو ملوك يهوذا من خراب السامرة إلى الجلاء البابلي

إننا نختم هذا الفصل بوضع جدول يبين سني ملوك يهوذا من خراب السامرة الذي كان سنة ٧٢١ ق.م إلى إنقراض مملكة يهوذا وجلاء عليّة شعبها إلى بابل

تكملة للجدول الذي وضعناه للملك يهوذا وإسرائيل إلى إنقراض مملكة إسرائيل في
عد ٣٢٧ فخراب السامرة كان في السنة السادسة لحزقيال وهو قد ملك في
أورشليم تسعاً وعشرين سنة فيكون ملك بعد خرابها ثلاثاً وعشرين سنة كما ترى
في هذا الجدول:

اسماء ملوك يهوذا	سنو ملكهم	سنة بدء كل منهم	باتو	كليتون	فتر	آيات الكتاب
حزقيا	٢٣	٧٢١	٧٢١	٧٢١	ملو ٤ ف ١٨ ع ٢	
منسا	٥٥	٦٩٨	٦٩٧	٦٩٦	.. ٤ ف ٢١ ع ١	
امون	٠٢	٦٤٣	٦٤٢	٦٤١	.. ٤ ف ٢١ ع ١٩	
يوشيا	٣١	٦٤١	٦٤٠	٦٣٩	.. ٤ ف ٢٢ ع ١	
يوحاز شهر ٣	..	٦١٠	٦٠٩	٦٠٩	.. ٤ ف ٢٣ ع ٣١	
يوياقيم	١١	٦١٠	٦٠٩	٦٠٩	.. ٤ ف ٢٣ ع ٣٦	
يوحانيا شهر ٣	..	٥٩٩	٥٩٨	٥٩٨	أخبار الأيام ٢ ف ٣٦ ع ٩	
صدقيا	١١	٥٩٩	٥٩٨	٥٩٨	ملو ٤ ف ٢٤ ع ١٨	
خراب أورشليم شهر ٦	..	٥٨٩	٥٨٧	٥٨٦	.. ٤ ف ٢٥ ع ٨	
المجموع	١٣٣					

فمجموع سني هؤلاء الملوك بعد خراب السامرة مئة وثلاث وثلاثون سنة ومن
بعد انقسام مملكة إسرائيل إلى خرابها مئتين وإحدى وستين سنة ومدة شاول ودود
وسليمان مئة وعشرون سنة فجملة مدة الملوك في إسرائيل من شاول إلى صدقيا
خمس مئة وأربع عشرة سنة.

الفصل التاسع عشر

أخبار بني إسرائيل في بلاد الكلدان

عد ٣٤١

حال بني إسرائيل في بابل وإنذار الانبياء لهم

إن إقامة اليهود في بابل مع ما طبعوا عليه من الثقل والملل كانت لهم معثرة كبرى في أمر دينهم. فقد كانوا أضاعوا إستقلالهم وقرضت مملكتهم ودُمرت مدينتهم وهيكلهم. فحدثهم عقولهم الضخمة أنَّ آلهة الكلدانيين استظهرت على إلههم فلم يَقَوْ أن ينجِّي شعبه من التشتت وهيكله من الدمار وآنيته من السلب. ورأوا عظمة بابل حينئذٍ وقصورها الشامخة وجناتها الغناء الزاهرة ورغد أهلها، وعز ملوكها وترف كبرائها وعظمة هياكلها على هيكلهم. وقد حقت الآثار أنَّ مساحة أسوار بابل وقتئذٍ كانت ٥١٣ كيلومتراً مربعاً تنيف سبعة أضعاف على أسوار باريس سنة ١٨٦٠ م ومساحة سورها الثاني ٢٩٠ كيلومتراً مربعاً أكبر كثيراً من مدينة لندرة (على ما روى اوبر في كتاب رحلته إلى ما بين النهرين مجلد ١ صفحة ٢٣٤). فكان كل ذلك باعثاً لبني إسرائيل على تركهم الرب إلههم وعبادتهم ما يعبد الكلدان ودينهم بما يدينون. أجل قد بقي بينهم من كان يقول: «على أنهار بابل هناك جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون على الصفصاف في وسطها علقنا كنانيرنا. هناك سألنا الذين سبونا نشيداً والذين عذبونا تطريباً إن رنموا لنا من ترانيم صهيون. كيف ترنم ترنيم الرب في أرض غربة؟ إن نسيتك يا أورشليم فلتنسني يميني. ليلصق لساني بحنكي إن لم أذكرك إن لم أعلي أورشليم على ذروة فرحي» (مزمور ١٣٦). لكن هذا ترنيم بعض المتورعين مقصوداً به إحياء ذكر الرب وأورشليم والهيكل في أذهان الشعب، وهو مؤذن بالخطر الهائل الحقيق بإخوانهم على أنَّ الله تدارك شعبه بيعته يومئذٍ أكبر أنبيائه. فالانبياء الكبار أربعة أشعيا وأرميا

وحزقيال ودانيال. فاشعيا كان قبيل جلائهم لكنه تنبأ عليه. وحذر من معائره وأكثر الحث لبني إسرائيل على التشبث بعروة إيمانهم الوثقى، وأفاض بالتعزية لهم بأنهم سيعودون إلى الأرض ميراث آبائهم.

والجزء الثاني من نبواته من الفصل الأربعين فصاعداً هو أفصح وأسمى من باقيها، وجل مدار كلامه فيه إنما هو في الجلاء وتعزية المجلّون، وتبشيرهم بقورش منقذهم. وكان حزقيال ودانيال بين أظهر المسيبين في بابل وسيأتي الكلام فيهما. وأما ارميا فبقي في اليهودية حين سبيهم وقبض الله له أن يصحب المرتحلين إلى مصر كما رأيت. على أنه لم يتقاعد عن أن يحذر من سيقوا إلى بابل من الكفر، ويحضهم على الإحتفاظ بدينهم كما يظهر في رسالته إليهم التي ذكرها باروك تلميذه، وهي حريّة بأن تدوّن بحروف من ذهب فقد قال فيها (باروك فصل ٦): «إنه لأجل الخطايا التي خطئتم أمام الله يسوقكم نبوكدنصر ملك بابل إلى الجلاء في بابل فإذا دخلتم بابل فستكونون هناك سنين كثيرة... وسترون في بابل آلهة من الفضة والذهب والخشب، تحمل على المناكب وتلقي الرهبة على الأمم فاحترزوا أن تشبهوا بالغرباء وتأخذكم منهم رهبة وإذا رأيتم الجموع أمامها ووراءها يسجدون لها فقولوا في قلوبكم لك يا رب ينبغي السجود... أما تلك فإن لها السئة وقد نحتها التجار وهي مغشاة بالذهب والفضة لكنها آلهة زور لا تستطيع نطقاً، يأخذ الناس لها ذهباً كما يؤخذ لعذراء تحب الزينة ويصوغون أكاليل يجعلونها على رؤوس آلهتهم وربما سرق الكهنة من آلهتهم الذهب والفضة لمنفعة أنفسهم... يزينون الآلهة بالملايس كاللبشر... وهي لا تسلم من الصدأ والسوس وإن كانت تلبس الأرجوان ويمسحون وجوها من غبار البيت المتراكم عليها وفي يد كلّ منها صولجان كالحاكم على بلد لكنه لا يقتل من يجرم إليه وفي يمينه سيف وفأس لكنه لا ينجي نفسه من الحرب واللبص... إذا نُصبت في البيوت فعيونها تمتلئ غباراً من أقدام الداخلين» ويختتم كلامه قائلاً: «إنّ الرجل الصديق الذي لا صنم له أفضل لأنه بمعزل عن العار».

إنّ الآثار التي وُجدت في آشور وبابل جاءت مصداقاً لما قاله ارميا في تماثيل الآلهة الذهبية والفضية، وفي حملها على المناكب وسجود الناس لها وفي قبضها على الصولجان والسيف والفأس، ومن تاح له أن يرى المتحف البريطاني أو متحف اللوفر في باريس وغيرها من متاحف أوروبا لم يمتز البتة في صحة مقال النبي، لأنه

يرى ما يشذ عن العد من تماثيل هذه البلاد وصورها ونقوشها مطابقة وصف ارميا لها. ونخصّ بالذكر منها صورة عثر عليها لايرد في نمرود تمثّل أربعة آلهة وآلهات محمول كلّ منها على مناكب أربعة من الكهنة أو القواد الآشوريين (لايرد في آثار نينوى صفحة ٦٥).

عد ٣٤٢

طوبيا البار

كان طوبيا من سبط نفتالي ممن جلاهم ملك آشور إلى بلاده قبل جلاء بني يهوذا إلى بابل. وقد أفرد له الكتاب سفرأ معنوناً باسمه أجمعت شواهد التقليد على أنّ طوبيا وابنه كتياه. وقال القديس ايرونيμος إنهما دوّناه بالكلدانية لغة البلاد حيث كانا. وقال بعض المدققين إنهما كتياه بالعبرانية لغة موطنهما (فيكورو الموجز الكتابي عد ٥٢٢ و ٥٢٦). وإليك خلاصة هذا السفر: كان طوبيا مذ صبوته يتّقي الله ويسجد له في هيكل أورشليم. واتخذ له امرأة من سبطه اسمها حنة وولدت له ابناً سماه طوبيا باسمه. ولما مجلي مع امرأته وولده إلى نينوى كان يصون نفسه من مآكل أهلها. ونال حظوة لدى الملك شلمناصر فأطلق له أن يذهب حيث شاء ويفعل ما يريد. فكان يطوف على من كانوا في الجلاء، ويرشدهم بنصائح الخلاص، وأتى راجيس مدينة ماداي فرأى رجلاً من سبطه اسمه غابيلوس في فاقة، فدفّع إليه عشر وزنات من فضة كانت معه وأخذ صكاً بها. وبعد أن مات شلمناصر وملك سنحاريب ابنه (كذا) مكانه وعاد مدحوراً من أرض يهوذا لتجديفه على الله وطفق يقتل كثيرين من بني إسرائيل، كان طوبيا يدفن أجسادهم، ونمى ذلك إلى الملك فأمر بقتله وضبط ماله، فهرب طوبيا بولده وزوجته وبعد أن قتل سنحاريب ابنه عاد طوبيا إلى منزله وردّ عليه كلّ ماله (فصل ١).

واستمرّ طوبيا على عادته يدفن الموتى حتى في أيام أفراحه، وتعب من ذلك ذات يوم فرمى بنفسه إلى جانب الحائط فوقع زرق من عشب خطاف في عينيه وهو سخن فعمي. وتحمل مصابه بالصبر الجميل مرشداً امرأته وابنه إلى الإذعان لقضاء الله (فصل ٢). وضاعت نفس طوبيا يوماً فتوسّل إلى الله قائلاً: "مُرْ أَنْ تُقْبِضَ رُوحِي بِسَلامٍ لِأَنَّ الْمَوْتَ خَيْرٌ لِي مِنَ الْحَيَاةِ". وكان له ذو قرابة في راجيس اسمه رعوثيل

وله بنت اسمها سارة تزوجها سبعة رجال فقتلهم الشيطان لتفرغهم لشهواتهم، فعيرتها إحدى جوارى أبيها بقتل أزواجها، فانفردت تصلي لله في ذلك اليوم نفسه أن يحلها من وثاق العار أو يأخذها عن الأرض، فاستجبت صلاتها وصلاتها طويلاً لرفعهما في يوم واحد (فصل ٣). وقال طويلاً إنَّ الرب استجاب صلاته وإنَّ أجله قريب، فاستدعى ابنه وأوصاه أن يتقي الله ويحافظ كلَّ إثم. وأعلمه أنه أعطى غابيلوس في راجيس عشر وزنات من فضة وأخذ صكاً بها، فلينظر كيف يتوصل إليه فيقبض منه المال ويردُّ إليه الصك (فصل ٤). وأمره أن يلتبس رجلاً ثقة يصحبه بأجرته ليستوفي ماله. فأعدَّ الله له ملاكاً رافائيل بزي فتى بهيٍّ مشرَّ كأنه متأهب للمسير، وقال إنه يعرف راجيس وغابيلوس وتعهَّد لطويلاً أنه يأخذ ابنه ويرده سالمًا. ودعا طويلاً لهما وسافرا (فصل ٥) فباتا أول منزلة في جانب نهر دجلة. وأراد طويلاً غسل رجله فافتحمه حوت وارتاع وصرخ، فقال له الملاك خذ بخرشومه، وشقَّ جوفه، واحتفظ بقلبه ومرارته، فدخل القلب يطرد الشياطين، والمرارة تبرئ العيون التي عليها الغشاء. وأنزله الملاك بعد بلوغهما راجيس علي رعوئيل أبي سارة المشار إليها، وأعلمه أنه من ذوي قرباه وأنه غني وليس له إلا سارة فلا بد لك أن تتخذها زوجة. وأمَّنه بأنه إذا تزوجها وتفرَّغ معها للصلوات وأحرق كبِد الحوت فلا يمسّه ضرٌّ كما أصاب من تزوجها متفرغين لشهواتهم، فكان للشيطان سلطان عليهم (فصل ٦).

وقد استقبلهما رعوئيل بالمسرة، ولما عرف أنَّ الشاب ابن طويلاً قبَّله بدموع وبكى على عنقه، وطلب طويلاً إليه أن يزوجه سارة فتردَّد أولاً، فأمنَّه الملاك فأخذ يمين ابنته وسلمهما إلى يمين طويلاً وباركهما وكتبوا عقد الزواج (فصل ٧). ولما دخل عليها فعل كما أمره الملاك، فأحرق فلذة من كبِد الحوت وتفرَّغ مع عروسه للصلوات. وظنَّ رعوئيل أنه يموت كباقي أزواج بنته، فأعدَّ القبر ليلاً وأنفذ إحدى الجوارى فوجدت العروسين سالمين. فشكر الله وطمر القبر وأعطى طويلاً نصف ماله، وكتب لأبيه صكاً بالنصف الثاني يستولي عليه بعد وفاته ووفاء امرأته (فصل ٨).

وسأل طويلاً رافائيل أن يذهب إلى غابيلوس ويقتضي منه وزنات الفضة ويرد إليه صكه، ويدعوه إلى عرسه، ففعل رافائيل وأتى غابيلوس إلى طويلاً، وفرح به ودعا له (فصل ٩). وقلق طويلاً الكبير وامرأته لإبطاء ابنهما وألحَّ طويلاً الصغير على حميه لينصرف إلى أبيه، فأعطاه سارة ونصف أمواله من غلمان وجوارٍ ومواشٍ وإبل

وبقر وفضة كثيرة وصرفه من عنده، وأوصى ابنته أن تكرم حمويها وتحب بعلمها وتحفظ نفسها غير ملومة (ف ١٠). وعاد طوييا ورافائيل يصحبه، ففرح أبوه وأمه به وبعرسه حتى بكيا من فرحهما وأخذ من مرارة الحوت وطللى عيني أبيه، ومكث مقدار ساعة فبدأ يخرج من عينيه غشاوة كغرقى البيض فأمسكها طوييا وسحبها من عينيه وللوقت عاد إليه بصره فمجد الله هو وذووه (ف ١١).

وأراد أن يهب رافائيل نصف ما جاء به طوييا الصغير من عند حميه، فأجابهما أن الصلاة مع الصوم صالحة وأن الصدقة خير من ادخار كنوز الذهب. وكشف لهما أنه رافائيل الملاك، وأنه كان يرفع إلى الله صلاة طوييا ومبراته بدفن الموتى، وأن الرب أرسله ليشفيه ويخلص سارة من الشيطان. فارتاعا وسقطا على أوجههما على الأرض، فشجعهما الملاك وأمنهما وارتفع عن أبصارهما، فباركوا الله وحدثوا بآياته (ف ١٢). وسبح طوييا تسبحته المثبتة في الفصل الثالث عشر من سفره. وعاش بعد أن عاد بصيراً إثنين وأربعين سنة، ورأى بني حفدته فتمت سنوه مئة وإثنين ودُفن في نينوى. وكان عمره حين ذهب بصره ستاً وخمسين سنة وعاد يبصر وعمره ستون سنة. ولما حضرته الوفاة دعا ابنه طوييا وأبناء السبعة وقال لهم قد دنا دمار نينوى، لأن كلام الرب لا يذهب باطلاً وإخوتنا الذين تفرقوا من أرض إسرائيل يرجعون إليها، وبيت الله الذي أحرق فيها سيستأنف بناؤه وأنتم لا تقيموا هنا، بل أي يوم دفتتم والدتكم معي في قبر واحد اخرجوا من هذا الموضع. وقضى أجله واستمر طوييا الصغير في نينوى إلى ممات أمه، وارتحل عنها بزوجه وبنيه وبنيه ورجع إلى حمويه فوجدتهما سالمين. وبعد موتهما أحرز كل ميراث بيت رعوئيل ورأى بني بني إلى الجيل الخامس، واستوفى تسعاً وتسعين سنة من عمره بمخافة الرب ودُفن بفرح (ف ١٤).

فهذا ملخص سفر طوييا ولا يرى المطالع إشكالاً في إدراكه كما لخصناه مع أن فيه مشكلين راكبين. مصدر أحدهما اختلاف الروايات في نسخ هذا السفر لا سيما في تعيين السنين. ومصدر الثاني توفيق هذه السنين مع ما كشفت عنه الآثار الآشورية. وقد طالعنا في المجلة الموسومة بالتمذُن الكاثوليكي (في نشرتها المؤرختين في ٤ تموز و ١ آب سنة ١٨٩١م) فصلين مشبعين في هذا المبحث فلخصهما كما يأتي: قد اختلفت النسخ في تعيين السنة التي فقد طوييا بصره. ففي الترجمة الإيطالية القديمة إن عمره كان يومئذ ٥٤ سنة. وفي الترجمة اللاتينية العامية ٥٦

سنة. وفي اليونانية الواتيكانية ٥٨ سنة. وفي الكتاب القديم المؤتى به من سينا ٦٢ سنة. وفي الكتاب المؤتى به من الاسكندرية والترجمة السريانية التي أذاعها فايوس ٨٨ سنة. وجاء في الترجمتين العامية والسريانية التي في الجامعة (الكتاب بلغات عديدة) إن جملة سني حياته مئة وستتان كما ذكرنا. ولكن في الترجمة العربية والكتاب المؤتى به من سينا والترجمة الإيطالية ١١٢ سنة. وفي السريانية التي أذاعها فايوس ١٣٢ وفي الترجمة الأرمنية ١٥٠ سنة وفي الكتائين الواتيكاني والاسكندري ١٥٨ سنة. ومثل هذا التباين في تعيين عمر طويا الصغير ففي اللاتينية العامية ٩٩ سنة كما رونا. وفي النسخة السريانية ١٠٧ سنين وفي الإيطالية والكتاب السيناوي ١١٧ سنة وفي الكتائين الواتيكاني والاسكندري والترجمة الأرمنية ١٢٧ سنة حتى جعل هذا التباين كلمت يصريح بيأسه من تحقيق عمر طويا. واكتفى بتافوس أن يعتمد على اللاتينية وحدها.

والمعضلة الكبرى إنما هي في توفيق هذه السنين مع ما كشف عنه بالآثار الآشورية. فقبل هذه الإكتشافات قل ما لقي بعض المفسرين إشكالاً في تفسير هذا السفر إلا في الآية ال ٧ من الفصل ال ١٤ حيث قيل: «وبيت الله الذي أُحرق فيها سيستأنف بناؤه». والهيكل لم يكن أُحرق عند موت طويا فتأول الحجري أُحرق الفصل الماضي بمعنى سيحرق في المستقبل كما جاء في بعض النسخ اليونانية. وكانوا يظنون وقتئذ أن خراب السامرة وجلاء بني إسرائيل إلى نينوى كانا في آخر مدة سلمناصر، وأن سنحاريب خلف سلمناصر دون متوسط بينهما، فيتهماً لهم توفيق هذه السنين. ولكن جاءت الآثار تبين أن سلمناصر ابتداء حصار السامرة، لكن سرغون هو الذي فتحها، وأن سرغون ملك سبع عشرة سنة بعد سلمناصر، ثم خلفه ابنه سنحاريب واستمر على منصّة الملك أربعاً وعشرين سنة. وهو الذي أمر بقتل طويا وضبط ماله، فاختماً ولم يظهر إلا بعد أن قتل سنحاريب ابنه. فإذا أضفنا سني سرغون السبع عشرة إلى سني سنحاريب الأربع والعشرين كان المجموع إحدى وأربعين سنة. ولزم منه أن يكون طويا أجلي وعمره خمس عشرة سنة لأنه عمي وعمره ست وخمسون سنة، والكتاب يقول إنه كان متزوجاً وله ولد، وكان يمضي إلى أورشليم ويقدم بواكيره وأعشاره في كل ثلاث سنين. وأنى يصدق هذا على حدث عمره خمس عشرة سنة.

فكاتب الفصلين في المجلة «التمدن الكاثوليكي» عني بالتوفيق بين روايات
ترجمات هذا السفر على اختلافها وبين ما جاءت به الآثار، مثبتاً أنّ طوبيا أجلي
وعمره نحو من عشرين سنة. وإنّ إقامته بعد الجلاء لم تكن في مدينة نينوى نفسها
بل في موضع آخر من بلاد آشور، وإنّ سفر الملوك الرابع ناطق بأنّ المجلّين من بني
إسرائيل أقاموا في أنحاء عديدة، وأنه لم يكن عند جلائه متزوجاً. بل تزوج في بلاد
آشور وولد طوبيا قبل أن ينتقل إلى نينوى، وأن هذا ظاهر من بعض الروايات ولا
يخالف الترجمة اللاتينية العامية، إذ جاء فيها (ف ١ ع ١٤): «ولما جلا مع امرأته
وولده إلى مدينة نينوى (لا إلى بلاد آشور) حيث كانت كلّ عشيرته». إنّ طوبيا
وُلد سنة ٧٤٣ ق.م. وأجلي سنة ٧٢٢ عند دمار السامرة وله من العمر عشرون أو
إحدى وعشرون سنة في السنة الأولى لسرغون فاتح السامرة. وأقام في موضع خارج
عن نينوى اثنتي عشرة سنة، وتزوج سنة ٧١١ وُلد له طوبيا سنة ٧١٠ ق.م.
وهي السنة الثالثة عشرة لسرغون وحينئذٍ مجليّ إلى نينوى ونال حظوة عند سرغون
فأطلق له أن يذهب حيث يشاء فمضى وقتل إلى راجيس، وأقرض غاييلوس الفضة
وبقي على ذلك أربع سنين أو خمساً من مدة سرغون وأربعاً وعشرين سنة مدة
ملك سنحاريب. وعمي للسنة الأولى من ملك ابنه اسرحدون وهي سنة ٦٨١
ق.م. إذ كان له من العمر اثنتان وستون سنة. وزدّ عليه بصره سنة ٦٧٧ ق.م أي
بعد أربع سنين وعمره ست وستون سنة. وعاش مئة وإثنتي عشرة سنة كما في
الترجمة العربية والإيطالية، وفي الكتاب المؤتى به من سينا مخطوطاً في منتصف
القرن الرابع للميلاد؛ فيكون قد عاش بعد زواج ابنه ستاً وأربعين سنة وهي كافية
ليرى بني حفدته كما قال الكتاب. ويكون مات سنة ٦٣١ قبل خراب نينوى
بست سنين على القول إنها خربت سنة ٦٢٥، أو بخمس وعشرين سنة على القول
إنها خربت سنة ٦٠٦. وعلى كلا القولين يصدق مقال طوبيا لابنه أنّ قد دنا دمار
نينوى كما جاء في الكتاب، ولما كان طوبيا الصغير وُلد سنة ٧١٠ كما مرّ ومُرّت
عليه خمس سنين من ملك سرعون وأربع وعشرون سنة مدة ملك سنحاريب وأربع
سنين مدة عمي أبيه كان زواجه بسارة وعمره ثلاث وثلاثون أو أربع وثلاثون سنة
أي سنة ٦٧٧ ق.م. وجاء في الترجمة اليونانية أنه شهد خراب نينوى سنة ٦٢٥
أو سنة ٦٠٦ فيكون عمره حينئذٍ ستاً وثمانين أو مئة وخمس سنين ومات سنة
٥٩٤ ق.م. فيكون جملة عمره مئة وسبع عشرة سنة كما في الترجمة الإيطالية

والكتاب المؤتى به من سينا. ويكون عاش بعد زواجه ثلاثاً وثمانين سنة، وهي كافية ليرى بنيه إلى الجيل الخامس كما قال الكتاب.

فكتاب الفصلين في المجلة المذكورة اعتمد في هذا التوفيق على بعض الترجمات والكتاب المؤتى به من سينا مخالفاً الترجمة اللاتينية العامة كما رأيت. وقد أبان وأبنا نحن أن مثل هذه الأعداد ليست من المعتقد بشيء، وإنه كثيراً ما عُثر على أغلاط فيها. وإنه وقع مثل هذا الخطأ في تسمية الملك الذي جلا طوييا سلمناصر وهو سرغون، ومثله تسمية ملك العيلاميين في سفر يهوديت ارفخشاد وهو فرادرتي، وتسمية آشور بانيال فيه بختنصر. وتسمية شياكسر بن استياج في سفر دانيال بداريوس المادي وهلمّ جراً.

عد ٣٤٣

دانيال النبي

كان من جملة من جلاهم بختنصر في غزوته الأولى في فلسطين أربعة شبان، وهم دانيال وحنانيا وميشائيل وعزريا. وقد اعتاد ملوك آشور وبابل أن يختاروا من جلوسهم شباناً من ذوي الحسب وقيمهم مع شبان كبراء مملكتهم، لتلقي العلوم وتعلم لغة بلادهم، ويجروا لهم رزق كل يوم في مدة تعلمهم في مدارس القصر الملكي. وهذا لم يكن لنا عليه قبلاً دليل إلا بما جاء في نبوة دانيال (ف ١). إلا أنه بعد اكتشاف مكتبة آشور بانيال الخزفية توفرت البيّنات عليه، فإنّ قسماً كبيراً من هذه الكتب المكتوبة على الآجر كان معداً لطلبة مدرسة القصر الملكي وأساتذتها، فبينها كثير من كتب نحو اللغة ومعجماتها، وعلوم التاريخ والمراقبات الفلكية وصفائح لتمرين الطلبة، ولوح لتعليم أميرة شابة حروف اللغة الآشورية وقراءتها، وهذا اللوح محفوظ الآن في المتحف البريطاني، وألواح أخرى كالتى نستعملها الآن في مدارسنا. وقد أنبأنا صفيحة لسنحاريب (هي المعروفة بصفيحة بلينيو على ما روى سميت في تاريخ سنحاريب صفحة ٢٧) إنّ مدرسة القصر الملكي كانت تنظم في سلك تلامذتها طلبة من غير المملكة. فقد قال سنحاريب ثمة: «إنّ بلييني ابن رجل حكيم من جوار سوانا (بابل) الذي كان تلقى العلوم وهو شاب في مدرسة قصري أقمته ملكاً على سومير واكد». فكذاك أختير دانيال

ورفقاؤه الثلاثة ليتعلموا علوم الكلدانيين مع أبناء أشرافهم في مدرسة القصر الملكي. وغير رئيس الحصيان أسماهم فسمى دانيال بلشصر وحنانيا شدرك وميشائيل ميشك وعزريا عبدنجو (أو الأحقّ عبدنبو أحد كبار آلهة الكلدان). وكان تغيير الاسم مألوفاً عندهم فقد رأينا ملك مصر سمي الياقيم ويواقيم. وبختنصر غير اسم متنيا ودعاه صدقيا وآشور بانيال غير اسم بساميتيك ودعاه نبوسيزباني.

إنّ الشبان اليهود الأربعة أبوا أن يأكلوا من طعام الملك وأن يشربوا من خمر شرا به تمسكاً بسنة موسى. واسترضوا رئيس الحصيان المقام على المدرسة ليركهم وشأنهم. وكانوا يقتاتون بالقطاني، ونبغوا في علومهم، وفاقوا أترابهم حتى لم يجد الملك عند إمتحانه الطلبة من مثيل لهم في صفوفهم، وحاز دانيال قصبات السبق على جميعهم (نبوة دانيال ف ١).

عد ٣٤٤

دانيال وسوسة

قد ذاع اسم دانيال أولاً بفصله الحادثة التي ذكرت في ذيل سفر دانيال، وحقها من حيث الزمان أن تذكر بعد الفصل الأول من هذا السفر. وهي إنّ امرأة اسمها سوسنة زوجة يهودي يسكن في بابل اسمه يواقيم كانت بديعة بجمالها متفرّدة بتقواها. وكان ملوك بابل يبيحون من جلّوهم أن يتخذوا قضاة يفصلون دعاويهم المذهبية. وكان بنو إسرائيل أقاموا وقتلًا للقضاء شيخين أثيمين، فكانا يتردّدان إلى بيت يواقيم، فيأتيهما كل ذي دعوى. وكانت سوسنة تدخل عند الظهر حديقة لزوجها تتمشى بها والشيخان يريانها، وقد كلفا بجمالها. فدخلت يوماً على عاداتها الحديقة وكان الشيخان اختبأ فيها. وكان الحرّ شديداً، فأرادت سوسنة أن تغتسل، وأرسلت جاريتها لتأتيها بدهن وغسل، وأمرتها بإغلاق باب الحديقة. فوثب الشيخان عليها، وصرّحا بما في نفسيهما، وتهدّداها بأنها إذا لم تطاوعهما شهدا بأنها كانت مع شاب غيرهما، ولذلك أبعدت الجاريتين فتهدّت سوسنة وقالت خير لي أن أتحمّل ما يكون من تهمتكما ولا أخطأ أمام الرب، وصرخت بصوت جهير. فصاح الشيخان عليها وأسرع أحدهما ففتح أبواب الحديقة، فتراكض أهل البيت ليروا ما وقع لها. وفي الغد اجتمع الشعب في بيت

رجلها فطلب الشيخان أن تشخص سوسنة أمامهما. وقاما في وسط الشعب ووضعاً أيديهما على رأسها، وشهدا عليها بأنهما رأياها وشاباً متعانقين. فبكى أهلها وجميع معارفها، ورفعت هي طرفها إلى السماء باكية متوكلة على الرب، فصَدَّقَ الجمع الشيخين القاضيين وحكموا عليها بالموت. وبين كانت تساق إلى الموت التقاهم دانيال، فصرخ بصوت عظيم قائلاً: أنا بريء من دم هذه فالتفت الشعب كله إليه، فقال أهكذا أنتم أغبياء يا بني إسرائيل حتى تقضوا على بنت إسرائيل بغير تحقيق؟ إرجعوا إلى القضاء فرجعوا وقال: فَرَّقُوا بين الشيخين. ودعا أحدهما وسأله تحت أية شجرة رأيت هذه المرأة والشاب يتحدثان؟ فقال: تحت الضروة. ثم استدعى الآخر وسأله تحت أية شجرة رأيتهما فقال: تحت السنديانة. فافتضح كذبهما. فقام عليهما الجمع وصنعوا بهما كما نوبا أن يصنعا بالمرأة عملاً بما في سنة موسى. فقتلوهما وخلص الدم الذكي. وكان في هذا الأمر الفخر لدانيال كما كان لسليمان في قضائه بين المرأتين المتداعيتين على ابن في أيامه.

قد وُجِدَت سنة ١٨٤٩ م في روما في المقبرة المحاذية كنيسة القديس سيستوس صورة قديمة تمثل سوسنة بهيئة نعجة صغيرة قائمة بين ذئب ونمر، يراد بهما الشيخان. وقد كُتِبَ فوق رأس النعجة سوسنة وفوق رأس الذئب الشيخ. وقد ذهب كثيرون إلى أنَّ تاريخ سوسنة كتبه دانيال وألحقه بسفر نبوته، ولكن ليس لهذا المذهب دليل رهن ولا حجة قاطعة بل يؤخذ من هذا التاريخ ما يخالف زعم القائلين به، وأولى منه بالصحة ما ذهب إليه كرنيلوس الحجري وهو أنَّ كاتب هذا التاريخ يهودي نجعل اسمه، وقد كتبه في آخر مدة الجلاء البابلي أو بعد صدور أمر قورش بعود بني إسرائيل إلى أوطانهم. وكتب أصله في الآرامية أو العبرانية على الأرجح لا في اليونانية كما وهم بعضهم، وإن كانت أقدم ترجماته ترجمتان يونانيتان: إحداهما لتاوداسيون الذي كان في القرن الثاني للميلاد وعنها ما في الترجمة اللاتينية العامة. والثانية في الترجمة السبعينية وقد وُجِدَت نسخة قديمة منها في روما في مكتبة الأمير كييجي. حُطَّت في القرن الحادي عشر للميلاد، وطُبعت في روما سنة ١٧٧٢م، ثم وُجِدَت نسخة أخرى منها في المكتبة الامبروسية في ميلان في كتاب قديم سرياني استرنكالي حُطَّ في القرن الثامن أو التاسع، وقد طبع بوكاتوس هذه النسخة في ميلان سنة ١٧٨٨ م مع ترجمتها إلى اللاتينية. وقد أثبت كثير من العلماء الكاثوليكين أنَّ النسختين السبعينية والتاوداسيونية ليستا إلا

ترجمتين عن الأصل العبراني أو الكلداني إلى اليونانية. واعتقدت الكنيسة الكاثوليكية وأباؤها وعلمائها أن تاريخ سوسنة جزء من أسفار الكتاب المقدس القانونية خلافاً ليوليوس الإفريقي وبرفير والبروتسطننت ومن رام الإطلاع على الحجج المثبتة قانونية تاريخ سوسنة على مزيد إسهاب في ما قدمناه فليطالع كتاب الأب فيكوررو الموسوم بمسائل شتى كتابية (Melanges Bibliques) من صفحة ٤٦٦ إلى ٤٨٨ طبعة ٢.

عد ٣٤٥

حلم بختنصر وتعبير دانيال له

لما كان دانيال تلقى العلوم في مدرسة بختنصر وذاع صيت حكمته كان مقرباً إلى حاشية الملك. وكان أن بختنصر حلم حلماً إنزعجت نفسه به وهي أنه رأى في حلمه تمثالاً عظيماً، رأسه من ذهب خالص، وصدره وذراعه من فضة، وبطنه وفخذه من نحاس، وساقاه من حديد، وقدماه بعضهما من حديد وبعضهما من نحاس. ورأى أن قد انقطع حجر لا باليدين ف ضرب التمثال على قدميه وسحقهما. فانسحق التمثال كله من حديد وخزف ونحاس وفضة وذهب وصارت كغفي البيدر في الصيف. وذهبت بها الريح حتى لم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض. ولما أصبح الملك ذهب عنه منامه ولم يتذكره، فاستدعى السحرة والمجوس والعرافين والكلدانيين ليعرفوا حلمه ويأتوه بتعبيره، فاعتذروا بأنهم لا يعرفون ما حلم الملك، فأثى لهم الاتيان بتعبيره. فقال الملك إنه أمر أمراً لا يُرد إما بأن يبيّنوا له حلمه وتعبيره ولهم منه الهدايا والجوائز، وإما أنه يقطعهم قطعاً ويجعل بيوتهم مزابل. فقالوا ليس إنسان على الأرض يستطيع أن يعلم ما حلم الملك ما خلا الآلهة الذين لا سكنى لهم مع البشر. فغضب الملك وحنق جداً وأمر باستئصال جميع حكماء بابل. وبوشر في تنفيذ أمر الملك، وطلب دانيال وأصحابه ليقتلوا. فسأل دانيال اريوك الذي سلطه الملك على تنفيذ القضاء لِمَ هذه القسوة من قبل الملك؟ فأعلمه بالأمر. فدخل دانيال على الملك وسأله أن يمهله زماناً فيعبر له حلمه فأمهله. فأعلم دانيال أصحابه حننيا وميشائيل وعزريا وعكفوا على الابتغال لله ليكشف لهم عن حلم الملك وتعبيره. فكشف السرّ لدانيال في رؤيا ليل. فبارك الله ومضى إلى اريوك فأدخله على الملك فقال دانيال إنَّ السرّ الذي

يسأل عنه الملك لا يستطيع الحكماء بيانه، لكن في السماء إلهاً يكشف الأسرار. وقد شاء أن يعلم بختنصر بما سوف يكون في آخر الأيام، وقصّ على الملك حلمه كما رآه وكما رويناه. وقال أما رأس التمثال الذي من ذهب فيعبر عنك أنت أيها الملك ملك الملوك الذي أتاك إله السماء الملك والقدرة والسلطان والمجد. وأما كون صدره وذراعيه من فضة فعبارة عن مملكة أخرى تكون بعدك أصغر منك. وكون بطنه وفخذه من نحاس فعبارة عن مملكة ثالثة من نحاس تتسلط على الأرض، وكون ساقيه من حديد عبارة عن مملكة رابعة تكون صلبة كالحديد لأنّ الحديد يسحق ويطحن كلّ شيء، وأما كون قدميه وأصابعه بعضها من حديد وبعضها من خنزف فإشارة إلى أنّ هذه المملكة يكون بعضها صلباً كالحديد. وبعضها قصفاً كالخنزف، وأما الحجر الذي انقطع من الجبل وسحق الحديد والنحاس والخنزف والفضة والذهب، فعبارة عن أن إله السماء سيقم في آخر أيام هذه الدول مملكة لا تزول إلى الأبد. والمراد بهذه الممالك دولة بختنصر وخلفائه، ثم دولة ملوك مادي وفارس، ثم دولة اليونان أي اسكندر الكبير وخلفائه، ثم دولة الرومانيين وتليها مملكة المسيح الأبدية. ولما سمع بختنصر كلام دانيال خزّ على وجهه ساجداً له وأعطاه هدايا عظيمة كثيرة، وسلّطه على جميع إقليم بابل وجعله رئيس الولاية على جميع حكماء بابل. وولّى شدرك وميشك وعبدنبو أصحاب دانيال على أعمال بابل وكان دانيال في باب الملك (دانيال ف ٢).

جاءت آثار الكلدانيين وما عُلم من عاداتهم مصداقاً لما جاء في سفر دانيال. فكان للأحلام عندهم وعند الآشوريين أهمية لا أقلّ من أهميتها عند المصريين. كما رأيت في أحلام فرعون ورئيس السقاة، ورئيس الخبازين التي عبرها يوسف، والبيّنات على صحة ذلك عند الكلدان أكثر من أن تورّد، فنجتزئ منها بما يأتي: قال ديودور الصقلي (ك ٢ ف ٢٩): « إنّ الكلدانيين كانوا يعتبرون الأحلام كالمعجزات، ويعبّرونها كالتنبؤات. وكان لهذا التعبير عندهم أصول وضوابط، كان العلم بها معدوداً من جملة علومهم » وقد وُجد في مكتبة آشور بانيبال التي كُشف عنها في نينوى كتاب في تعبير الأحلام انطوت صفحاته على كثير منها وعلى أحداث عديدة دلّت عليها، وقد نشر بعضهم ترجمة صفيحة منها فكان معناها «إذا رأى إنسان في الحلم ذكراً... أو رأى كأنّ جسم كلب... أو رأى كأنّ جسم دب وله أرجل حيوان آخر أو جسم كلي وله أرجل حيوان آخر، أو رأى كأنّ الاله

تنكستو يطلب ميتاً، ويؤسف على أنّ الصفيحة الخزفية محطمة لا يُعلم منها كيف يكون تعبير هذه الرؤيات. وكانت النساء في بابل يَمننَ في هيكَل زرنابيت إحدى معبودات الكلدان ليحلّمن أحلاماً يقصصنها على المنجمين فينبؤنهنّ بما سيكون لهنّ. وجاء في تاريخ آشور بانيال عن آثاره المسماة أنّ تيومان ملك عيلام سأله أن يسلم إليه بعض أمراء أسرته الذين كانوا تحالفوا عليه وفّروا إلى مملكة آشور فأبى آشور بانيال تسليمهم فأثار تيومان الحرب عليه. ولم يتشاءم بكسوف الشمس الذي حصل وقتئذٍ. ولجأ آشور بانيال إلى استار آلهة آشور ويستمدّ إسعافها فتقبلت صلاته وأعلمته أن لا يخشى سوءاً، وأفاضت السرور على قلبه. وحلم تلك الليلة أحد العرافين حلمًا كأنّ إستار تبتد له ويدها حرباً، وقد ركبت مركبة بهية وكأنها تقول لآشور بانيال: هلمّ إلى ماقدّام، فالجبال فسيح. فحارب تيومان وقهره (رواه لانرمان في كتابه العرافة عند الكلدان صفحة ١٣٧). وكلّ هذا مؤيد لأهمية الأحلام عند الكلدان كما روى دانيال.

ثم إنّ دانيال ذكر رتب الحكماء عند الكلدان وسماهم سحرة ومجوساً وعرافين. والكتب السحرية التي كشف عنها في مكتبة آشور بانيال جاءت مبيّنة رتب كل من هؤلاء ووسائل عرافته. (رواه لانرمان في كتابه المذكور صفحة ١٣). وذكر دانيال أيضاً رئيس الشرط وهو في الأصل «رب توبع حيا». وتأويله كبير المنتقمين أو منفذي القضاء بالقتل. وقد اكتشف سميت في نمرود صفيحة خزفية يمثل فيها أحد هؤلاء المنفذين وفي يمينه خنجر ويسراه على وتر قوس معلق على ظهره. وقد سمى دانيال هذا الرئيس اريوك فكأنه في الكلدانية **أومدا** (أريخا)، ومعناه الطويل وقد ورد هذا الاسم كثيراً في آثار بابل فهو علّم منقول عن الصفة. وقد أبانت هذه الآثار أيضاً أنّ باختنصر كان مولعاً بالتمثيل وهذا يظهر من إقامته التمثال الآتي ذكره، ومن أقوال المؤرخين القدماء أيضاً. وكان لجيران الكلدانيين مثل هذا الولوع في التماثيل. فقد روى آشور بانيال في إحدى أسطواناته أنه أخذ من جملة غنيمة من بلاد عيلام «إثنين وثلاثين تمثالاً» وإنّ بعضها كان من ذهب فكلّ هذه القرائن مؤيدة لما جاء في كلام دانيال.

تمثال بختنصر وطرح حننيا وميشائيل وعزريا في الآتون

جاء في سفر دانيال (فصل ٣) إن بختنصر الملك صنع تمثالاً من ذهب طوله ستون ذراعاً، وعرضه ست أذرع، ونصبه في بقعة دورا بإقليم بابل، ودعا الأقطاب (سادة القوم الذين يدور عليهم أمرهم) والولاة والحكام والقضاة والخزان والفقهاء والمفتين وسائر أمراء الأقاليم فأتوا لتدشين التمثال. وهتف مناد بصوت شديد قد أمرتم أيها الشعوب والأمم والألسنة بأنكم إذا سمعتم صوت القرن والأنبوب، والقيثار والونج والسنطير والمزمار وسائر أنواع المعازف، لزمكم أن تخروا ساجدين لتمثال الذهب الذي نصبه الملك. ومن لا يختر ساجداً فمن ساعته يلقى في آتون نار متقدة فكان كذلك. ولم يختر حننيا وميشائيل وعزريا للتمثال، فوشي بهم قوم من الكلدانيين قائلين للملك إن رجالاً من اليهود وليتهم على أعمال بابل وهم شدرك وميشك وعبدنجو، لم يعبأوا بأمرك ولم يسجدوا للتمثال الذي نصبته، فحنق الملك وأمر بإشخاصهم لديه وهددهم بأنه يلقيهم في آتون النار المتقدة إن لم يسجدوا للتمثال؛ فأجابوه لا نقدر أن نجاريك على هذا، وإلهنا الذي نعبد قادر على إنقاذنا من الآتون ومن يدك؛ وهبه لا ينقذنا فلا نسجد لتمثال الذهب.

فامتلاً بختنصر حنقاً وأمر أن يحتمى الآتون سبعة أضعاف، وأوثقوا شدرك وميشك وعبدنجو في سراويلاتهم وأقمصتهم، وأرديتهم وألقوهم في وسط آتون النار المتقدة، فقتل لهيب النار من ألقوهم. وكان عبيد الله يتمشون في وسط اللهب مسبحين ومصلين له. ولم يزل عبيد الملك يوقدون الآتون بالنفط والزفت والمشاقة والزرجون، حتى ارتفع لهيبه تسعاً وأربعين ذراعاً وانتشر، وأحرق من كان من الكلدانيين حوله، ونزل ملاك الرب وطرد لهيب النار عمن كانوا فيه، وجعل في وسط اللهب ريحاً فلم تمسهم النار ولم تزعجهم، فسبحوا الرب تسبيحتهم المثبتة في الفصل الثالث من سفر دانيال. واندھش بختنصر وقال لعظمائه: ألم نكن نلقي ثلاثة رجال في الآتون وهم موثوقون، فكيف أراهم أربعة يتمشون في وسط النار؟ ومنظر الرابع يشبه ابن إله واقترب من باب الآتون ما أمكن وناداهم أن اخرجوا وهلموا، فخرجوا، ورأى الملك وعظماؤه أنهم لم تمسهم مضرة النار، ولم تحترق شعرة من رؤوسهم ولا تغيرت سراويلاتهم فقال بختنصر تبارك الرب الذي أرسل

ملأكه وأنقذ من توكلوا عليه وغيروا كلمة الملك آمين. وأمر أن كل شعب أو أمة أو لسان تفوه بتجديف على إله شدرك وميشك وعبدنجو يُقطعون قطعاً وتجعل بيوتهم مزابل، فإنه ليس له آخر يستطيع أن ينجي هكذا، وأثبت شدرك وميشك وعبدنجو على أعمال بابل.

فهذا ما جاء في الكتاب ولا ذكر فيه لدانيال في هذه الحادثة، فيظهر أنه لم يشهد تدشين التمثال تعمداً أو لعذر، ولننظر بما تؤيده الآثار الكلدانية والآشورية؛ فقد مرّ أنفاً ذكر ولوع الكلدان والآشوريين بالتماثيل وقد كشف لايرد في نمرود عن تمثال آشور بانيال. ووجد هناك أيضاً تمثال للإله نبو وتمثال سلمناصر الثاني، وكل هذه التماثيل في المتحف البريطاني. هذا في بلاد آشور وأما في بلاد الكلدان فقد كشف سريك في أطلال تل نوح من سنة ١٨٧٦ م إلى سنة ١٨٨١ م عن عشرة تماثيل وهي الآن في متحف اللوفر في باريس. وكانت هذه التماثيل تدشن باحتفاء في بلاد الكلدان فتحمل على مناكب الكهنة يحرق بهم ألوف مؤلفة من الشعب، وكانوا يدشنونها في أيام الأعياد فقد وجدت صفيحة لبختنصر كُتب عليها: «أنا أخذت كثيراً من كنوز البلاد جعلتها حول المدينة كزينة لها يوم رُفع هناك الأمير الألهي إله السماء والأرض الرب الإله في عيد ليلموكو في رأس السنة في اليوم الثامن والحادي عشر، ويحمل بصنوف التبجيل تمثال ايلو (أو عليو العلي) جمال العالم وتُطرح الكنوز أمامه» وقد اعتاد الكلدان عمل تماثيل ثمينة وكبيرة. فروى ديودو الصقلي (ك ٢ ف ٩) إنه كان في أحد أهرام بابل ثلاثة تماثيل من ذهب مع مذابحها وتوابعها. وكان فيها من الذهب ٥٨٥٠ وزنة وهي عبارة عن مئة وثلاثة وأربعين ألف وخمس مئة وتسعة وخمسين كيلوغرام؛ قيمتها من نقود أيامنا أربع مئة وثلاثون مليوناً وست مئة ألف وسبعة وسبعون ألف فرنك. وقد وُجد في مكتبة آشور بانيال لوح هو الآن في المتحف البريطاني كُتبت عليه شكاية للملك بسرقة مقدار من الذهب المعد لصنع تماثيل.

واليك ترجمة هذه الشكوى: إلى مولاي الملك من عبده عبدنبو السلام للملك مولاي، ولينح آشور وشمش وبعل وزربانيت ونبو وتسميت وإستار نينوى وإستار اربل الآلهة المقتدرون مئة عام من العمر لمولاي الملك ويزيد في ارتقائه ورفاهه ورفاه بنيه، إنَّ الذهب الذي دفعه إليَّ المستشار المقرَّب ورئيس القصر في شهر تشرين وقدره ثلاث وزنات ذهب خالص وأربع وزنات ذهب خالص قد وقع في يد رب

دانيئو (لقب لأحد العمال)؛ وهو مُعد لعمل تمثال الملك وأمه ولم يدفع إلى العملة، فليصدر أمر مولاي الملك إلى المستشار المقرب ورئيس القصر أن يسترّد الذهب ويدفعاه من الآن إلى شهر إلى الجند وأن يدققا في الأمر». (رواه لانرمان في كتابه الموسوم بالعرفاء عن الكلدان صفحة ١٩٢) فسبع وزنات من ذهب قيمتها ٦٣٦٣٠٠ فرنك. وكُشف عن لوح آخر كُتب عليه أن آشور صرف أربع وزنات ذهب لصنع صورتي مروداخ وزربانيت مع ملابس ذهبية لهما ورصّعها بحجارة ثمينة، وقيمة السبع الوزنات من ذهب ٣٦٣٦٠٠ فرنك. فبختنصر أخذ من مصر وسورية من الذهب ما لا يعده عادّ وشهد باروز (فقرة ٤ من تاريخ اليونان) إنه بذل أكثره في تجميل المعابد. فلا عجب إذاً من صنعه تمثالاً من ذهب طوله ستون ذراعاً، وعرضه ست أذرع. هذا ولا يلزم منه أن يكون التمثال برمتة من ذهب بل يُحتمل أن كان من خزف مغشّى بصفائح من ذهب فلا وجه للتكذيب بآيات الكتاب.

وأما دورا حيث أقيم التمثال فتسمى إلى اليوم بهذا الاسم، وهي على ثمانية كيلومترات في الجنوب الشرقي من بابل، فهناك أكتات تسمى تلؤل دورا ومنها تل يُعرف بالتل المخطط وهو مُشرف على الجهات الأربع. وفي أعلاه أطلال من الأجر، وكل من زاره حمل على الظنّ أنه هناك أقام بختنصر التمثال الذي ذكره دانيال. هذا ما قاله اوبر واختتم كلامه (في كتابه الموسوم بالبعث إلى ما بين النهرين مجلد ١ صفحة ٢٣٩) قائلاً: «إنّ المبعوثين من افرنسة إلى ما بين النهرين إن لم يكونوا وجدوا تمثال بختنصر الذهبي (وقد شاع بين أهل تلك البلاد أنهم وجدوه) فلا أقلّ من أن يكون قد تيسّر لهم تعيين محل نصبه».

إنّ الآثار الكلدانية تؤيد ما جاء في سفر دانيال من وجه آخر، وهو أنّ آلات الطرب والموسيقى التي ذكرها دانيال نجد صورها أو ذكرها في الآثار البابلية. وقد عدّ النبي ستاً منها وهي: «القرن والأنبوب والقيثار والونج والسنطير والمزمار». فالقرن Trompette ترى صورته على إحدى صوّر سنحاريب ذكرها لايرد (في آثار نينوى صفحة ١٥) وهي في المتحف البريطاني، وهو مستقيم وأشبه بالقرن الروماني المصوّر على عمود تريانوس في روما. والأنبوب Flute نجد صورته في كثير من الآثار الكلدانية ولا سيما في الصورة التي ذكرها لايرد (في كتابه في بابل ونينوى صفحة ٤٥٥): وكان مضاعفاً عند الكلدان كما كان عند اليونان والرومانيين. ثم القيثار

(Cithare ou Harpe) نرى صورته في آثار آشور القديمة وكانت أوتارته ثمانية إلى عشرة ونراه في الصور المتأخرة ذا سبعة عشر وترًا.

ومن صوره الصورة التي وجدها سرسك في تل نوح تمثل موسيقياً يضرب يمينه قيثاراً ذا أحد عشر وترًا يحمله يسراه. والونج (Sambuca) نوع آخر من القيثار على الأرجح ولم يكن فيه إلا أربعة أوتار ولا يؤدي إلا الأصوات الممدودة، وتجد هيئته في الآثار الكلدانية. والسنتير (Psalterion) آلة ذات عشرة أوتار وكان يُسقط على صندوق مجوّف مثقوب ثقوباً عديدة وترى هيئته في صورة لآشور بانيبال ذكرها لايرد (في كتابه في نينوى وبابل صفحة ٤٥٤). وأما المزمار (Symphonie) فيختلف في هيئته. وقال بعضهم إنه نوع من الأرغن، والآثار الكلدانية ترى فيها صور آلات طرب أخرى فقد تكون إحداها المزمار ومنها الدفوف والطبول والطنبور وهي المشار إليها في قول النبي: «وسائر أنواع المعازف» وما أحسن ما قاله لانرمان (في كتابه في العرافة عند الكلدان صفحة ١٩٠) إنَّ يهودياً عائشاً في فلسطين لم يكن يمكنه أن يعرف بعد أربع مئة سنة (كما يزعم الجاحدون ناسبين سفر دانيال إلى رجل يهودي كتبه بعد أربع مئة سنة من أيام دانيال) جميع عادات البابليين وقرائن حالهم وآلات طربهم كما ذكرها دانيال.

إنَّ الآثار الكلدانية تؤيد مقال دانيال بقرائن أخرى منها أنَّ إجلال الكلدانيين لا سيما يختصر لآلهتهم وتمثيلها كان بالغاً حدّ الغلو. ونرى خطوطاً يختصر مفعمة بعبارات التجلة لتمثيلها ومعابدها ومؤذنة بأنه كان يقدم لها نفائس مقتناه وأثمن غنائمه. وما رأيك فيه وقد أقلَّ جهازاً رجال عبرانيون رقاهم هو مناصب رفيعة من إكرام التمثال الذي صنعه، ووشى بهم علانية على مسامع اراكنة دولته وأقطابها. ولدى إستجوابهم صرّحوا دون هيبة ولا حياء أنهم لا يكرّمون تمثاله، ولو لقوا أمرّ العذاب. فلا جرم أنَّ كلَّ ذلك كان حاملاً له على أن يميّتهم شرّ الميثات. ومنها أنَّ عذاب الطرح في النار كان مستفاضاً عندهم وأتت آثار كثيرة بإثباته. فقد روى سميت في تاريخ آشور بانيبال أنه كتب على الأسطوانة الثانية في العمود ال ٦ ما ترجمته: «إنَّ دونان ونيبوزالي والي كميل فاها بشتائم فظيعة لآلهتي فقطعت لسانيهما في اربل... ودونان طُرح في أتون في نينوى وأحرق برمته». وقد عامل بمثل هذا العقاب أخاه سماسوموقين، إذ ألقاه في أتون النار في بابل لثورته عليه، فكانت العصاوة على الملوك تعاقب عقاب العصاوة على الآلهة. فقد كتب في

الاسطوانة الأولى العمود ال ٤: «إنَّ سماسوموقين أخي الذي عصاني وحاربنني ألقوه في أجيج النار المتقدة وانتزعوا حياته». وقد وُجدت صورة نائمة على أحد أبواب قصر في بلوات (في ما بين النهرين) تمثل هيئة هذه الأتاتين وكانت مقسومة إلى طبقتين لكلٍّ منها، ثلاث نوافذ ينبعث اللهب منها ويرى من أعلى الأتون وجوانبه نحو اثني عشر رأساً من المقضي عليهم بهذا التبريح. وقد استمرت في بلاد فارس عادة إحراق المجرمين في الأتون إلى عصر غير بعيد. فقد شهد سردان في رحلته في بلاد فارس سنة ١٦٦٢ م (طبع كتاب هذه الرحلة في امستردام سنة ١٧٣٥م) إنه حصلت مجاعة في بلاد فارس. فأضرم والي أصفهان أتونين فيها مدة شهر متهدداً تجار الحنطة بأنه يلقي فيهما من يغتنم فرصة المجاعة لبيع القوت بثمن فاحش، لكنه لم يلقَ أحداً فيهما لأنَّ هذا العقاب أرعب تجار الحبوب. وعليه فطرح المجرمين في النار كان مستطرقاً عند الكلدان ولم يكن منه شيء في فلسطين إلى أيام المكابيين. فإننا نرى العازر الشيخ والأخوة السبعة المكابيين لم يلقوا في النار بل عُذبوا بعدابات أخرى (مكابيين ٢ فصل ٦ و ٧)، وهذا يفند زعم من قالوا إنَّ سفر دانيال كُتب في أيام المكابيين ولم يكتبه دانيال في بابل.

عد ٣٤٧

الحلم الثاني لبختنصر وجنونه وتعبير دانيال حلمه

أنبأنا دانيال أن بختنصر بعد نجاة الشبان العبرانيين من لهيب الأتون، كتب منشوراً إلى جميع شعوب مملكته افتتحه بإعلان الآيات التي صنعها إليه الإله العلي قائلاً: «إنَّ ملكوته ملكوت أبدي وسلطانه إلى جيلٍ فجيل؛ وأخذ يقصّ حلماً احتمله فقال إنه بينما كان مطمئناً في بيته خصبياً في قصره، رأى حلماً أفزعه وأقلقته، فدعا حكماء بابل وسحرتها ومجوسها. ودخل عليه دانيال أخيراً فقصّ عليه حلمه قائلاً: رأيت كأنَّ شجرة في وسط الأرض مرتفعة جداً بلغ إرتفاعها إلى السماء، ومنظرها إلى أقصى الأرض وأوراقها بهية، وثمرها كثير شهوي، وفيها غذاء للجميع، وتحتها تستظل وحوش الصحراء، وفي أغصانها تسكن طيور السماء. وإذا بساهر^(١) قديس نزل من السماء، وهتف بصوتٍ شديد أن اقطعوا الشجرة واقضبوا أغصانها.

(١) كان الكلمة في السريانية دنا (عبرو) ومعناها الساهر والملاك لانه يسهر على تسييح الله.

وانفضوا أوراقها. وانتروا ثمارها لتشرذ الوحوش من تحتها والطيور من أغصانها. واتركوا أصل عروقتها في الأرض وليوثق بالحديد والنحاس في خضر الصحراء وليبتل بندى السماء وليكن نصيبه مع وحوش الأرض. وليتحول قلبه عن البشرية ويُعط قلب وحش ولتمرّ عليه سبعة أزمنة.

هذا هو الحلم الذي رآه، وقال عبّره لي يا بلشصر. فإنّ جميع حكماء مملكتي لا يستطيعون تعبيره وأنت قادر عليه لأنّ فيك روح الآلهة القديسين. فبُهِت دانيال الذي سماه بلشصر ساعةً مخافة أن يحتدم عليه الملك غيظاً لإنذاره بما سيحلُّ به. وألحَّ عليه فقال إنّ الشجرة التي رأيها أيها الملك إنما هي عبارة عنك إذ تناهت قوتك وعظمتك، وامتدَّ سلطانك إلى أقصى الأرض. والساھر الذي نزل من السماء يراد به القضاء العلوي الذي صدر عليك بأن يكون سكنك مع وحوش الصحراء. وتفتدي بالعشب كالثيران، وتبتل بندى السماء، وتستمر على هذه الحال سبعة أزمنة إلى أن تعلم أنّ العلي يتسلط على ملك البشر، ويجعل له من يشاء. وأما بترك أصل الشجرة فعبارة عن أن ملكك يبقى لك بعد أن تعلم أن السلطان للسموات. ولتحسن مشورتني لديك بأن تفتدي خطاياك بالصدقة وآثامك بالرحمة للبائسين. وبعد إنقضاء سنة كان بختنصر يتمشى على قصر مملكته، فقال متكبراً أليست هذه بابل العظمى التي بنيتها أنا بقوة عزتي وبهاء مجدي؟ فإذا بصوت من السماء يقول له أن قد زال الملك عنك ويعيد عليه ما رآه في حلمه، فأضاع رشده وفارق الناس. وأكل العشب كالثيران وابتل جسمه بالندى وطال شعره كريش النور، وأظفاره كخالب الطيور. وبعد انقضاء الأيام قال أنا بختنصر رفعت عيني إلى السماء فتاب إليّ عقلي وباركت العلي وسبحت، وعظمتُ الحي إلى الأبد، وطلبتني مشيري وعظمائي، وتقررت في ملكي، وازددت عظمة فأسبح وأعظم ملك السماء الذي جميع أعماله حقّ وسبله عدل، ومن سلك بالكبرياء فهو قادر على خفضه.

فهذا ما جاء في الكتاب. وأما السبعة الأزمنة فقال يوسيفوس أنّ المراد بها سبع سنين وتابعه على قوله كثير من المفسرين. ولكن قال لانرمان (مجلد ٦ من تاريخه الشرقي) إنها سبعة أشهر وهذا أطبق لما جاء في الآثار البابلية التي تؤخذ منها قرائن عديدة مؤيدة ما جاء في كلام دانيال. منها أنّ اعتبارهم للأحلام كان مزيداً وقد مرّ ذكره، وإنه كان من عادتهم أن يُصدروا مناشير لشعبهم بذكر الآله العلي، وتدلُّ على ذلك آثار كثيرة وكلام بختنصر في منشوره الذي ذكره دانيال في تعظيمه

الإله العلي أشبه بكثير من خطوطه التي يعظم فيها مروداخ وغيره من آلهته. ففي أثره المعروف بالكتابة الكبرى سمي مروداخ «الرب العظيم الرب الجواد رئيس آلهة العلي بل الأعلى الذي يمنح الملك ويعني بنجاحه» إلى أن يقول في بابل: «ولم أرفع مدينة في كل البلاد كما رفعت مدينتك بابل أمام جميع الناس إجلالاً للاهوتك». فما ذكره دانيال ينطبق خير انطباق على عاداتهم. والذي يوقف عنده إنما هو أن ينشر الملك على شعبه أمراً مذكراً له لكن بختنصر كان على كبريائه يعظم فضل الآلهة وإحسانهم إليه، وكان له فخر بعناية الآلهة بصحته أكثر من سائر الناس. وقد كُتب هذا المنشور بعد إبلاله من مرضه. ولا غرو أن شعبه علم بمصابه فكان له أن يذيعه متفاخراً بشفاء الآلهة له: والعبارات التي يظهر منها ذلك وجنونه واقباته بالعشب ليست من كلامه بل من كلام دانيال معترضة بين كلام الملك بدليل أنها وردت بضمير الغيبة لا بضمير المتكلم، وهي من عد ٢٥ إلى ٣١ من الفصل الرابع. ثم يعود كلام الملك حيث يقول: «وبعد إنقضاء الأيام أنا نبوكدنصر رفعت عيني إلى السماء» الخ.

إن لنا في الآثار البابلية قرينة تؤيد مقال دانيال في جنون بختنصر وتيسر حل معضلة في تاريخ بابل. فقد جاء في أحد هذه الآثار أن نركليصور صهر بختنصر وثاني خلف له يسمي أباه بلسوم إسكون في خطوطه الرسمية ملك بابل، وليس في جريدة ملوك بابل هذا الاسم، ولا يمكن تعيين وقت الملك، ولا يُقدَّر أنه زاحم بختنصر مع سطوته وعزه، فلا يمكن إذاً أن يكون ملكاً على بابل إلا في مدة جنون بختنصر أي أنه كان رئيس اللجنة المدبرة الملك في تلك المدة فسماه ابنه ملكاً. وقد جاء في أحد خطوط بختنصر «إن حالة مملكتي... لم تسر قلبي ففي كل مملكتي لم أبن محلاً حصيناً ورفيعاً، ولم أحشد كنوز مملكتي الثمينة ولم أنشئ في بابل أبنية لنفسي وكرامة اسمي. ولم أقدم ضحايا لمروداخ سيدي ومسرة قلبي، ولم انظف القنوات والترع». ولم يذكر ما منعه من ذلك كله ولا يظهر له وجه إلا من قبل الداء الذي اعتراه. وقد كُشف من أمد قريب عن عتبة باب من نحاس يتلخص مما كُتب عليها إن بختنصر قدّمها نذراً لهيكل بورسيبا العظيم، لأنه أصيب بمرض وعادت إليه عافيته.

إن الداء الذي أصاب بختنصر هو الذي يسميه الأطباء ليكانثروبي (Lycanthropie) فهذا المرض يخيل لمن أصيب به أنه استحال ذئباً أو حيواناً

آخر، فينكف عن الكلام ويمتنع عن القوت المعتاد ويقنات بالعشب كالبهيم. ويأنف أحياناً أن ينتصب فيمشي على يديه ورجليه. ويحب أن يختفي نهاراً ويخرج ليلاً. وقد حَقَّق مشاهير من الأطباء منهم بريار دي بواسمون: (Brierre De Boismont) : «لأنَّ هذا الداء معروف من أقدم أيام الوثنية وكان المصابون به يُخيَّل لهم أنهم استجَالوا إلى ذئاب. ويظهر من كتب هيروdot أن هذا الداء كان فاشياً يصاب به كثيرون. وروى القديس اغوستينوس ان بعض النساء في إيطاليا كنَّ يتوهمنَّ أَنهنَّ استحلنَّ إلى أفراس. وقد فشا هذا الداء في أوروبا في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، فكان من اعتراهم يغادرون منازلهم ويتوغلون في الغابات، فتنمو أظفارهم. ويطول شعرهم، وتتصل الوحشية فيهم إلى أن يفترسوا أطفالاً». فبختنصر أصابه هذا المرض مع أعراضه المار ذكرها ثم شُفي منه. وقد حَقَّق الأطباء أنه لا يستحيل البرء من هذا الداء. فكتب منشوره المذكور إقراراً بفضل إله دانيال وتبجيلاً له، ولكن لا يفهم منه أنه ترك الوثنية واعتقد بوحداية الله، ولم يعيش بعد برئه طويلاً لأنه توفي في بابل سنة ٥٦١ ق. م بعد أن ملك أربعاً وأربعين سنة وأتمَّ من العمر نحواً من ثمانين سنة.

عد ٣٤٨

بلشصر ملك بابل وتعبير دانيال رؤياه

لما كان غرض دانيال أن يدوّن أخبار عناية الله وآياته لم يتعرّض لذكر وفاة بختنصر وأخبار خلفائه. بل انتقل إلى ذكر الوليمة التي صنعها بلشصر ملك بابل لألف من عظمائه، وإنه أتى بالآنية الذهبية والفضية التي أخذت من هيكل أورشليم، ليشربوا الخمر بها. ويسبّحوا الهة الذهب والفضة والنحاس والحديد، والخشب التي يعبدونها؛ وإنه رأى أصابع يد إنسان كتبت تجاه المصباح على حائط قصره كلمات لم يُعلم المراد بها. فتغيرت سحتته وقلقت أفكاره. واستدعى المجوس والكلدانيين والمنجمين، وقال لهم من قرأ هذه الكتابة وعبرها ألبيسته الأرجوان وقلدت عنقه بطوق من ذهب وجعلته الثالث في المملكة. فلم يستطع حكماء بابل أن يقرأوا الكتابة أو يعبروها، ودخلت الملكة، والأظهر أنها أم الملك، غرفة الشراب، وأشارت أن يُستدعى دانيال لأنَّ فيه روح الآلهة القدوسين. وقصّت على الملك ما كان لبختنصر (وسمته أباه)، وتعبير دانيال حلمه فأدخلوا دانيال أمام الملك ووعدوه

بما وعد به مجوسه إن أنبأه بالكتابة وتعبيرها فقال دانيال للملك: لتكن عطايك لك وجوازك لغيري. وأخذ يخبره بعظمة بختنصر مسمى إياه أباه وبما أصابه لتجبره. وقال وأنت أيها الملك مع علمك بكل ذلك ترفعت على رب السماء، وأتيت بآية بيته وشربت بها خمرأ أنت وعظماؤك، ونساؤك وسرايرك، ولذلك أرسلت من لدنه كف تلك اليد فكُتبت: «منا منا ثقل وفرسين» وهذا معناها منا أي أحصى الله ملكك وأنهاه. ثقل أي وُزنت بالميزان فوجدت ناقصاً. فرس (أو فرش) وفرسين أي قُسمت مملكتك ودُفعت إلى ماداي وفارس. فأمر الملك حينئذ فألْبَسُوا دانيال الأرجوان وقلدوا عنقه بطوق من ذهب. ونودي بأنه الثالث في سلطان المملكة. وفي تلك الليلة قُتل بلشصر (دانيال فصل ٥).

لم يذكر المؤرخون القدماء بلشصر بين ملوك الكلدان، ودانيال سماه ملكاً وابن بختنصر. فنذرع الملاحدون بذلك للتكذيب بمقال دانيال والتنديد به. فجاءت الاكتشافات الحديثة تفنّد زعمهم وتفضح كذبهم. فقد كُشف في سنة ١٨٧٩م في بابل عن صفيحة من خزف هي الآن في المتحف البريطاني، كُتبت عليها أخبار مهمة سنأتي على ذكرها ومنها ما جاء في عمودها الثاني: «في السنة السابعة كان الملك (نابونيد) في مدينة تافا وابن الملك بلشوروصر (بلشصر) مع القادة والجنود في أكد (بابل) والملك لم يذهب إلى بابل». فإذاً كان بلشصر ملكاً ولا أقل من أن يكون نائباً عن الملك أبيه، فحقّ لدانيال أن يسميه ملكاً كما سمي بختنصر ملكاً في حياة أبيه (دانيال فصل ١ عد ١). وذكر لانرمان في تاريخه القديم للمشرق (مجلد ٤ صفحة ٤٣١ طبعة ٩) صفيحة أخرى كتب نابونيد عليها أنه: «يسأل الآلهة حنونيت العون لنفسه ولابنه البكر بلشوروصر (بلشصر)». وفي الكتاب إشارة إلى أن الملك وابنه كانا شريكين في الملك، فإنه قال لدانيال أنه يكون الثالث في المملكة لأنّ الملك هو الأول وابنه هو الثاني ويكون دانيال الثالث. وروى فيكورو (في الكتاب والإكتشافات الحديثة مجلد ٤ صفحة ٥١٣) أنه كُشف عن أربع صفائح في مغاور مدينة اور وهي الآن في المتحف البريطاني؛ كتب نابونيد على إحداها متوسلاً إلى الإله سين أي القمر: «أنا نابونيد ملك بابل احفظني بمخافة لاهوتك العظيم وأطل أيامي وأيام بلشوروصر (بلشصر) ابني البكر الذي ولدته». وأيضاً قد وُجدت سنة ١٨٧٦ م في ضواحي بابل ألواح كُتبت عليها صكوك عقود لأسرة شريفة تسمى أجيبني يتحصّل منها فوائد عديدة في تواريخ بابل في

مدة مئة وست وتسعين سنة. وفي المتحف البريطاني الآن منها نحو ألفين وخمسة مئة صك. ومنها صك مؤرخ في ٢٣ كيسلاوفي السنة الثالثة لمروдах شوروصر مبيع مبيع قطعة أرض معدة لزراع الحبوب، واسم البائع أحي ايتاسي بن نبو ملك؛ واسم الشاري ايدينا مروдах شريك بيت اجيبي. فالملك مروдах شوروصر ليس هو إلا بلشوروصر (بلشصر) لأن معنى الأول مروдах يحفظ الملك، ومعنى الثاني بال يحفظ الملك فلا فرق بينهما إلا باسم الإله. ومروдах وبال كانا واحداً عندهم، حتى أن هكل مروдах في بابل كان يسمى أيضاً هكل بال. وقد رأينا لكثير من ملوك آشور اسمين لاختلاف اسم الإله. فأشور بانيال يسمى أيضاً سين بانيال لأن آشور وسين (القصر) إلهان. فلا امتراء إذاً في أن بلشصر من ملوك بابل وهو الأخير منهم كما سيجيء. وقد سماه دانيال ابن بختنصر لأنه ابن بنته أو على سبيل تسمية الخلف باسم مشاهير السلف؛ كما سمي الكتاب كثيراً من ملوك يهوذا يابن داود، وكما سُمّت الآثار المسمارية ياهو يابن عمري وليس هو ابنه كما مرّ.

عد ٣٤٩

باقي ملوك بابل إلى انقراض دولتهم

قد مرّ أن دانيال أوجز كلامه في أخبار ملوك بابل بعد بختنصر، ولم يتعرض إلا لذكر بلشصر الأخير منهم لينبئ بما كان له من قبل الله كما رأيت في العدد السابق. فنورد هنا ما أبانته الآثار المسمارية وما رواه المؤرخون القدماء من أخبارهم توفيراً للفوائد ولإدراك ما يأتي حق إداركه. فقد خلف بختنصر ابنه اويل مروداك الذي جاء ذكره في سفر الملوك الرابع (فصل ٢٥)، وإنه أطلق يوياكين ملك يهوذا من السجن وأكرم مثواه كما مرّ. وهذا لم يملك إلا سنتين على ما جاء في قانون بتولماس، وعلى ما روى باروز (فقرة ١٤ من فقرات تواريخ اليونان)؛ وبين صكوك أسرة اجيبي المار ذكرها صكوك دالة على سني بختنصر كلها إلى الثالثة والأربعين منها، وآخر صك اشتمل على اسم بختنصر كُتب في شهر نيسان سنة ٤٣ لبختنصر؛ ويليهِ صك أرخ في تشرين الشهر السابع جاء فيه اسم اويل مروداك (أو مروдах). ويتبين من باقي الصكوك أن اويل مروداك استمرّ على منصّة الملك إلى الشهر الخامس وهو آب في السنة التالية وهي سنة ٥٦٠ أو سنة ٥٥٩ ق.م وتل عرشه نركليسور. وأول صك من الصكوك المذكورة كُتب اسمه فيه مؤرخ في

الثامن من تشرين الثاني من السنة المار ذكرها وحروف اسمه في الخطوط المسمارية «نركال سار أو سور». وتأويله نركال (الإله) يحفظ الملك، وهو ابن بلسوم اسكون الذي كان مديراً مملكة بابل في مدة جنون بختنصر كما مر وكان هذا الملك متزوجاً بابنة لبختنصر، واستمر ضابطاً صولجان الملك ثلاث سنين من سنة ٥٥٩ إلى سنة ٥٥٦ ق.م. وبنى قصراً حديثاً في غربي بابل وقد كشف عن صفائح خزفية كُتِبَ عليها بيان ما جمَل به بابل من الأبنية. ويظهر من كتب المؤرخين اليونان إنه قُتِلَ في وقعة حرب مع قورش والفرس، وخلفه ابنه لابوسوراكوس وكان حدث السن ولم يتسلَّم منصة الملك إلا شهراً، وثار عليه رؤساء العصبة الكلدانية فثَلُّوا عرشه، وأقاموا أحدهم ملكاً وهو نابونيد ولم يكن من سلالة بختنصر. على أنه بعد ارتقائه منصّة الملك تزوج بابنة لبختنصر، وهي إما أرملة سالفه أو أخت لها ليكون له حقّ في الملك وتحازبه العصبة الملكية. وكانت حينئذٍ شؤون ذي بال في جوار بلاد الكلدان، فإنّ قورش ملك الفرس انتصر على حميه إستياج ملك الماديين وضبط البلاد المحدقة بمملكة الكلدان شمالاً وشرقاً. وانتقل فيها من الماديين إلى الفرس.

وسوّلت لقوروش نفسه أن يملك آسيا الصغرى. فأرسل ملك ليديا (محل ولاية ازميز الآن) وفداً إلى نابونيد ملك بابل طالباً عقد عهدة دفاع وهجوم بينهما تفادياً من إضاعة استقلالهما. فلبّى نابونيد دعوته ووقّعا على العهدة وأخذ نابونيد في تحصين بابل وأقام سداً منيعاً للفرات ليحوّل مياهه عن المدينة كيلا يعبر به إليها المحاصرون. هذا ما رواه باروز في تاريخ الكلدان وهيرودت أبو التاريخ. وقلّ ما كنا نعلم من تاريخ نابونيد. إلى أنه في سنة ١٨٧٩ م عُثِرَ على صفيحة خزفية هي الآن في المتحف البريطاني دُونَت فيها أخبار مهمة في تاريخ تلك الأيام، على أنّ بعضها محطّم. وإليك ملخّص الباقي منها: «إنّ عصبة الشرفاء في بابل كانت تمقت نابونيد لعنايته بتجديد العبادات والمعابد القديمة خلافاً لما كانت العصبة تؤثّر من العبادات الحديثة. وعظم الشقاق حتى اضطّرّ الملك أن يغادر عرشه ويعتزل في مدينة تسمى يافا، غير مبالي بما يكون من الأحداث فهُجرت المعابد. وكان يتراءى لأهل بابل أنّ الآلهة تركت هذه المدينة المقدسة فكانوا يقدمون لها الضحايا إسترضاءً لها وهي صمّاء عن صراخ الكهنة. وفي السنة التاسعة للملك نابونيد دنت عساكر قورش من بابل واستمرّ نابونيد مصرّاً على عزلته... واضطرّ ابن الملك المسمى بلشوروصر

(بلشصر) بما أنه نائب الملك أن يحشد عسكرياً ويقوده للمحافظة على تخوم البلاد، وأخيراً عزم الملك أن يغادر عزلته وجيش جنوده فانكسرت. فزاد مقت الجنود والشعب للملك فيشر ذلك للعدو أن يفتتح مدينة سيبارا التي كان الملك فيها، فانهزم من وجه أعدائه، فقبض عليه أحد قادة جيش قورش وأخذه أسيراً، وانكسر الجيش الذي كان يقوده ابن الملك والذي كان يدافع عن بابل، فزحف قورش بجحافلها إليها ودخلها دون حرب».

ولم تبنينا هذه الصفيحة كيف دخل قورش بابل دون حرب ولا متى دخلها ولكن أتحفنا هيرودت (ك ١ ف ١٩٠) بهذه الأخبار فقال: إن قورش استمر زمناً طويلاً محاصراً بابل، فلم يتسنى له فتحها لمناعة أسوارها، وكاد يئأس من فتحها عنوة فعمد إلى الحيلة وصعد على مجرى الفرات إلى محل بعيد تاركاً وراءه فصائل من جنده تحمي طريقه واحتفر قنوات حوّل إليها مياه النهر عن الجري في المدينة ليتمكن جنوده من العبور به، وأوقع نهاية الحفر في يوم عيد كان يعلم أن أهل بابل يعكفون فيه على السكر والطرب والملاذ وأمر عسكريه بالهجوم على المدينة ليلاً. فدخلوها آمنين وقتلوا كثيرين من أهلها وبلشصر ملكها كما قال دانيال. وثمت بذلك نبوءة ارميا (فصل ١٥ عد ٣٩) الذي قال في بابل إن الرب «يجفف بحرها» وأنه «عند توهجهم أجعل لهم شراباً وأسكرهم كي يمرحوا ثم يناموا نوماً أبدياً فلا يستطيعون يقول الرب وأنزلهم كالحملان إلى الذبح وكالكباش مع التيوس».

عد ٣٥٠

طرح دانيال في جب الأسد

قال دانيال بعد اخباره بمقتل بلشصر: «فأخذ الملك داريوس المادي وهو ابن إثنين وستين سنة» (فصل ٥ عد ٣١). وقد توفرت الأقوال في من هو داريوس المادي والمعلوم أن قورش هو الذي أخذ ملك بابل. وقال بعضهم منهم لانرمان (في تاريخه القديم للمشرق. مجلد ٤ صفحة ٤٣٨ طبعة ٩) ما ملخصه: «إن النص الذي بقي لنا من سفر دانيال كان مكتوباً بالسريانية الكلدانية، وقد خطّه في نحو القرن الثالث قبل الميلاد كاتب يجهل التاريخ فأسقط منه بعض آيات وشوش أعلام بعض ملوك بابل تشويشاً ظاهراً. وكتب القدماء طافحة بمثل هذا التشويش، وروى

يوسيفوس (ك ١٠ من تاريخ اليهود فصل ١١) إنّ اليونان كانوا يسمون داريوس هذا إسماءً آخر ولا مراء في أنه كان مادياً إذ لا محلّ لخطأ الكاتب في اسم قبيلة يعلمها الجميع كما يخطأ في العلم الشخصي». وقال اوبر (في كتابه الموسوم بشعب الماديين ولغتهم صفحة ١٦٧) إنّ داريوس هذا كان قائداً في جيش قورش فولاه على بابل بعد افتتاحها. وجاء في المجلة الموسومة بالتمدن الكاثوليكي (في نشرتها المؤرختين في ١٦ شباط و ١٥ آذار سنة ١٨٨٤ م) إنّ داريوس هذا هو شيأكسر بن استياج ملك مادي. وقال بعضهم إنه اوغارو الذي قيل في الصفيحة المار ذكرها: «إنّ قورش نصبه حاكماً في بابل». وكان له السلطان الملكي فيها ورجّح ذلك لانرمان (في كتابه العرافة عند الكلدان صفحة ١٨١) بقوله إنّ قورش لم يكن يصف نفسه في الخطوط المسمارية بملك بابل إلا بعد ثلاث سنين من فتح هذه المدينة وكان قبلها يسمى نفسه ملك القبائل.

وأياً كان داريوس هذا فقد أنبانا دانيال (فصل ٦) إنه نؤله مزيد الاعزاز ورفع مكانته حتى جعله أحد ثلاثة وزراء أقامهم على مئة وعشرين قطباً، عهد إليهم بتدبير المملكة. وكان في عزم الملك أن يقيمه على المملكة كلّها فحسده الوزراء والأقطاب والتمسوا عليه علّة ليخفف الملك مقامه. ولم يجدوا فزينوا للملك أن يقطع أمراً مبرماً بأنّ كلّ من يسأل سؤالاً من إله أو إنسان غير الملك مدة ثلاثين يوماً يلقى في جبّ الأسد. فأذاع الملك هذا الأمر وكان دانيال معتاداً أن يصليّ لله جاثياً على ركبتيه ثلاثاً في النهار تجاه كوة في غرفته مفتوحة إلى أورشليم واستمرّ على عادته، فوشي به حساده إلى الملك بأنه لم يعبأ بأمره. وألحوا بتنفيذ الأمر بطرحه في جبّ الأسد. فأغتنم الملك وهمّ بانقاد دانيال. النهار كلّهُ فلم يتيسّر له تخليصه. فأذعن مكرهاً، والقوا دانيال في الجبّ ووضعوا على فمه حجراً ختموه بخاتم الملك وبات الملك صائماً قلقاً، وشرّد النوم عنه، وبكر في الغداة إلى الجبّ ونادى بصوت حزين يا دانيال عبدالله الحي لعلّ إلهك الذي أنت مواظب على عبادته أنقذك من الأسود. فأجابه دانيال حييت أيها الملك إلى الأبد، إنّ إلهي أرسل ملاكه فسدّ أفواه الأسود فلم تؤذني. ففرح الملك به فرحاً عظيماً وأمر أن يخرجوه من الجبّ وأن يلقوا فيه من وشوا به وبنهيم ونساءهم؛ فلم ييلقوا أرض الجبّ، حتى بطشت الأسود وسحقت عظامهم. وأذاع داريوس منشوراً في كلّ مملكته أن يهابوا ويرهبوا وجه إله دانيال لأنه الإله الحي القويم إلى الأبد الصانع الآيات في

السموات والأرض. «وكان دانيال ناجحاً في ملك داريوس وفي ملك قورش الفارسي».

ولنا في الآثار الكلدانية قرائن تؤيد ما كتبه دانيال. فإنَّ إلقاء المجرمين للأسود كان عند الآشوريين والبابليين مستطرقاً كالإلقاء في الأتون. فقد روى سميت في تاريخ آشور بانيبال (صفحة ١٦٨) عن خطوط مسمارية قال فيها هذا الملك «كما أنَّ سنحاريب جدِّي كان يلقي الرجال أحياء بين الثيران والأسود، فأنا أُلقيت إقتفاءً لآثاره هؤلاء الرجال في وسط هذه الحيوانات» وقال لانرمان (في كتابه العرافة عند الكلدان صفحة ١٩٢): «إنَّ جبَّ الأسود يشخصه أمام عيوننا نظرنا إلى الصوَر الناتئة التي أتى بها إلى لندرة وهي تمثل صيد آشور بانيبال. فترى الأسود محبوسة في أقفاص لترويح قلب الملك برؤيتها». هذا وقد أتى بصورة أخرى من كوينجك إلى المتحف البريطاني تمثل غرفة مقفلة بقضبان من حديد متينة وفيها أسد وفي أعلاها حارس يرفع حاجزاً فيخرج الأسد رأسه من عرينه متحفظاً لالتهم فريسته. وكانت الأسود كثيرة في جوار بابل وبلاد الكلدان كلها؛ حتى تفاخر تجلت فلاصر الأول في أحد خطوطه بأنه قتل ثماني مئة أسد. رواه مينان (في تاريخ ملوك آشور صفحة ٤٥). ولم ينقطع إلى اليوم وجود الأسود في جانب الفرات ووادي خابور كما روى لايرد (في تاريخ نينوى مجلد ٢ صفحة ٤٨). وكان ملوك آشور يطلبون أسداً من جملة جزيئهم ممن استطاع أن يأتيهم بها. وقد كشف لايرد في قصر سنحاريب في كوينجك عن صورة أسد مغلل يقدمه لهذا الغازي بعض من انتصر عليهم.

عد ٣٥١

كشف دانيال خديعة كهنة بال

بقي مما حواه سفر دانيال من التاريخ ما ذكره هذا النبي في الفصل الرابع عشر منه، وهو كشفه خديعة كهنة صنم بال، وقتله الثنين فقال في الأول ما ملخصه: إنه كان لأهل بابل صنم اسمه بال (أو بعل)، وكانوا ينفقون له كلَّ يوم إثني عشر أردباً من السميذ (تساوي ٦٢٠ لتراً) وهي نحو من ٤٨٥ أقة، وأربعين شاة وستة أمتار من الخمر (تساوي ٣٥٠ لتراً ونحواً من ٢٧٣ أقة). وكان الملك يعبدّه ويذهب كلَّ يوم فيسجد له. وقال الملك لدانيال: لِمَ لا تسجد لبال؟ فقال: لأنني لا

أعبد أصناماً صنعة الأيدي؛ بل الإله الحي خالق السماوات والأرض. فقال الملك: أتَحسب أنّ بالاً ليس بإله حي أو لا ترى كم يأكل ويشرب كل يوم؟ فضحك دانيال وقال لا تضلّ أيها الملك، فإنّ هذا باطنه طين وظاهره نحاس فلم يأكل قط. فاستدعى الملك الكهنة وقال إن لم تقولوا لي من يأكل هذه النفقة تموتون، وإن يَستتم أنّ بال يأكلها يموت دانيال. فقال الكهنة ضع أنت أيها الملك الأطعمة والخمر واغلق الباب واختم عليه بخاتمك، وفي غدٍ ارجع ترّ صدق مقالنا، واستخفوا بالأمر لأنهم كانوا صنعوا تحت المائدة مدخلاً خفياً يدخلون منه فيلتهمون الأطعمة. ولما خرجوا وضع الملك الأطعمة، وأمر دانيال غلمانه فذروا رماداً في الهيكل بحضرة الملك وحده، وأغلق الباب وختم عليه. فدخل الكهنة وأولادهم ونساءهم ليلاً من المدخل الخفي على عاداتهم والتهموا الأطعمة. وبكر الملك ودانيال فوجدوا الخواتيم سالمة وفتحت الأبواب فلم يُرَ شيء على المائدة. فهتف الملك عظيم أنت يا بال ولا مكر عندك. فضحك دانيال وأمسك الملك عن الدخول قائلاً: أنظر البلاط واعرف ما هذه الآثار فقال: أرى آثار رجال ونساء وأولاد. وغضب الملك وقبض على الكهنة ونسائهم وأولادهم فأروه الأبواب الخفية التي يدخلون منها ويأكلون ما على المائدة، فأمر الملك بقتلهم وأسلم بالاً إلى يد دانيال، فحطّمه ودُمّر هيكله.

إنّ في الآثار البابلية ما يؤيد كلام دانيال. فقد وُجدت آثار عديدة تصرّح بعبادة بال في بابل ومنها الصورة التي تمثله محمولاً على مناكب الكهنة. وقد كشف عنها لايرد في نمرود وذكرها في كتابه آثار نينوى (صفحة ٦٥). وُجدت آثار أخرى كثيرة ناطقة بتقديم الأطعمة والأشربة للأصنام ومنها خطوط لبختنصر قيل فيها ما ملخصه: «إنه كان يُقدّم على مائدة الآلهة الأعزاء ثوراً كاملاً وسمكاً وطيوراً وأطعمة وخمراً من سبعة مواضع، أو ثمانية منها خمر حلب وكان ذلك فائضاً كمياه النهر». وقد وُجد ما يدلّ على مثل ذلك من أنواع الخمر في خطوط بختنصر في جانب تمثاله المنقوش على أحد الصخور في معبر نهر الكلب كما يتبيّن من خطب الجمع العلمي (الأكادمي) الإفريقي في ١٣ أيار سنة ١٨٨٢ م. ومن ذلك يظهر أنّ من كتب الفصل الرابع عشر من نبوة دانيال كان خبيراً بعبادات أهل بابل وعائشاً بينهم، وقد كتب أمراً واقعاً لا وهمياً.

عد ٣٥٢

قتل دانيال التنين

وكان في بابل تنين عظيم يعبد به أهلها، فقال الملك لدانيال: أتقول عن هذا أيضاً إنه نحاس، ها إنه حي يأكل ويشرب فاسجد له. فقال دانيال: إني أسجد للرب إلهي لأنه هو الإله الحي، وإن سلطتني قتلْتُ هذا التنين بلا سيف ولا عصا. قال الملك: قد جعلت لك ذلك. فأخذ دانيال زفتاً وشحماً وشعراً وطبخها. وصنع أقراصاً ألقاها للتنين فأكلها وانشق. فقال: أنظروا ما تعبدون فغضب أهل بابل واجتمعوا على الملك وقالوا إنه صار يهودياً، فحطّم بالاً وقتل التنين وذبح الكهنة. وقالوا للملك: أسلم إلينا دانيال وإلا قتلناك وآلك. فلما رآهم الملك ثائرين اضطّر أن يُسلم دانيال إليهم فألقوه في جبّ الأسود وبقي هناك ستة أيام. وكان في الجبّ سبعة أسود يُلقى لها كلّ يوم جثتان ونعجتان، فلم يُلْقَ إليها حينئذٍ شيء لتفترس دانيال. وحمل ملاك الرب حبقوق من فلسطين إلى بابل ومعه طعام أقات دانيال به. وأتى الملك في اليوم السابع لبيكي دانيال فإذا هو جالس. فهتف بصوت عالٍ قائلاً: عظيم أنت أيها الرب إله دانيال لا إله سواك وأخرج دانيال من الجبّ، وألقى فيه من سعوا بهلاكه فافترستهم الأسود أمامه. وقال الملك: ليثقي جميع سكان الأرض إله دانيال فإنه المخلص الصانع الآيات في الأرض.

المراد بالتنين هنا الأفعى أو الحية الكبيرة القديمة الأيام. والكلمة مأخوذة عن الأصل الكلداني **amēl** (تنينو) أو عن تنيم العبرانية. وكان من عادات البابليين وغيرهم من عبدة الاصنام أن يربّوا حيّات في الهياكل، وينسبوا إليها شيئاً من الألوهية ويعبدوها، وعلى ذلك أدلة نكتفي منها بما ذكره لانرمان في كتابه الموسوم بالعرفاة عند الكلدان (صفحة ٨٨). فقد قال: «إن اسم الحية أو الأفعى والفعل الدال على العرافة والسحر عند الساميين مصدرهما واحد وهو **amēl** (نحش) استعمل السحر أو العرافة **amēl** (نحشو) الحية والأفعى. وقد عُثر على أثر مسماري يتبيّن منه أنهم كانوا يستدلون على مستقبل الأمور بواسطة قلب الأفعى... وكانت الحية عند الكلدان والآشوريين تلامذتهم رمزاً إلى الإله ايا أي الفهم السامي أو إله كل علم. وقد جاء في رسالة ارميا المعلقة في ذيل نبوة باروك عن تمثيل الآلهة ما نصّه: «وقد ذكر أنّ حشرات الأرض تنهش قلوبها فتؤكل هي وثيابها ولا

تشعر». فيظهر من هذه الآية أنهم كانوا يربّون أفاعي في هياكل بابل، ويعتبرونها بمنزلة تراجمة للآلهة، ويستخدمونها في الإستشارة لها».

عد ٣٥٣

رؤى دانيال

إنّ سفر دانيال قسمان: قسم تاريخي وهو ما لخصناه في كلامنا السالف وقد اشتملت عليه الفصول الستة الأولى والفصلان الثالث عشر والرابع عشر. وقسم نبوي اشتملت عليه الفصول الستة من السابع إلى ختام الثاني عشر. وقد كتب دانيال في هذه الفصول الرؤى التي منّ الله عليه بها وهي أربع. فقال في الأولى إنه رأى أربع حيوانات عظيمة خرجت من البحر أولها مثل الأسد وله جناحا نسر، وثانيها مثل دبّ، وثالثها يشبه نمرأ وله أربعة أجنحة وأربعة أرؤس، ورابعها يشبه حيواناً هائلاً وله أسنان من حديد، وكان يأكل ويسحق ويدوس الباقي برجليه وله عشرة قرون. وإنه بينما كان يرى ذلك نُصبت عروش فجلس عليها قديم الأيام. وكان لباسه أبيض كالثلج وعرشه لهيب نار، وعجلاته ناراً مضطربة. وأزال سلطان باقي الحيوانات، وأتى مثل ابن البشر على سحب السماء، وأوتي سلطاناً ومجداً، فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه، وإنّ دانيال سأل أحد الواقفين أمامه فأعلمه بتعبير الرؤيا: فكانت الحيوانات الأربعة عبارة عن أربع ممالك تقوم على الأرض. فيتراد بالأسد مملكة الكلدان. وبالذّب مملكة ماداي وفارس، وبالنمر مملكة اليونان. وأرؤسها الأربعة كناية عن إنقسامها بعد اسكندر الكبير إلى أربع ممالك في سورية ومصر ومكدونية وتراسة. ويتراد بالحيوان الرابع الهائل مملكة الرومانيين التي سحقته الممالك الأربع المذكورة. وبقديم الأيام وابن البشر ملك المسيح الروحي الذي لا يزول وهذه الرؤيا كحلّم يختنصر الأول المار ذكره فمدلولهما واحد.

والرؤيا الثانية ذكرها النبي في الفصل الثامن، وهي أنه رأى كبشاً قائماً عند نهر أولاي وله قرنان ينطح بهما نحو الغرب والشمال والجنوب. ثم رأى تيس معز أقبل من الغرب، وله قرنٌ عجيب وهجم على الكبش فكسر قرنيه، ولم يستطع الكبش أن يقف أمامه فتعاظم تيس المعز جداً فانكسر قرنه العظيم. وطلع من تحته أربعة قرون، ثم خرج من واحد منها قرنٌ صغير، ثم تعاظم جداً وبأمره نُزعت

الحرقة الدائمة وهدم موضع مقدسه. وقد عبّر ملاك لدانيال هذه الرؤيا فكان المراد منها تفصيل بعض ما جاء في الرؤيا الأولى، لأن المراد بالكبش ملوك ماداي وفارس. وبتييس المعز ملك اليونان. وبالقرن العظيم اسكندر الكبير وبانكساره وخروج أربعة قرون ممالك خلفائه الأربع. وبالقرن الصغير الذي تعاضم مملكة الرومانيين.

والرؤيا الثالثة ذكرها النبي في الفصل التاسع مؤرخاً لها في السنة الأولى لداريوس بن أحشورش المادي. وهي إنه بينما كان يصلي متأملاً قول ارميا إن عدة السنين التي تتم على خراب أورشليم سبعون سنة، رأى جبرائيل الملاك انحدر من السماء ليبشره بأن الرب حدّد على شعبه لإفناء المعصية وإزالة الخطيئة، والإتيان بالبرّ الأبدى، ومسح قدوس القديسين سبعين أسبوعاً بدؤها صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم، ونهايتها في مجئ المسيح الرئيس وبعد هذه الأسابيع يُقتل المسيح وشعب رئيس آتٍ يدّمّر المدينة والقدس وتبطل الذبيحة والتقدمة، فهذه هي الرؤيا. وكان الأسبوع عند العبرانيين أولاً عبارة عن سبعة أيام من السبت إلى السبت. ثانياً عن سبعة سنين وآخرها السنة السبتية. ثالثاً عن سنة الغفران، وهي سبع سنين مضروبة في سبع وحاصلها تسع وأربعون سنة. والمراد بكلام دانيال الأسبوع السبتى أي أنّ كلّ أسبوع سبع سنين فيحصل من السبعين أسبوعاً أربع مئة وتسعون سنة. والأصح أنّ بدء هذه الأسابيع السنة الثانية لملك أرتخششتا التي أرسل فيها نحميا إلى اليهودية مأذوناً له في تجديد أسوار أورشليم (نحميا فصل ٢ عد ٥) وختامها بموت الخلّص. فهذه الحقبة أكثر مطابقة للسبعين أسبوعاً التي هي أربع مئة وتسعون سنة.

والرؤيا الرابعة ذكرها النبي في الفصول العاشر والحادي عشر والثاني عشر. وهي أنه ظهر له الملاك جبرائيل فكشف له عما يكون في بلاد فارس بعد قورش، وعن مجئ اسكندر الكبير وحملاته وإنقراض مملكة الفرس، وتغلّب اليونان عليها ووفاة اسكندر بلا عقب، وانقسام ملكه إلى أربع ممالك وإنّ مملكة سورية الشمالية ومملكة مصر الجنوبية تكون بينهما حرب أزمنة طوالاً. ثم يُنبئ به باضطهاد انطيوخوس أييفان للقديسين وبهلاك هذا الملك المضطهد وانتصار القديسين ثم يلخص له شيئاً عن إنقضاء العالم.

قد تذرّع الملحدون بوضوح هذه النبؤات وتمامها في أوقاتها، ليزعموا أنّ سفر دانيال كُتب بعد وقوع الأحداث المذكورة فيه، أعني بعد موت أنطيوخوس أييفان في

أيام المكابيين؛ لكن زعمهم مردود ببيّنات قاطعة منها أنّ قسمي هذا السفر التاريخي والنبوي ملتزمان كلّ الالتحام أحدهما بالآخر من قبيل النفس والنسق، واللغة والأحداث التي جرت على كتابه. ومنها ما مرّ من بيان المطابقة بين كلّ ما جاء في هذا السفر وبين الآثار الآشورية والبابلية، بل أنّ هذه الرؤى نفسها ناطقة بأنّها رؤيت وكُتبت أخبارها في بلاد الكلدان لا في غيرها، لأنّ صورة الأسد المجنّح بجناحي نسر هي من أحبّ الصور إلى المصورين الكلدان، لأنك ترى مثل هذه الصوّر على أبواب القصور والهيكل، وسائر الأبنية بل على الآنية أيضاً المصنوعة في بلاد آشور وبابل، وكذلك ترى صوّر الثور المجنّح والدبّ والنمر والكبش، وتيس المعز على كثير من آثارهم وكانت القرون عندهم عبارة عن القوة ولذلك ترى صوّر الآلهة والأبطال، والمشاهير عندهم وعلى رأسها قرنان أو أربعة أو ستة قرون، ولا نرى شبيهاً لقديم الأيام الذي لباسه ابيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار وعجلاته نار مضطربة إلّا في صور الآشوريين والبابليين. وقد حوى متحف اللوفر في باريس كثيراً منها وقد ذكر كثيراً منها العالم لونبريا (Long Prier) في كتابه في الآثار الآشورية التي في متحف اللوفر صفحة ٢٨ وما يليها). وعليه فكلّام دانيال وتصوراتهِ وتمثيله ومطابقتها التامة لآثار الآشوريين وعاداتهم تقضي علينا بأنّ نحكم ان هذا السفر كتبه دانيال في بابل في أيام سؤددها، وعلى عهد بختنصر ومن خلفه، لا في فلسطين وعلى عهد المكابيين بعد أربعة قرون كما زعم الملحدون.

عد ٣٥٤

وفاة دانيال وصحة تنزيل سفره

يظهر أنّ دانيال ادركته المنية في بلاد الكلدان، فان المناصب التي وليها فيها امسكتها ثمة إلى وفاته. وقال بعضهم إنّّه توفي في بابل. وقال غيرهم إنّّه قضى اجله في شوشن (وهي سبيس الآن أو تموز اسنان) حيث قضى بعض سني حياته، وحيث رأى أكثر رؤاه. وقال يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ١٠ في الفصل الاخير) إنّّه كان في عاصمة ماداي إلى ايامه برج عجيب البناء يقال ان دانيال اقامه، وان هناك مدافن ملوك الفرس وماداي، وانه كان يعهد بحراسة هذا المحل إلى ايامه إلى رجل يهودي. وقال بعض الجواله ان هذا المقام تحج الناس إليه حتى هذا العصر.

والأظهر ان سفر دانيال كتب بعضه بالآرامية الكلدانية، وبعضه بالعبرانية فكل ما كان من كلامه مع ملوك بابل وماداي وفارس ومنشور بختنصر كتب بالكلدانية. وباقي كلامه بالعبرانية. على أنَّ الفصلين الثالث عشر والرابع عشر الحاوئين خبر سوسنة وخبر بال والتنين، ثم تسبحة الفتیان في الاتون المثبتة في الفصل الثالث (من عد ٢٤ إلى عد ٩١) لم توجد إلاً باليونانية. فكلُّ ما كُتب من هذا السفر بالكلدانية والعبرانية أجمع النصارى واليهود على أنه من الأسفار المنزلة. وأما ما لم يوجد إلاً باليونانية فكان بعض اليهود والنصارى أيضاً ينكرون تنزيله إلى أن حكم المجمع التريدينيني بلزوم إحصائه بين الأسفار المنزلة. وأنكر الملاحدون كون السفر برمته منزلاً. وتمحلوا لإنكاره وجهين: الأول وضوح نبوآته وتماها بدقائقها في أوقاتها، فوهما أنه كتب بعض الأحداث المنبئ بها، وهذا فتدناه في العدد السابق. والثاني أنه حوى ذكر آيات ومعجزات وهم ينكرون كلُّ ما كان فوق الطبيعة أو مخالفاً لها، على أنَّ المسيحيين وغيرهم يعتقدون الآيات وقدرة الله على صنعها، وقلَّ ما خلا عنها كتاب من الكتب المنزلة، ويقولون إنَّ الله أكثر من آياته في مدة جلاء بني إسرائيل تيسيراً لعودهم إلى أوطانهم، كما أكثر الآيات في مصر تيسيراً لخروجهم منها.

إنَّ لنا بينات قاطعة على أنَّ سفر دانيال مُنزل منها أولاً أنَّ متى الإنجيلي إستشهد به بقوله (فصل ٢٤ عد ١٥): «إذا رأيتم علامة رجاسة الخراب الذي قيل عنه في دانيال». واستشهد بولس الرسول بقوله (في رسالته إلى العبرانيين فصل ١١ عد ٣٣) عن جدعون وباراق وشمشون وفتاح وداود وصموئيل والأنبياء إنهم: «نالوا الموعد وسدوا أفواه الأسد» كما جرى لدانيال. ثانياً قد شهد يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٨) إنَّ اليهود أروا اسكندر الكبير نبوآت دانيال عليه عند زيارته أورشليم. ثالثاً جاء في سفر المكابيين الأول (فصل ٢ عد ٥٩ و ٦٠): «وحنيا وعزريا وميشائيل بإيمانهم خلصوا من اللهب، ودانيال باستقامته أنقذ من أفواه الأسود». وهذا يقتضي أن يكون سفر دانيال بين أيديهم. رابعاً إنَّ وضع اليهود سفر دانيال بين الأسفار المنزلة هو بينة دامغة على تنزيله، ولاسيما لأنهم لا يحصون بين هذه الأسفار ما كان قبل المكابيين. خامساً إنَّ اللغة التي كُتب بها سفر دانيال يلزم أن تكون لغة رجل عاش في أيام جلاء بابل ويحسن الكلام بالعبرانية والكلدانية. وفي زمان المكابيين لم تكن لغة اليهود إلاً الآرامية أي الكلدانية (ملخص

عن الموجز الكتابي لفيكورو عد ١٠٥٥). وقد ابنا آنفاً في الكلام على سوسنة أن هذا السفر وُجد كاملاً في نسختين قديمتين من الترجمة السبعينية، عُثر على إحداهما في مكتبة كيجي في روما. وعلى الثانية في المكتبة الأمبروسية في ميلان. فطالع ما ذكرناه هناك.

عد ٣٥٥

رؤى حزقيال وموته ومدفنه

إنَّ حزقيال هو ابن بوزي من السبط الكهنوتي، جُلي إلى بابل مع يوياكين ملك يهوذا قبل خراب أورشليم بنحو عشر سنين. ولم يتنبأ حزقيال قبل جلّائه بل أحلَّ الله عليه روح النبوة في بلاد الكلدان ليكون رقيباً ونذيراً لإخوانه المجلولين. وقد إفتتح نبوّاته بأنّه بينما كان بين الجلاء على نهر كبار انفتحت السماوات، فرأى رؤى الله فقال رأيت، فإذا بريح عاصف مقبلة من الشمال وغمام عظيم، ونار متواصلة وفي وسطها شبه أربع حيوانات، ولكلّ منها أربعة أوجه، وأربعة أجنحة، وجه بشر، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر. وأجنحتها منبسطة من فوق لكلّ منها جناحان يتصل أحدهما بالآخر، وجناحان يستران أجسامها، وأرجلها مستقيمة وأقدامها كقدم رجل العجل تبرق كمنظر النحاس الصقيل، ومن تحت أجنحتها أيدي بشر على جوانبها الأربعة. وكانت تسير كل واحد منها أمام وجهه حيث يوجهه الروح، وإذا بدولاب واحد على الأرض بجانب الحيوانات بأربعة أوجه، ومرأى الدواليب وصنعتها كمنظر الزبرجد، ولأربعتها شبه واحد كأنما كان الدولاب في وسط الدولاب. أما أطرها فعالية وهائلة وملأى عيوناً، وكان على أرؤس الحيوانات جلد كمنظر البلّور. وسمعت صوت أجنحتها كصوت مياه غزيرة وفوق الجلد الذي على أرؤسها شبه عرش كمرأى حجر اللاذورد، وعلى شبه العرش شبه كمرأى بشر، ورأيت كمنظر النحاس اللامع في داخله عند محيطه، وهو كمرأى نار من مرأى حقويه إلى فوق، ورأيت من مرأى حقويه إلى تحت مثل نار أيضاً والضياء محيطاً به. هذا مرأى شبه مجد الرب وسمعت صوت متكلم يقول يا ابن البشر أنا مُرسلك إلى بني إسرائيل إلى أمم متمردين قد عصوني إلى اليوم هم وآباؤهم (حزقيال فصل ١ و ٢).

لا يتهياً إدراك رؤيا حزقيال هذه إلا لمن عاش في بلاد الكلدان في تلك الأيام، ورأى صورها ونقوشها وتماثيلها التي أرى الله نبيه مجده على أكمل هيئة منها، وأما من عاشوا في غير هذه البلاد وغير تلك الأيام فكان إدراكهم رؤيا النبي من أعضل المعضلات، حتى يمس المفسرون من الإتيان بتفسير واضح لها. وقال القديس ايرونيموس (في تفسيره هذه النبوة): «إن مجامع اليهود كلها بكمت عن تفسير نبوة حزقيال، وقالت إن تفسير رؤيا الكارويين فوق طاقة الإنسان ومداركه». ومما رواه بعض الربيين أنهم بحثوا ذات يوم في مجتمعهم لينفوا نبوة حزقيال من عداد الأسفار المنزلة لشدة غموضها، واستحالة إدراك رؤيا المركبة السرية والكارويين. ورأى أكثرهم نفيها على أن أحدهم الربى حنانياس جسر أن يعدهم بأنه يأتيهم بتفسير وافٍ لهذا السفر، فقالوا له إفعّل. وقدموا له ثلاث مئة زق زيت قائلين إن مصابيحك تنفقا قبل أن تدرك شأوك الشاق. إلا أنه بعد أن أحيا بوتاً ولايرد وغيرهما رُم الآشوريين والبابليين وكشفوا آثارهم واستنطقوها تيسر لنا إدراك كلام نبي عاش بين أظهرهم، واتضح لنا ما كان معمى في كلامه، ورأينا بالصور ما كنا نقرأه. وتكفي الآن زيارة واحدة لغرف متحف اللوفر في باريس والمتحف البريطاني في لندرة حيث آثار بلاد آشور وبابل فيستغنى بها عن مطالعة المقالات المطولة في تفسير رؤيا حزقيال. فترى هناك الأسود والثيران ذات أجنحة ووجه بشري وتلفي الإنسان مجنحاً كالنسر.

وقال لونبريا المار ذكره (في كتابه الدليل على التحف الآشورية في اللوفر): «مما يعجب الزائر منه رؤيته هذه الحيوانات العظيمة قائمة إثنين فإثنين على مدخل الردهة الكبرى الحاوية الآثار الآشورية، كأنها ما برحت مقيمة على حراسة قصر الملك سرغون الذي نصبها هناك، وبينها فسحة أشبه بالفسحة التي ذكرها حزقيال (فصل ١٠ عد ٣). بين كاروب وكاروب فيسائل من يفسر الكتاب نفسه قائلاً: أما هذه الحيوانات أشبه بما أراه الله منها نبيه حزقيال على نهر كبار» وقال دي سولسي (في كتابه تاريخ الصناعة عند اليهود الذي طبع في باريس سنة ١٨٥٨م): «لا يمكن الانسان إلا أن يتعجب عندما يرى المشابهة المدهشة بين الحيوانات الرمزية التي ذكرها الكتاب وبين الثيران ذات الأجنحة والوجه البشري التي أرتنا إياها أطلال نينوى؛ أما أنا فلا أمترى البتة في أن الكارويين عند العبرانيين أشبه بالثيران الرمزية عند الآشوريين» ولا جرم أن هذه الحيوانات كانت رمزية فلم يخطر لأحد في بال

أنَّ السعداء أو الملائكة لهم مثل هذه الهيئات بل هي رموز إلى القوة والشدة والسرعة والذكاء. وهي دالة بعظمتها وعظمة المركبات التي تجرها، والعرش الحالَّ الله فيه، والنار المنبعثة منه، والجواهر المزدان بها على مجد الله وسؤدده على كل ما يراه العبرانيون في بلاد الكلدان، فيقصّ النبي على بني إسرائيل ما رآه من مجد الله الذي يفوق كثيراً على ما يرونه من عظمة هياكل آلهة الكلدان. ويذكروهم بآبائهم ليرعوا عنها ولا يغتروا بعبادة الآلهة الباطلة ناكرين عبادة الله الحيّ القيوم.

وقد طالعنا في المجلّة الكتابية (Revue Biblique) في نشرتها الصادرة في تشرين الأول سنة ١٨٩٤ م. فصلاً مشبعاً نشره فيها الأب هيرنس اليسوعي في تفسير رؤيا حزقيال هذه، مثبتاً أنَّ النبي أراد بها أن يبيّن مجد الله بما يرونه كل يوم في الأفلاك السماوية معبراً بالحيوانات عن الكواكب التي سمى بعضها الكلدانيون من أقدم الأيام وتابعهم عليه الفلكيون إلى الأبد باسماء الحيوانات كالثور والنسر والأسد وغيرها، وبالذوايب وحركتها عن حركة الأجرام السماوية، وبالعيون المملأى بها عن النجوم الكثيرة في السماء، وبالنار التي في وسطها عن الشمس القائمة في وسط العالم، وتدور الكواكب حولها. وقال إنَّ الكلدانيين كانوا يفقهون هذه الأمور من أقدم الزمان وقد وُجدت عندهم صورة منطقة الأبراج منذ سنة ١١٠٠ قبل التاريخ المسيحي؛ وإنهم أول من أسست علم الفلك، وإنَّ هذا التفسير أوجه، ويؤدي أكثر مما سواه إلى غرض النبي الذي هو بيان يفوق مجد الله على مجد آلهة الكلدان لئلا يعبدوها العبرانيون ويتركوا عبادة الله الذي خلق ما في السماء والأرض.

ثم قال النبي (فصل ٢ و ٣) إنَّ يداً دفعت إليه درجاً كُتبت فيه مراتب ونواحي وويل، وأمر أن يأكله فأكله فصار في فمه كالعسل حلالة، فما كتب فيه رمز إلى ما كان بنو إسرائيل سوف يعانونه في جلائهم إلى بابل، فإنَّ هذه الرؤى كانت قبل خراب أورشليم والحلاوة التي شعر النبي بها رمز إلى التعزية التي ستكون لهم وللمعبودهم من الجلاء إلى أرض موعدهم.

وقال (فصل ٤) إنَّ الله تجلّى له وأمره أن يُغلق على نفسه في داخل بيته، وأن يأخذ لبنة ويرسم عليها مدينة أورشليم، ويقم عليها حصاراً وينصب مناجيق من حولها وأن يضجع على جانبه الأيسر. ويجعل إثم آل إسرائيل عليه ثلاث مئة وتسعين يوماً، وأن يضجع بعد ذلك على جانبه الأيمن ويحمل إثم آل يهوذا أربعين

يوماً فإنه تعالى جعل كل يوم بسنة؛ هذه رموز أيضاً أعلمه الله بها مدة حصار أورشليم، وسني جلاء بني يهوذا. فأن بختنصر حاصر أورشليم مدة تسعة عشر شهراً أي خمس مئة وسبعين يوماً، ولكن يلزم أن يحط منها مدة تركه الحصار وذهابه لمحاربة ملك مصر كما مر. فتعود أيام الحصار ثلاث مئة وتسعين يوماً، أي نحو ثلاثة عشر شهراً. وقد مكث بنو يهوذا في بابل أربعين سنة، إذا حسب بدء جلائهم من فتح أورشليم ونهايته في السنة الأولى لقورش عند إباحته لهم العود إلى موطنهم، على أن مدة هذا الجلاء تحسبها عامة العلماء سبعين سنة باعتبار أن بدءها حين أسر يواكين ملك يهوذا، ونهايتها حين عود نحميا إلى أورشليم كما سيأتي. ولكي يبين الله للنبي شدة الضيق الذي يقاسيه سكان أورشليم في مدة حصارها، أمره أن يأخذ حنطة وفولاً وعدساً ودخناً وكرسنة ويجعلها في وعاء واحد، ويصنع منها خبزاً على عدد الأيام المذكورة أي ثلاث مئة وتسعين يوماً. وأن يأكل ويشرب بالوزن عشرين مثقالاً في اليوم كله. وسدس الهين من الماء، فيأكل كل يوم قرصاً وينضجه بزبل الإنسان أمام عيونهم. وصرح الرب له بأنه يقطع قوام الخبز في أورشليم، فيأكلون الخبز بالوزن والغم ويشربون الماء بالمقدار. وأنف النبي أن ينضج خبزه بزبل الإنسان فجعل له رجيع البقر بدلاً منه. وقد افترى الملحدون وسفهوا زاعمين أن الرب أمره أن يأكل زبله وهو افتراء بحث، فكل ما قاله له إنما هو أن يُنضج خبزه على زبل الإنسان إشارة إلى شدة الفاقة إلى كل شيء حتى الحطب، ولما أنف منه أباحه أن يُنضجه على رجيع البقر. وليس هذا بالأمر الغريب فإن كثيرين من سكان البلاد التي ندر الحطب فيها يُنضجون خبزهم إلى اليوم على رجيع البقر المعروف بالجللة.

وقال النبي (في الفصل الخامس) إن الرب أمره أن يأخذ سيفاً ماضياً وموسى حلاق، ويمرها على رأسه ولحيته وأن يزن الشعر ويقسمه، ويحرق ثلثاً منه بالنار ويقطع ثلثاً بالسيف ويذري ثلثاً للريح. وفسر له الرمز بأن ثلثاً من سكان أورشليم يفنون بالوباء والجوع، وثلثاً يسقطون بالسيف، وثلثاً يذريهم لكل ريح ويستل السيف وراءهم. وأتم الرب للنبي تفصيل ذلك كما رواه في الفصلين السادس والسابع.

وقد ذكر في الفصل الثامن أن الرب نقله إلى أورشليم وأراه الأرجاس التي يصنعها بنو إسرائيل، والأصنام التي يعبدونها، والنساء اللواتي ينحن على تموز وهو

أدونيس معبود الفينيقيين، والرجال الذين يسجدون للشمس. وكشف الرب له في الفصل التاسع أنه سلَّط خمسة ملائكة على الانتقام من أورشليم. فرأى النبي بيد كلٍّ من الملائكة آلة موت ليقتلوا بها كلٍّ من لم يكن موسوماً بسمة الحياة التي كانت علامة حرف التو (التاء) في جبهته. وكان الرب أمر ملاكاً سادساً أن يسم بها من ساءهم انحراف أورشليم عنه فخرج الملائكة وقتلوا حتى ثلثت المدينة بالدم والجثث. ثم قال في الفصل العاشر أنَّ الرب تجلَّى له وأمر ملاكاً أن يأخذ ناراً من خلال العجلة التي تحت الكارويين ويذريه على المدينة. وكلُّ ذلك رموز إلى نار الحرب ونقمة الرب التي حلَّت على أورشليم بعد سنين قليلة من هذه الرؤى.

ولما أراد الرب أن ينبئه بهرب صدقيا ملك يهوذا من أورشليم أمره أن يبدي على نفسه أهبة الجلاء، وينقب الحائط ويخرج منه حاملاً على كتفه ويقول لبني إسرائيل هكذا تكون حالة الرئيس في أورشليم. فإنه ينقب الحائط ويخرج من أورشليم لكنه لا يفلت من أحبولة الرب. ويُجلى إلى بابل ولا يراها ويموت فيها؛ وهذا طبق ما جرى لصدقيا لدن حصار بختنصر أورشليم، وثقب ملك يهوذا حائط السور وهربه، والقبض عليه وفقي بختنصر عينيه، وإتيانه به إلى بابل كما مرَّ. فبمثل هذه الرموز أنبأ الرب حزقيال بما سيكون لأورشليم وسكانها قبل حلوله. وقد تنبأ حزقيال على مصر وتنكيل بختنصر بأهلها كما ذكرنا، وعلى خراب صور وصيدا كما مرَّ في تاريخ فينيقية، وعلى دمار بلاد العمونيين والوايين والأدوميين والفلسطينيين. وبعد هذه الرؤى المحزنة أنبأه الرب بأمر معزية كالعود من الجلاء، وتجديد بناء أورشليم والهيكل، وانتصار بني إسرائيل على أعدائهم إلى غير ذلك من الرموز إلى مجيئ المخلص وقيام الكنيسة.

روى القديس ابيفانيوس (في كتابه في حياة الانبياء ووفاتهم) أنَّ حزقيال قتله أمير أو والٍ على شعبه لتوبيه إياه على عبادته للأوثان أو قبح سيرته، والأظهر أن الشعب هاج عليه وقتله. وآخر نبؤاته مؤرخ في السنة السابعة والعشرين لجلائه وهي سنة ٥٧١ قبل الميلاد ويقال: إنه دُفن في المغارة التي دُفن فيها سام وأرفخشاد. وقال بنيامين دي تودال (في كتاب رحلته) إنه رأى على بعض فراسخ من بغداد مدفناً متقناً، وأنه قيل له أنه مدفن حزقيال، وأنه كان يحج إليه رؤساء الجلاء في تلك الأيام، والآن يحج إليه لا اليهود فقط بل الفرس والإسلام أيضاً. وقال أوشر الوا (في كتاب أخبار سفره إلى المشرق الذي طبع في باريس سنة ١٨٤٣ م) إنه

بينما كان مسافراً من بغداد سنة ١٨٣٥ م رأى جمّاً غفيراً من اليهود والأعجم والهنود والعرب ماضين لزيارة مدفن النبي حزقيال الذي توفي في مدة الجلاء إلى بابل؛ ولا يمكن مع ذلك القطع بصحة هذا التقليد. وأما سفر حزقيال فكتب بالعبرانية وقلّ من كذب بصحة تنزيله، وكثر من شكّا غموض كلامه لاستعماله رموزاً تيسّر إدراكها على أهل أيامه وموطنه وتعرّش على غيرهم.

الفصل العشرون

أخبار بني إسرائيل عند عودهم من الجلاء وبعده إلى ملك
اسكندر الكبير

عد ٣٥٦

أمر كورش بعود بني إسرائيل إلى فلسطين

جاء في سفر عزريا (فصل ١) إنه في السنة الأولى لكورش (ويسمى قورش أيضاً بالقاف) نادى وكتب منشوراً في مملكته كلها قائلاً: إنّ جميع ممالك الأرض قد أعطانيها الرب إله السموات، وأوصاني بأن ابني له بيتاً في أورشليم فمن كان منكم من شعبه فالله يكون معه، وليصعد إلى أورشليم وبين بيت الرب الإله الذي في أورشليم، وكل من بقي متعزياً في أحد المواضع فليمدد أهل موضعه بالفضة والذهب والمال والبهايم، فضلاً عما يتطوعون به لبيت الله الذي في أورشليم. انتهى ملخصاً ويظهر أنّ اليهود رفعوا إليه عرائض يلتمسون بها إباحتهم العود إلى أوطانهم؛ وكان دانيال مقرباً إليه كثيراً فيرجح أنه عاونهم على إجابة مسؤولهم. وروى يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ١) إنه كان قرأ في نبؤات اشعيا (أو أطلعه دانيال عليها) التي كتبها قبل مولده بسنين متطاولة أنّ الرب سيقمه ملكاً على قبائل عديدة، ويلهمه ردّ شعبه إلى أورشليم وبناء الهيكل، فذهش كورش

بذلك، وهام في إتمامه، ولذلك كتب منشوره المشار إليه. وكان أرميا قد تنبأ على ذلك فيما كتبه (فصل ٢٩ عد ١٠) لبني الجلاء في بابل قائلاً: «هكذا قال الرب عند تمام سبعين سنة في بابل أفتقدكم وأقيم لكم كلمتي الصالحة بإعادتكم إلى هذا الموضع». وأمر كورش أيضاً أن جميع الآنية الفضية والذهبية التي أخذها بختنصر من أورشليم ووضعها في بيت آلهته بمنزلة غنيمة حرب تُرد إلى أورشليم. ولذلك أمر متريدات الخازن فسلمها إلى ششبصر رئيس يهوذا. وظنَّ عامة المفسرين أن ششبصر هذا إنما هو زربابل أحد أمراء بني يهوذا من نسل داود؛ وهذا عدد هذه الآنية كما جاء في سفر عزريا (فصل ١ عد ٩). «ثلاثون طستاً من الذهب، وألف طست من الفضة، وتسعة وعشرون سكيناً، وثلاثون جاماً من الذهب وأربع مئة وعشرة جامات من الفضة من الرتبة الثانية، وألف من آنية أخرى». وقال إن جميعها خمسة آلاف وأربع مئة ومجموع ما ذكره ألفان وأربع مئة وتسعة وتسعون فكأنه ترك ذكر آنية أخرى أو ذهل الناسخ عن ذكرها.

فعاد زربابل ويشوع بن يوصادق الكاهن وغيرهما من رؤساء يهوذا، وبنيامين وكل من نُبّه الرب روحه ميممين أورشليم، واستمر في بابل كل من أراد أن يحافظ على مسكنه وماله. وقد فصل عزرا عدد من عادوا إلى أورشليم وقتئذ فقال (فصل ٢ عد ٦٢ وما يليه): «كل الجماعة معاً إثنان وأربعون ألفاً وثلاث مئة وستون ما خلا عبيدهم واماءهم وهم سبعة آلاف وثلاث مئة وسبعة وثلاثون؛ ولهم مئتان من المغنين والمغنيات وخيلهم سبع مئة وستة وثلاثون وبغالهم مئتان وخمسة وأربعون، وجمالهم أربع مئة وخمسة وثلاثون، وحميرهم ستة آلاف وسبع مئة وعشرون». وقد أمدهم بعض من استمروا في بابل ببعض الفضة والذهب، وأنبأنا أيضاً عزرا أن كورش أصبحهم حينئذ بأمر منه لبناء الهيكل إذ قال (فصل ٦) إن داريوس بحث في بيت الأسفار فوجد درجاً مكتوباً فيه هكذا «هي سنة عودهم مع زربابل لكورش الملك أبز... أمراً في حق بيت الرب الذي في أورشليم أن يبنى البيت المكان الذي كانوا يذبحون فيه الذبائح وتوضع أسسه سمكه ستون ذراعاً، وعرضه ستون ذراعاً بثلاثة صفوف من حجارة عظيمة وصف من خشب جديد، والنفقة من بيت الملك. ولترد أيضاً آنية بيت الله الذهب والفضة التي أخرجها نبوكدنصر من الهيكل في أورشليم... وتوضع في بيت الله» وقد روى يوسيفوس (ك ١١ فصل ١ من تاريخ اليهود) هذا الأمر بأكثر تطويل وتفصيل وأظن ما زاده مأخوذاً

من أمر داريوس الآتي ذكره. وأقام بنو إسرائيل الذين عادوا من الجلاء في أورشليم وما جاورها وكان جمٌّ غفير من إخوانهم استمروا في تلك المواضع فانضموا إلى العائدين. ولم تكن مدة الجلاء أنست جميعهم ذكر مواطنهم الأولى يقدمون محرقات لله ويصنعون أعيادهم بحسب سنّة موسى قبل تجديد الهيكل أيضاً.

عد ٣٥٧

آثار كورش المؤيدة قول الكتاب

لم يكن لنا إلى سنة ١٨٧٩ م علم إلاّ بأثرين لكورش كتب عليهما بغاية من الإيجاز، وجد أحدهما في المحل الذي يسميه الفرس تختي مدري سليمان أي عرش أم سليمان، وقد وهم بعضهم أنّ المراد عرش كورش والأولى أن يكون عرش امرأته أو أمه. وقد كُتب عليه بالفارسية: «أنا كورش الملك الأكمنيدي». والثاني عُثر عليه في سنكره في بلاد الكلدان السفلى وهو فلذة من الآجر نُقلت إلى المتحف البريطاني سنة ١٨٥٠ م، والباقي منها كُتب عليه ما ترجمته: «أنا كورش... مقيم هيكل السوغاتو والإيذا ابن كمييس... الملك القدير» على أنه في سنة ١٨٧٩ م بينما كان العالم هرموز رسام يحفر في بابل على نفقة المتحف البريطاني كُشف عن اسطوانة من آجر كُتب عليها خمسة وأربعون سطرًا بأحرف بابلية وباللغة الآشورية؛ وقد محارور الأيام منها خمسة وعشرين سطرًا وأخذت هذه الاسطوانة إلى المتحف المذكور من كلام كورش الباقي عليها ما يأتي: «إنّ كثيراً من الملوك المقيمين في الحصون والذين كانوا من قبائل عديدة تسكن الأعمال التي بين البحر الأعلى (يريد البحر المتوسط)، والبحر السفلي (خليج العجم) مع ملوك سوريا وما وراءها من البلاد غير المعروفة قدّموا لي جزاهم كاملة وتوقعوا على قدمي... وأما الآلهة التي كانت تسكن بينهم فأعدتها إلى مواضعها، وجعلتُ لها مقراً مستمراً، وجمعتُ كل شعوبهم، وأمرتُ أن يرجعوا إلى بلادهم». ولا مرية في أنّ اليهود ممن أرجعهم كورش إلى بلادهم وأنه أطلق من المجلولين غير اليهود أيضاً.

ولما كان في هذه الأسطوانة غير ذلك مما يهتم العلم به ترجمنا منها ما يأتي أيضاً. فقال في سطر ٢٢ وما يليه: «إنّ الأسرة القديمة الملكية التي أيد بال ونبو بجودهما ملكها قد انقضت سلطتها عند دخولي بابل ظافراً. وأقامت عرش سلطنتي في القصر الملكي بالسرور والبهجة ومزدوخ الإله العظيم الحارس القديم لآبناء

بابل... وتوطدت بالأمان سلطنتي الفسيحة الانحاء في بابل وأعمال سومير وأكّد العديدة». وذكر ما أجراه من الإصلاح في حصون بابل وأسوارها وقصورها إلى أن قال في سطر ٢٦: «وعنيت بإصلاح هيكل مردوخ الإله العظيم، وقد أمدّني (مردوخ) بعونه، ورأف بي أنا كورش الملك المتعبّد له وبكمبيس ابني فلذة قلبي وبجيشي الأمين، فاستطعنا أن نعيد معبده إلى حالة كماله الأولى». ثم قال في سطر ٢٣: «أما آلهة سومير وأكّد التي كان نابونيد يكرمها في أعياد سيد الآلهة بأمر مردوخ الإله العظيم فأقمتها أنا مكرّمة في معابدها كما كان لسائر الآلهة لكلّ معبد في مدينته. وكنت أتضرع كلّ يوم إلى بال ونبو ليطيلا أيامي، ويزيدا في توفقي، وأن يشفعا لدى مردوخ سيدي بعبد كورش وكمبيس ابنه.

فهذه الخطوط أعلمتنا بأمر كنا نجهلها أو ضلّ العلماء بها، منها أنّ العلماء كانوا يحسبون كورش مؤحداً متبعاً الفرس في عبادة هورامزدا الإله الوحيد عندهم أي سيد الآلهة، فظهر من هذه الخطوط أنه كان يعبد بال ونبو ومردوخ آلهة الكلدانيين، ويبيّن لها المعابد أو يردّها إلى معابدها، ويخضع لها ولا أقل من أنه كان يتظاهر سياسةً بإجلال آلهة مسوديه استرضاءً لهم، وهذا يؤيد صحة أمره بتجديد هيكل الرب في أورشليم جرياً على ما صنعه إلى غيره من آلهة شعبه. وقد كان العلماء يظنون مبيداً للأصنام، وكان بعض مفسري الكتاب يحسبونه كذلك سنداً إلى آيات من نبوة اشعيا في كلامه على كورش كقوله (فصل ٤٦ عد ١ و ٢): «قد جثا بال وجثم نبو وصارت أصنامهم على الوحوش والبهائم إنّ محمولاتكم ثقيلة هي حمل شاق جثمت وجثت جميعاً هي أنفسها ذهبت إلى السبي». وإلى آيات من نبوة ارميا كقوله (فصل ٥٠ عد ٢): «خبروا في الأمم واسمعوا وارفعوا الراية اعلنوا لا تكتموا قولوا قد أخذت بابل وأخزي بال وانحطم مرداك قد أخذت أصنامها وانحطمت أوثانها» وكقوله (فصل ٥١ عد ٥٩): «لذلك ها أنها تأتي أيام يقول الرب افتقد منحوتاتها وفي كل أرضها يثن الجرحى». فكان المفسرون يفسرون هذه الآيات بمعنى أن كورش يحترق آلهة الكلدانيين أو يحطّم أصنامها فظهر الآن من هذه الخطوط أن المراد بتلك الآيات أن آلهة بابل تخزي لأنها لم تقدر أن تنجي المتوكلين عليها، ولا أن تقي بابل مدينتها من تنكيل الغازي، لأنّ الشرقيين كلّهم إلّا اليهود كانوا يعزّون إنتصارهم وانكسارهم إلى قوة آلهتهم أو ضعفها، فإذا ظفروا حسبوا آلهتهم أقوى من آلهة أعدائهم. وإذا ذلوا حسبوا آلهة

أعدائهم أقوى من آلهتهم. وكان الظافرون يأخذون أصنام من استظهروا عليهم فيقيمونها كأسرى أو حبسى في بيوت آلهتهم في حالة تشعر بذلها، كما أخذ الفلسطينيون تابوت عهد الرب. ووضعوه في هيكل داغون. وعليه فكان مفاد آيات اشعيا وارميا أنّ بال ونبو ومروداك تجثو وتجثم لآلهة كورش الظافر، وتخزي لأنها لم تستطع أن تقي عابديها، وتذل وكأنها تسبى مع المسبيين، وتحمل على البهائم كما تحمل غنائم الحرب. وقد يُحتمل أن يكون جنود كورش فعلوا عند دخولهم بابل بأصنامها ما ذكره النبيان، ثم عاد كورش يكرمها ملافاة لشعبه الجديد وطلباً لحسن السياسة. أو إنّ قول النبيين يصدق على أصنام بابل ومعابدها لما إفتتحها داريوس ثانية، ودُمّر ابنيتهما ودكّ هياكلها كما سيجي.

عد ٣٥٨

تجديد بناء هيكل أورشليم

لما وفد رؤساء الجلاء إلى أورشليم صنفوا باكورة اهتمامهم لإقامة الهيكل في مكانه الأول. وتطوّع كلّ منهم بدفع ما كان في وسعه، فكان مجموع ما حشدوا ستين ألف درهم من الذهب، وخمسة آلاف من الفضة، ومئة قميص للكهنة. ولما كان الشهر السابع أقام يشوع بن يوصادق رئيس الكهنة وزربابل بن شلتائيل وإخوته المذبح على ما كانوا عليه من الذعر من شعب البلاد، وأصعدوا عليه الذبائح، وعملوا عيد المظال كما كتب موسى، ودفعوا فضة للنحاتين والنجارين وطعاماً وشراباً وزيتاً للصيّدونيين والصوريين ليأتوهم بخشب الأرز من لبنان إلى مرفأ يافا. وفي السنة الثانية من بلوغهم إلى أورشليم أقاموا اللاويين على مناظرة بناء بيت الرب. ولما وضع البناءون أسس الهيكل قام الكهنة واللاويون بملاصمتهم والأبواق والصنوج بأيديهم يسبحون الرب، ويشكرون له بحسب النظام الذي وضعه داود الملك. وكان بعضهم يكون لفرحهم أو لأنّ الهيكل الجديد لا يساوي هيكل سليمان اتساعاً وإتقاناً (على ما روى كرتس). وكثيرون يهتفون بالمسرة حتى لم يعد يبيّز صوت البكاء من صوت الفرح (عزرا فصل ٣).

وسمع أعداؤهم المقيمون في السامرة أنهم يبنون بيت الرب فأقبلوا على زربابل ورؤساء الآباء قائلين نحن نبني معكم لأننا نطلب إلهكم مثلكم، ونذبح له من أيام

اسرحدون الذي صيّرنا إلى هنا. وقد مرّ عند كلامنا على خراب السامرة بيان أصل هؤلاء الأمم وما عبدوا، وخلطهم عبادة الله بعبادة آلهتهم فأبى زبابل ورؤساء يهوذا أن يشتركوا معهم في بناء بيت الرب، فطفقوا يقلقونهم ويرخون أيديهم في البناء جميع أيام كورش؛ ولما مات سنة ٥٢٩ ق.م وخلفه ابنه كمبيس الذي سُمي في سفر عزرا احشورش وارتخششتا؛ كتب رجال حكومة السامرة وغيرها إليه رسالة مثبتة في الفصل الرابع من سفر عزرا ملخصها: «إنّ اليهود الذين خرجوا من عندك وفدوا إلى أورشليم المدينة المتمرّدة الشقية، وأخذوا يبنون أسواراً ويرمون أسواراً، وإذا بُنيت هذه المدينة وتمت أسوارها لا يؤدّين الخراج ولا الجزية المفروضة، وحيث أننا أكلنا خبز القصر لم يكن لائقاً بنا أن لا نعلم الملك ليبحث في أسفار آبائه، فيعلم أنّ هذه المدينة متمرّدة مسيئة إلى الملوك والأقاليم، فقد أثاروا شغباً في قديم الدهر ولذلك خربت هذه المدينة». وكان كمبيس سبّئ الظنّ فأبرز أمراً لوالي السامرة وسائر ولاه عبر الفرات أن يكفّوا اليهود عن البناء إلى نفوذ أمر آخر منه، فبادر هؤلاء الأعداء إلى أورشليم وكفّوا اليهود عن بناء الهيكل كلّ مدة كمبيس التي كانت سبع سنين أي من سنة ٥٢٩ إلى سنة ٥٢٢ ق.م وبقي البناء منقطعاً إلى السنة الثانية من ملك داريوس ملك فارس (عزرا فصل ٤).

عد ٣٥٩

ملوك فارس إلى داريوس

نقول رغبةً في بيان ما مرّ من قول الكتاب، وتوفيراً للفوائد أنّ كورش قُتل في حرب في بلاد التتر، وأوصى بأن يكون كمبيس ابنه البكر خلفاً له ملقباً بملك الملوك، وأن يكون ابنه الأصغر الذي تسمّيه الآثار البابلية بردياس وسماه هيرودت سمرديس والياً على الأقاليم الشمالية والشرقية معترفاً بملك أخيه كمبيس.

وهام كمبيس بالاستيلاء على مصر طمعاً بغناها الذي حمل أكثر الغزاة إليها، فأرسل قوماً قتلوا أخاه لئلا يستبد بالملك مدة غيابه، وأذاع أنه محجور عليه في قصره في بلاد ماداي، وكانت مصر في أسوأ حال لو هن قوّتها بالانقسام الداخلي؛ وكان ملوك سورية طوع يديه، والعبرانيون لم ينسوا فضل أبيه برّدهم إلى مواطنهم. فمرّت جنوده في سورية لا تلقي معارضاً بل قبل بالترحاب، وأنجده الفينيقيون

بأسطول كان يوفق حركته في البحر على حركة جنوده في البر. فضرب بالوس وهي المعروفة الآن بفرما أو مدينة في جوارها فافتتحها وزحف ظافراً إلى منف فلم تقو على مقاومته إلا أياماً. وكان أحمس أو اماسيس كما يسميه هيرودت قد مات في أثناء الحرب، وخلفه ابنه بسامتيك فأخذه كمبيس أسيراً فانتحر متسماً. وأخرج كمبيس جثة أحمس المخطئة من مدفنها وأنزل بها كل إهانة، وأحرقها بالنار مخالفاً سنة الفرس الذين كانت النار عندهم مقدسة فلا يحل طرح جثة فيها، وسنة المصريين القاضية باحترام جثث الموتى. وتتبع كمبيس بعد ذلك آثار سياسة أبيه بمجاراته المصريين على عاداتهم وتزيي بزيمهم وكتب اسمه بالحروف الهيروكليزية، بل إدعى أنه من سلالة ملوكهم القدماء. وأمر بردّ عبادة سائس إلى ما كانت عليه، وكان يمارس فروض الدين والتعبد كملوك مصر، واتخذ كاهناً من كهنتها يلقيه ما يترتب عليه عمله. وفي المتحف اللواتيكاني تمثال لهذا الكاهن كُتب عليه ما يُشعر بما ذكرناه. وجعل مصر ولاية من ولايات فارس أقام فيها والياً أجنبياً. على أن توفر نجاحه أضعاف الصواب فعزم أن يحمل على قرطاجنة، وكلف الفينيقيين إنجاده بهذه الحملة أيضاً فأبوا محاربة إخوانهم واختلاف إيمانهم ودينهم ونقض حق الدم بينهم، فاضطر أن يضرب عن عزمه. وعنّ له أن يزو الحبهة ولم يُهله ما دون ذلك من العقبات والأهوال، وتوغل في الصحراء حيث لا ماء ولا قوت فاقتات جنوده بالعشب أياماً. وألجأهم الجوع أخيراً (على ما روى هيرودت) أن يقتنعوا على واحد من كل عشرة منهم، ومن أصابته القرعة إقتاتوا بلحمائه. فاضطر كمبيس أن يعود إلى مصر وقد فقد السواد الأعظم من جيشه وهبل واختل شعوره؛ وكان يتصرّف تصرف الممسوس بأحكامه ودم مسوديه. وبما روي من أخبار جنونه أنه أراد أن يتزوج بشقيقة صغيرة له خلافاً لسنة الفرس. استفتى قضاة قومه هل ليس من مسوخ شرعي لذلك فأجابوه لدعهم منه أنهم لا يرون مسوغاً لكنهم يعلمون أن ملوك الفرس لا سنة عليهم، بل لهم أن يصنعوا ما شاءوا، فقتل الظالم أخته مكان أن يتزوج بها.

وبين كان كمبيس يُفعم مصر بمظالمه، نشأت ثورة في بابل، فهمّ بالمسارعة إليها وإذا كان يمتطي فرسه متلهوفاً سقط جريحاً بسيفه، وسار لا يبالي فأئخن جرحه ومات في قرية في سورية سماها علماء اليونان اكتبان. وقال بعضهم إنه قضى في الكرمل أو حماء وكان ذلك بسنة ٥٢٢ ق.م. أما داعي الثورة فهو أن كمبيس

كان وكل تدبير أملاكه إلى رجل مجوسي اسمه باتيزاتيس؛ وكان له أخ اسمه غوماتوس يشبه كل الشبه سمرديس بن كورش الذي كان أخوه كمبيس قتله وأذاع أنه محجور عليه في قصره؛ وبينما كان الملك في مصر والشعب يثق من جوره إذعى غوماتوس أنه سمرديس أخو الملك. واتصل بمساعدة أخيه والمجوس أن ينادى به ملكاً مظلوناً إنه أخو كمبيس، وأعفى الفرس من الجزية والخدمة والجندية ليحازبوه توطيداً للملكه. على أنه لم يختف أمره فتحالف عليه سبعة من حكام الأعمال منهم داريوس وباغته في قصره وقتلوه. ولم يملك إلا شهراً وأجلسوا أحدهم داريوس (ويسميه العرب دارا) على منصّة الملك. ومما روه في تملك دارا أنّ هؤلاء العمال إجتمعا بعد مقتل غوماتوس يتفاوضون في نوع حكومتهم أملكية تكون أم فوضوية وآثروا الملكية، واتفقوا على أن يخرجوا في العداة إلى مكان معين ومن سهل جواده أولاً عند مطلع الشمس كان الملك. وأخذ سائس خيل دارا جواده مساءً إلى ذلك المكان وكان ربط فيه فرساً فأكثر الجواد من الصهيل ولما عاد بكرة اليوم التالي إلى المكان أخذ يصهل كما فعل في الأمس، فنزل المتحالفون عن خيولهم وأقتروا بالملك لدارا.

وقد روى هيرودت هذه الأخبار وجاءت الآثار تؤيد روايته. فإنّ في الطريق المؤدية من بغداد إلى همدان صخراً نُقشت عليه صورة تمثل صورة هورامزدا معبودهم في دائرة ذات أجنحة خارجة منها، ودارا وقوسه بيده ورجله على صدر رجل رافع يديه يستغيث، وعيناه إلى تسعة أشخاص قيام أمامه موثوقي الأعناق. مكتفي الأيدي. وقد كُتب تحت هذه الصورة ما ملخصه: «لما قتل كمبيس سمرديس أخاه وكان الشعب يجهل موته مضى كمبيس إلى مصر وعصاه شعبه وكان المكر والكذب متفاقمين في هذه البلاد وكان رجل اسمه غوماتوس ثار في ٢٤ من شهر فيهنّا (شباط ٥٢٢). وخدع الشعب بقوله إنه سمرديس بن كورش واستمال الناس إليه. ومات كمبيس جريحاً. فالملك الذي أخذه غوماتوس إنما هو ملكنا وخاص بذريتنا ولم يجسر الشعب أن ينتزعه من الملك لقسوته. فخشعت حينئذ إلى هورامزدا. فاستجابني وقتلت غوماتوس وشركاه في ال ١٠ من شهر باكايريس (نيسان سنة ٥٢١). وأخذت الملك منه وصرت ملكاً بحسب مشيئة هورامزدا فأصلحت حال المملكة، وأعدت المذابح التي كان غوماتوس دمرها، ورددت العبادة القديمة، ووطدت النظام في فارس وماداي وسائر الأقاليم» ولا

مرية في أنّ هذه الخطوط لدارا الذي ضبط صولجان الملك من سنة ٥٢١ إلى سنة ٤٨٥.

عد ٣٦٠

إستئناف بناء الهيكل وإتمامه

قد مرّ أنّ البناء في الهيكل بقي منقطعاً إلى السنة الثانية من ملك داريوس، فأوهى الانقطاع جلد أصحاب الغيرة، وأحمد جذوة حميتهم فعكف كلّ على مشاغله وبناء بيت له وبيت الله خرب. ويظهر أنّ زربابل حاكم اليهود في أورشليم عاد وقتئذٍ إلى بابل لإغتنام رضى دارا عنه، واستعطافه ليأمر باستئناف بناء الهيكل واستدعاء بعض من لبثوا في بلاد الكلدان للعود إلى أورشليم. فعاد منهم نحو من خمسين ألف جميعهم من سبطي يهوذا وبنيامين، ومعهم مئات من الكهنة واللاويين. وبلغوا أورشليم في الشهر الرابع بعد مسيرهم وكان ذلك للسنة الثانية من ملك دارا أي سنة ٥٢٠ ق.م. وكان حينئذٍ حجاجي النبي يؤنب اليهود في أورشليم على قولهم أنّ زمان بناء الهيكل لم يأت بعد قائلاً (فصل ١): «أفحان لكم أن تسكنوا في بيوتكم المسقفة وهذا البيت خرب؟ وميناً لهم أنّ القحط الذي حلّ بهم تلك السنين، وقلة البركة في بيوتهم وعمل أيديهم سببهما تقاعدهم عن بناء بيت الرب.

وبمثل ذلك كان يحضّهم زكريا بن براكيا (أو براشيا) النبي على الأخذ في إتمام بناء الهيكل. فتلوم زربابل مدة إستئناف البناء خشية أن يقاومهم أعداؤهم إلى أن أخذ سنة ٥١٨ ق.م في العمل بإقدام وجدّ، فوافاهم تتناي وإلى عبر الفرات (المрад والي سورية وفينيقية وفلسطين) وشتريناي (لعله والي السامرة) وأصحابهما يقولون من أمركم ببناء هذا البيت وترميم هذه الأسوار؟ فقال زربابل ويشوع عظيم الكهنة إنّ كورش الملك أمر ببناؤه وردّ الآنية التي كان يختنصر سلبها منه إليه. وكان هؤلاء أرفق وأعدل من الأولين، فلم يكفّوهم عن العمل بل رأوا أن يرفعوا الأمر إلى دارا فكتبوا إليه رسالة مثبته في الفصل الخامس من سفر عزرا تضمّنت حكاية الواقع وجواب اليهود لهم واستلفات الملك إلى البحث عن أمر كورش وإصدار أمره بما يشاء. فبحث دارا في سجلات ملكه فوجد أمر كورش كما مرّ

بنصّه. فأَيّده بجوابه إلى أعماله المثبت في الفصل السادس من السفر المذكور. وملخصه أن لا يعارضوا اليهود ببناء هيكلهم، ولا يزعموهم بشيء بل يُعطوا النفقة من خراج عبر النهر معجلة، وما يحتاجون إليه من العجول والكباش والحملان لحرقات إله السماء وأن لا يُضنّ عليهم بالحنطة والملح، والخمر والزيت، بحسب قول الكهنة الذين في أورشليم، وإنّ من يخالف أمره يُقلع الخشب من بيته، ويُصلب عليه ويكون بيته مرحاضاً. واختتم أمره بقوله: «والله الذي أحلّ اسمه هناك يدمّر كلّ ملك وشعب يمدّ يده لتغيير وهدم بيت الله هذا الذي في أورشليم. أنا داريوس قد أمرتُ فلينفذ عاجلاً». ففعل الولاة بحسب أمر الملك وكُمّل بناء الهيكل في اليوم الثالث من آذار للسنة السادسة لدارا وهي سنة ٥١٦ ق.م. وأتى الشعب من كلّ فجّ فدنسوا الهيكل الجديد بمزيد المسرة والابتهاج، وقربوا حينئذٍ مئة ثور ومئتي كبش وأربع مئة حَمَلٍ وإثني عشر تيساً للإستغفار عن بني إسرائيل على عدد أسباطهم، وأقاموا الكهنة واللاويين على خدمة الهيكل بحسب سنّة موسى ثم عملوا الفصح سبعة أيام بالفرح (عزرا فصل ٥ و ٦).

ولا نعلم حقّ العلم مقدار اتساع الهيكل وبمقتضى أمر كورش كان يلزم أن يكون طوله ستين ذراعاً، وعرضه كذلك، وعليه فيكون أكثر اتساعاً من هيكل سليمان. إلّا أنّ الحال لم تسعفهم على بنائه كبيراً بهذا المقدار فكان أصغر من هيكل سليمان وأقلّ إتقاناً وعظمة. وروى يوسيفوس إنه كان أقلّ ارتفاعاً من هيكل سليمان. وقال بعض علماء اليهود إنهم نقشوا حيثئذٍ فوق باب السور الخارج من جهة المشرق صورة مدينة شوشن ذكراً لفضل ملوك فارس، ولم يكن تابوت عهد الرب في قدس الأقداس من هذا الهيكل الجديد، لأنه جاء في سفر المكابيين الثاني (فصل ٢) أن ارميا أخذ هذا التابوت ووضع في مغارة في جبل نبو، ولم يعد أحد يهتدي إلى محل وضعه.

عد ٣٦١

تتمّة أخبار دارا

قد عاش بنو إسرائيل في أيام دارا ناعمي البال مرعيي الجانب. وقد قسم مملكته إلى تسع عشرة ولاية على ما روى هيرودت (ك ٣ من تاريخه). وفرض على كل

ولاية جزية مقدّرة سنوية. ويهمنها منها أن نبين أنّ الجزية المضروبة على سورية مع فينيقية وفلسطين، وجزيرة قبرص كانت ٣٥٠ وزنة أو قنطاراً من الفضة. وكانت قبائل العرب في بيرة سورية وإلى تخوم مصر خاضعة لوالي هذه الولاية، لكنها كانت تُعفى من الجزية. وكانت الجزية المضروبة على ولاية قيليقيا (حيث ولاية اطنه الآن) ٥٠٠ وزنة يُنفق منها ١٤٠ وزنة على الفرسان المقيمين في هذه الولاية. ويُرسَل الباقي وهو ٣٦٠ وزنة إلى خزينة الملك. وكان المفروض على مصر ٧٠٠ قنطار من الفضة، ثم الميرة لمئة وعشرين ألف جندي تخفر هذه البلاد. وكانت جملة الدخل على ما قدّره هيرودت ١٤٥٦٠ وزنة بحسب إصطلاح أهل أثينا، وهي تساوي وزناً ٨٢٧٩٩٨٦٦ فرنكاً. وتساوي قيمة (لندرة الفضة وقتئذٍ ولكثرتها الآن) ٦٦٢٣٨٢٩٢٨ فرنكاً. وذهب بعض العلماء منهم كلمت في تاريخ العهد القديم وفي معجم الكتاب إنّ دارا تزوج باستير، وقد سُمي في سفر استير احشورش أو ارتخششتا. والأظهر أن استير كانت امرأة ارتخششتا الملقب بذي اليد الطولى كما سيجيء.

إنّ دارا بعد أن خمد نار الثورات التي توقّدت في بلاد فارس وفي بابل وقتل ثلاثة آلاف رجل من وجهاء هذه المدينة، وأخضع بلاد ماداي وأرمينية زحف إلى تراسة بجحافلها فافتتحها. وتوغّل في بلاد التتر وانتهى إلى بعض أعمال الهند لكنه خسر أكثر جنوده. ومع هذا عزم أن يحارب اليونان، وسيّر إلى بلادهم عسكرياً جراحاً عهد بقيادته إلى دانيس واوترغن، فانتصر ملسياد قائد اليونان عليهما في ماداتون. وأهلك من جيشهما نحواً من مئتي ألف رجل وكان ذلك سنة ٤٩٠ ق.م. وبينما كان يجيئ جيوشاً أخرى ليثأر من اليونان ويكبت المصريين الذين ثاروا عليه دهمته المنية سنة ٤٨٥ ق.م بعد أن ملك ستاً وثلاثين سنة. وخلفه ابنه كسرکس، وهو على ما أظن من يسميه المؤرخون العرب كيخسرو، ومعنى خسرو بالفارسية الوسيط الملك على ما في تاج العروس، وعنه سمي العرب ملوك فارس في طبقتهم الثالثة كسرى وجمعوها أكاسرة.

فيكخسرو أثخن بالمصريين وخمد جذوة ثورتهم وأقام أخاه اخمنيس والياً على أقاليم افريقيا، وذلل أهل بابل الذين عاودوا الثورة عليه. وبعد أن صفا له جو السياسة حاول إتمام نوايا أبيه في تذليل اليونان، فجيش الجيش وسيّره إلى ما وراء البوسفور. وعبرت جنوده الدردنيل على جسر من سفائن، واتصل إلى أن أحرق أثينا

وفتح غيرها من مدن اليونان، فكانت بين الفريقين الحرب المعروفة بحرب سلاميس وبلاطيس. واكتسب فيها تميستكل واريستيد مجدهما الخلد سنة ٤٨٠ وسنة ٤٧٩ ق.م. واضطرت جيوش الفرس أن تتقهقر إلى ما وراء الدردنيل. وأخذت أساطيل اليونان طريق الهجوم فنكلت بقبرص وشواطئ آسيا الصغرى. ويظهر أن كيخسرو قضى باقي مدة ملكه عاكفاً على ملاذه متسامحاً مع أعدائه إلى أن اغتاله رجلان من أعوانه سنة ٤٦٥ ق.م. فانتشبت الحرب بين ابنيه هستاسب وارتخششتا واستظهر فيها الثاني على الأول وملك من سنة ٤٦٥ إلى سنة ٤٢٥ ق.م. وكان في أيامه عزرا ونحميا واستير وسيأتي الكلام فيهم.

عد ٣٦٢

في عزرا الكاهن

إنَّ عزرا هو ابن سرايا بن عزريا بن حلقيا الذي وجد في الهيكل نسخة قديمة من سفر تثنية الإشتراع، أو بعض فصول من هذا السفر كما مرَّ في كلامنا على يوشيا الملك. ويتصل نسبه بالعازر بن هرون، وعزرا هو كاتب السفر المعنون باسمه وقد أجمع على ذلك علماء اليهود والنصارى خلافاً لبعض أهل الإنقاذ، وكان عزرا ماهراً في سنَّة موسى عاملاً بها. وأصاب بعضهم بقولهم إنه كان يعظ قومه في بابل بالمحافظة على هذه السنَّة بتعليمه وعلمه. ويظهر إنَّ اليهود الذين كانوا في بابل كانوا أشدَّ تمسكاً بسنة موسى من إخوانهم الذين مكثوا في فلسطين. وكان زربابل أقام الهيكل في أورشليم، فرأى عزرا في بابل إنه لا يجتزأ بأقامة حجارة الهيكل بل لا بد من تجديد المحافظة على سنَّة الرب فعزم أن يعود إلى أورشليم. وذهب بعضهم إنه كان شخص إلى أورشليم مع زربابل في أيام كورش، ثم عاد إلى بابل في أيام أرتخششتا الذي كان مقرباً إليه على ما يظهر من رسالة الملك الآتي ذكرها.

فسار من بابل في السنة السابعة لأرتخششتا وهي سنة ٤٥٨ ق.م. يصحبه قوم من الكهنة واللاويين والمغنين والبوايين وعامة الشعب، وكان بدء سفره في اليوم الأول من الشهر الأول، وبلغ أورشليم في اليوم الأول من الشهر الخامس. فكانت مدة سفره أربعة أشهر تخللها بلا بد بعض أيام للاستراحة. وقد دفع الملك إليه رسالته المثبتة في الفصل السابع من سفره وملخصها: «من أرتخششتا ملك الملوك إلى

عزرا الكاهن كاتب شريعة إله السماء الكامل سلام. إني أمرت بان كل من شاء من مملكتي من شعب إسرائيل أن يرجع معك إلى أورشليم فليرجع لأنك أرسلت من عند الملك ومشيريه السبعة لتبحث عن يهوذا وأورشليم على حسب سنة الهك، وتأخذ الفضة والذهب اللذين تطوع بهما الملك ومشيروه لإله إسرائيل الذي مسكنه في أورشليم. وكل ما تجده من الفضة والذهب في بلاد بابل من تطوعات الشعب والكهنة تشتري به عاجلاً ثيراناً وكباشاً وحملاناً وتقربها على مذبح بيت الهكم. وكل ما حسن عندك وعند إخوانك أن تعملوه بما فضل من الفضة والذهب فاعملوه على مشيئة الهكم. والآنية التي أعطيتها لخدمة بيت الهك ردها إلى أمام اله أورشليم (كأنه كان باقياً شيء من سلب الهيكل). وسائر ما تحتاج إليه من النفقة في بيت الهك خذه من خزائن بيت الملك، وقد أمرت جميع الخزان الذين في عبر نهر الفرات إن كل ما يطلبه منكم عزرا الكاهن فليقبض عاجلاً إلى مئة قنطار فضة. ومئة كز قمح ومئة بث خمر ومئة بث زيت والملح دون تقييد. وكل ما يأمر به آله السماوات فليقبض باهتمام لبيته لكي لا يكون غضبه على مملكة الملك وبنيه. ونعلمكم أن جميع الكهنة واللاويين والمغنين والبوايين وسائر خدام بيت الله لا يضرب عليهم خراج ولا جزية ولا ضريبة. وأنت يا عزرا أقم بحسب حكمة الهك قضاءً وحكاماً يقضون بين جميع الشعب الذين في عبر النهر(الفرات) من كل من يعلم شريعة الهك ومن لا يعلم فعلموه. وكل من لا يعمل بشريعة الهك وشريعة الملك فليقبض عليه عاجلاً إما بالموت أو بالنفي أو بغرامة مال أو بالحبس. وأعقب عزرا هذه الرسالة بقوله: «تبارك الرب إله أبائنا الذي ألقى مثل هذا في قلب الملك لتكريم بيت الرب. وقدم بنو الجلاء القادمون حينئذ إلى أورشليم محرقات للرب. وبلغ عزرا أمر الملك إلى أقطابه وحكام سورية فاعانوا الشعب وكرموا بيت الله (عزرا فصل ٧ و٨).

عد ٣٦٣

حظر عزرا على بني إسرائيل الزواج بالأجنبيات

قد أقبل رؤساء الشعب إلى عزرا ينبئونه بان الشعب بل بعض الكهنة واللاويين أيضاً لم ينفروا عن شعوب الأرض لأنهم تزوجوا بنات من الكنعانيين والموآبيين

والعمونيين والمصريين، وزوجهم بيناتهم. فاغتاز عزرا ومزق ثوبه وتنف شعر رأسه ولحيته. وأخذ يصلي لله خاشعاً ويستميحه أن لا يغضب على شعبه لذلك، واجتمع إليه حشد كبير وبكوا معه. وتحالف عزرا ورؤساء الكهنة واللاويون والحشد المذكور على إخراج النساء الأجنبية وأولادهن. فاستدعوا جميع بني الجلاء ليشخصوا إلى أورشليم في مدة ثلاثة أيام، وكل من أبى أن يأتي تسبى كل أمواله ويفرز عن جماعة أهل الجلاء. فاجتمع جميع رجال يهوذا وبنيامين في ساحة بيت الله، فقال لهم عزرا تعديتم سنة الله واتخذتم نساء من الأمم لتزيدوا في أثم إسرائيل فاعتزلوا أمم الأرض والنساء الغريات. فقالت الجماعة حسن كما قلت الا نفعل، إلا إن الشعب كثير والوقت وقت أمطار لا طاقة لنا أن نقف في الخارج وليس العمل عمل يوم أو يومين، فليقم رؤسائنا ويأت من اتخذوا نساء غريات في أوقات مسماة ومعهم شيوخ كل مدينة وقضاها حتى يُصرف عنا غضب الهنا. وأقاموا مفوضين للبحث عن هؤلاء وتنفيذ الأمر عليهم، فوجدوا كثيرين ارتكبوا هذه المعصية وبعضهم من الكهنة واللاويين. فاذعنوا للأمر وحلفوا أن يخرجوا نساءهم الغريات وقدموا لله ذبائح تكفيراً عن أثمهم على أنه يظهر أنهم لم يتركوا جميعهم نساءهم، لأننا نرى نحماً اضطر أن يستأنف الأمر بطرد النساء الغريات (عزرا فصل ٩ و ١٠).

عد ٣٧٤

تمة أخبار عزرا ووفاته وأسفاره

قد بقيت لعزرا السلطة النافذة في أورشليم إلى وفود نحemia إليها حاكماً فيها من لدن أرتخششتا كما سيجيء، وفي السنة الثانية بعد إقامة أسوار أورشليم اجتمع الشعب في الهيكل للاحتفاء بعيد المظال. وسألوا عزرا أن يقرأ لهم التوراة فقرأ لهم من الصباح إلى نصف النهار، وكان في جانبه بعض من الكهنة واللاويين ليفهموا الشعب المعنى، فان إقامتهم في الجلاء سبعين سنة أنست أكثرهم اللغة العبرانية المكتوبة التوراة بها. وظل يقرأ لهم سنة الله ثمانية أيام، وفي الختام جدد جميعهم العهد واليمين على طاعة الله والعمل بناموس (نحميا فصل ٨).

روى يوسيف (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٥) أن عزرا توفي في أورشليم وعظم الشعب الاحتفاء بدفنه، ولكن ذهب بعض علماء اليهود أنه قضى في بلاد

فارس لدن عوده مرة أخرى إليها وإنَّ سكان تلك البلاد يدلون على مدفنه في مدينة ساموز، ويقال إنه عاش مئة وعشرين سنة.

قد مرَّ إنَّ السفر الذي كان مدار كلامنا عليه في هذا الفصل إنما هو لعزرا بإجماع اليهود والنصارى على ذلك؛ لكن الترجمة اللاتينية العامية تعزو إليه السفر الثاني أيضاً الآتي الكلام فيه المعروف في النص العبراني بسفر نحما وهو لنحما حقيقة؛ ومن المجمع عليه إنه هو كاتب الفصول الستة الأولى منه، ولكن عزرا العقليون ما تضمنه هذا السفر من الفصل السابع عد ٦٩ إلى الفصل الثاني عشر عد ٢٦ إلى كاتب آخر كان بعد قرن من أيام الكاتب الأول. واحتجوا لذلك بادلة تضعف قول الجمهور بأن نحما كتب هذا السفر إلا آيتين أو ثلاثاً في الفصل الثاني عشر منه (عد ١١ و ٢٢) ألحقها يد أخرى بكلامه تلاحظ نسب بعض كهنة لم يكونوا في أيام نحما وأما نسبة هذا السفر إلى عزرا في الترجمة اللاتينية المذكورة فمصدرها جعل اليهود السفريين واحداً كيلا يتجاوز عدد الأسفار المنزلة عندهم عدد حروف هجائهم الأثنين والعشرين. ثم إنَّ الكنيسة اليونانية عزت إلى عزرا سفرًا ثالثاً وخالفتها في ذلك الكنيسة الكاثوليكية، وهذا السفر أشبه بسفر عزرا الأول، ولكن تخللته حواشٍ وزيادات منها إنه كان لداريوس ثلاثة حراس أحدهم زربابل، وإنه طارحهم سؤالاً في ما هو أقوى شيء في العالم فقبال الأول: إنه الخمر وأقام عليه ما عرَّ له من الحجج، وقال الثاني هو الملوك وأورد له ما خطر في باله من البراهين. وقال الثالث هو زربابل إنَّ أقوى شيء النساء وأقوى من الخمر والملوك والنساء الحق. وأثبت ذلك بادلة دامغة فجمع الملك أعوانه وعماله وقصَّ عليهم ما كان فصوبوا جميعاً قول زربابل وجزاه الملك بالسماح له أن يعود إلى أورشليم ويجدد بناء الهيكل. وذكر يوسفوس هذه القصة (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٤) ولا يحسب بذلك إنه قطع بكونها من جملة الكلام المنزل في أمته. وأيضاً يعزى إلى عزرا سفر رابع ليس على صحة تنزيله من دليل، وقد بذل كاتبه جهده ليحذو به حذو عزرا في الفاظه واساليب كلامه. ومما كتب فيه أنَّ يوم الدين قريب، وأنَّ نفوس الصالحين والأشرار أجمع تنجو بعده من الجحيم، وأنَّ عزرا أصلح الأسفار المقدسة كلها وكانت قد بادت برمتها. ويتكلم في المسيح ورساله كلاماً واضح مما ورد في الإنجيل إلى غير ذلك مما حمل اليهود والنصارى على نفي هذا السفر من عداد الأسفار المنزلة. وينسب إلى عزرا أيضاً أنه كتب سفري الملوك الثالث والرابع

وسفري أخبار الأيام الأول والثاني، ولعله أعاد النظر فيها أو عارض نسخها وأصلح فيها شيئاً. ويقال إنه واضع نظام الأسفار المقدسة إلى أيامه كما نراه الآن. وإنه أول من وضع النقط والحركات على كلم الكتاب، والأصح إن وضعها كان بعده بقرون وبعد مجي الخلف.

عد ٣٦٥

نحميا وبنائوه أسوار أورشليم

ذهب بعضهم إلى أن نحميا كان من السبط الكهنوتي، والأظهر أنه كان من سبط يهوذا من ذرية الملوك، وقد ولد في بابل في مدة الجلاء فلم يكن يعرف أورشليم بل كان يحنّ إليها لأنها موطن آباءه وحيوت بيت الهه وكان من المقربين إلى أرتخششتا الملك بل كان ساقيه. وقد وفد يوماً أحد إخوته ورجال من يهوذا من أورشليم إلى شوشن عاصمة الفرس. فاستخبرهم عن حالة أمتهم فقالوا هم في ضنك وأسوار أورشليم ما برحت متهدمة، وأبوابها محترقة، فبكى وصام وصلى إلى الله ليحمده بعونه أمام الملك، ووقف أمامه في شهر نيسان في السنة العشرين للملكه وهي سنة ٤٤٥ ق.م. وناول الخمر مكتباً. فسأله الملك عن علة إكتابه فقال حييت مولاي إلى الأبد كيف لا أكتب والمدينة حيث مدافن آبائي خربة وأبوابها محترقة. فقال الملك ما تبغي؟ فقال بعد أن خشع لله إن كان لعبدك حظوة أمامك فمر بان أمضي إلى هناك. فأجاب الملك متمناه بحضرة الملكة. وفي هذا إشارة إلى إنها أستير بنت قبيلته. ودفع إليه رسائل توصية إلى الولاة الذين في عبر الفرات، ورسالة إلى أساف حارس غاب الملك ليعطيه ما يلزمه من الأخشاب.

وأصبحه بقواد وفرسان وولاه على قومه وشرط عليه أن يعود إليه بعد الفراغ من مهامه. فوفد إلى أورشليم ومكث ثلاثة أيام لا يقول شيئاً. ثم خرج ليلاً ودار حول المدينة متبصراً كيف يقيم أسوارها ودعا رؤساء قومه وأعلمهم بما أتاه الله له. وحضهم على بناء أسوار أورشليم، فلبوا دعوته مجدين، وأخذ كل في بناء ما يواجهه بيته. وسمع سنبلط الحوروني والي السامرة وطوبيا العبد العموني (لعله كان والياً على العمونيين) وجاشم العربي والي العرب فسخروا من اليهود قائلين ماذا يصنع هؤلاء اليهود الضعفاء أيتمردون على الملك أم يحيون الحجارة من كوم التراب، وهي محترقة، فلو وثب ثعلب لهدم سور حجارتههم. فلم يحفل نحميا

بكلامهم وجد في بناء السور وأتم نصفه فاستشاط أعداء اليهود حنقاً فعدلوا عن السخرية منهم وتفرغوا لقتالهم. وأخبر اليهود المقيمون بين الأمم نحيميا بما ينوون فاقام الحراس ليلاً ونهاراً على قمم الجبال، وقسم شعبه إلى نصف يعمل العمل ونصف يحمل السلاح متأهباً للقتال، وكان البناؤون يبنون وسلاحهم معهم وكذلك فعل العملة. وأقام نحيميا متوقين حتى إذا أقبل الأعداء من جهة عرف كل واحد باقبالهم وأتموا هذه الأسوار في مدة أثنين وخمسين يوماً، والمراد إنهم أتموا النصف الذي كان باقياً عند استعداد أعدائهم لقتالهم.

ولم يتهياً لأعداء اليهود أن يحاربوهم فعولوا على أن يحتالوا على نحيميا ليهلكوه غيلة. فاستدعوه لمفاوضتهم في البرية لتسوية الخلاف دون حرب، فاعتذر لهم بأنه أخذ في عمل كبير فلا يتسنى له تركه مخافة أن يُعطل ورأوه في ذلك أربع مرات، وهو يجيبهم جواباً واحداً. فارسل إليه سنبط رسالة مع غلامه مفتوحة وقد كتب فيها: « قد سمع في الأمم وجاشم (والي العرب) يقول إنك أنت واليهود مضمرون التمرد، ولذلك أنت تبني السور لتكون ملكاً عليهم وقد أقمت لك انبياء ليتنبأوا لك في أورشليم قائلين إن في يهوذا ملكاً، والآن يسمع هذا الكلام عند الملك فهل الآن لنأتمر معاً». فاجابه نحيميا ليس كما تزعم وإنما هو كلام أنت تختلقه من قلبك. واستمال أعداؤه إليهم نبياً كاذباً اسمه شمعيأ أخذ يخوفه قائلاً: لنجتمع في بيت الرب ونوصد الأبواب لأنهم آتون ليقتلوك ليلاً. فاجابه نحيميا مثلي لا يهرب ولا يدخل الهيكل ليحى، ويعلم إن أعداءه أستأجروه ليقول هذا الكلام وإن كثيرين من أورشليم يرسلون طوييا العموني ويراسلهم لأنه كان تزوج هو وابنه بأمرأتين عبرانيتين فلم يعبأ بشي من ذلك.

وأراد نحيميا أن يدشن السور والأبراج والأبواب فدعا الكهنة واللاويين والمغنيين ورؤساء الشعب من كل أنحاء اليهودية. وسير فريقاً منهم عن جنوبي الأسوار وفريقاً عن شماله يستبحون الله بالغناء والصنوج والعيدان والكنارات إلى أن التقى الفريقان في الهيكل، وتلوا بعض فصول التوراة، وقدموا الذبائح والقرايين، وعيدوا عيد المظال بالبهجة والسرور. ووجد نحيميا أسوار المدينة فسيحة لا تُملئها المساكن، فالقى قرعة على أن يأتي واحد من عشرة من الشعب ليسكن في أورشليم والتسعة يسكنون المدن والقرى (نحيميا من الفصل الأول إلى الفصل السابع).

عد ٣٦٦

تتمة أخبار نحميا

إنَّ بناء الأسوار وتفرغ الشعب للحراسة والعمل كما مرَّ أنهكا الفقراء منهم واضطر بعضهم أن يبيع عقاره، وبعضهم أن يرهنه، وغيرهم أن يقترض مالا بربا فاحش وآخرون إلى أن يعبدوا بنبيهم وبناتهم ليكسبوا ما يعيشون به، فجمع نحميا الكبراء والأغنياء وعنفهم على ظلمهم الفقراء وحملهم أن يحطوا لهم من دينهم ويردوا عليهم حقولهم وكرومهم، ويقرضوهم دون ربا. وقال مذ أمرت أن أكون قائداً لم أكل خبز القائد (أي لم يأخذ شيئاً من جعله). ولم أثقل على أحد بل كان على مائدتني كل يوم مائة وخمسون رجلاً من اليهود والولاة ما خلا من كانوا يقدمون إلينا من الأمم، فأذعنوا لكلامه وردوا على الفقراء بعض ما كانوا أخذوه. وعكف نحميا على استئصال ما تداخل عند اليهود من العادات السيئة، ومنه الزواج بنساء غريات من غير أمتهم. وقد مرَّ أنَّ عزرا عني بذلك فيظهر أنَّ بعضهم لم ينبذوا نساءهم الغريات فاحتاج الأمر عناية نحميا أيضاً وكان أكثر نجاحاً. وعين جعل الكهنة والمغنيين، وشدد بحفظ وصية السبت، ونهى الصوريين وغيرهم من بيع السمك وغيره في أورشليم يوم السبت. وأمر باقفال أبواب المدينة في ذلك النهار. وحمل كبراء الشعب على تجديد ميثاق الطاعة لوصايا الرب. ووقع على هذا الميثاق هو وكبراء الشعب ووصف نفسه بكلمة ترشاتا وهي فارسية معناها على الأصح حاكم أو وال. وجاء في سفر المكابيين الثاني (فصل ٢ عد ١٣) إنَّ نحميا «أنشأ مكتبة جمع فيها أخبار الملوك والأنبياء وكتابات داود ورسائل الملوك في التقادم» وأقامها في الهيكل. وبعد أن فرغ من هذه المهام عاد إلى أرتحششتا الملك كما وعده، ثم قفل بامرره إلى أورشليم حيث توفي نحو سنة ٤١٥ ق.م. على الراجح سناً إلى أنَّ أرتحششتا ملك سنة ٤٦٥ ونحميا أتى أورشليم في السنة العشرين للملكه وهي سنة ٤٤٥ ق.م. وإنه حكم في شعب يهوذا نحواً من ثلاثين سنة.

عد ٣٦٧

سفر أستير ومن كانت هي زوجة له

إنَّ مدار كلامنا في أخبار أستير إنما هو على ما تضمنه السفر المنزل المعروف

بسفر أستير وقد أنكر الملحدون تنزيهه، وسموه مثلاً أو حكاية مع أن حسابانه من الأسفار المنزلة ثابت بادلة قاطعة، منها إن العيد المعروف بيومي فوريم (أي القرعة) الذي ذكر في سفر أستير (فصل ٩ عدد ٢٨). قد جاء ذكره في سفر المكابيين الثاني أيضاً (فصل ١٥ عدد ٣٧) مأموراً أن العيد فيه ذكر للأحداث الآتي إيرادها، وأن اليهود كانوا يحتفون به في أيام نكانور في نحو سنة ١٦٠ ق.م. ومنها أن يوسفوس الذي كان في القرن الأول للميلاد ذكر هذا العيد (في تاريخ اليهود ك ١٢ فصل ٦). واليهود يحتفون به إلى الآن في الثالث عشر من آذار ويصومون اليوم السابق له ويقرأون في مسائه سفر أستير برمته. ومنها مطابقة كل ما جاء في هذا السفر لعادات الفرس في تلك الأيام وآدابهم. ولذلك قضت الكنيسة باحصائه بين الأسفار المنزلة مع الحواشي المذيل بها وإن خلا النص العبراني عنها مع وجودها في الترجمة السبعينية، أما كاتب هذا السفر فغير معروف وعزاه التلمود إلى مجمع اليهود الكبير في تلك الأيام، والقديس أكليمنضوس الاسكندري وغيره إلى مردكاي عم أستير أو ابن عمها وفي الفصل التاسع من هذا السفر (عدد ٢٠) ما يؤيد هذا القول لأنه جاء هناك: «وكتب مردكاي هذه الأمور وبعث برسائل إلى جميع اليهود الذين في جميع أقاليم الملك أحشورش من داب وقاص». وعلى كل قول يلزم أن يكون الكاتب قد عاش في أيام ملوك الفرس لما يظهر من معرفته بعاداتهم وقرائن أحوالهم ودقائق أمورهم ومن أساليب كلامه المطابقة لأساليب كلامهم في تلك الأيام.

وقد جاء في هذا السفر أن أستير كانت بنت أبيخائيل من سبط بنيامين، وتوفي والدها فرباها عمها أو ابن عمها مردكاي بن يائير، وقبض الله لها أن تكون زوجة لأحشورش ملك الفرس، وذهب بعضهم منهم كلمت في تاريخ العهد القديم وفي معجم الكتاب إلى أن أحشورش هذا هو دارا بن هيستاسب. وذهب آخرون وهم كثيرون إلى أنه أرتخششتا الملقب بذي اليد الطولى، وأقاموا على ذلك أدلة وحججاً منها أن يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٦) صرح بأن الملك الذي تزوج باستير (أنا هو أرتخششتا ذو اليد الطولى) ومنها أن الترجمة السبعينية وحواشي سفر أستير اليونانية سمت أحشورش أرتخششتا. وتوجد قرائن عديدة تثبت أن «أحشورش هذا لا يمكن أن يكون أرتخششتا الملقب بميامون الذي ملك في الفرس بعداً فتعين أن المراد أرتخششتا ذو اليد الطولى؛ ومن هذه الأدلة تعطفات أرتخششتا على اليهود

بتولية نحميا عليهم ومعاونته على بناء أسوار أورشليم إلى غير ذلك مما يشعر بان امرأته كانت يهودية. وقد قال بهذا أكثر العلماء حتى قال كلمت نفسه في آخر كلامه على أحشورش في معجم الكتاب: «يظهر لي أنّ حجج هذا القول أقوى من حجج القول الآخر ولذلك اعتمد عليه».

عد ٣٦٨

ملخص خبر أستير عن سفرها

قد جاء في هذا السفر أنّ أحشورش صنع وليمة لعظماء مملكته في السنة الثالثة لملكه استمرت مئة وثمانين يوماً. ثم صنع وليمة أخرى لشعبه في شوشن عاصمة ملكه مدة سبعة أيام في دار حديقة قصره. وادبت الملكة للنساء في قصره وأمر في اليوم السابع أن تأتي وشتي الملكة إلى أمامه بتاج الملك ليرى الشعب والزعماء جمالها، فأبت الملكة أن تأتي فحنق الملك وقال للحكماء العارفين بالسنة ما تفعل بوشتي الملكة وما جزاؤها؟ فقال أحدهم إنها لم تسعى إلى الملك وحده بل إلى جميع الزعماء والشعب لأن خبرها سينتهي إلى جميع النساء فيحتقرن بعولهن، فان حسن عند الله أن يعطي ملكها لمن هي خير منها. وصوب الملك مشورته وأذاع أمراً بأن يكون كل أمرئ رباً على بيته (فصل ١). وطلب غلمان الملك أن يؤتى ببنات أبكار حسان ومن حسنت منهن في عيني الملك كانت بدلاً من وشتي الملكة. فادخل مردكاي أستير، بيت الملك وأوصاها بأن لا تخبر أحداً بشعبها وأقربائها. ونالت حظوة عند هيجاي حارس النساء ونقلها والجواري التي أعطيتها من بيت الملك إلى أحسن محل في دار النساء. وكان مردكاي يتمشى كل يوم أمام دار النساء متفقدا سلامة أستير ثم قدمت إلى الملك فأحبها على جميع النساء ووضع التاج على رأسها وجعلها ملكة بدلاً من وشتي. وكان بعد أيام أن مردكاي عرف بخيانة على الملك أضمرها رجلاً من حراس أعتابه ليقتلاه غيلة فأخبر أستير وهي أخبرت الملك بذلك. وتحقق صحته فعلق كليهما على خشبة ودون ذلك في سفر أخباره (فصل ٢).

وكان أرتخششتا عظم رجلاً اسمه هامان ورفع مجلسه فوق جميع الزعماء الذين عنده. وكان جميع الواقفين في باب الملك يسجدون له، إلا مردكاي فلم

يكن يجثو ويسجد له فحنق عليه هامان. وصغر في عينيه أن يلقي يده عليه وعمل على إهلاك اليهود جميعاً. فنم إلى الملك أن في أقاليم مملكته شعباً منتشراً تخالف سنته سنن الشعوب وسنة الملك فلا يجدر تركهم على ما هم عليه، فيعثون في المملكة. فليكتب الملك في تدميرهم وأنا أزن عشرة آلاف قنطار من الفضة لمن يتولون العمل. فقال له الملك الفضة موهوبة لك ونزع خاتمه من يده ودفعه إلى هامان ليوقع على الأمر الذي يحسن له. فاستدعي كتاب الملك في اليوم الثالث عشر من الشهر الأول، وكتب إلى الأقطاب وولاة الأقاليم ليستأصلوا اليهود رجالاً ونساءً وأطفالاً. فخرج السعاة معجلين بأمر الملك وصدر الحكم في شوشن العاصمة (فصل ٣). ولما علم مردكاي بما كان مرق ثيابه وألقى عليه مسحاً ورماداً، وخرج إلى وسط المدينة وصرخ صراخاً مراً، وجاء إلى أمام باب الملك. وأخبرت أستير جواريتها، فارسلت أحد الخصيان إلى عمها فآخبره مردكاي بما كان، وأرسل إليها نسخة أمر الملك الذي أذيع في شوشن. وأوصاها أن تدخل على الملك وتشفع في أمتها، ولا تخال إنها تنجي في بيت الملك دون اليهود. فارسلت تقول له أن يجمع اليهود ويصوموا ثلاثة أيام لأجلها، وهي تصوم كذلك مع جواريتها فمضى مردكاي وفعل كما أمرت (فصل ٤).

وفي اليوم الثالث لبست أستير ثياب الملك ووقفت في ساحة دار الملك، فرآها ونالت حظوة في عينيه. ومد لها صولجان الذهب فتقدمت ولمسته، وقال لها الملك مالك يا أستير وما بغيتك؟ ولو كان نصف المملكة فتعطي لك. فقالت إن حسن عندك أتيت أنت وهامان إلى مأدبة أعددتها في الغد. فقال الملك بلغوا هامان ليفعل كما قالت أستير. وخرج هامان ذلك المساء من القصر فرحاً طيب القلب لكنه لما رأى مردكاي لم يجث له احتدم غيظاً، وجاء إلى بيته يخبر امرأته وأصدقائه بمجده وبدعوة أستير له وحده إلى مأدبة الملك. وقال كل هذا كلا شيء عندي ما دمت أرى مردكاي جالساً في باب الملك ولا يسجد لي. فقالت زوجته وأصدقائه لتصنع خشبة علوها خمسون ذراعاً وغدا كلم الملك فيعلق مردكاي عليها. فحسن الأمر عنده وصنع الخشبة (فصل ٥). وفي تلك الليلة أرق الملك فامر أن يؤتى بسفر أخبار أيامه فوجد مكتوباً فيه أن مردكاي كشف للملك عن خيانة حارسه اللذين ارادا قتله. فسأل ما صنع من الكرامة والتعظيم لهذا الرجل، فقال الغلمان لم يصنع له شيء فقال من في الساحة؟ قالوا: هامان! فقد كان جاء ليكلم الملك في تعليق

مردكاي على الحشبة. فامر أن يدخل عليه وقال الملك له: ماذا يُصنع لرجل يرغب الملك في تكريمه؟ وفكر هامان من يرغب الملك في تكريمه أكثر منه فقال: يأتيه بثياب الملك التي يلبسها وبالفرس الذي يركبه ويوضع تاج الملك على رأسه ويطاف به في ساحة المدينة، وينادي أمامه. هكذا صُنع للرجل الذي يرغب الملك في أن يكرمه فقال له الملك اسرع إذاً وخذ الثياب والفرس والتاج واصنع كما قلت لمردكاي ولا تدع كلمة تسقط من كل ما قلت. فارغم هامان أن يصنع كذلك وكبده يفطر كمدأً وحنقاً، ورجع مردكاي إلى باب الملك وهامان إلى بيته حزناً مغطى الرأس. وأخبر زوجته وأصدقائه بما جرى له فقالوا له إن كان مردكاي من نسل اليهود فلن تقوى عليه. وفيما هم يتكلمون جاء خصيان الملك يدعونه لمأدبة أستير (فصل ٦).

وعند شرب الخمر قال الملك لأستير: ما بغيتك ولو نصف المملكة فتعطيني؟ فقالت إن حسن عندك فلتوهب لي نفسي وشعبي لأننا مبيعون جميعاً للقتل والإستئصال. ولو بعنا عبيداً وأماء لسكتُ عن اضطهاد مضطهدنا. فقال الملك متعجباً: من هو وأين ذاك الذي يفكر في هذا؟ قالت: ها هو هامان العدو المضطهد. فقام الملك مغضباً عن شرب الخمر ومضى يتمشى في حديقة القصر، وجثا هامان يتوسل إلى الملكة عن نفسه، ثم عاد الملك فوجده وقد خرَّ على عرش الملكة. فقال أَيْغُضِبُ الملكة أيضاً في داري ولم تخرج الكلمة من فم الملك إلا وغطى الغلمان وجه هامان وسحبوه إلى الخارج. وعلم الملك أنه كان أعدَّ حشبة ليعلق مردكاي عليها. فقال: علقوه عليها. فعلقوه وسكن غضب الملك (فصل ٧).

ووهب الملك بيت هامان لأستير وأخبرته أن مردكاي من ذوي قرابتها، فاستدعاه ونزع الخاتم الذي كان من هامان فاعطاه لمردكاي، وأقامته أستير على بيت هامان، وعادت فخرت عند قدمي الملك، وبكت وتضرعت إليه في إزالة شر هامان عن أمتها. فقال الملك، لها ولمردكاي أكتبنا أنتما إلى اليهود وغيرهم ما يحسن لكما، وأختما بخاتم الملك. فكتب كل ما أمر به مردكاي إلى اليهود والأعوان والولاة من الهند إلى كوش (بلاد الحبشة)، ووجه مردكاي الرسائل مع السعاة على الخيل فخرجوا مسرعين بأمر الملك، وأذيع الحكم في شوشن العاصمة. وخرج مردكاي من حضرة الملك، بثوب الملك السمنجوني والأبيض وبتاج نفيس من ذهب وثياب بز وارجوان. وكان لليهود بهجة وسرور وكرامة أينما كانوا أو

حلوا. وصار كثير من أمم الأرض يهوداً لأن خوف اليهود حل عليهم (فصل ٨)، وعظمت مكانتهم واشتدت صولتهم، وكان جميع الأقطاب والأعوان والولاية يساعدون اليهود خوفاً من مردكاي، وقتل اليهود في شوشن وحدها يوم إنفاذ أمر الملك خمس مئة رجل من أعدائهم، وفي اليوم الثاني ثلاث مئة وكان عدد القتلى جميعاً من أعدائهم في سائر أنحاء المملكة خمسة وسبعين ألفاً منهم أبناء هامان العشرة. واستماحت الملكة أن يعلقوهم على خشبات فعلقوهم ولم يمد أحد اليهود إلى غنيمة يداً، بل جعلوا الرابع عشر والخامس عشر من آذار عيداً لنجاتهم يحتفون به كل سنة إلى اليوم، وسموه فوريم أي القرعة، لأن هامان كان ألقى قرعة على إبادتهم (فصل ٩).

وقد علفت في الفصل السادس عشر من سفر أستير نسخة الرسالة التي أذاعها أرتخششتا الملك نقضاً لأمره باستئصال اليهود وقد خلا عنها النص العبراني. وإليك ملخصها: «من أرتخششتا العظيم المالك كل ما كان من الهند إلى الحبشة إلى القواد والرؤساء في المئة والسبعة والعشرين إقليماً التي في طاعتنا سلام. إن كثيرين يسيئون إتخاذ المجد الممنوح لهم فيتكبرون ويظلمون رعايا الملك بل يتآمرون على الذين منحوهم المجد أيضاً، ويتوهمون أنهم يستطيعون أن يفروا من قضاء الله المطلع على كل شيء، وهذا أمر أنبأنا به التواريخ، ومما يحدث كل يوم أن دسائس البعض تفسد خواطر الملوك الصالحة. ويلزم الملك أن ينظر في جميع الأقاليم وعليه فلا ينبغي أن يظن أننا نأمر بأمور متباينة عن خفة عقل بل ذلك ناشيء عن اختلاف الأزمنة وضرورتها. ولكي تفهموا كلامنا بأوضح بيان فاعلموا أن هامان المكדوني جنساً ومشرباً، والغريب عن دم الفرس قد فضح رحمتنا بقساوته وبعد أن أويناه غريباً، وأحسننا إليه حتى كان يدعى أباً لنا والجميع يسجدون له بلغ من شدة عتوه أن يسلبنا الملك والحياة. وسعى بدسائس لأهلاك مردكاي الذي إنما نحن في الحياة من أمانته وباهلاك قرينة ملكنا أستير وسائر شعبها، وكان في نفسه أن يترصد لنا ويحول مملكة الفرس إلى المكدونيين، ولم نجد نحن ذنباً في اليهود المقضى عليهم بالموت، بل هم بنو الله العلي العظيم الذي باحسنانه سلم الملك إلى آبائنا وإلينا، وما برح محفوظاً، وعليه فليكن معلوماً إن الرسائل التي وجهها باسمنا هي باطلة، وبسبب تلك الجريمة علق هو وجميع أنسبائه على خشبات فنال بذلك جزاء ما استحق من قبل الله لا من قبلنا، وليعلن هذا الأمر الذي نحن منفذوه الآن في

جميع المدن ليباح لليهود أن يعملوا بسنهم. وتحصل المعاضدة لهم على أعدائهم وأن يعيد ليوم نجاتهم. وليعلم في ما بعد إن كل من يطيع الفرس بامانة يثاب على أمانته ثواباً وافياً، ومن يرصد للمكهم يهلك بجنايته».

عد ٣٦٩

تتمة أخبار أرتخششتا وخلفائه إلى أيام اسكندر الكبير

إن الملك أرتخششتا أوقد نار الحرب على مصر لعودها إلى ثورتها، فحازبها اليونان. وأرسلوا أسطولاً يخرّب في شواطئ البحر المتوسط إنجاداً للمصريين. وكانت وقائع عديدة انتصر فيها مكاييس والي سورية من قبل أرتخششتا على قائد الأسطول اليوناني. ولكن انتصر اليونان عليه مرات في قبرص فاضطر ملك الفرس أن يطلب الصلح مع اليونان، فوقع على عهده سنة ٤٤٩ ق.م. وكان من شرائطه تخلي أرتخششتا عن جميع المدن اليونانية التي على شاطئ بحر اليونان، ثم عصا عليه مكاييس والي سورية وانتصر على جيوشه. واستقل ملك ليديا عنه واستبد بملكها وكان ذلك مقدمة لتجزئة مملكة الفرس. ولم يشترك اليهود في شيء من هذه الحروب.

وقد توفي أرتخششتا سنة ٤٢٥ ق.م. وخلفه ابنه كيخسرو الثاني، لكنه لم يملك إلا خمسة وأربعين يوماً، وقتله أخوه سوغيدان. ولم يملك هذا أيضاً إلا ستة أشهر وقتله أخ آخر له، وملك مكانه وسمي دارا الثاني. وكثرت الثورات والحروب في أيامه فاستظهر ابنه كورش وقادة جيشه على أعدائه، ومات دارا الثاني الملقب بنوتوس سنة ٤٠٥ ق.م. فتأججت نار الحرب بين ابنه كورش المار ذكره وأرتخششتا الثاني. فقتل كورش سنة ٤٠١ واستتب الملك لأرتخششتا الثاني الملقب بميامون. وقد ثارت عليه مصر يحازبها عليه جيسلاس ملك سبرتا، واستحوذ فاغوراس ملك سلمينا في قبرص على هذه الجزيرة كلها. ونكلت سفائنه بمدن سورية وكيليكية التي على شاطئ البحر. وكان أرتخششتا هذا متقلباً في فنون السياسة فالتقى الفتنة بين اليونان. فاستراح وعاد يحارب فاغوراس في قبرص، وحاصرها ست سنين حتى أرغم فاغوراس أن يعترف بسيادته على الجزيرة. وفرض عليه جزية يؤديها كل سنة، وكان ذلك لسنة ٣٨٠ ق.م. واستعد أرتخششتا لمحاربة مصر وحصن ملكها نكتانبو قلعتها التي على تخوم آسيا، وزحفت عساكر الفرس إليها سنة ٣٧٣ ق.م. وكان

عديدها مئتي ألف رجل عدا المستأجرين والسفائن البحرية، فكسرت عساكر الفرس عند أسنوار دمياط وخلعت مصر نير الفرس زماناً طويلاً. وعاش أرتخششتا باقي عمره مسالماً اليونان، ولكن هاجمه المصريون وأنجدهم أجيسلاس ملك سبرتا وكبيراس القائد اليوناني، ولكن اشتد النزاع بين هؤلاء الأعداء حتى اضطر تاهو ملك مصر أن يلجأ إلى أرتخششتا تاركاً عرش مصر إلى نكتانبو الثاني، ثم حاول أن يسترد ملكه بالإنجاد الفرس له. فكسرت عساكره وقتل هو عند أسوار تانيس سنة ٣٦٠ ق.م. ومات بعده أرتخششتا الثاني بعد أن ثار عليه أبناه.

وخلف أرتخششتا الثاني ابنه أرتخششتا الثالث الملقب باوكوس، واستمر على منصة الملك من سنة ٣٥٩ إلى سنة ٣٣٨ ق.م. وقد أهلك كل ذكر في أسرته ليأمن على نفسه؛ ومن أحداث أيامه أنه ثار عليه ملوك قبرص وإرتاباس والي آسيا الصغرى، وتانيس والي فينيقية. فاستظهر جيشه في قبرص ورد أهلها إلى طاعته، ولكن إنكسرت جنوده في فينيقية وفي آسيا الصغرى فلم يروعه انخزال جنوده، بل حشد من كل أقاليمه ثلاث مئة ألف مقاتل وعززها بعشرة آلاف استأجرهم من اليونان. وحاصر صيدا أولاً حيث كان تانيس والي فينيقية، فطلب أهل صيدا الأمان فانكره ملك الفرس عليهم. وقد مرّ في تاريخ الفينيقيين أنَّ أربعين ألفاً من هؤلاء آثروا الاحتراق في بيوتهم على ذبح الفرس لهم فدخلوا بيوتهم وأضرموا النار فيها فبادوا، واستتب حكم الفرس في سورية زماناً. وفرّ إرتاباس والي آسيا الصغرى إلى مكدونية، وأعد نكتانبو ملك مصر العدد للمدافعة فلم تجده نفعاً لأن جيوش الفرس أفتتحت دمياط ومنف، وأكره نكتانبو أن يفر إلى الحبشة. فعادت تخوم مملكة الفرس ممتدة إلى الحبشة وصحارى إفريقيا.

وحق لأرتخششتا الثالث أن يتفاخر بأنه خير خليفة لكورش ودارا الأول، على أنَّ اتساع هذه المملكة وانفساح تخومها كانا داعياً لسقوطها ولو عظمت سطوتها، إذ لا يمكن ضبط مكانها من الهند إلى الحبشة مع تقدم العصر واختلاف سكانها جنسيةً وغرضاً ونزعة. ومات أرتخششتا الثالث مسمماً سنة ٣٣٨ ق.م. بدسائس باغواس كبير وزرائه، وأقام ابنه أرسيس خلفاً له. وحاول أرسيس أن يخلع وزيره، فعامل الوزير عليه وقته، ولم يجسر باغواس أن يتخذ الملك لنفسه فاقام فيه أحد شركائه في جرائمه وهو دارا الثالث الملقب بكودومان، وهو من أحفاد دارا الثاني، وكان ذلك لسنة ٣٣٦ ق.م. التي تبوأ اسكندر الكبير منصة الملك على اليونان. فغير

اسكندر الدردنيل بجيوشه وشتت عساكر دارا الثالث واستحوذ على آسيا الصغرى كلها. وتقابلت جحافل اليونان والفرس عند إيسوس في خليج اسكندرونه سنة ٣٣٣ ق.م. فاستظهر اسكندر الكبير وقبض على أسرة ملك الفرس. وعاملهم بلطف ورقة ثم مضى بجحافله فخضعت له صور واليهودية وغزة ومصر. وعاد ميمماً الفرس في بلادهم، فكانت وقعة أرباليس (المعروفة بارييل الآن في شرقي نينوى) هي القاضية. ومات دارا الثالث قتيلاً فانقرضت به دولة الفرس سنة ٣٣١ ق.م. وملك اسكندر مصر وسورية وسائر أعمال آسيا إلى الهند. وسنسط الكلام على ذلك في الجزء التالي إن وفق الله.

عد ٣٧٠

حالة اليهود بعد أيام نحميا إلى أيام اسكندر الكبير

إنَّ الأسفار المنزلة لم تنبئنا بشيء من أخبار اليهود في الحقبة التي من يوم موت نحميا إلى حين ولاية اسكندر على اليهودية، وهذه الحقبة هي زهاء مئة سنة والمعلوم من أخبار اليهود فيها أنهم كانوا خاضعين للملك الفرس يدبر شؤونهم عظماء كهنتهم. وكان في هذه المدة أنَّ سنبلط والي السامرة حمل السامريين على بناء هيكلهم في جبل غريزيم، إذ لم يشأ اليهود أن يشاركوهم في بناء هيكل أورشليم. وأنكر هؤلاء أنهم ذرية من جلاهم ملك آشور إلى السامرة وزعموا أنهم من ذرية يوسف وإفرائيم. وقد يكون اختلط بعضهم ببني إسرائيل الذين استمروا في فلسطين بعد الجلاء. وكان كلما ارتكب يهودي جريمة وخاف العقاب لجأ إليهم فقبلوه وأعزوه. وكانوا يجلبون أسفار التوراة التي أتاهم بها بعض الكهنة الذين أرسلهم إليهم ملك آشور لإجلال اليهود لها فكان ذلك بيّنة لصحة هذه الأسفار عند اليهود مأخوذة من أعدائهم.

ويظهر أنه كان عند اليهود بعد نحميا ندوة شيوخ مؤلفة من سبعين شيخاً كما كان في أيام موسى، ومنهم قضاة يجلسون في أورشليم وغيرها يومي الاثنين والخميس في كل أسبوع فيقضون للشعب. وكانت هذه الندوة تحافظ على السنّة وتفسر ما أشكل منها، وكانوا يسمون رئيس هذا المجلس ابتيدين أي أبا المحكمة أو رئيسها، وكان من فروضهم المحافظة على السبوت والأعياد والأصوام. ويظهر أيضاً إنَّ اليهود لم يشتركوا في شيء من حروب ملوك الفرس مع مصر أو مع سورية

وفينيقية، ولم يستنجدهم المصريون في حروبهم مع ملوك فارس، بل كان اليهود ينظرون في ذلك نظر المتفرج الملتزم الحيدودة. روى كل هذا كرتس في تاريخ اليهود. وروى يوسفوس (في تاريخ اليهود ك ١١ فصل ٧) وكرتس في المحل المذكور أنَّ باغواس وزير أرتخششتا الثالث المار ذكره قائداً لجيش الفرس في سورية وفينيقية. وكان وقتئذٍ أن مات يوياداع عظيم الكهنة وله ابنان يوحنا البكر ويشوع الأصغر. فدفع يشوع مالاً إلى باغواس ليجعله عظيم الكهنة بدلاً من أخيه البكر فوعده بذلك، فتنازعا الرياسة في الهيكل فقتل يوحنا يشوع أخاه فشخص باغواس إلى أورشليم لا لاجراء العدل بل لكسب الدرهم، ففرض على اليهود جزاء على هذه الجريمة أن يدفعوا على كل خروف يقدمونه ذبيحة في الهيكل خمسين درهماً. واضطر الشعب أن يدفع هذه الضريبة سبع سنين.

الفصل الواحد والعشرون

النبوة والانبياء الكبار

عد ٣٧١

تعريف النبي والنبوة وإمكانها ونوعها

النبي من أوحى الله إليه بنوع يفوق الطبيعة شيئاً يريد أن يبلغه إلى الناس. والنبوة تبليغ النبي إلى الناس أمراً أو حياً الله إليه؛ وعليه فتستلزم النبوة أمرين، وحي الله وإرساله النبي ليبلاغه، ونرى الله قد صرح بالأميرين لارميا إذ قال له: (فصل ١٩ عد ٩): «هأنذا قد جعلت كلامي في فمك» فهذا هو الوحي. وقال له (في الفصل المذكور عد ٧): «لكل ما أرسلك إليه تنطلق... هأنذا قد أقمتك اليوم على الأمم» وهذه هي الرسالة. ومن شرط النبوة أن تكون الأحداث المستقبلية المتنبى عليها لا يعلمها إلا الله. وقد جاءت كلمة النبي في الأسفار المقدسة متناولة لا من يعلن

أموراً مستقبلية فقط، بل من يعلن إرادات الله أيتها كانت حاضرة أو مستقبلية كمدرسة الانبياء في عهد شاول. والقول عنه إنَّ شاول بين الانبياء أي بين من يذيعون إرادات الله، ويسمى في العبرانية الرائي أيضاً. والنبوة موهبة من الله فائقة الطبيعة، وبهذا تختلف عنه العرافة التي ليست الا شعبة أو تلقيناً شيطانياً أو فراسة بشرية، وهي الاستدلال بالامور الظاهرة على الأمور الخفية، وبالحاضرة على المستقبلية. وتكون النبوة قولية وفعلية، فالقولية تعبير النبي عن إرادة الله بالالفاظ المتعارفة، والفعلية تعبيره عن ذلك بتشابهه ورموز كالتي كان يديها حزقيال.

لا منكر للنبوة من اليهود والنصارى وأكثر الأمم، ولكن أنكر العقليون وجود نبوة حقيقية أي إحياء الله إلى الناس أموراً مستقبلية بنوع فائق الطبيعة. فيفترون بوجود أسفار نبوية في العهد القديم، لكنهم يعزون ما حواه بعضها إلى فراسة رجال أذكيا في إسرائيل عرفوا أن يستدلوا بالامور الحاضرة على امور مستقبلية، وإذا تعذر عليهم تخريج بعضها الآخر مثل هذا المخرج لجأوا إلى إنكار صحة هذه الأسفار زاعمين أنها كتبت بعد الأحداث المنبئة بها لا قبلها، لأن النبوة غير ممكنة. على أن تنفيذ زعمهم هذا سهل ويكفيه مؤنة البرهان أن الله يعلم المستقبلات، وقدير أن ينبي بها من اراد ومتى أراد، وليس لعلم الله وقدرته من نكير الا من يجحد وجود الله عزَّ وعلا، أو كان من الدهريين. وتلك حقيقة أجمعت القبائل عليها في كل عصر وكل مكان، ونزيد على هذا البرهان القاطع براهين أخرى. الأول إنَّ العقليين أنفسهم لم ينكروا أن بعض الأنبياء تنبأوا بامور مستقبلية وإن نسبوا ذلك إلى فراستهم وذكائهم. فقد أقروا مثلاً أن نبوة ميخا صحيحة وهو قد تنبأ بالجللاء إلى بابل. فهل نرى هل كان له أن يتصل بفراسته إلى العلم بهذا الجلاء؟ فهو تنبأ به قبل مئة وخمسين سنة من حدوثه، وفي زمان لم يكن فيه أقل عداوة بين البابليين واليهود، بل لم تكن بابل نفسها وقتئذٍ مستقلة. فمن أين للفراسة البشرية أن تتصل إلى العلم بهذا الجلاء وتنبأ به.

الثاني إنَّ كل الانبياء حتى أقدمهم تنبأوا بخراب أورشليم والهيكل والجللاء، ولم تكن نبواتهم شائعة أو ملتبسة بل صريحة واضحة. وكان الأعداء الألداء وقتئذٍ لليهود الآشوريين، ومع ذلك لم يتنبأوا أن هؤلاء الآشوريين يخربون أورشليم والهيكل، ويجلون اليهود، بل تنبأوا أن الكلدانيين إنما هم من يكونون آلة انتقام الله من اليهود، وإنَّ من يخلصهم لا يكون المصريين الذين كانوا عندئذٍ يعتمدون عليهم

بل الله، فكيف كانت الفراسة البشرية تستطيع أن تتصل إلى العلم بهذه الأمور المخالفة لكل ظواهر الحال في أيام الانبياء، ومع ذلك فقد تم فعلاً ما تنبأوا به. الثالث إنَّ ملك بختنصر كان في ذرى مجده وسؤدده لما أنبأ أرميا بانحطاطه وانقراضه، لا بكلام عام شامل بل بالفاظ صريحة مفصلة مبيّنة أنَّ بابل يفتتحها الماديون وحلفاؤهم. ويدخلون إليها مجففين مجرى الفرات في ليلة عيد وأهلها سكارى، ويتملص اليهود حينئذٍ من جلائهم فبأية فراسة بشرية استطاع يهودي مقيم في أورشليم أن يبلغ إلى العلم بهذه الأمور وقرائنها الدقيقة قبل وقوعها بزمان مديد لعمر الحق؟ إن ذلك الا وحي من الله. الرابع إنَّ الانبياء عمّموا نبواتهم فتنبأوا على خراب نينوى وبابل وصور ومنف، وعلى انقراض العمونيين والموآبيين، والفلسطينيين والأدوميين. فتمت نبواتهم على كل هذه المدن وجميع هؤلاء الشعوب. فأَي عاقل يتدبر الأمور ويعزوها إلى الفراسة أو إلى المصادفة والاتفاق ويتعمى عن وحي الله فيها؟ الخامس إنَّ زكريا قد تنبأ (فصل ٩ عدد ١ وما يليه) على ملك اسكندر الكبير وإنه يفتتح حدراك ودمشق وحماة. وإنَّ صور تحرق وتلقى أسوارها في البحر. وإنَّ غزة يهلك ملكها. واشقلون (عسقلان) لا تُسكن وإنَّ أورشليم تكون حينئذٍ مطمئنة لا يقلقها شيء. وقد دهش أيخرون أحد زعماء العقليين بسطوع حقيقة هذه النبوة، فلم يجد مفرّاً منها الا بزعمه المحال إنَّ هذا خبر تاريخي مغشى بهيئة نبوة. وما ذلك الا اقرار على رغم أنفه بصحة هذه النبوة. وأضاف إلى ما مرَّ ما جاء في أسفار الانبياء وغيرها من النبوات على المسيح المفصلة كل أيام حياته من مولده في بيت لحم إلى موته على الصليب، وقد تمت جميعها. فإذا وجود النبوات امر ثابت ثبوتاً تاريخياً علمياً أيضاً منزهاً عن كل ريبة ومفحماً كل ملحد؛ وما النبوات إلا شهادة الله إذ يستخيل على غيره الاتيان بها حقيقة. فإذا الدين المثبت بالنبوات هو الدين الحق.

وقد أوحى الله إلى أنبيائه بثلاث طرق الكلام والرؤيا والحلم. وقد افتتحت نبوات أرميا بقوله كلام أرميا بن حلقيا... الذي كانت إليه كلمة الرب في أيام يوشيا (أرميا فصل ١ عدد ٢)، ومثل ذلك نبوتا هوشع ويوثيل. والمراد بكلام الرب لا الألفاظ المسموعة بالاذان بل ألفاظ يشعر النبي في قلبه. وأوحى إلى بعضهم بالرؤيا ففرى نبوة أشعيا مفتوحة بقوله رؤيا أشعيا بن أموص؛ ومثل ذلك في رؤيا حزقيال. واختلف المفسرون في ما إذا كان الله يصور تلك الرؤيا لأعين النبي. فيراها بنوع محسوس وطبيعي أو يوجد في مخيلته صوراً لا حقيقة خارجية لها. فقال القديس

ليرونييموس عند كلامه في رؤية حزقيال العظام اليابسة، إنَّ الله أخذه بالروح لا بالجسد، بل خارجاً عن الجسد. فالصحيح القول الثاني أي إنَّ الله كان يوجد في مخيلة الانبياء صور ما يريهم إياه، ويظهر إنَّ هذا هو القول الأعم. وقد يحتمل أن لا يصح في كل الرؤى مثلاً ظهور جبرائيل لدانيال لم يكن مصوراً في مخيلته فقط، بل ظهر لعينيه (دانيال ٨ و١٦). وفي كل حال لم تكن تلك الرؤيا وهمية بل كان الله يصورها حقيقة لمخيلة الانبياء. وقد أوحى الله إلى أنبيائه نادراً بالحلم، وهذا النوع يختلف عن النوع السابق في إنَّ الرؤيا كانت تحصل للنبي وهو مستيقظ، والحلم يحصل له وهو راقد. وكان الرب يستخدم في الرؤيا والحلم طرائق يألفها النبي. فترى رؤى أشعيا وأرميا بطريقة يألفها أهل فلسطين لأنهما كانا فيها. وترى رؤى حزقيال ودانيال بطريقة يألفها الكلدان لأنهما كانا في بلادهم.

عد ٣٧٢

الانبياء إجمالاً

لما كانت النبؤات ايعاء الله إلى الناس امراً مستقبلاً كان الانبياء بهذا المعنى كثيرين. فقد أوحى الله إلى آدم شيئاً من تخليص الناس خاصة إذ قال للحية: وأجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها فهو يسحق رأسك وأنت ترصدين عقبه (تكوين ص ٣ عد ١٥). وأوحى إلى نوح إذ قال: «تبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً له ليرحب الله ليافت ليسكن في أخبية سام ويكون كنعان عبداً له (تكوين ص ٩ عد ٢٦). وقد أثبت الآباء والمفسرون إنَّ في هذه الآية نبوة على أن المسيح يأتي من نسل سام. وأوحى إلى ابراهيم إذ وعده بأن يكون أباً لأمة كبيرة ويباركه. ويعظم اسمه وتبارك به جميع عشائر الأرض (تكوين ١٢ عد ٣ و٣). وإذ وعده بأن يكثر نسله كثراب الأرض (تكوين ١٣ عد ١٦). وأوحى إلى اسحق إذ جدد له الوعد بقوله وأكثر نسلك كنجوم السما وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض (تكوين ٢٦ عد ٤). وأوحى إلى يعقوب إذ تنبأ على ابنه قائلاً: «لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو (أي المرسل المراد به المسيح) وتطيعه الشعوب» (تكوين ٤٩ عد ١٠). وأوحى إلى موسى إذ تنبأ قائلاً: «يقيم لكم الرب إلهكم نبياً من بينكم من إخوتكم مثلي له تسمعون (تثنية الاشتراع ف ١٨ عد ١٥). وأوحى أموراً كثيرة إلى صموئيل وإيليا وإليشاع ولا سيما داود إذ

أوحى إليه في زبوره نبواته الكثيرة الصريحة على المسيح إلى غير هؤلاء. وقد عدّهم إكليمنضوس الاسكندري خمسة وثلاثين نبياً بعد موسى وخمسة قبله، وخمس نبيات. وعد أيفانيوس ثلاثة وسبعين نبياً في العهدين القديم والجديد وعشر نبيات. واليهود يعدون في كتابهم الموسوم بالجملة ثمانية وأربعون نبياً وسبع نبيات. وهنّ مريم أخت موسى ودبوره وحنة أم صموئيل وأيغال وحلدة (كانت في أيام يوشيا). وأستير والقوابل اللاتي لم يقتلن أبكار اليهود في مصر.

على أنّ الانبياء الذين لهم أسفار نبوات ستة عشر نبياً، أربعة منهم يسمون الكبار وهم: أشعيا وأرميا وحزقيال ودانيال، ولثنا عشر منهم يسمون الانبياء الصغار، وهم هوشع ويوثيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا ونحوم وحبقوق وصفنيا وحجاي وزكريا ومليخا. ويمكن أن يضاف إليهم باروك المثبتة نبوته بعد نبوة أرميا لأنه كان كاتبه. وقد سمى الأربعة الأولون كباراً مراعاة لطول أسفار نبواتهم والأثنا عشر الآخرون صغاراً مراعاة لوجازة نبواتهم. وقدمت وضعاً في الأسفار المقدسة نبوات الانبياء الكبار على نبوات غيرهم لا لتقدمها زماناً بل لطول أسفارهم. ووجازة أسفار الانبياء الصغار وهاك جدولاً يبين منه زمان كل من الانبياء وسني نبوتهم تقريباً واسماء الملوك الذين تنبأوا في أيامهم ومن تنبأوا عليهم:

أسماء الانبياء سنة نبوتهم تقريباً
أسماء الملوك الذين تنبأوا في أيامهم
على من تنبأوا

اسماء الانبياء	سنة نبوته تقريباً	اسماء الملوك الذين تنبأوا في أيامهم	على من تنبأوا
عوبديا	٨٨٩ إلى ٨٨٤	يورام؟	على الأدوميين
يوثيل	٨٧٨ إلى ٨٣٨	يواش؟	على يهوذا
يونان	٨٢٥ إلى ٧٨٤	يربعام الثاني	على نينوى
عاموس	٨٠٩ إلى ٧٨٤	يربعام الثاني وعوزيا	على إسرائيل
هوشع	٧٩٠ إلى ٧٢٥	يربعام الثاني وعوزيا	
		ويواتام واحاز وحزقيا	على إسرائيل
ميخا	٧٥٨ إلى ٧١٠	يواتام واحاز وحزقيا	على يهوذا وإسرائيل

أشعيا	٧٥٩ إلى ٦٩٩	عوزيا ويواتام وحزقيا ومنسا	على كل الشعوب المعروفين من إسرائيل
نحوم	٦٦٥	منسا	على نينوى
صفنيا	٦٢٨ إلى ٦٢٣	يوشيا	على يهوذا ومن جاوره من الشعوب
حبقوق	٦٠٩ إلى ٦٠٦	يويكين؟	على الكلدان
أرميا	٦٢٥ إلى ٥٨٨	يوشيا ويويكين يوخانيا	على يهوذا والشعوب المجاورين ومصر وبابل
باروك	٥٨٣	صدقيا	إرشاد للمجولين في بابل
حزقيال	٥٩٥ إلى ٥٧٣	يوخانيا والجللاء	على يهوذا والمجاورين
دانيال	٦٠٤ إلى ٥٣٤	يوخانيا وبختنصر وبلتصر ودارا والاصلاح المادي وقورش	على الممالك الكبيرة
حجاي	٥٢٠	دارا بن هستاب	وعود ليهوذا
زكريا منذ	٥٢٠	دارا بن هستاب	على مستقبل أورشليم الحسن
ملخيا	٤٣٣ إلى ٤٣٣	أرتحششتا ذي اليد الطولى	على إحسان الله إلى شعبه

انتهى مأخوذاً عن الموجز الكتابي ليفكرو في الانبياء.

عد ٣٧٣

أشعيا النبي

أشعيا كلمة عبرانية تأويلها الله يخلص، وقد كان هذا النبي ابن أموص ولم يميز بعض القدماء بين أموص أبي أشعيا وعاموس النبي. فوهما أنَّ أشعيا بن عاموس النبي. وقد قال القديس أيرونيμος (في تفسير نبوة عاموس): «لأنَّ عاموس النبي لم يكن أباً أشعيا النبي لأنَّ أموص أباً النبي يكتب بالألف والصاد وتأويله القوي؛ واما النبي فيكتب اسمه بالعين والسين، وتأويله الشعب المنتزع والميم والواو في كليهما». وجاء في تقليدات الربيين (أو الربانيين) أنَّ أشعيا كان ابن أخي الملك أمصيا، وأصله من سبط يهوذا وتزوج امرأة يسميها نبية ورزق منها: ابنان سكريابوس وتأويله البقية

تعود أي البقية من ابناء الجلاء والآخر شسباس وتأويله اسرعوا في التدمير. إشارة إلى خراب مملكتي إسرائيل وسورية (عن موجز تراجم القديسين في أشعيا). وكان مسكن النبي أورشليم، وقضى حياته في هذه العاصمة مشاهداً للتقلبات السياسية والدينية. ولم يكن في قرية حقيرة كما كان ميخا معاصره، ولا مطوفاً في فلسطين كما كان إيليا واليشاع. وهو أول نبي كان في المدينة المقدسة، وتوصل إلينا ما كتبه. وقد تنبأ في أيام الملوك عوزيا ويواتام واحاز وحزقيا كما جاء في نبوته (فصل ١٤١). وأولى رواه كانت في سنة موت عوزيا، وهي سنة ٧٥٨ ق.م كما في نبوته (ف ١٤١). وآخر نبوة نعرف تاريخها من نبوآته كانت في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا، وهي سنة ٨١٢ ق.م. ويظن أنه بقي في الحياة إلى زمان منسا الملك الذي أماته منشوراً. وذهب بعضهم إلى أن المعني بقول بولس الرسول (إلى العبرانيين ١١ عدد ٣٧) وبعضهم نشروا) إنما هو أشعيا النبي. ويؤيد هذا القول التقليد القديم عند اليهود، وقد قال به كثيرون من آباء الكنيسة وعدا نبواته قد كتب سني عوزيا الملك كما جاء في سفر أخبار الأيام الثاني (فصل ٢٦ عدد ٢٢). وبقية أخبار عوزيا الأولى والأخيرة كتبها أشعيا بن أموص النبي فلم تبق الأيام لنا عليها.

وقلما ذكر الكتاب أشعيا في الست عشرة سنة مدة ملك يواتام، أي من سنة ٧٥٨ إلى سنة ٧٤٢ ق.م. ولم يكن في هذه الحقبة نبي آخر ولما في مدة أحاز الملك أي من سنة ٧٤٢ إلى سنة ٧٢٧ ق.م. فقد أبدى هذا النبي أموراً مهمة لما كان رصين ملك سورية وفاقح ملك إسرائيل يتهددان أورشليم، فإنه ساعد كثيراً على أحباط مساعيها كما جاء في نبوته (ف ٧). وأهم ما صرف إليه عنايته النبوية إنما كان في أيام حزقيا من سنة ٧٢٧ إلى ٦٩٨ ق.م. وزعم بعضهم أن هذا النبي كان مريباً للملك حزقيا كما كان ناتان مريباً لسليمان. ولكن لم يؤيد هذا الرأي ذروه بحجة. والمؤكد أنه كان صديقه ومستشاره وقد شجعه في مدة مرضه كما في نبوته (ف ٢٨)، وكما في سفر الملوك الرابع (ف ٢٠ عدد ١ إلى ١١). ووثق عرى ثقته بالله عند حملة سنحاريب على أورشليم كما في نبوته (ف ٣٦ و ٣٧)، وفي سفر الملوك الرابع (ف ١٨ و ١٩). وقد أسمع ابنه أحاز كلاماً قاسياً من قبل الله لما أرى وفود ملك بابل خزائن أورشليم على ما في نبوته (فصل ٣٩)، وفي سفر الملوك الرابع (ف ٢٠ عدد ١٢ وما يليه). ومن بعد هذه الأحداث لا نرى ذكراً لأشعيا في الأمور السياسية. ومن التقليدات إنَّ مدفن هذا النبي كان في بانياس في بلاد

باسان. وقد نقلت ذخائره من هناك إلى القسطنطينية سنة ٤٤٢م على عهد الملك ثاودوسيوس الثاني على ما روى بارونيوس في السنكسارى الروماني في ٦ تموز. وعليه فيظن أنَّ أشعيا فرَّ إلى باسان خوفاً من اضطهاد منسا الملك له، على أنَّ ابتعاده لم يبعد عنه جور هذا الملك إذ أرسل فقتله هناك. ولا يعلم تاريخ موته فقال بعض المفسرين إنه كان سنة ٦٩٠ ق.م. وإذا فرضنا إنه كان عمره عند دعوته إلى النبوة خمس عشرة سنة فيكون عمره عند موت حزقيا ستاً وسبعين سنة، وعند قتله أربعاً وثمانين سنة. ويعيد له في كنيسة المارونية ٩ أيار بمنزلة شهيد قتله منسا الملك منشوراً. إنَّ لأشعيا في الأسفار المقدسة المقام الأول لا من قبل تقدمه زماناً لأن يوثيل ويونان وعاموس وهوشع كانوا قبله، بل بحق استيهاله أن يكون أعظم من جميع الانبياء لكثرة الأوحية التي كانت إليه، وأهميتها، وسمو كلامه مع زيادة وضوحه وفصاحته. فهو النبي العظيم كما إنَّ بولس هو الرسول العظيم. وقال فيه الروح القدس في سفر ابن سيراخ (فصل ٤٨ عدد ٢٥): «أشعيا النبي العظيم الصادق في رؤياه... بروح عظيم رأى العواقب وعزَّى النائحين في صهيون. كشف عما سيكون على مدى الدهور وعن الخفايا قبل حدوثها». وقال فيه مار ابرونيموس (في مقدمته على سفر أشعيا): «لا يلزم أن يسمى نبياً بل انجيلياً فقد أبان أسرار كنيسة المسيح جميعها جلياً حتى لا تحسبه يتنبأ بأمور مستقبلية بل يؤرخ أموراً ماضية». أما سفر نبوته فينطوي على نبوات فاه بها في أزمنة وأحوال مختلفة، وقد اعتاد المفسرون أن يقسموا نبوته إلى قسمين: أولها تشتمل عليه التسعة والثلاثون فصلاً الأولى، وهو يتضمن نبواته في أوقات عديدة وعلى أمور مختلفة على عهد الملوك عوزيا ويواتام وأحاز وحزقيا، وثانيها تشتمل عليه الفصول من ٤٠ إلى ٦٦ وهو يتضمن نبوات عن مخلص إسرائيل وملتحم بالقسم الأول. ونبواته في القسمين منسوبة بحسب الزمان غالباً. فإن ماهية المواد التي تنبأ عليها أخرجته أحياناً عن هذا النسق. ومن نبواته الواضحة عن المخلص قوله (ف٧ عدد ١) ها إنَّ العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل «المترجم كما في الأنجيل الهنا معنا والعذراء بكلامه في العبرانية علماً وقد وردت هذه اللفظة في الأسفار المقدسة سبع مرات. وفي كلها لا يحتمل المقام تفسيرها إلا بعذراء غير مزوجة. وقد وجد في المحايى القديمة التي عند كنيسة القديسة بريشلا في رومية صورة العذراء والطفل يسوع بين يديها وأشعيا واقفاً بجانبها يشير إليها وإلى الطفل كأنه يقول: هذه هي العذراء التي قلت إنها

تَحْبِل وتَلد الخ وهذا هو عمانوئيل الخ وإليك مثلاً لهذه الصورة.



عد ٣٧٤

أرميا

ما من نبي كأرميا يظهر لنا مما كتبه تاريخ حياته وأعماله وآراءه مما عاناه. فقد ولد في عناتوت المعروفة الآن بعيناتا وهي قرية حقيرة على ساعة ونصف عن أورشليم شمالاً. واسم أبيه حلقيا وظن القديس ايرونيوس وكثيرون من المفسرين أنَّ حلقيا هذا هو عظيم الكهنة الذي عاون يوشيا على الإصلاح الديني في يهوذا. والصحيح أنه حلقيا آخر لأن عظيم الكهنة كان من آل اليعاذر، وكهنة عناتوت كانوا من آل إيتامر. وكان أرميا يتردد في صبوته إلى أورشليم لقربها من قريته، ويشتمز من أخبار عبادة الأوثان ومساوئ منسا ملك يهوذا. وقد شب على محبة السنة واحترام التقاليد الموسوية. وكان مولعاً بمطالعة الأسفار المقدسة ونبوات من

تقدمه من الانبياء لا سيما أشعيا، وميخا، فان في سفر نبواته كثيراً من الاستعانة بكلامهما وانتحال ألفاظها نفسها أحياناً. وكان له في شبابه إخاء مع نيريا بن نعيسا والي أورشليم حينئذ (سفر الأيام الثاني فصل ٣٤ عدد ٢). وكان معاوناً لحلقيا وشافان بن أصليا في الإصلاح الذي أجراه يوشيا. ثم تتلمذ له باروك وسرايا أبناء نيريا المذكور كما هو بين من نبوته (فصل ٣٦ عدد ٥١ وف ٥٩ عدد ٥٩). وكان أرميا ورعاً دمث الأخلاق لين العريكة لكنه كان مضطرباً بالغيرة على سنة الله وخير قبيلته. ولم يكن بطبعه محباً للخصام بل كان يؤثر الفرار من المخاطر على اقتحامها، ويفضل العزلة على مخالطة الناس. وكثيراً ما تتولاه الكتابة على أنه إذا أراد إبلاغ أوامر الله إلى الشعب تحوّل طبعه واشتدت عزيمته حتى لا يروعه تهديد ولا إهانة ولا سجن ولا عذاب، ولا خشية ملوك ولا مهابة شعب، فيصدق عليه ما قاله الله له. (كما في نبوته ف١٨ عدد ١٨): «هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعموداً من حديد وأسواراً من نحاس، على كل الأرض على ملوك يهوذا ورؤسائه وكهنته وشعب الأرض».

قد دعاه الله للنبوة في السنة الثالثة عشرة لملك يوشيا نحو ٦٢٨ قبل المسيح كما يظهر من نبوته (ف١ عدد ٢)، وكان عمره حينئذ من ثماني عشرة إلى عشرين سنة كما يؤخذ من كلامه (ف١ عدد ٦ وف ١٦ و٢). ويظهر أنه ترك بعيد ذلك عناتوت وصرف أكثر حياته في أورشليم لكنه استمر مدة ما يرى من نفسه الغفلة إذ لا نجد له ذكراً في الإصلاح الديني الذي أجراه يوشيا في السنة الثامنة عشرة من ملكه أي بعد خمس سنين من دعوة أرميا إلى النبوة فلا ذكر في تلك الأيام إلا لحلة النبوة. وكان الملك وحاشيته يلتبسون رأيها ولا نراه تعاطى أمراً مهماً في الثمانية عشرة سنة منذ دعوته إلى موت يوشيا. بل أنبأنا عن نفسه إنه كان معتزلاً متنسكاً حافظاً عفافه إذ قال (ف١٦ عدد ٢ وما يليه): «وكانت إليّ كلمة الرب قائلاً: لا تتخذ لك امرأة ولا يكون لك بنون ولا بنات في هذا الموضع... لا تدخل بيت الصباح ولا تنطلق إليه للندب ولا تعزهم... ولا تدخل بيت الوليمة لتجلس معهم وتأكل وتشرب». ويظهر إنه مدّ يداً إلى الأمور السياسية في آخر ملك يوشيا، وكان اليهود في مملكة يهوذا حزينين، يؤثر أحدهما المصريين، والآخر الكلدان. فبعد سقوط بنبوى أخذ أشياع ملك مصر يغرون ملكهم بالمخالفة لفرعون نكو وكان أرميا يندد بهذه السياسة البشرية، ويحض على الاتكال على الله كما يظهر من قوله

(فصل ٢٤ عدد ١٨): «والآن مالك وطريق مصر لتشربي مياه شبحور؟ ومالك وطريق آشور لتشربي مياه النهر؟»

ويظهر أن يوشيا عول على رأي النبي فلم يحالف نكو بل اعترض.. مرور
عسكره في اليهودية ليحارب الكلدان. فقتل في وقعة مع المصريين في مجدو،
(اللجون) فكان ذلك فاتحة أحزان أرميا. وأخذ يرثي يوشيا كما في سفر أخبار الأيام
الثاني (فصل ٣٥ عدد ٢٥). وخلف يوشيا يواحاز المسمى شلوم رابع ابنائه سنة
٦٠٩ ق.م. ولم يملك إلا ثلاثة أشهر وعزله نكو لأنه لم يكن من أنصاره، ولا ذكر
له في نبوة أرميا إلا قوله فيه (ف ٢٢ عدد ١١ و ١٢): «هكذا تكلم الرب على شلوم بن
يوشيا ملك يهوذا الذي ملك مكان يوشيا أبيه، وخرج من هذا الموضع إنه لا يرجع
إلى هاهنا من بعد بل في الموضع الذي أجلي إليه هناك يموت ولا يرى هذه الأرض
من بعد». ولما أسر نكو شلوم أقام مكانه يوياقيم سنة ٦٠٩ ق.م. فأخذ أرميا ينذر
بني يهوذا وملكهم مبيّناً أن المصريين لا يقوون على دفع حملة بختنصر على
أورشليم (كما في ف ١٨ و ١٩ و ٢٠ من نبوته). فقبض عليه الكهنة والانبياة وكل
الشعب وقالوا لتموت موتاً لنبوتك على خراب أورشليم. ولم ينجيه من الموت إلا
واسطة رؤساء يهوذا (كما في نبوته ف ٢٦)، وبعد نحو أربع سنين مضى نكو
يحارب الكلدانيين فاستظهروا عليه في كركميش (فصل ٢٦ عدد ٢). وقل أشياع مصر
في يهوذا، وأخذت نبوات أرميا تتم. فان جنود بابل غشوا فلسطين يطاردون
المصريين. فهرب كل من لم يكونوا في مدن محصنة يستعصون بأسوار أورشليم.
فانتهاز النبي هذه الفرصة وأذاع بواسطة تلميذه باروك نبواته التي كان جمعها في
درج. فعظم الهياج عليه واضطر أرميا وتلميذه أن يختبئا. وأحرق يوياقيم الدرج
الذي كان منظوياً على هذه النبوات (ف ٣٦)، فاضطر أرميا أن يملي نبواته ثانية
على باروك. وأوحى الله إليه جلاء بابل وإنه سيكون مدة سبعين سنة (ف ٢٥ عدد
١٢)، وما تنبأ به على يوياقيم لم يلبث أن حلّ به، فإن بختنصر حاصر أورشليم
وافتحها وأسر بعضاً من اليهود. وكان بينهم دانيال ورفقاؤه سنة ٦٠٦ ق.م. ومن
الجلاء ابتدئ مدة السبعين سنة. ثم عصي يوياقيم على بختنصر فهبّ لحصار
أورشليم ثانية. فمات يوياقيم عند بدء الحصار على الأظهر فتمت بيوياقيم نبوات
أرميا (ف ٢٢ عدد ١٩ وف ٣٦ عدد ٣٠) وكان ذلك لسنة ٥٩٨ ق.م.
وخالف يوياقيم ابنه ولكنه لم يملك إلا ثلاثة أشهر. وأندره أرميا

(ف٢٢عد٢٤ إلى ٣٠) بما يحل به من السوء ووقوعه في يد بختنصر فتمت به نبوات النبي بعد زمان وجيز لأنه أخذ أسيراً إلى بلاد الكلدان مع وجوه أمته. وكان بينهم حزقيال النبي (ملوك رابع ف٢٤عد١٠). وأما أرميا فاستمر في أورشليم، وأقام بختنصر صدقيا عم يوياكين ملكاً على اليهود. وكان صدقيا يحب أرميا ويستشيريه أحياناً (ف٣٧عد٣) لكنه كان واهن العزيمة وملكه قلقاً فلم يتسنَّ له أن يعزز النبي، ولم يكن باقياً في فلسطين إلا سفلة الشعب. وكان أرميا يتنبأ عليهم بأن الله يجعلهم عاراً ومثلاً وأحدوثاً في جميع المواضع التي يدرهم إليها ويعيد المجلّون إلى أرضهم ليكونوا للرب شعباً (فصل ٢٤). وكان نجاح خفرع ملك مصر خدع سكان أورشليم ثانية بالتشيع له. وقد زينت لصدقيا نفسه الثورة على الكلدان. فكان أرميا يناصبهم بامر الله كما في (ف٢٦ و ٢٨). وزحف بختنصر حينئذٍ إلى فلسطين وجلا بني إسرائيل عنها وحفت المخاطر بالنبي وهم أن يمضي فيختفي في عنانوت فكشف أمره وحسب خائناً وألقي في السجن (ف٣٧). وكان كتب إلى الشيوخ والكهنة والشعب الذين في الجلاء في بابل (فصل ٢٩) فلم يكن من الانبياء الكذبة الذين في الجلاء إلا أن كتبوا للكهنة الباقين في أورشليم أن يضايقوا النبي ويضطهدوه. فألقوا في بئر ملكيا ولو لم ينقذه عبد ملك الكوشي أحد خصيان الملك كما في (فصل ٢٨) لهلك فيها إلا أنه بقي سجيناً، وكان صدقيا يستشيريه سراً. فقال له أرميا إنه لا يفلت من أيدي الكلدان (فصل ٣٨ عد ١٨). وعاد الكلدانيون بعد زمن وجيز يحاصرون أورشليم فافتتحوها وخربوها وأحرقوا الهيكل. واقتيد الملك أسيراً سنة ٥٨٨ ق.م. وأوصى بختنصر بارميا فاطلق من سجنه، وخيّر بين أن يمضي إلى بابل أو يمكث في اليهودية. فاقام أولاً في خرابات المدينة المقدسة ثم اعتزل في المصفاة (شعفات في شمالي أورشليم). وكتب مراثيه البديعة والدخان ينبعث من أنقاض أورشليم في المغارة التي يسميها التقليد إلى الآن مغارة أرميا.

وأقام بختنصر جدليا بن أحيقام والياً على اليهودية، وكان يحب أرميا فاستراح من بقي من بني إسرائيل في اليهودية مدة ما (فصل ٤٠) على أن جدليا قتله اسماعيل بن نتنيا من النسل الملكي وعشرة رجال محالفون له. وخاف الشعب أن يكون مقتل الوالي مصيبة أخرى على الأمة فاستشاروا النبي فيما يصنعون فأشار عليهم أن يتربصوا في اليهودية آمين (فصل ٢٤). فلم يسمعو بل صمموا على

الهرب إلى مصر وأكرهوا النبي وباروك على المسير معهم (فصل ٤٣). وحلوا في تحفيس المعروفة اليوم بدفنه في مصر السفلى، وأخذ النبي يؤنبهم ويسلقهم بأوار كلامه، ويذكرهم بما صنعوا وأباؤهم من المخالفة لسنة الله. ويتنبأ على أن يختصر ينصب عرشه حيث يتكلم في هذه المدينة التي استعصموا فيها. ويسمى هذا الملك عبدالله (فصل ٤٤ طالع عدد ٣٣٩ وعد ٣٤١). وبعد هذا البلاغ النبوي لا علم لنا بما كان لآرميا.

والتقليد المسيحي الذي ذكره كثيرون منهم ترتوليانوس (في كتابه ضد الأمم ك٨) وايغانيوس (في تراجم الانبياء) وإيرونيوس (في كتابه ضد بوفنيانوس فصل ٣٧) أن آرميا رجمه اليهود مستشيطين عليه لتوبيه لهم. وقد عظمه اليهود بعد وفاته أكثر مما أذلوه في حياته. وكانوا من بعد الجلاء إلى مجيء المخلص يفضلونه على أشعيا. ويعيد له في كنيسة المارونية في ١٠ أيار بمنزلة شهيد رجمه اليهود. وأما نبوآته فقد نسقها بحسب مواضعها لا بحسب أوقات اتيانها بها وقد قسمها إلى مقدمة وأربعة أقسام وخاتمة. ذكر في المقدمة دعوة الله له إلى النبوة، وفي القسم الأول من الفصل الثاني إلى الفصل السابع عشر رذل الله لبني إسرائيل والحكم عليهم، وفي القسم الثاني في الفصل الثامن عشر والتاسع عشر إثبات هذا الرذل، وفي القسم الثالث من الفصل العشرين إلى الخامس والعشرين تنفيذ هذا الحكم. والقسم الرابع من فصل ٢٦ إلى فصل ٥١ ضمنه نبوآته على الشعوب الأجانب. وضمن الخاتمة في الفصل الثاني والخمسين خلاصة تاريخية للملك يهوذا الآخريين.

أما مراثي آرميا فهي قصائد رثاء في العبرانية لم ينسج شاعر على منوالها ولا سمحت قريحة بمثالها، ولا أشد وقعاً في القلوب لصدورها عن قلب كواه أوار الغم وعن مخيلة ألهيها وطيس الغيرة والحنان. يندب بها أورشليم ويتفجع لخرابها ودمار الهيكل وتشتيت ابنائها. وقد قسمها النبي إلى أربع مرث وضمن القصيدة الخامسة صلاة وابتهالاً. فكانت مقسومة الآن إلى خمسة فصول ووزع أبيات كل من المراثي على فقر تبدي كل فقرة منها بحرف من حروف الهجاء. فكانت كل مرثاة منها مؤلفة من اثنتين وعشرين فقرة بحسب عداد الحروف العبرانية؛ وفقرات المرتبة الثالثة أطول من فقرات سواها، وكثيراً ما كان اليهود المجلدون في بابل يجرون الدموع

السخينة متغنين بهذه المراثي على أنهر بابل، وبعد عودهم كانت لهم أعظم مذكر بما نابهم من الأسواء. وكانوا في ٩ تموز من كل سنة يصومون ويتلون في المجمع هذه المراثي مذرفين الدموع. وقد اعتادت الكنيسة من أول الدهر أن تتلوها في الكنائس في سبة الألام ذكراً لما هو أعظم من خراب أورشليم والهيكل وهو آلام ابن الله وصلبه بايدى من أتى ليفتديهم.

أما باروك فهو ابن نبريا كما مر وكان تلميذاً أميناً لأرميا وكاتباً، ومن آل يهوذا وأخوه سرايا كان من حاشية الملك صدقيا ووشى به أعداؤه أنه كان من الكلدان، ويعزي أرميا بالمناصرة لهم (أرميا فصل ٤٣ عدد ٣). وفي السنة الرابعة ليوباقيم مضى يقرأ له نبوات أستاذه فاحرقها الملك وأملاها أرميا عليه فكتبها ثانية. وقد ألقى في السجن مع أرميا في أيام صدقيا كما مر، واستمر فيه إلى إفتتاح أورشليم سنة ٥٨٨ ق.م. وأرغم مع معلمه أن يمضي إلى مصر وانطلق أخيراً إلى بابل. وقضى هناك ويعيد له في كنيسة المارونية في ٣ تشرين الأول.

أما سفره فاصله العبراني مفقود وترجماته في اللغات الآن عن ترجمة يونانية من أقدم الدهر. وزعم بعض أهل النقد أنه كتب أصلاً في اليونانية وزعمهم ساقط لأنه ذكر فيه أن يقرأ في بيت الرب، وكان محظوراً عليهم أن يقرأوا فيه ما كتب بغير العبرانية. وأنكر العقليون وبعض البروتسطنت تنزيل هذا السفر تشبهاً بأنه قيل فيه أنه كتب في السنة الخامسة بعد خراب أورشليم أي سنة ٥٨٣ ق.م. وباروك كان حينئذ مع أرميا في مصر منذ سنة ٥٨٨ ق.م. ولكن أية منافاة بين أن يكون مضى إلى مصر سنة ٥٨٨ ق.م. ثم عاد إلى بابل، وكتب سفره سنة ٥٨٣ ق.م.؟ وقالوا إنه يستفاد من هذا السفر إنه كتب بعد نهاية الجلاء وتجديد الهيكل لأنه ذكر مذبح الرب وبيت الله أنه يظهر دون تكلف للمتأمل أن كلامه في الجلاء، أما تنزيل رسالة أرميا المعلقة في آخر سفره فيكتفي مؤنة إثباته ذكر سفر المكابيين لها (مكابيين ٢ فصل ٢٢ عدد ١ و٢).

وهذا السفر ينطوي على خمسة فصول لباروك، وفي الفصل السادس رسالة لأرميا أنفذها إلى المجلدين (طالع عدد ٣٤١) ضمن باروك سفره مقدمة يطلب بها أن يسعف المجلدون إخوانهم الباقين في أورشليم، وأن يتلوا كتابه في بيت الرب أي حيث كانوا يجتمعون للصلاة في يوم العيد، وفي أيام المحفل ثم صلوة لله يقربها

الشعب المجلو بآثامه. ويسأله تقصير مدة العقاب الذي أنزل بهم، لاستحقاقهم ثم نصائح وتحريضات لهم ليرعوا عن أثمهم. ويشقوا بالله ونبوات على إفتقاد الله لهم وعلى إعادتهم إلى أوطانهم مسرورين. وفي الفصل الثالث عد ٣٨ نبوة على المسيح مرادفة لقول يوحنا الكلمة صار جسداً وحلت فينا إذ قال في الله: «وبعد ذلك تراءى على الأرض وتردد بين البشر».

عد ٣٧٥

حزقيال النبي

ذكرنا في عد ٣٥٥ شيئاً من ترجمة حزقيال ورؤاه ونبسط هنا ما بقي منها. إنَّ تأويل كلمة حزقيال في العبرانية الرب يقوي أو يشدد، وهذا النبي هو ابن يوزي من السبط الكهنوتي. وقال بعضهم إنه ولد سنة ٦٢٤ ق.م. وقد أخذ إلى بابل مع يوياكين الملك وبعض أعيان المملكة والكهنة سنة ٥٩٨ ق.م أي نحواً من عشر سنين قبل خراب أورشليم. وأقام في محل يسمى في العبرانية تل السنبلة، وفي الترجمة اللاتينية العامة تل حبيب أو أبيب (حزقيال فصل ٣ عد ١٥) ولا يعرف موقعه. وتزوج هناك كما يظهر من قوله (فصل ٢٤ عد ١٨): «وماتت إمرأتي في المساء» وقد دعاه الله إلى النبوة في السنة الخامسة من جلائه أي سنة ٥٩٣ ق.م. وقد باشر هذه الخدمة لا أقل من إثنين وعشرين سنة لأن نبوته المذكورة (في الفصل ٢٩ عد ١٧) على أخذ بختنصر مصر أرخها في السنة السابعة والعشرين من الجلاء. ويؤخذ من التقليد القديم الذي ذكره القديس ايفانيوس (في تراجم الانبياء): إنَّ أميراً أو قاضياً من شعبه قتله لأنه كان يؤنبه على عبادة الأوثان، وإنه دفن في مدفن سام وارفخشاد وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في ع ٣٥٥ فطالعه. ويعيد له في كنيسةنا المارونية في ٢٩ تموز ولا ذكر لاستشهاده، وكان موته قبل أن يستحوذ قورش على بابل. وعاش منغصاً لأنه كان في أيام بني إسرائيل وجلي معهم، ولم يدرك النجاة فكان أقل حظاً من أرميا الذي تركه الكلدانيون في وطنه يندب سوء حاله. ومن دانيال الذي ساعد كثيراً على عود شعبه من الجلاء، على أنَّ قوة حزقيال وبسالته المؤسسة على إيمانه جعلته يحتمل بصبر جميل وشجاعة ثابتة مضايق الجلاء، وكان يغري ويشجع إخوته على تحمل مصائبهم فيه، بل قد جعل بيته كمدرسة ومجمع يجتمع به الشيوخ ووجهاء الشعب إليه ليرشدتهم، ويوثق عرى ثقتهم بالله كما يظهر

من سفر نبوته (فصل ٨ عدد ١ وفصل ١١ عدد ٢٥ وفصل ١٤ عدد ١ وفصل ٢٠ عدد ١). وكان من مساعيه وأفكاره وأعماله ما يبيده للناس نبياً عضدته يد الرب واملائته من قوة تفوق الطبيعة كما يظهر من ف ٢٤ عدد ١٥ إلى عدد ١٨).

أما نفس حزقيال في نبوته فمختلف عن غيره وله كلمات وتعبيرات خاصة به. وقد جدّ بان يقتبس تعابير وكلمات من أسفار التوراة على أن إقامته بين شعب أجنبي يتكلم باللغة الآرامية جعلته ينتحل كلمات من لغتهم. والمزية له بين الانبياء أن نبواته كانت بالرموز والتشايه غالباً، وكثيراً من هذه التشايه كانت حديثة مأخوذة عن الشعوب الساكن بينهم وهذا ما جعل في كلامه غموضاً طالع ما ذكرناه عن ذلك (في عد ٣٥٥).

أما نبوة حزقيال فملتحمة الأجزاء كل الالتحام وهي مقسمة إلى قسمين الأول يتدي من الفصل الأول وينتهي في الفصل الثاني والثلاثين يتضمن قضاء الله على شعبه وعلى غيره من الشعوب. والقسم الثاني يتدي من الفصل الثالث والثلاثين وينتهي في الفصل الثامن والأربعين ويتضمن نبوات على إنجاز الله وعوده لأسرائيل بمجيء المخلص، وكل نبواته منسقة بحسب نظام الزمان. إلا ما تنبأ به الشعوب الأجانب في الفصل الخامس والعشرين إلى الفصل الثاني والثلاثين فهذه النبوات منسقة بحسب ماهية مواضيعها، وقد أرخها. فيظهر من تاريخها أنها من القسم الأول من نبواته التي كانت قبل خراب أورشليم لا من القسم الثاني الذي كان بعده.

عد ٣٧٦

دانيال النبي

قد ذكرنا في عد ٣٤٣ وما يليه ترجمة دانيال وإنقاذه سوسنة وتعبيره حلمي بختنصر الأول والثاني. وتعبيره رؤيا بلشصر ملك بابل وطرحه في جب الأسد وكشفه خديعة كهنة بال وقتله التنين ورؤاه ووفاته وصحة تنزيل سفره. ولخصنا القسم التاريخي منه الذي تشتمل عليه الفصول الست الأولى والفصلان الثالث عشر والرابع عشر. وأبنا بأية لغة كتب هذا السفر فنجتزيء بما مرّ. ويعيد له في كنيسةنا المارونية في ٢٨ كانون الأول.

الفصل الثاني والعشرون

في الانبياء الصغار

عد ٣٧٧

هوشع

أما هوشع فكلمة عبرانية معناها الله يخلص، وقد انبأنا هذا النبي أنه كان ابن بئري وهذا كل ما نعلمه بتحقيق من ترجمته. وقد قال أكثر المفسرين أنه كان من شمالي مملكة إسرائيل، ومما يدل على ذلك استعماله في نبوته الفاظاً وتعابير آرامية، ومعرفته أماكن هذه المملكة وتوجيه كلامه إلى إسرائيل، وقوله عن ملك إسرائيل ملكنا وكل ذلك ظاهر من فصول نبواته. وقد ذكروا تقليداً قديماً أنه كان من مدينة بعلموت في سبط إيساخر وأنه مات هناك، لكن هذه المدينة لا يعرف موقعها. وتضاربت الأقوال في محل مدفنه وهو أول الانبياء الصغار لوضع النسخة اللاتينية العامة نبوته قبل باقي نبوات الانبياء الصغار. وقد يكون تقديم نبوته على غيرها لغزارة مادتها لا لتقدمه زماناً على باقي الانبياء الصغار. فعاموس كان قبله زماناً كما يظهر من تاريخ نبوته (في فصل ١ عدد ١)، ومع ذلك كان الثالث في مصاف الانبياء الصغار، وقد جاء في فاتحة نبوته أنه أي هوشع تنبأ في أيام عزبا ويوتام وأحاز وحزقيا ملوك يهوذا. ومدة هؤلاء الملوك نحو من مئة وعشرين سنة ولا بد أنه كان له من العمر عند تنبئه عشرون سنة، فلا يصدق أنه عاش مئة وأربعين سنة، وليس في نبواته ذكر لهؤلاء الملوك. فالأقرب إلى الصواب إن تلك الكلمات ليست لهوشع بل لناسخ لم يصب بزيادتها على سبيل العنوان على نبوته المفتحة «بدأت كلام الرب بلسان هوشع». والظاهر أن هوشع كان معاصراً لأشعيا وقد تنبأ بعد خراب بيت أحاب في أيام ياربعام الثاني الخليفة الثالث لياهو على إسرائيل، كما يظهر من نبوته (فصل ١ عدد ٤) لأنك تراه يذكر دائماً جرائم أبناء ياهو الذي

استأصل بيت أحاب، وما برح أبنائه يعبدون الأصنام ويسجدون لعجول الذهب، فهذا ناطق بان هوشع كتب نبواته في السنين الأخيرة للملك ياربعام، وهذا الملك استوى على منصة الملك إحدى وأربعين سنة أي من سنة ٨٢٥ إلى سنة ٧٨٤ ق.م. فاذاً هوشع كتب نبوته قبل سنة ٧٨٤ ق.م، وهذا مستلزم لاثبات حقيقة نبواته فقد تنبأ على خراب بيت ياهو، وهذا لم يكن إلا سنة ٧٨٢ ق.م. وعلى انقراض مملكة إسرائيل، وهذا لم يكن إلا سنة ٧٢١ ق.م. ولما تنبأ هذا النبي على ذلك في عهد ياربعام الثاني كان ملك إسرائيل في ذرى مجده، وتعيد له كنيسة المارونية في ١٦ حزيران.

أما نبوة هوشع فليست منقسمة كباقي نبوات الانبياء الكبار إلى نبوات كثيرة في أوقات مختلفة، بل كأنها خطبة واحدة كتبها في آخر حياته عدّد بها النبوات التي فاه بها في مدة مباشرة الخدمة النبوية، قاسماً ما كتبه إلى قسمين. ففي القسم الأول المشتعلة عليه الفصول الثلاثة الأولى يبين بتشابه ورموز غوايات بني إسرائيل وسيئاتهم إلى الله. وفي القسم الثاني من الفصل الرابع إلى الفصل الرابع عشر يؤنب الشعب، ويعتبههم على جرائمهم وزلاتهم، وينذر بالشرور التي تحل بهم عقاباً لهم على ذلك، ويعدّهم بزوال هذه المصائب إن ارتدوا إلى الرب الههم.

عد ٣٧٨

يوئيل

يوئيل كلمة عبرانية تأويلها الرب هو الإله، وكان هذا النبي ابن فتوئيل ولا يعلم من ترجمته إلا أنه كان من مملكة يهوذا على ما روى القديس ايرونيموس في تفسير نبوته، وربما كان قاطناً أورشليم كما يتلخص من بعض آيات كلامه. وظن بعض المفسرين إنه كان كاهناً، ولم يؤرخ نبواته، ولكن يمكن القطع بانها من أقدم النبوات التي وصلت إلينا. فهي أقدم من نبوات أشعيا لأن أشعيا أخذ عنها قوله في (الفصل ١٣ عد ٦): « ولولوا فان الرب قريب وافد وفد اجتياح من لدن القدير». فهذا منتحل عن قول يوءيل (ف ١ ع ١٥) يا لليوم فان يوم الرب قريب فيأتي كالدمار من عند القدير». وهو أقدم من عاموس لأن عاموس أخذ عنه قوله (ف ١ ع ٢): «يزار الرب من صهيون ويطلق صوته من أورشليم» فهذا منتحل من قول يوءيل (فصل ٣ عد ١٦): «يزار الرب من صهيون ومن أورشليم يطلق صوته». على

إنه لا يمكن تعيين المدة التي كان فيها يوثيل إلا على سبيل الظن، فإن من تدبر نبوته رآه يذكر من أعداء بني إسرائيل الذين سيعاقبهم الله المصريين والأدوميين. وصور وصيدا والفلسطينيين. ولم يذكر ملوك سورية، فيظن إنه إنما صمت عن ذكرهم لأنه كتب قبل أن يشكو بنو إسرائيل منهم. وقد صمت أيضاً عن ذكر الآشوريين والكلدان ولا وجه لذلك إلا إن تنكيل هؤلاء ببني إسرائيل كان بعد أيام هذا النبي. وعليه فيظهر أنه كان في أيام يواش قبل حرب حزائيل لبني إسرائيل، ويؤيد ذلك أنه لم يتكلم في المضار التي ألحقها الآشوريون ببني إسرائيل كما يتكلم فيها هوشع وعاموس.

أما نفس يوثيل في نبوته فمأذون بأنه أستاذ في صناعة الكلام فكلامه عبراني بحث شديد واضح. وقد كان مثلاً بعده لغيره من الانبياء الذين اقتبسوا منه آيات برمتها. وقد انتهز لنبوته فرصة إتيان جراد أعقبته مجاعة كبرى، فذكر ما أتلّف هذا الجراد وشبهه برسل غضب من قبل الله وحض على الصوم والتوبة. ويظهر أن الشعب أذعن لكلامه لأنه قال إن الرب غفر لشعبه وتنبأ على العدو يُباد وغزارة المطر تخصب الأرض. وجعل هذا المطر رمزاً إلى حلول الروح القدس على الشعب إذ قال (ف ٢ عدد ٢٢): «وسيكون بعد هذه إني أفيض روحي على كل البشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبانكم رؤى ويحلم شبوخكم أحلاماً وعلى عبيدي أيضاً آمائي أفيض روحي في تلك الأيام». وهذه هي الآيات التي استشهد بها مار بطرس في خطابه في أورشليم يوم البنديكستي. وأما الجراد الذي ذكره فاختلف في تفسيره، فقال القديس إفرام السرياني والقديس ايرونيμος وكثير من المفسرين ما هذا الجراد إلا كناية عن الآشوريين والماديين والفرس والرومانين. على أن أكثر المفسرين في هذا العصر يرون كلام النبي حقيقياً لا مجازياً. فيريد به الجراد حقيقة لأن النبي لم يذكر مضرتة بالبشر بل بالحقول والحيوانات. ويمكن التوفيق بين القولين بأن يقال إن يوثيل ذكر جراداً حقيقياً في فاتحة نبوته، ثم جعله كناية عن رسل غضب الله. وقد تنبأ بالدينونة العامة فقال (ف ٣ عدد ٢): «اجمع جميع الأمم وأنزلهم إلى وادي يوشافاط وأحاكمهم هناك». وأثبت بعضهم سنداً إلى هذه الآية أن الدينونة الأخيرة ستكون في وادي يوشافاط، وهذا القول كآته عام الآن ما بين علماء الكنيسة، على أن القدماء لم يفسروه دائماً بهذا المعنى. فقال اوريغانوس في تفسير بشارة متى (فصل ٢٥ عدد ٣٢): «إن الشعوب يجتمعون على وجه

الثاني ملكها بسط تخومها شمالاً إلى حماة التي كانت التخم الشمالي لمملكة داود وإلى بحر الميت جنوباً. وأما مملكة يهوذا فكان عوزيا ملكها يحسن إدارة شؤونها الزمنية إلا أنه يسيء تدبيرها في المحافظة على السنة والدين، ففشت فيها عبادة الأوثان والردائل التي تصحبها. وكان عاموس ينذر الأشرار بأن الله سيعاقبهم فلا يجدي نجاحهم المادي عليهم شيئاً.

وتقسم نبوته إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يتضمن في الفصلين الأول والثاني منها نبوات على دمشق وغزة واشدود وصور وأدوم وبني عمون وموآب ويهوذا وإسرائيل. والقسم الثاني يتضمن ثلاث خطب في الفصل الثالث إلى السادس يؤنب بها بني إسرائيل ويتنبأ على عقاب الله لهم ويندب خراب السامرة. والقسم الثالث وتشتمل عليه الفصول السابع والثامن والتاسع يتضمن خمس رؤى تثبت ما قاله في خطبه الثلاث يعبر بها عن عقاب الله للآثمة بالجراد والنار والمطمار وزنبيل فواكه. والرؤيا الخامسة يبين بها خراب السامرة وتشيت شعبها وخراب هيكل بيت إيل ويختم نبوته بكلام معزٍ يشير به إلى رجوع بني إسرائيل من الجلاء وبناء المدن الخربة، وإتيان المخلص.

وعن موجز تراجم القديسين للأب بولس كاران في ٢٦ آذار أحد كهنة بيت إيل شكاه إلى الملك ياربعام الثاني بأنه تنبأ على موته ذبيحاً بالسيف، فاراد الملك نفيه وأشار إليه الكاهن أن يعتزل مملكة يهوذا فلم يروعه الخطر. فاجرى الملك عليه مَرَّ العذاب وشج ابنه رأس النبي. وحمل وفيه رمق إلى بلدته تقوع حيث فاضت روحه ودفن. في مدافن أبائه سنة ٧٥٨ ق.م. وكنيستنا المارونية تعيد له ١٧ حزيران بمنزلة شهيد كما مَرَّ هنا، ولكن قيل في ترجمته أنه أبو أشعيا النبي وهو غير صحيح كما رأيت في الكلام على أشعيا.

عد ٣٨٠

عوبديا النبي

إنَّ تأويل عوبديا عبدالله، ولم تنبئنا نبوته من ترجمته إلا باسمه. فزعم بعضهم أنه عوبديا قيم بيت آحاب الذي أتى ذكره في سفر الملوك الثالث (فصل ١٨ ع ٣٤)، ولا حجة لهذا الزعم. وقال آخرون أنه أدومي تهود واسندوا ذلك إلى اختصاصه

آدوم بنبوته. وقيل أيضاً أنّه رئيس الخمسين الثالث الذي أرسله أحزيا إلى إيليا النبي فاسترضاه كما في سفر الملوك الرابع (فصل ١ عدد ١٣). ويظهر من نبوته أنّه كان من سبط يهوذا، وأمّا الزمان الذي كان فيه فيعسر تعيينه أيضاً، إذ قال بعضهم إنّهم أقدم الانبياء الصغار، وقال غيرهم إنّهم كان في أيام الجلاء. وموجب هذا الخلاف وجازة نبوته حتى أنّها لا عنوان لها ولا إشارة فيها إلى شيء معروف. قال فيكورو (في الموجز الكتابي مجلد ٢ عدد ١٠٨٥) أنه يمكن مع ذلك اعتبار عوبديا أقدم الانبياء الذين توصل إلينا ما كتبوه، وإن لم يمكن القطع بهذا. واستدل على ذلك بأنّ بين نبوة عوبديا ونبوة أرميا على آدوم شبهاً كبيراً يقضي بالقول إنّ أحد النبيين انتحل قول الآخر. والأظهر أنّ أرميا أخذ عن عوبديا. من ذلك قول عوبديا (ف ٥ عدد ٦) لو إن السراق أتوك أو الناهبين ليلاً كيف كان تدبيرك أما كانوا قنعوا بسرقة ما يكفيهم؟ لو أنّ القاطفين أتوك أما كانوا أبقوا خصاصة كيف فتش عيسو، وفحصت خباياه؟ وهاك قول أرميا (فصل ٤٩ عدد ٩): «لو أنّ القاطفين أتوك أما كانوا أبقوا خصاصة أو السراق ليلاً أما كانوا قنعوا بخطط ما يكفيهم؟ أما أنا فغريت عيسو كشفت خفاياه». وأكثر المحققين الآن أنّ عوبديا كان قبل أرميا. وإذا عارضنا نبوة عوبديا بنبوته يوئيل القينا يوئيل على قدمه الذي لا نكير له استعان بشيء من كلام عوبديا الذي قال (عدد ١٧): «وفي جبل صهيون تكون النجاة». وقد استعان يوئيل بهذا الكلام إذ قال (ف ٢ عدد ٣٢): «ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص لأنها في جبل صهيون وفي أورشليم تكون النجاة». ثم أنّ عوبديا يؤنب الآدوميين على شماتهم ببني يهوذا يوم افتتح الأجانب أورشليم، على أنّ أورشليم قد أفتتحت خمس مرات قبل بختنصر. والمرجح أنّ كلامه في افتتاح الفلسطينيين والعرب لها في أيام يوارام. وعليه فيكون عوبديا في أيام هذا الملك إذ خلع الآدوميين نير الطاعة لملك يهوذا كما في سفر الملوك الرابع (ف ٨ عدد ٢٠). ولا تتضمن نبوة عوبديا إلّا إحدى وعشرين آية فهي أخصر من كل ما كتب في العهد القديم، تنبأ فيها على خراب بلاد آدوم لشماتها بشعب الله وذلك من عدد ١٦ إلى عدد ١٦٦، وعلى خلاص أورشليم وظفرها بآل عيسو وجميع أعدائها من عدد ١٧ إلى ٢١. وتعيد له كنيستنا المارونية في ٣ كانون الأول. ويقال في ترجمته أنّه رئيس الخمسين الثالث الذي أرسل إلى إيليا.

عد ٣٨١

يونان النبي

كان يونان من مملكة إسرائيل واسم أبيه أمثاي. ومن تقليدات اليهود أنه ابن الأرملة الذي أقامه إيليا النبي في صارفة صيدا. ولم يؤرخ سفره على أننا نعلم أنه كان في أيام ياربعام الثاني ملك إسرائيل كما جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ١٤ عده ٢): «حسب قول الرب إله إسرائيل الذي تكلم به على لسان عبده يونان بن أمثاي النبي من جت حافر». ولا مرء بان يونان هذا هو يونان النبي نفسه الذي تكلم فيه. واما جت حافر القرية التي ولد فيها فهي المعروفة الآن بمجاد في شمالي الناصرة على الطريق من صفورية إلى طيبارية. واما سفره فلا يشبه أسفار الانبياء لعدم تضمنه نبوة وإنذاره بخراب نينوى ليس نبوة حقيقية إذ لم تخرب، فهو إذاً سفر تاريخي وضع بين نبوات الانبياء لأن كاتبه نبي. وقد ضمنه امر الله له أن يمضي إلى نينوى وينذر أهلها. فتردد إلى آخر ما كتبه كما سيأتي ونفسه فيه ساذج وليس فيه من الشعر إلا الصلاة المثبتة في الفصل الثاني (من عد ٣ إلى ١٠)، وبقاؤه ثلاثة أيام في بطن الحوت آية كانت رمزاً إلى بقاء المخلص ثلاثة أيام في القبر. وهذه الآية قد حملت الكفرة والجاحدين في كل عصر على أن يسخروا منها.

قال القديس أغوستينوس (في رسالته ١٠٢) ابتلع الحوت يونان، واستمر في جوفه ثلاثة أيام وثلاث ليال ولا يصدق هذا سامعوه ولا سيما من انتقلوا من مدارس اليونان إلى مطالعة هذا التاريخ». وأجاب على ذلك قائلاً: «يرد على هذا بانه أما لا يلزم الاعتقاد بشي من المعجزات واما أنه يلزم الاعتقاد بهذه المعجزة أيضاً إذ لا وجه لأنكارها وحدها». فليس على الله امر عسير وهو على كل شيء قدير. وقد أراد بحكمته أن يجبر خادمه على تنفيذ ما يريد على هذا النحو وأن يكون الأموات مثلاً لسر قيامة ابنه من بين العناية فليس تعلقنا الضعيف أن يتحكم بطرق عناية الله، وقد أراد الله بهذه العناية أن يكشف عن أنه لا يهمله امر بني إسرائيل فقط بل امر الأمم أيضاً الذين كان اليهود يذرونهم. فكان مثال نينوى باعثاً بني إسرائيل على التوبة عن آثامهم. وأراد الله أن يثبت لنا بذلك شفقة على الخطاة أيّما كانوا، وتساهله في المغفرة لهم وعنايته بالأمم بل بالبهائم أيضاً. فيها وما أشد وقع كلامه تعالى الذي قاله ليونان (ف ٤ عد ١٠): «لقد أشفقت أنت على الخروعة التي

لم تتعب فيها ولم تربها التي نشأت بين ليلة، أفلا اشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي فيها أكثر من إثنتي عشرة ربوة من أناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم ما عدا بهائم كثيرة». وسفر يونان بجملته منقسم إلى ثلاثة أقسام. أولها يتضمن (١ و ٢) امر الله له أن يمضي إلى نينوى وينذر أهلها ليتوبوا عن آثامهم. فتردد يونان بغضاً بالآشوريين الذين كانوا أنزلوا بني إسرائيل شروراً كثيرة على عهد أحاب. وأراد أن يفرّ من إتمام إرادة الله وعوضاً عن أن يسير إلى المشرق نحو نينوى، مضى غرباً إلى يافا. ونزل سفينة فينيقية سائرة إلى ترشيش في إسبانيا. فكانت زوبعة عظيمة أشرفت بها السفينة على الانكسار، وخاف الملاحون فألقوا الأمتعة التي معهم إلى البحر، ونزل يونان إلى جوف السفينة واستغرق في النوم. فأيقظه رئيس النوتية وقال هلموا نلقي قرعاً لنعلم بسبب من أصابنا هذا الشر فوقع القرعة على يونان فقال لهم خذوني والقوني إلى البحر، فاخذوه والقوه فوق تيار البحر. وأعد الرب حوتاً عظيماً لابتلاع يونان فكان في جوفه ثلاثة أيام وثلاث ليال. فخشع يونان إلى الله بصلاته المثبتة في الفصل الثاني من نبوته، فقدفه الحوت إلى الأرض وقد حقق البيعون وجود مثل هذه الحيوانات البحرية الهائلة، وقد وجد أحدها في جزيرة القديسة مرغاريتا في فرنسا مبتلعاً فرساً. واما القسم الثاني (فصل ٣) فيتضمن مناداته في نينوى بالتوبة وإنذاره بانها تخرب بعد أربعين يوماً. فآمن أهلها بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من ملكهم إلى صغيرهم، فلم ينزل الله بهم الشر الذي قال أنه سينزله. والقسم الثالث (في الفصل الرابع) يبين استياء يونان وغضبه لأن الله عفا عن أهل نينوى. وصلى إلى الله قائلاً ألم يكن هذا كلامي وأنا في أرضي؟ ولذلك بادرت إلى الهرب إلى ترشيش، فاني علمت أنك إله رؤوف رحيم طويل الأناة ونادم على الشر، فخذ نفسي مني فانه خير لي أن أموت من أن أحيأ. فقال له الرب: أبحق غضبك؟ وخرج يونان من المدينة وصنع مظلة جلس تحتها في الظل ريثما يرى ماذا يصيب المدينة. فاعد الرب خروعة ظللت فوق رأسه لتقيه الضر. ففرح بها ولكن أعد الله دودة ضربت في الغد الخروعة فجفت. ولما أشرقت الشمس كانت ريح شرقية حارة فضربت الشمس رأس يونان فتمنى الموت لنفسه، فقال له الله الكلام الذي رويناه آنفاً. وأما قوله أنّ أهل نينوى آمنوا بالله فهم كان لهم آلهة خاصة، لكنهم يعتقدون أنّ آلهة غيرهم من الشعوب آلهة حقاً. وملك نينوى حينئذ كان بنيرار الذي ذكرناه في عد ٣١٧.

وتسمية النبات الذي أعده الله ليظلل على يونان خروعة مختلف فيها بين النسخ فقد يكون العشقة وقد يكون نوعاً من اليقطين أو الدبا أي القرع. وفي كتاب تراجم الانبياء المنسوب إلى ايفانيوس أنَّ يونان عاد من نينوى خجلاً لعدم تمام نبوته، فاعتزل بامه في محل قريب من صور إلى مماته. وفي مدفنه أقوال لا يتحقق أحدها وقد وجدت صورته بهيئات مختلفة في مخابئ رومه القديمة، لا سيما في مخبأ القديس كالستوس، وتعيد له كنيسة المارونية في ٢٣ أيلول.

عد ٣٨٢

ميخا النبي

إنَّ اسم ميخا أصله ميخايا، وتأويله في العبرانية من مثل الله، وكان من هورشت وهي قرية في جهات جت المعروفة الآن بذكرين أوتل الصافي. وهو غير ميخا بن يملة الذي ورد ذكره في سفر الملوك الثالث (ف ٢٢ عد ٨) فان هذا كان قبل ميخا النبي بقرن. وقد تنبأ هذا النبي في أورشليم على عهد يواتام وأحاز وحزقيا ملوك يهوذا كما هو يبيّن من فاتحة نبوته. وعليه فقد كان معاصراً أشعيا ونبوته تعم جميع أسباط إسرائيل وتختص بملك يهوذا. وقل من أنكر صحتها لذكر أرميا لها (فصل ٢٦ عد ١٨) ولكثرة الموازنات بين أقواله وأقوال أشعيا النبي. ولما نفسه في نبوته فمؤذن بترفع أفكاره وسطوع عبارته، وكثرة مقابلاته وتشابهه وكل ذلك مورد بفصاحة كلامه ونقاوته من الاصطلاحات الأجنبية. وحوت نبوته سبعة فصول مقسومة إلى ثلاث خطب يفتح كلاً منها بكلمة اسمعوا كما في الفصل الأول ع ٢ والثالث عد ١ والسادس ع ١٠. ففي الخطبة الأولى يتنبأ بخراب السامرة ويهوذا في الفصلين الأول والثاني. وفي الخطبة الثانية التي تشتمل عليها الفصول الثالث والرابع والخامس يؤنب الملوك والانبياء الكذبة وقضاة الاثم والكهنة الأردياء، وينذرهم بخراب صهيون والهيكل. ويعقب كلامه بذكر المواعيد لاسرائيل في آخر الأيام أي بمجي الخلص، ويتنبأ بارتداد الأمم وولادة المسيح في بيت لحم. وقد استشهد متى نبوته على ذلك (في الفصل ٢ عد ٦). وأما الخطبة الثالثة المشتمل عليها الفصلان السادس والسابع فهي خطاب بين الله والشعب، ويبين به غموط الشعب نعمة الله وكيفرانه باحسانه. ويذكر لاسرائيل بمجن الله عليه ويبين له طريق الخلاص بالعمل بسنته وصنع الخير. ويسأل الرب الغفران والصفح عن الأثمة، ويذكر وعد

الله له بتجديد معجزاته في إسرائيل، وأخيراً يشكر الله على رحمته. وتعيد له كنيسة المارونية في ١٤ آب ومما يلزم إصلاحه في ترجمته في سنسكارنا أنه هو الذي تنبأ لأخاب، وذلك غير صحيح لأن ميخا الذي تنبأ بموت أخاب غير ميخا هذا كما رأيت أنفاً.

عد ٣٨٣

نحوم النبي

تأويل كلمة نحوم التعزية أو المعزي، فهذا كان من القوش وهي بليدة في الجليل لم يعين موقعها، وقد تنبأ على نينوى وفصل ما فيها حتى اعتقد كثير من أهل النقد أنه نظر نينوى بعينه، مع إن ذلك غير ثابت لأنه كان في فلسطين. وكتب بعد سقوط مملكة إسرائيل، ولم يؤرخ نبوته فتضاربت الأقوال في العصر الذي كان فيه إلى أن جلت لنا الآثار الآشورية هذه المسألة، فانه تنبأ في الفصل الثالث (عد ٨) على نينوى قائلاً: «هل أنت خير من نوآمون الساكنة بين الأنهار التي حولها المياه ومرستها البحر وأسوارها المياه». وترجم القديس إيرونيموس في اللاتينية العامة كلمة نوآمون بالاسكندرية، ولعلمه إن الاسكندرية بناها اسكندر بعد قرون من أيام نحوم، قال إنه كان اسم الاسكندرية نوآمون قبل أن يبنها اسكندر. فظهر من آثار آشوربانيبال أن نوآمون هي تاب عاصمة مصر العليا، وسمتها تلك الآثار نو، وزاد النبي اسم مبعودها أمون فصارت الكلمة نوآمون أي مدينة الاله أمون (طالع ما ذكرناه في عد ٣٣٢). فظهر من ذلك أن نحوم كتب نبوته بعد خراب تاب الذي كان سنة ٦٦٥ ق.م. فيكون تنبأ في عهد منسا الملك، ولم يمت أحد بصحة نبوته ونفسه فيها واضح وعبراني بحث، وقد استعان في عبارته بكلام بعض من تقدمه ممن كتبوا الأسفار المقدسة. وقد قسم نبوته إلى ثلاثة أجزاء ذكر في الأول منها قضاء الله على عاصمة الآشورين، وفي الثاني افتتاحها ونهبها، وفي الثالث جرائمها وتدميرها وسقوطها الذي لم تقم منه وتعيد له كنيسة المارونية في ١ ك ١.

عد ٣٨٤

حبقوق النبي

إن هذا النبي كان من سبط لاوي كما يظهر من خاتمة نبوته إذ قال: «الرب

الاله قواني وهو يجعل قديمي كالأيائل، ويمشيني على مشارفي لامام الغناء على ذوات الأوتار». وعليه فكان من المعنين في الهيكل وهؤلاء كانوا من سبط لاوي. وجاء في نبوة دانيال (فصل ١٤ عد ٤٣): إِنَّ الله استخدم حبقوق بآية لعيالة دانيال وهو في جب الأسود، ولم ينله منها مضرة. هذا كل ما نعلمه مؤكداً عن حبقوق، أما نبوته فلم يؤرخها لكن يتحصل من فحواها أنها كانت قبل تدمير الكلدان فلسطين، لأنه تنبأ به في الفصل الأول منها قائلاً في أيامكم. فكانت نبوته بين سنة ٦٠٩ و سنة ٦٠٦ ق.م. تقريباً. وكلامه فيها شعر على أصوله، وصلاته المثبتة في الفصل الثالث من أبداع النظم، وقد قسم نبوته إلى قسمين ضمن الأول في الفصلين الأول والثاني، وتنبأ فيه على معاقبة الكلدان يهوذا، ثم تدمير الكلدان لجرائمهم الطمع والشهوات والقسوة والسكر وعبادة الأوثان ونسبتهم ظفرهم إليها. والقسم الثاني في الفصل الثالث ضمنه صلاته لأجل يهوذا، واستماحته الرحمة، له وبيان عظمة الله الذي يأتي ليدين العالم وارتعاده منه ثم ثقته به. وقد أختتم كلامه بالرجاء ونيل المسرة. وتعيد له كنيسة المارونية في ٢ كانون الأول.

عد ٣٨٥

صفنيا النبي

إِنَّ هذا النبي من سلالة حزقيا كما في فاتحة نبوته لكنه لم يصفه بالملك. والأظهر إِنَّ كلامه في هذا الملك لأن باقي الانبياء لم يذكروا إلا اسم آبائهم. وهذا قال عن نفسه إنه ابن كوشي بن جدليا بن حزقيا. فتفصيل نسبه مشعر بانه متصل بملك، وقد أنبأنا (ف ١ عد ١) انه كان في أيام يوشيا ملك يهوذا ويلزم أن يكون قد عاش في أول ملكه إذ ذكر (فصل ١ عد ٤) أن عبادة البعل كانت باقية في اورشليم كما كانت في أول ملك يوشيا. وإن نينوى لم تكن خربت بعد (فصل ٢ عد ١٣)، على أن خراب نينوى غير مقطوع بسنة حدوثه، والأظهر أنه كان قبل نهاية ملك يوشيا نحو سنة ٦٠٨ أو سنة ٦٠٧ ق.م. فنبوة هذا النبي كانت نحو سنة ٦٣٩ أو سنة ٦٣٨ ق.م، لأن يوشيا ملك سنة ٦٤١ أو سنة ٦٤٠ ق.م. وهذه النبوة ذات ثلاثة فصول منقسمة كانها خطبة واحدة، ففي الفصلين الأول والثاني يتنبأ بالعقاب والانتقام من بني يهوذا لعبادة الأوثان وجرائم الكبرياء، ومن الشعب، وإن يوم

الغضب قريب، وإنَّ نينوى نفسها وأعداء يهوذا سيحل عليهم هذا الغضب، ويحضر بني يعقوب على التوبة والإرتداد إلى الله. ويشر في الفصل الثالث بانجاز وعود الله بارجاعهم من الجلاء، وانقضاء الشر والفوز بسعادة راهنة. وتعيد له كنيسة المارونية في ٣ ك ١.

عد ٣٨٦

حجاي النبي

إنَّ حجاي وزكريا وملاخيا كانوا بعد الجلاء البابلي، أمّا حجاي ففي التلمود أنّه كان عضواً في الجمع الكبير، وذكر الآباء انه كان مجلواً في بلاد الكلدان. وعاد إلى فلسطين مع زوربابل، وعهد الله إليه بالرسالة ليحمل الشعب على تكملة الهيكل الثاني كما يظهر من نبوته (فصل ١ عد ٢ إلى ٤)، وقد أدرك شأوه (ف ١٤ع). وقد أخذ في بناء هذا الهيكل على عهد قورش سنة ٥٣٥ ق.م. فأوقف السامريون اليهود عن تكملة بنائه إلى أيام كمبيس بن قورش، ثم أخذ في البناء بالحاح حجاي وزكريا سنة ٥٢٠ ق.م، بعد أن تسنم دارا ابن هيستسب أريكة الملك. ودشن هذا الهيكل الجديد في السنة السادسة لدارا المذكور سنة ٥١٥ ق.م. أما نبوة حجاي فتحتوي على إيجازها على أربع نبوات. ففي الأولى منها يؤنب حجاي الشعب على تقاعدهم عن إقامة الهيكل مبنياً لهم عقوبة الله لهم على ذلك بالجماعة التي حصلت من انحباس المطر. ويغري زوربابل ويشوع بن يوصادق الكاهن عظيم الأحبار ليستأنفوا البناء فاذعنا لقوله، وأخذنا في البناء كما هو ظاهر في نبوته فصل ١. وفي النبوة الثانية المشتمل عليها الفصل الثاني عد ١ إلى ١٠ يعظم الهيكل الجديد ويتنبأ قائلاً (فصل ٢ عد ٧): «هكذا قال رب الجنود إني مرة بعد قليل أزلزل السماء والأرض والبحر واليبس وأزلزل جميع الأمم، ويأتي متمني جميع الأمم فاملاً هذا البيت مجدداً... وسيكون مجد هذا البيت الأخير أعظم من الأول، قال رب الجنود وفي هذا الموضع أعطي السلام».

متمني الأمم هو المسيح الذي ولد لنحو من خمس مئة سنة ونيف بعد نبوة حجاي، واعترض على هذه النبوة بان المخلص لم يدخل الهيكل الثاني بل الهيكل الثالث الذي بناه هيرودس. ويجب على ذلك أن هيرودس لم ينقض هيكل زوربابل كله، وإنَّ غرض النبي الكلام في هيكل الآله الحق في أورشليم دون أن يميز بين

الأول والثاني، فضلاً عن أن تحرير الآية خاصة على ما وردت في السبعينية، هو إنَّ المجد الأخير لهذا البيت يكون أعظم من المجد الذي كان للهيكَل الأول، فإنَّ المجد الذي يكسبه إياه حضور المسيح فيه يفوق كثيراً المجد الذي كان له في أيام سليمان.

والنبوة الثالثة يشتمل عليها الفصل الثاني من عدد ١١ إلى ٢٠ ييشر حجاي الشعب فيها بأمر الله أنَّ المجاعة التي عاقبهم بها لتوانيتهم في إقامة الهيكل ستزول. وبين الرب عليهم بالخصب وإقبال مزرعاتهم وأشجارهم. والنبوة الرابعة والأخيرة المتضمنة في الفصل ٢ عدد ٢١ إلى ٢٤ يعد بها زور بابل ممثل بيت داود بأنَّ الله يحفظه ويؤيده في التقلبات السياسية التي ستكون في العالم. وفي ذلك إشارة إلى ملك المسيح. وتعيد له كنيسة المارونية ١٦ ك.

عد ٣٨٧

زكريا النبي

تأويل زكريا من يذكره الرب، وهذا النبي كان من النسل الكهنوتي بن براكيا أو برشيا بن عدو النبي، ولشهرة عدو سمي زكريا في سفر عزرا الأول (فصل ٥ عدد ١٤ و ٦ و ١٤) بن عدو مع أنه جده. وقد ابتدأ زكريا أن يتنبأ في السنة الثانية لدارا وهي السنة نفسها التي تنبأ بها حجاي أي سنة ٥٢٠ ق.م، ونبوته المذكورة في الفصل السابع كانت سنة ٥١٨ ق.م. ونبوته الأخيرتان المذكورتان في الفصول التاسع إلى الرابع عشر هما بعد نبوته المذكورة، ولا يعلم بتأكيد في أية سنة. وفي سفره قسم حوى رؤى ورموزاً، وقسم آخر حوى خطباً ضمنها في الفصلين السابع والثامن. والنبوة بجملتها قسمها إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يبتدى من فصل ١ عدد ٧ إلى الفصل السادس يتضمن رؤى عديدة منها رؤية رجل راكب على فرس أحمر، واقف بين الآس في المستطل، وخلفه أفراس حمر وشقر وبيض رمز إلى الرحمة والبركة السماوية لأورشليم، ثم رؤيته أربعة قرون وأربعة صناعات وأنَّ الصناعات الأربعة كسروا القرون رمزاً إلى سقوط الكلدان والفرس واليونان والرومانيين الذين اضطهدوا يهوذا. ثم رأى رجلاً ويده حبل مساحة ليمسح أورشليم، ويشير بذلك أنَّ ملكوت الله في الكنيسة ينبسط في الأرض كلها. ثم رأى (فصل ٣) يشوع الكاهن العظيم ابن يوصاداق واقفاً أمام ملاك الرب وملاك يلبسه حلاً حديثاً،

وتلك إشارة إلى مجد المدينة المقدسة المقبل ومجد المسيح. ثم رأى منارة (ف٤ عد٤) كلّها ذهب وقائمة بين زيتونتين، وذلك رمز إلى الهيكل الذي أكمله زوربابل وسيغنيه الله بمواهب الروح القدس. والرؤيا السادسة والسابعة أنّه رأى درجاً طائراً وامرأة جالسة في وسط إيفة، ثم امرأتان خرجتا والريح في أجنحتهما فرفعتا الأيفة بين الأرض والسماء، ذلك رمز إلى نفي الخطاة من ملكوت الله. والرؤيا الثامنة (فصل ٦) انه رأى أربع عجلات خارجات من بين جبلين من نحاس، وتلك إشارة إلى قضاء الله بان يجدد هيئة العالم بعد تمرغه بالآثام. وأخيراً رأى رأس يشوع بن يوصاداق عظيم الأحبار مكلاً، وأشار بذلك أنّ رئيس ملكوت الله سيكون ملكاً وحبراً وهذه خلاصة القسم الأول.

وأما القسم الثاني (فصل ٧ و ٨) فيتضمن جواباً من قبل الله لوفد بيت إيل ليسألوا الكهنة والانبيا هل كان الصوم المفروض بسبب تخريب بختنصر الهيكل يلزم حفظه أيضاً بعد تجديد المدينة وبيت الله؟ فيجيبهم الله بواسطة زكريا أنّه يريد طاعة لا صوماً، وأنّه بدد شعبه بسبب عصاوتهم، وانه سيعامل صهيون بجوده بعد أن أدبها بعدله، وانه سيبدل أيام الصوم بأيام المسرة ومجد المدينة المقدسة، وتأتي الشعوب ليسجدوا له فيها عند إرتدادهم إلى إيمان المسيح.

والقسم الثالث والأخير يتضمن نبوتين الأولى على حدراك ودمشق والبلاد المجاورة لهما (فصل ٩ عد ١١)، والثانية على إسرائيل (ف ١٢ إلى ١٤) أما حدراك فكان موقعها مجهولاً إلى هذه الأيام، وكان بعض المفسرين يظنون اسمها مجازياً لا علماً لمدينة حقيقية. على أنّه الآن أصبح بينا أنّ حدراك مدينة جاء ذكرها مرات في حروب ملوك الآشوريين، وكان موقعها في سورية وقد ذكرت مع البلاد المجاورة لها أي دمشق وحماة وفينيقية وفلسطين. وكانت نبوة النبي عليها أنّ كل هذه البلاد تخرب فتم ذلك بغزوة اسكندر الكبير وأنّ شعب الله يتبارك ويقوى، وأما لاسرائيل فتنبأ قائلاً (ف ٩ عد ٩) ابتهجي جداً يا بنت صهيون واهتفي يا ابنة اورشليم هوذا ملكك يأتيك صديقاً مخلصاً وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان. وقد تمت هذه النبوة في دخول المسيح إلى اورشليم.

وقد ضمن النبي الفصلين العاشر والحادي عشر وعوداً من قبل الرب بان يؤيد آل يهوذا ويخلص آل يوسف، وتهديدات لغيرهم من الشعوب وأنّ الله يبيد ثلاثة

رعاة الكلدان والفرس واليونان. وفي الفصل الثاني عشر إلى الرابع عشر يصف النبي
مجدد أورشليم بارتداد الأمم إلى المسيح، وأن المناصبين لأورشليم والكنيسة تعود
مناصبتهم عليهم فيظفر الله شعبه ويحل عليه روحه ونعمته حتى يندم يهوذا ندامة
مرة على موت المسيح. ويعيد له في كنيستنا المارونية في ٢١ شباط.

عد ٣٨٨

ملخيا النبي

تأويل ملخيا المرسل من الله وكان هذا النبي معاصراً نحيميا، وقد تنبأ عند إقامته
في أورشليم نحو سنة ٤٣٢ ق.م. وأيد نبواته الإصلاح الذي عنى به نحيميا في
حظره الزواج بنساء وثنيات، وفي منعه عن تقديم ذبائح لله غير مرضية له، وبتوبيه
الشعب على تقاعده عن أداء العشر، وقد كان الهيكل كمل بناؤه حينئذ. وسفر
هذا النبي يشتمل على أربعة فصول وهو بمنزلة خطاب بين الله والشعب أو الكهنة،
وهو منقسم إلى ثلاثة أقسام: أولها في الفصلين الأول والثاني إلى العدد التاسع يبين
به محبة الله لشعبه. والقسم الثاني من عدد ١٠ من الفصل الثاني إلى عدد ١٦ يبين به
أن الله إله وحيد وآب لإسرائيل، والقسم الثالث يتدى لينتقم من آثام الأئمة،
ويثيب الأبرار، ويعد الخلاص ويرسل إيليا الثاني والمراد به يوحنا المعمدان سابق
المسيح. ثم يتنبأ على بطلان ذبائح العهد القديم وإقامة ذبيحة حديثة، ذبيحة القداس
إذ يقول (فصل ١ عدد ١٠) لا مسرة لي بكم قال رب الجنود ولا أرضى مقدمة من
أيديكم، لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي عظيم في الأمم وفي كل مكان
تؤثر وتقرّب لاسمي مقدمة طاهرة». وكلمة مقدمة في العبرانية منحأ ويفهم بها
تقدمة الطحين والخبز والخمر. فتعين أن المراد بها الخبز والخمر مادة تقديس جسد
المسيح ودمه. وأختتم ملخيا نبوته بقوله (ف ٣ عدد ١): «ها أنه آت قال رب الجنود».
ويريد بذلك المسيح الذي أتى من بعد ذلك بنحو من خمس مئة سنة، فقد أراد الله
أن يعد بواسطة الانبياء شعبه لانتظار المخلص الذي هو كمال جميع النبوات، وتعيد
له كنيستنا المارونية في ٣ من كانون الثاني.

كان الفراغ من تدوين هذا الجزء من تاريخ سورية في اليوم الخامس من شهر
كانون الثاني سنة ١٨٩٥ م. تقبل الله العناء به ووفق إلى الحاقه بالأجزاء الأخرى.

